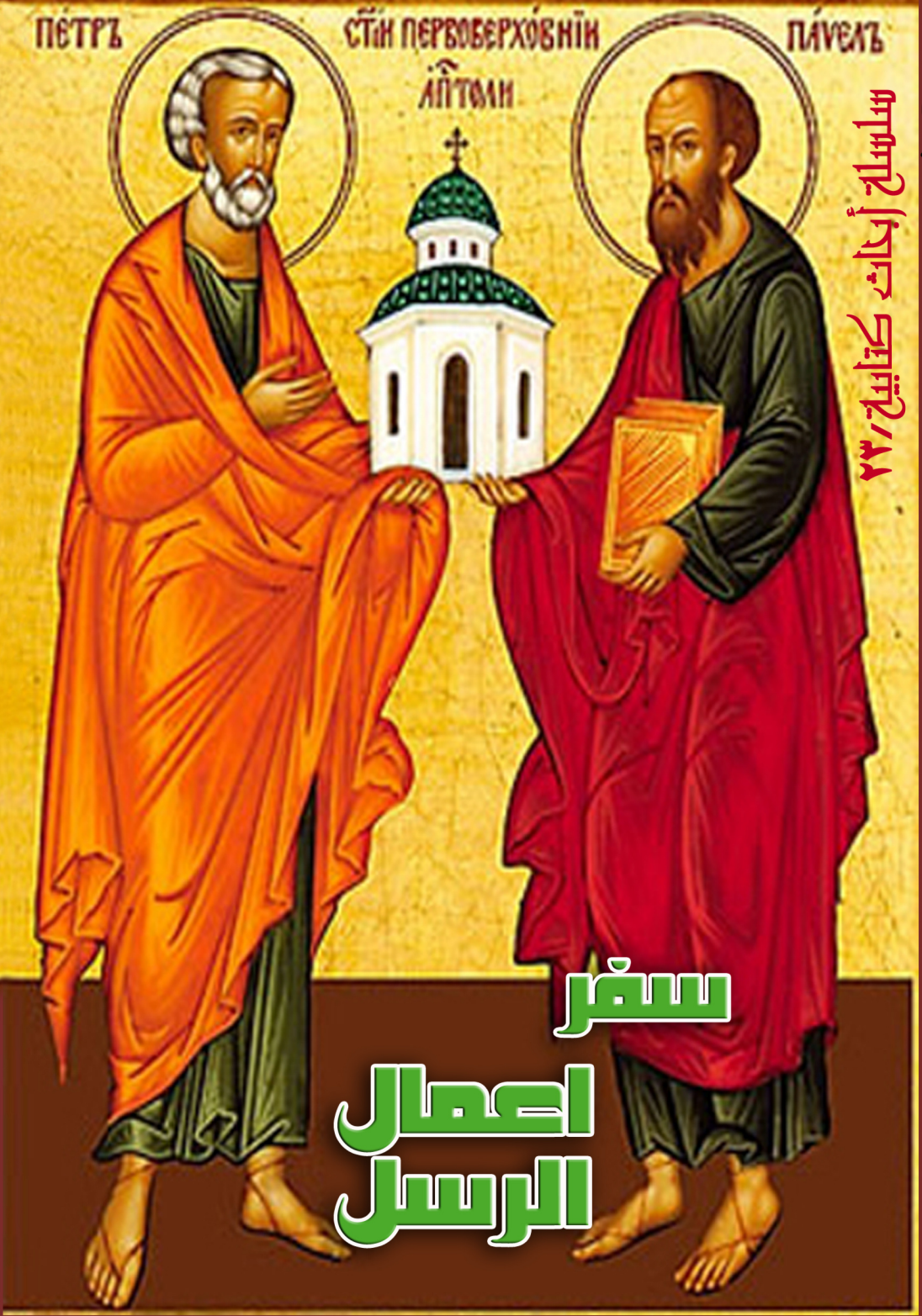


سلسلة
تفسير

سلسلة أعمال الرسل كتابات: ٢٣٧/١٨١



دار يبيليا للنشر

عنكاوا - العراق ٢٠١٥

تأليف: شارل لبرانتشييه
تصريب: الاب اوب شهوان

الرسولان بطرس وبولس يحملان الكنيسة
ايقونة روسية - ١٥٦٠



الرسولان يتعانقان
ايقونة بيزنطية



سفر

اعمال

الرسائل

سلسلة تفاسير

العهد الجديد بعشرة اجزاء

صدرت بالفرنسية عن الخدمة البيبليية "انجيل وحياء"، بقلم اختصاصيين في الكتاب المقدس. وعمدت دار بيبلييا للنشر منذ عام ٢٠٠٨ إلى ترجمة اجزائها العشرة التي غطت بالتفسير الراعوي العهد الجديد برمته. فمع ظهور سفر اعمال الرسل تكون السلسلة قد أُجِزَت في غضون ٧ أعوام. نشيت عناوينها بحسب ظهورها ضمن سلسلة "البحاث كتابية" مع اسماء معرّبيها.

٢٠٠٨/ص٢٨٨	تعريب: الاب بيوس عفاص	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩١)	١٣/١. الانجيل بحسب القديس متى
٢٠٠٩/ص٢٨٠	تعريب: الأب بيوس عفاص	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩٢)	١٥/٤. الانجيل بحسب القديس يوحنا
٢٠١٠/ص٢٣٢	تعريب: م. جرجس القس موسى،	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩٦)	١٦/٦. رسائل بولس/الرسالتان إلى القورنثيين
٢٠١٠/ص٢١٦	تعريب: الأخت باسمة الخوري،	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩٦)	١٧/٧. رسائل بولس/الرسالتان إلى روما وغلاطية
٢٠١١/ص٢٤٠	تعريب: الاب الير ابونا،	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩٧)	١٨/٨. رسائل بولس/ الرسائل التسع الأخرى
٢٠١١/ص٢٤٨	تعريب: الأب فادي مسلم،	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩٧)	١٩/٩. الرسائل الأخيرة (عبرانيين والرسائل العامة)
٢٠١٢/ص٢٤٠	تعريب: الخوري بولس الفغالي،	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩١)	٢٠/٢. الانجيل بحسب القديس مرقس
٢٠١٢/ص٣٢٠	تعريب: الاب بيوس عفاص،	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩٢)	٢١/٣. الانجيل بحسب القديس لوقا
٢٠١٣/ص٢٦٨	تعريب: م. جرجس القس موسى،	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩٥)	٢٢/١٠. سفر الرؤيا
٢٠١٥/ص٣٠٤	تعريب: الاب ايوب شهوان،	(صدر بالفرنسية عام ١٩٩٤)	٢٣/٥. سفر اعمال الرسل

Collection "Commentaires"
Charles L' Eplattener
Le Livre des Actes
Editions Centurion/ Novalis
Paris, 1994

عنوان الكتاب بالفرنسية

e-mail: bibliamosul@yahoo.com

دار بيبلييا للنشر / كيسخ مار توما - الموصل (العراق)

- تطلب كافة منشورات دار بيبلييا في العراق: الاب بيوس عفاص - عنكاوا
وفي لبنان: ● مكتبة جامعة الروح القدس - الكسليك
● المكتبة البولسية - جونية
● مكتبة دير مار الياس - انطلياس

سلسلة أبحاث كتابية / ٢٣

سفر أعمال الرسل

تفسير راعي

سلسلة تفاسير

(٥)

تأليف: شارل ليلر^س نيبه
تعريب: الأرب أبو شهبان

إصدارات

مركز الدراسات الكتابية

العراق

٢٠١٥

... وكانئ للكتاب قصة!

... وقصته ان ترجمته إلى العربية امتدت على بضع سنين، ولأسباب عدة، وفي مقدمتها تراكم المهام على الاب ايوب شهوان، منسق الرابطة الكتابية السابق، مما اضطره إلى إشراك آخرين في الترجمة. وهكذا تخلف ظهوره في سلسلة "ابحاث كتابية"، وكان مقرراً له ان يظهر عام ٢٠١٢م برقم ٢٣ - فتجاوزته ثلاثة كتب: دليل إلى العهد الجديد (٢٠١٣/٢٤)، بشرى القيامة (٢٠١٤/٢٥)، واخيراً "عشرة مفاتيح لقراءة الكتاب المقدس" (٢٠١٥/٢٦) - وقد ظهر هو الآخر بولادة عسيرة، ابان اكبر محنة عرفها المسيحيون العراقيون في التاريخ!

اما على صعيد سلسلة "تفسير"، بصفته واحداً من الاجزاء العشرة التي غطت العهد الجديد، فقد احتفظ بالرقم ٢٣/٥، ومعه تكون السلسلة قد أنجزت بين الاعوام ٢٠٠٨ - ٢٠١٥، واصبح، في متناول القراء، العهد الجديد برمته، مفسراً بالتمام والكمال؛ وبقلم اختصاصيين كبار حاولوا ان يقدموا تفسيراً راعويًا يستند إلى طروحات علمية... وكم يؤسفنا ان تكون هذه الكتب، مع مجموعة من سلسلة "مختارات الفكر المسيحي" وثلاثة كتب ظهرت في سلسلة "روافد" الفتية، فضلاً عن ٥٧ عدداً من ملفات الكتاب المقدس - مع كنوز اخرى كثيرة ضمتها كنيسة مارتوما بالموصل - بقيت برمتها في قبضة داعش وتحت "رحمته"!

ومهما كانت محنة مسيحي الموصل وسهل نينوى مأساوية على مستوى الايمان والتاريخ والحضارة والتراث - ونحن في عام الذكرى المئوية للابادة الجماعية -، ومهما كانت ضربتها شبه قاضية على كنائس بين النهرين... ومهما كانت مردوداتها أليمة على النشاط الكنسي برمته، ونخص بالذكر مركز الدراسات الكتابية في الموصل ودار بيبيليا للنشر، فلقد ابتسم الأمل من جديد لدى ظهور "عشرة مفاتيح" في آب ٢٠١٥، اي في اعقاب سنة على تهجير المسيحيين القسري - عساه يكون مفتاح الفرج لعودة الحياة والرجاء إلى هذه الكنيسة المتألمة...

وها هو سفر اعمال الرسل يليه ليذكر اسرة م.د.ك. بان الروح الذي عمل في الجماعة المسيحية الاولى فجعلها شاهدة للقائم من بين الاموات، لا يزال يعمل في

جماعاتنا المهجرة والمشتتة في كل اصقاع المعمور لتشهد حيث هي لمن له بالتالي الكلمة الاخيرة، وهورب التاريخ وسيده: ثقوا انا غلبت العالم!

ولكتاب سفر اعمال الرسل الذي به اكتملت سلسلة "تفاسير" قصة اخرى على مستوى التنقيح والاخراج: فمنذ ان اخذت صفحات من الترجمة "تنزل" على مكتب دار بيبليا في الموصل في اوائل عام ٢٠١٤، كان العمل فيها على قدم وساق، ابان ايام صعبة من الفوضى والقلق في شتاء وربيع تلك السنة التعيسة! وبلغت المساة أوجها حين بقي عمل التصحيح والتنقيح في حاسوب الموصل تحت "رحمة" الغزاة في ١٠ حزيران! وكان علي، وانا في المنفى بعنكاوا، منذ خريف ٢٠١٤، ان اعيد الكرة وخصص لإعادة النظر في الترجمة ستة اشهر اخرى قبل ان تصبح جاهزة للتصحيح الالكتروني... ومن ثم للتنسيق والاخراج والطباعة، على أمل ظهورها قبيل عيد الميلاد! أوليس سفر الاعمال هو قصة ولادة الكنيسة بفعل الروح القدس؟ أوليس ميلاد الكتاب في هذه الظروف علامة أمل ورجاء لكنيسة أن لها ان تخرج من النفق؟!

وهكذا عبر مسيرة شاقة استغرقت بضعة اعوام، هوذا الكتاب بين يديك ايها القارئ الحبيب، وقد شاء لوقا مؤلف سفر الاعمال ان يلحقه بكتابه الاول "في كل ما عمل وعلم يسوع" -وتشهد على وحدة المؤلف المقدمة الرائعة التي دبجها قلمه، على غرار الكتاب اليونان، وتصدرت الجزئين، وهي موجهة إلى ثيوفيلس (حبيب الله) الذي يمثل كل المؤمنين الذين تلقوا البشرى السارة وكانوا بحاجة إلى كتابة "مرتبة" ترسخهم في اليقين بما تلقوه من تعليم بشأن يسوع، ذاك الناصري المصلوب الذي "اقامه الله وجعله رباً ومسيحاً"، وهو الهى القائم في وسط كنيسة يترتب عليها ان تكون شاهدة له حتى اقاصي الارض...

وسفر "اعمال الرسل" -ولم تُطلق عليه هذه التسمية إلا في القرن الثالث، ويشكل مع الانجيل الثالث مؤلفاً واحداً بجزئين كان ينبغي لهما ألا ينفصلا! - لا يحدتنا عن اعمال الرسل بقدر ما يحدتنا عن اعمال الروح القدس الذي مدّ اولئك الرسل والمبشرين بالانجيل، وفي مقدمتهم بطرس ويوحنا، اسطفانس وفيلبس... ريثما يلحق بهم بولس، بالجرأة على التبشير بقيامة الرب، ومنهجهم القدرة على اجراء المعجزات والآيات باسم يسوع الناصري القائم من بين

الاموات، وشدهم في الشهادة لانجيل الخلاص - شهادة تعكسها الخطابات التي يعج بها سفر الاعمال!

ولوقا البشير، في هذا السفر، بصفته مؤرخاً مؤمناً، يقص علينا المسيرة التي قطعها الكنيسة، بقوة الروح، لتبليغ الخلاص إلى الوثنيين، وقد بلغ بالفعل إلى روما قلب الامبراطورية الرومانية على يد شاول بولس الذي يكاد يجتث القسم الثاني برمته من السفر. لذا لم يكن هدف لوقا ان يطلعنا على تفاصيل من حياة ورسالة هؤلاء العاملين من اجل الانجيل، بقدر ما شاء ان يرسم لنا لوحة مشعة عن كنيسة البدايات، بمواصفات تمنها تكون صفات كنيسته وكنائس عصره وكنائس كل العصور: كنيسة شاهادة للمسيح تبلغ بشهادتها للقائم من بين الاموات حتى الشهادة بالدم! أليس هذا ما قصده حين روى باسهاب خطبة اسطفانس اول السبعة وبكر الشهداء؟ أليس هذا ايضا ما قصده حين ختم مؤلفه بالكلام عن بولس، الاسير في روما - وهو على علم باستشهاده حين كتب خاتمة الرائعة! - بهذه العبارات: " ومكث سنتين كاملتين في منزل خاص استأجره، يستقبل جميع الذين كانوا يأتونه، ويعلم ملكوت الله ويعلم بكل جرأة ما يختص بالرب يسوع المسيح، لا يمنعه احد "!

اما مؤلف هذا التفسير الراعوي الرصين لسفر الاعمال، فهو الراعي السويسري شارل ليبلاتنبييه، المنشط البيبلي في الكنيسة المصالحة، وبعداً اختصاصياً لا منازع له في مؤلف لوقا، وله "قراءة في انجيل لوقا" هي غير القراءة التي قام بها هييك كوزان والتي عمدت دار بيبليا إلى ترجمتها ونشرها عام ٢٠١٢ تحت الرقم ٢١/٣ في سلسلة ابحاث كتابية.

لقد شاء هذا البيبلي الشهير ان يتناول ادق التفاصيل في سفر الاعمال ويفك ما فيه من الغاز وأسرار، وهو لا يبخل، بين الحين والآخر، بهمسات في اتجاه كنائس عصرنا! وهكذا، عبر دراسة مكثفة ودقيقة يدخلنا إلى عمق مرامي هذا السفر الرائع الذي يعتبر من روائع الادب العالمي ولا يقل عنها هدفاً ومتعة!

الترتيب الابدجي لاسفار الكتاب المقدس

اعتمدنا المختصرات لمراجع الاسفار المقدسة، وفقا لطبعة دار المشرق. واليكم قائمة بها:

العدد	عد	الاحبار	أح
سفر عزرا	عز	سفر الاخبار الاول	أخ ١
عوبديا	عو	سفر الاخبار الثاني	أخ ٢
الرسالة الى غلاطية	غل	ارميا	ار
الرسالة الى فيلمون	ف	استير	اس
الرسالة الى اهل فيلبي	فل	اشعيا	اش
سفر القضاة	قض	الرسالة الى اهل افسس	اف
الرسالة الاولى الى اهل قورنثس	١ قور	ايوب	أي
الرسالة الثانية الى اهل قورنثس	٢ قور	سفر باروك	با
الرسالة الى اهل قولسي	قول	رسالة القديس بطرس الاولى	١ بط
الانجيل كما رواه لوقا	لو	رسالة القديس بطرس الثاني	٢ بط
الانجيل كما رواه متى	متى	تثنية الاشرع	تث
الامثال	مثل	الرسالة الاولى الى اهل تسالونيقي	١ تس
الانجيل كما رواه مرقس	مر	الرسالة الثانية الى اهل تسالونيقي	٢ تس
المراثي	مرا	التكوين	تك
المزامير	مز	الجامعة	جا
سفر المكابيين الاول	١ مك	حبقوق	حب
سفر المكابيين الثاني	٢ مك	حجاي	حج
سفر الملوك الاول	١ مل	حزقيال	حز
سفر الملوك الثاني	٢ مل	سفر الحكمة	حك
ملاخي	ملا	الخروج	خر
ميخا	مي	دانيال	دا
سفر نحemia	نح	سفر راعوث	را
نحوم	نحو	اعمال الرسل	رسل
نشيد الاناشيد	نش	الرسالة الى اهل رومة	روم
هوشع	هو	الرؤيا	رؤ
سفر يشوع	يش	زكريا	زك
رسالة القديس يعقوب	يع	يشوع بن سيراخ	سي
الانجيل كما رواه يوحنا	يو	صفنيا	صف
رسالة القديس يوحنا الاولى	١ يو	سفر صموئيل الاول	١ صم
رسالة القديس يوحنا الثانية	٢ يو	سفر صموئيل الثاني	٢ صم
رسالة القديس يوحنا الثالثة	٣ يو	طوبيا	طو
يونيل	يوء	الرسالة الى طيطس	طي
يونان	يون	الرسالة الاولى الى طيموثاوس	١ طيم
يهوديت	يه	الرسالة الثانية الى طيموثاوس	٢ طيم
رسالة القديس يهوذا	يهو	عاموس	عا
		الرسالة الى العبرانيين	عب

المقدمة

المؤلف ومؤلفه

يلي كتابُ أعمالِ الرسل إنجيلَ لوقا، كما تبين ذلك مقدمته الموجهة إلى توافيلس بالذات، وحيث يذكر المؤلفُ "كتابه الأول" (١:١). وهكذا يشكّل الجزء الثاني من مؤلّف يبغى واضعه من خلاله أن يعرض أصول المسيحية، مميّزاً "زمن يسوع" و"زمن الكنيسة"، رابطاً بينهما ربطاً محكماً. وكما أبرز ذلك هـ. كوزان^(١) في مقدمته لإنجيل لوقا، أنّ ترتيبَ كتب العهد الجديد الحالي، من سوء الطالع، يُسهم في إخفاء وحدة هذا المؤلف الذي يفصل الإنجيل الرابع بين دفتيه.

بالرغم من ذلك، يبقى المؤلفُ الذي حدّد كلامه في لو ١:١-٤، متكلماً بصيغة المتكلم المفرد، مجهولَ هويّة. هو التقليد الكنسي، الذي يرقى إلى نهاية القرن الثاني، من نَسَب الإنجيل الثالث إلى لوقا، معاون بولس والطبيب (قول ٤:١٤؛ ٢ طيم ٤:١١؛ ف ٢٤). لقد اعترض النقدُ الحديثُ على هذه النسبة إلى لوقا لدوافع مختلفة. ما هو مؤكّدُ هو أنّ هذا المؤلف لا ينتمي إلى الحلقة الرسوليّة الأولى، وأنّه مسيحيّ من الجيل الثاني أو الثالث، وعلى الأرجح هو وثنيّ مهتدٍ، كانت ثقافته الأصليّة يونانيّة. لقد دفعتُ الأهميّة التي يوليها للرسالة المسيحية في العالم إلى الافتراض بأنّه كان هو ذاته مرسلًا، عمل على الأرجح حول حاضرة كَانطاكيا. في كلّ الأحوال، أخذ على عاتقه أن يسرد قصة التوسّع الرسولي للكنيسة، وقد كانت بدايةً في أورشليم شيعةً مسيحيّةً يهوديّة، وذلك بهدف تقوية المسيحيين المتحدّرين من أصل وثنيّ في قناعاتهم. لقد توجّب عليه أن يضع المؤلف الثاني هذا حوالي نهاية الثمانينات بعدما كان قد حرّر إنجيله قبل ذلك بقليل. وتسهيلاً للعمل يستمرّ المفسّرون في تسميته "لوقا".

(١) هو مؤلف "الإنجيل بحسب القديس لوقا" في سلسلة "تفاسير" /٣، تعريب الاب بيوس عفاص/ دار بيبليا للنشر - الموصل، ٢٠١٢ (الناشر).

مصادر كتاب أعمال الرسل

في مقدّمة الإنجيل، يؤكّد لوقا على أنّه استطاع بدقّة، قبل أن يحرّر "روايته المرتبة" للوقائع الإنجيليّة، ذاكرًا محاولات من سبقوه في هذا المضمار. ونظرًا إلى المعطيات المعقدة "للمعضلة الإزائيّة" -العلاقات بين مرقس ومثى ولوقا- صاغ الأخصائيّون فرضيّات عديدة حول المصادر الوثائقيّة التي استطاع أن يستخدمها. وانطلاقًا من كون سفر أعمال الرسل فريدًا من نوعه، لا يمكن المقارنة الإزائيّة أن تُطبّق هنا كما على الإنجيل، بصدد البحث عن المصادر. يجب أن نفترض أنّه بحث باعتماد لكّي يحرّر مؤلّفه الثاني، لكن من الصعب جدًّا تحديد الوثائق التي كانت بمتناول يده. هل من المحتمل أن يكون هو ذاته قد جمع شهادات شفهيّة لصانعيّ هذا التاريخ، أو استشار "ارشيف" هذه الجماعة أو تلك؟ هل كانت تتوفر لديه روايات موضوعة حول أشخاص مثل بطرس ويوحنا، وإسطفانوس، وفيليبس، أو بولس؟ على كل حال، كانت مهارته الأدبيّة كبيرة، وكتابته "لوقاويّة" من طرف إلى آخر، الأمر الذي يجعل عشوائيًا جدًّا التمييز بين ما قد يأتي من مصدر، وما قد يتعلّق بالتأليف.

العلامة الوحيدة ذات الصلة في هذا المجال تتعلّق بالمقاطع المميّزة حيث تنتقل الرواية إلى ضمير المتكلم الجمع، وتشكّل نوعًا من "يوميات رحلة"، منظوية على مشاركة الراوي في الأحداث التي يخبر عنها (١٦:١٠-١٧؛ ٢٠:٥-١٥؛ ٢١:١-٨؛ ٢٧:١-٢٧). قد يكون المقصود رفيقًا لبولس، لكنّ محرّر الكتاب لا يتماهى بالضرورة مع هذا الشخص، ومن المحتمل انه استطاع أن يُدرج هذه الأخبار دون تعديلها، لكّي يترك لها طابعها كشهادة حيّة.

صبغة النصّ

يرقى "النصّ الحاليّ"، الذي عليه تستند الترجمات المألوفة المعتادة، إلى تقليد مخطوط يدعى "الإسكندريّ" (أو الشرقيّ). إنّ لبعض المخطوطات نصًّا آخر يدعى "الغربيّ"، يتضمّن بدائل عديدة، هي بمعظمها إضافات. لقد أثار هذا الأمر جدالات عديدة بين الأخصائيّين، وحتى اليوم أيضًا؛ ففي حين أنّ م. إ. بومار يدافع عن أسبقيّة النصّ الغربيّ، يعتبر إ. دُولبِك، في أعقاب مقارنة دقيقة، أنّ هذا النصّ قد يكون

مراجعة، وعلى يد لوقا بالذات، لإنشائه الأول، إذ يبدو أنه يهدف إلى تحسين النصّ أو إلى التخفيف من صعوباته. ليس حاسماً رهانُ هذا النقاش العلميّ بشأن قراءةٍ تسعى قبل كلّ شيءٍ إلى تلقي رسالة هذا الكتاب. إن الترجمة الليتورجية التي نتبع مأخوذة من هذا النصّ الحاليّ. وسنسعى إلى اقتباس هذه البديلة أو تلك من بين تلك البدائل التي رأّت ترجمة الكتاب المقدّس المسكوتية (T.O.B) من المفيد إدراجها في حواشيهما.

ستُعالج بعضُ المسائل الأخرى المتعلّقة بالشكل الأدبيّ لكتاب أعمال الرسل، أو بعلاقته بالتاريخ، -وتتناولها في الغالب "المقدمات"- عبر اطارات في الوقت المناسب، أثناء قراءتنا.

كتاب التفسير هذا

إنّ هذا الكتاب، كما كان حال المؤلّفات التي ظهرت في السلسلة^(٢)، هو تفسير راعوي، يلي طبيعياً تفسير أنجيل لوقا. ويعتمد الترجمة الليتورجية للكنيسة الكاثوليكية، ويتبع تقسيمها للنصوص. وقد قدّمته هذه الترجمة على النحو التالي:

"قد ينخدع القارئ إذا اعتقد، انطلاقاً من ثقته بعنوان الكتاب، أنّه يجد فيه سيرة حياة الرسل. لقد كانت نيّة لوقا بالأحرى إبراز انتشار الكنيسة؛ فهو جزء أوّل، جعلنا نشهد تكوين أوّل جماعة مسيحية في أورشليم. فبفضل كلام بطرس والرسل المجتمعين حوله، اهتدى آلاف اليهود وقرّروا أن يعيشوا كإخوة. ثمّ ينفصل اهتمام الكاتب عن أورشليم، ويتوجّه نحو الرسالات الأولى في السامرة وفي سوريا. أخيراً، يتركز الاهتمام كلّه على نشاط بولس الرسوليّ، حيث تحتلّ روايته أكثر من نصف الكتاب الذي يُحتتم، مع ذلك، ليس بموت بولس، بل بالزمن الذي فيه حمل بولس الإنجيل حتّى روما. وهذا يعني، بالنسبة إلى لوقا، أنّ الإنجيل قد بلغ العالم كلّه.

إنّ الذين يُوجّه إليهم هذا التفسير ليسوا ببليين متخصصين، بل هم مؤمنون يتمنّون أن يجدوا شرحاً جديداً دون أن يكون تقنياً بالمعنى الحصريّ، ولا موجزاً علمياً محشواً بالحواشي، ولا مجرد إعادة صياغة مسهبة. ومن دون الدخول في جدالات تأويلية

(٢) تجد في تضاعيف هذا الكتاب درجاً بالاجزاء التسعة المعربة والصادرة في سلسلة "تفاسير" -وقد غطت اسفار العهد الجديد- عن دار ببلييا للنشر / الموصل (بين الاعوام ٢٠٠٨ - ٢٠١٣) (الناشر).

علمية، المطلوب منه تسليط الضوء على صعوبات النصّ التي تربك في الغالب القارئ غير المعدّ لذلك. وهو يرمي أيضاً إلى إبراز آتية هذا الكتاب من العهد الجديد، كونه يتعلّق بحياة الكنائس وبرسالتها، وهما ذاتهما في الواقع كما في القرن الأوّل: إعلان البشري السارة "حتّى أقاصي الأرض"، والحفاظ لأجل ذلك على وحدتها في شركة المسيح الحيّ، أو إعادة اكتشافها.

نعلمان عملية

من أجل مساعدة القارئ للوقوف على محطات من التاريخ والجغرافيا اللذين يفرضها السرد اللوقاويّ، نجد أدناه جدولاً تاريخياً وخارطة يسمحان بالتعرّف إلى مختلف المناطق والمدن التي يرد ذكرها، وتتبع رحلات بولس.

تسلسل تاريخي تقريبي

عنصرة ٣٠ أو ٣١	تأسيس كنيسة أورشليم
شتاء ٣٦ أو ٣٧	إستشهاد إسطفانوس، ودعوة بولس
في نحو ٤٣	تأسيس كنيسة أنطاكيا
٤٣ أو ٤٤	استشهاد يعقوب
٤٤-٤٥	بعثة برنابا وشاول الأولى
٤٨ أو ٤٩	مجمع أورشليم
٥٠ أو ٥٢	بعثة بولس الثانية
٥٣	بداية بعثة بولس الثالثة
٥٤-٥٧	إقامة بولس في أفسس
شتاء ٥٧-٥٨	إقامة بولس في كورنتس
عنصرة ٥٨	توقيف بولس في أورشليم
٥٨-٦٠	أسر بولس في قيصرية
٦١-٦٣	بولس سجين في روما



فلسطين
في أيام المسيح
 مقياس المليم ١ : ٦٨٠٠٠٠
 سنة ٢٠٠٠ ق. م
 ق. م ١٠٠٠
 ق. م ٢٠٠
 ق. م ٩٠٠
 ميل
 I مكدون الرومانية اليهودية
 (٦٠٠ ق. م - ٦٣ ق. م)
 (مقاطعة أريثوس)
 الحدود الشمالية
 اليهودية
 II, II, b مقاطعة حبرودس
 (٦٣٠ ق. م - ٦٣ ق. م)
 III مقاطعة فيلبس
 (٦٣ ق. م - ٣٦ ق. م)
 IV البرودان ورومانيا سوريا
 (٣٦ ق. م - ٦٣ ق. م)
 V مقاطعة ليسانس وبن
 VI مقاطعة المدن العشر
 * حصون

القرآن الأول

نشأة الكنيسة

(رسول ١: ١ - ٢: ٤١)

نشأة الكنيسة

(١:١ - ٤١:٢)

١. يسوع القائع يعلن للرسل رسالتهم وينوارى عن أعينهم (١:١-١١)

- ١ أَلَفْتُ كِتَابِي الْأَوَّلَ، يَا تَارُفِيلُسَ، فِي جَمِيعِ مَا عَمِلَ يَسُوعُ وَعَلَّمَ، مُنْذُ بَدَأَ رِسَالَتِهِ،
- ٢ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي رُفِعَ فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ، بَعْدَمَا أَلْقَى وَصَايَاهُ، بِدَافِعِ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ،
- ٣ إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ وَأَظْهَرَ لَهُمْ نَفْسَهُ حَيًّا بَعْدَ آلامِهِ بكَثِيرٍ مِنَ الْأَدَلَّةِ، إِذِ تَرَأَى لَهُمْ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا،
- ٤ وَكَلَّمَهُمْ عَلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ. وَبَيْنَمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ بِهِمْ، أَوْصَاهُمْ أَلَّا يُغَادِرُوا أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا فِيهَا مَا وَعَدَ بِهِ
- ٥ الْآبُ "وَسَمِعْتُمُوهُ مِنِّي، ذَلِكَ بَأَنَّ يُوْحَنَّا قَدْ عَمِدَ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَفِي الرُّوحِ الْقُدُسِ تُعَمِدُونَ بَعْدَ أَيَّامٍ غَيْرِ كَثِيرَةٍ".
- ٦ كَانُوا إِذَا مُجْتَمِعِينَ فَسَأَلُوهُ: "يَا رَبِّ، أَفِي هَذَا الزَّمَنِ تُعِيدُ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟"
- ٧ فَقَالَ لَهُمْ: "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْأَزْمِنَةَ وَالْأَوْقَاتَ الَّتِي حَدَّدَهَا الْآبُ بِذَاتِ سُلْطَانِهِ. وَلَكِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَبْرُلُ عَلَيْكُمْ، فَتَنَالُونَ قُدْرَةً، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ
- ٨ وَكُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، حَتَّى أَقْصَى الْأَرْضِ. وَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، رُفِعَ بَمَرَأَى مِنْهُمْ، ثُمَّ حَجَبَهُ غَمَامٌ عَنْ أَبْصَارِهِمْ.
- ٩ وَبَيْنَمَا عْيُونُهُمْ شَاخِصَةٌ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ ذَاهِبٌ، إِذَا رَجُلَانِ قَدْ مَثَلَا لَهُمْ فِي ثِيَابٍ بَيْضَ،
- ١١ وَقَالَا: "أَيُّهَا الْجَلِيلِيُّونَ، مَا لَكُمْ قَائِمِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَيَسُوعُ هَذَا الَّذِي رُفِعَ
- عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي كَمَا رَأَيْتُمُوهُ ذَاهِبًا إِلَى السَّمَاءِ".

المطلع (آ ١-٣)

تشكّل هذه الآيات الثلاث جملة واحدة طويلة في النصّ اليونانيّ، وهي تشير بالتأكيد إلى مطلع إنجيل لوقا، وهو أكثر توسعاً من هنا: فالمؤلف الذي يتكلّم أيضاً بصيغة المتكلّم المفرد، يهدي مؤلّفه هذا إلى "العزیز تاوفيلس". من المدهش أنّ المرسل إليه يحمل اسماً يونانيّاً يعني "محبّ الله". حتّى ولو كان المقصود شخصاً تاريخياً يعرفه لوقا، ينبغي أن يرمز هذا الاسم إلى القارئ النموذج الذي يتوجّه إليه الكتاب: إنّه مسيحيّ جديد من أصل وثنيّ، تلقى تعليماً دينياً أولاً (رج لو ١: ٤)، ويبغي الكاتب أن يجعله يكتشف، في عمق أكبر، تاريخ الخلاص الذي يتحدّر في العالم اليهوديّ، ولكنّه موجه إلى الأمم بأسرها.

من الناحية الأدبيّة، نشير إلى أنّ هذه الآيات الثلاث توجز بشكل مكثّف مجموعة الأحداث بنوع من جولة أفقٍ عامّة. وستكون هناك، على مدى كتاب أعمال الرسل، إشعارات من هذا النوع، اعتاد المفسّرون أن يسمّوها خلاصات. إنّها نصوص انتقاليّة أو تلخّص ما سبق، وتسمح للراوي أن يربط بين الحلقات التي تشكّل موضوع رواية مفصّلة، وغالباً ما تشير إلى مراحل في تقدّم الرواية الإجماليّة.

من خلال هذا المطلع الذي هو على شاكلة خلاصة، نجح لوقا تماماً في صياغة مؤلّفه. فقد بدأ باختصار مضمون الإنجيل، كونه رواية مسيرة يسوع، وقد كانت فعلاً وقولاً لا ينفصلان (رج ٢٤: ١٩)، ثمّ يورد بنوع خاصّ خاتمة كتابه الأوّل (٢٤: ٣٦-٥٣). كان لوقا قد سار بروايته وصولاً إلى ارتفاع يسوع إلى السماء، بعد أن أعطى القائم من الموت الأحد عشر ورفاقهم التعليمات الضروريّة لرسالتهم العتيّدة.

تردّ في آ ٣ كلمة "آلام"، للتشديد قبل كلّ شيء على حقيقة الظهورات التي منحها المصلوب لرسله، لكي يثبتهم في اليقين بأنّه انتصر على الموت. لكنّ العنصر الأخير في هذا المطلع يقدّم معلومة غير موجودة في الإنجيل، تبدو ظاهريّاً متناقضة! في لو ٢٤، تمّ الإخبار عن صعود يسوع، دون فاصل زمنيّ، وكأنّ الأمر

قد حدث في نهاية يوم القيامة. ويتكلم لوقا هنا على زمن هو "أربعون يوماً" أراد خلالها يسوع أن يُتمَّ تنشئة شهوده. وهكذا نرى بوضوح هنا أن كتابة لوقا ليست تقريراً يُعنى بالدقة الزمنية، بل بمنطق مرتبط بالموضوع على مستوى ما يريد أن يمرر في تعليمه الديني. لقد حُررت خاتمة الإنجيل من وجهة نظر الكريستولوجيا، أي الرسالة المتعلقة بشخص يسوع وعمله: يكلل ارتفاعه في الجسد انتصاره على الموت؛ ويرد ذكره بمثابة ذروة في آخر رواية الفصح، وقد أعطت للإيمان، بما فيه الكفاية، المعنى من قيامة يسوع. ففي بداية كتاب أعمال الرسل، يعتمد لوقا وجهة نظر إيكليزولوجية (كنسية)؛ انه يبغى أن يعرض الأمور وفق ما يعيشه الرسل، فيبسط في الزمن هذا السرّ الفصحيّ الذي يؤسس إيمان الكنيسة. وهو يفهم القارئ أنه كان يلزم بعض الوقت لهؤلاء الرسل ليستوعبوا حدثاً منقطع النظر. لقد استطاعوا أن يعيشوا فترة استعداد أعطاهم خلالها يسوع فهمًا متجددًا لرسالته، ونشأهم من أجل رسالتهم. ولكي يورد لوقا ذلك، وهو المشبع من الكتاب المقدس، يستعمل تعبيراً رمزياً شائعاً في الكتاب المقدس، حيث تدلّ عبارة "أربعين يوماً" (وأحياناً أربعين سنة!) على زمن امتحان أو زمن كشف. وسيرى قارئ الإنجيل الموازية الموضوعية هكذا مع "الأربعين يوماً" للاختلاء في الصحراء، حيث كان يسوع قد استعد لرسالته (رج لو ٤: ١).

يوصف تعليم القائم من الموت وكأته كلمة "حول ملكوت الله": لوقا أمين لعرضه رسالة يسوع في إنجيله، حيث تكررت عبارة ملكوت الله ٣٤ مرة، وسنجدها سبع مرّات فقط في كتاب أعمال الرسل، ولكن في المكان الجيد، في الخلاصة الختامية للكتاب (٢٨: ٣٠-٣١). ذلك يشكل تضييماً من حيث الموضوع هو ذو مدلول مع مطلعنا. فالملكوت الذي أعلنه يسوع ودشّنه، يبشّر به بولس في روما، عاصمة إمبراطورية تعتبر ذاتها كونيّة.

هكذا، تشكل آيات المطع الثلاثُ المفصل الذي يجمع مُجلدَي مؤلّف لوقا. إنّها في آنٍ معاً ملخّص الإنجيل وافتتاحية كتاب أعمال الرسل. لقد بدأت تظهر

حقيقةً سيستلظ الكتابُ بكليته الضوءَ عليها: ذلك ان عمل الرسل يواصل عملَ يسوع، وسيكون زمنُ الكنيسة مواصلةً للزمن الإنجيلي.

محادثة القائم من الموت الأخيرة مع خاصته (آ ٤-٨)

مع هذه الآيات الخمس نترك أسلوب الخلاصة للقيام بمقاربة الرواية الأولى. بالرغم من كونها وجيزة، فإنها نمطية لطريقة لوقا الذي سيفسح دائماً مجالاً واسعاً للحوارات وللخطب بأسلوب مباشر. وتبقى الرواية موازية جداً لخاتمة الإنجيل: المقصود هو تحديد التعليمات والوعود التي أعطاها يسوع للرسل قبل أن يغادرهم بشكل نهائي.

تورد آ ٤ ذكر القائم من الموت وهو إلى المائة مع خاصته، كما في لو ٢٤: ٤٣. انه صدى اختبار مميز، هو غريب جداً بالنسبة إلينا، سيذكره بطرس من جديد في رسل ١٠: ٤١ ("نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من بين الأموات"). ويكرر الأمرُ بعدم مغادرة أورشليم، بانتظار تحقيق الوعد، أي الوصية التي سبق أن أشار لوقا إليها في لو ٤٤: ٤٩، وهذا ما تلمح إليه الصياغة: "الوعد الذي سمعتموه من فمي"؛ وكان قد تم حينذاك التعبير عن ذلك بالصياغة الغامضة بعض الشيء: "ستلبسون قوة من العلاء". وهوذا يسوع يفصح عن ذلك بشكل واضح، مكرراً، من تلقاء نفسه، في آ ٥، التعارض الذي كان يوحنا المعمدان قد صاغه بين عماده بالماء، والعماد بالروح القدس الذي سيحققه من هو أقوى منه (رج لو ٣: ١٦). لا نجد هذا التعبير التصويري، "التعميد في الروح القدس" في الواقع، إلا في كلمة المعمدان التي ينقلها الإنجيليون الأربعة، وسيكررها بطرس في رسل ١١: ١٦. انها عبارة بليغة إذا ما تذكرنا أن فعل "عمد" المستعار من اليونانية يعني حرفياً "غطس" في". وهكذا يجري الكلام على الروح القدس بشكل رمزي، وكأنه العنصر المحيي الذي فيه كل كيان المؤمن يُغطس بهدف تجدد تام لحياته. وان الإعلان بأن هذا العماد سيحصل "من الآن وحتى بضعة أيام"، يُعد رواية العنصرة.

يشهد السؤال الذي يطرحه الرسل في آ ٦ أن فهمهم للملكوت الله الذي حدثهم يسوع عنه، هو بحاجة ماسة إلى أن يُنقى ويُجدد بموهبة الروح القدس! انهم ما زالوا يعبرون عن رجائهم المسيحي بتعابير ذات نزعة قومية، ويتخيلون أن إعادة بناء الملكوت الداودي، كما كان قلاوبا قد فعل في لو ٢٤: ٢١. وحين أواجههم يسوع (آ ٧)، لم يستبعد صراحةً هذا الالتباس حول طبيعة ملكوت الله، "وكان عليه أن يثق بعمل الروح القدس الوشيك أن يحصل (سنرى لاحقاً بطرس يستخدم فكرة التجديد بحجم مختلف جداً، في ٣: ٢١). هنا يكفي يسوع فقط بالرد على الفضول المتعلق بزمن التتميم النهائي، والمعلن من خلال السؤال المطروح. لقد كانت كلمته صدى لقول نقله متى ومرقس في ختام خطبة يسوع النهيوية (متى ٢٧: ٢٦؛ مر ١٣: ٣٢). وإذا كان لوقا قد سكت عنه آنذا، فلائه من دون شك كان يريد أن يحتفظ به لخطبة القائم من الموت الأخيرة. فالمعنى واضح: يجب الوثوق بالله الذي يقود، بشكل سيادي ووفق حكمته، مسار التصميم الخلاصي لأجل العالم. ويصرّ لوقا دون شك على تحذير يسوع هذا، بسبب شيء من نفاد الصبر النهيوي لدى الأجيال المسيحية الأولى.

تشكل آ ٨ أيضاً صدى لـ لو ٢٤: ٤٩. الروح القدس هو إذاً "القوة التي من العلى" المعلن عنها. يمكننا أن نلاحظ أن صيغة، "الروح القدوس" (Saint-Esprit)، نادرة نسبياً عند لوقا (٤ استعمالات في الإنجيل، و ٧ في سفر الأعمال). انه يفضل أن يدعو الروح القدس (Esprit Saint) (١٠ مرّات في الإنجيل، و ٣٨ في كتاب الأعمال)، أو ببساطة: الروح (٣ مرّات في الإنجيل، و ١٠ مرّات في كتاب الأعمال).

يدلّ التعبير "سيأتي" على مسيرة شخصية، شبيهة بمسيرة يسوع بالذات (رج لو ٥: ٣٢؛ ١٢: ٤٩؛ ١٩: ١٠؛ إلخ). وان حرف العطف الذي يجمع بين جملتي الآية في اليونانية يمكن فهمه بمعنى التوالي: وهكذا تكونون شهودي؛ هذا هو الفارق الدقيق الذي يجب أن نفهمه في الترجمة الليتورجية التي تستعمل كلمة عندئذ. وبفضل مجيء الروح القدس عليهم، سيصبح الرسل قادرين على تحقيق

البرنامج الذي أسنده يسوع إليهم الآن، في منظور توسع جغرافي: ستبدأ الشهادة الرسولية في أورشليم، مكان تميم الخلاص، وستمثد من هناك حتى أقاصي الأرض. وسيشير رسل ٨: ١ إلى الخروج الفعلي من أورشليم، نحو اليهودية والسامرة. وسيقاد القارئ لاحقاً، وعلى مراحل، حتى روما، مركز العالم المعروف، ورمز الشمولية. هذا هو إذاً عملياً تصميم سفر أعمال الرسل الذي يعلن عنه في الكلمة الأخيرة للقائم من الموت. كما يشكل هذا البرنامج المقترح على الرسل في الوقت عينه جواب يسوع غير المباشر على تساؤلهم في آ ٦. وسيطلب الأمر وقتاً لتحقيق هذا البرنامج. فليس متوقفاً تدخل فوري للرب لكي يجعل ملكوت الله يأتي بطريقة عجائية. انه يسلم المهمة إلى شهوده من أجل عمل سيكون له بعد تاريخي. وهوذا نداؤه الأخير يُشعرنا من البداية بالدينامية الظاهرة لبشرى الإنجيل للعالم. وعندما يحين الوقت، سيين لوقا أن هذا لم يكن ليحصل من ذاته، وأية مقاومات كان على الروح القدس أن يقهر كي يفهم الرسل أخيراً مدى هذا البرنامج برمته.

يجب أيضاً الإشارة إلى ظهور لفظة شاهد في النص منذ بداية الكتاب. وسنصادفها من جديد كتضمنين في الخاتمة في ٢٨: ٢٣. بين هذين النصين، تظهر مصطلحات "الشهادة" ما يقارب الأربعين مرة (أنظر الاطار ادناه: الشهادة بحسب لوقا).

صعود يسوع (أ ٩-١١)

إن الروح القدس الذي تم الإعلان عن مجيئه سيعضد الرسل بشكل فاعل، بحيث يستطيع يسوع الآن أن يغيب دون أن يدعهم "أيتاماً" (رج يو ١٤: ١٨). لقد ذكرت مغادرته أرض البشر في لو ٢٤: ٥١ بتعابير "الفراق" و"الرفع"، الأمر الذي كان يعبر عن المعنى اللاهوتي للحدث، دون وصفه حقاً. نجد هنا مشهداً، على ما يبدو، يطغى عليه الوصف، ولكنه مليء أيضاً بملاحظات تفسيرية. ففي بداية سفر أعمال الرسل، يرمي المشهد إلى توضيح الوضع الجديد الذي كان على هؤلاء (الرسل) أن يعيشوه، أكثر مما لرسم التمجيد السري للمسيح، وهو موضوع

الإيمان الذي غالباً ما سمع تاوفيلس المجاهرة به. فالرواية تريد أن تؤكد، قبل كل شيء، على أن زمن الكنيسة سيكون، في نظر الناس، زمن غياب يسوع حتى عودته في المجد.

يبرّر الفعل رفع، المستعمل في آ ٩، المصطلح التقليدي للصعود، دون السعي إلى التشديد على الناحية العجائبيّة للحدث، ولا إلى تفسيره. وإنّ التأكيد على كون الرسل قد "رأوا" يسوع يرتفع، ومن ثمّ على غيابه عن أعينهم، بالإضافة إلى استعمال فعل **اختطف** في آ ١١، هو على الأرجح تلميح إلى الرواية البيبليّة في مل ٢:٩ حيث نرى إيليا يعدّ أليشاع تلميذه بأنّه سيتلقّى حصّتين من روحه "إذا ما رأيتني عندما أُختطف" (رج لو ٩:٥١ حول صورة الاختطاف). لكنّ لوقا لا يدعنا نتصوّر بسذاجة أنّ الرسل قد تمكّنوا، ولمدّة طويلة، من أن يتبعوا بعيونهم "صعود يسوع إلى السماء!" هناك غمامة جعلته يختفي عن عيونهم، وتلك طريقة للقول بأنّ يسوع صار فجأةً غير مرئيّ، كما بالنسبة إلى تلميذَي عمّوس في لو ٣١:٢٤. لكن هناك ما هو أكثر من ذلك، إذ إنّ الغمامة تنتمي إلى لغة الكتاب المقدّس الرمزيّة، وتشير إلى حضور سرّيّ لله الذي يقترب من الناس لكي يجعل ذاته معروفاً، مع بقائه خفياً (رج خر ١٩:٩؛ ١٦:٢٤؛ إلخ). نتذكّر أنّ دخول ابن الله في البشريّة، بحسب لوقا، قد تمّ أيضاً تحت علامة الغمام، إذ إنّ الفعل اليونانيّ "ظلل" (لو ١:٣٥)، يوحى — خر ٤٠:٣٥. وهكذا يعني حضور الغمام أنّ يسوع ينضمّ إلى عالم الله غير المرئيّ.

تتطابق آ ١٠ و ١١، بالشكل والمضمون، مع رواية القبر الفارغ في لو ٢٤:٤-٩: فلكي يفسّر الاختفاء السرّيّ لجسد يسوع، كان هناك رجلان في ثياب برّاقة، يظهران ويستجوبان النساء — لماذا تضمّنت عتاباً، قبل أن يستودعاهن رسالةً وضعتهنّ في الطريق. وهنا أيضاً استجوب المرسلان ذاتهما الرسل الذين كانوا ما يزالون تحت وطأة صدمة اختفاء معلّمهم، وفسّراً لهم الوضع. لماذا تبقون هنا تنظرون نحو السماء؟ هذا التحذيرُ يُكمّل تحذير آ ٧. انه تحذير واضح، ويبقى صالحاً لزمن الكنيسة برمته. ينبغي ألاّ يسعى تلاميذ يسوع إلى اختراق سرّ العالم

الإلهي الذي لا يُستقصى، ولا أن يحلموا، بحنين، بعودة قريبة ليسوع. ففي العصر الذي كتب فيه لوقا، هناك دعوة إلى التخلّي عن هذا الوهم الذي كان على الأرجح وهم الجيل المسيحيّ الأوّل. وان الرسالة الموجهة إلى الرسل تعني أن التاريخ يتواصل، لا بل هو ذو معنى. فليس زمن الغياب الذي افتتحه صعود يسوع زمنًا فارغًا. وبانتظار اليوم الذي يعرفه الله وحده، عندما يرجع فيه يسوع المسيح بمجده الإلهي، هناك برنامج يجب أن يُملأ! وبشيء من الفكاهة، فيما يذكر المرسلان "السماء" ثلاث مرّات (الترجمة الليتورجية مَحَتُ الثانية: الذي رُفِعَ من وسطكم إلى السماء)، يُوجّهان الرسل نحو أرض البشر، حيث لديهم تاريخ يجب أن يعيشوه، ورسالة يجب أن يقوموا بها.

٢- باننظار الروح القدس: صلاة الرسل وإنخاب منيا (١٢:١-٢٦)

١٢ فرَجَعُوا إِلَى أُورَشَلِيمَ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ جَبَلُ الزَّيْتُونِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ أُورَشَلِيمَ عَلَى مَسِيرَةِ سَبْتٍ مِنْهَا.

١٣ وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا صَعَدُوا إِلَى الْعُلْيَةِ الَّتِي كَانُوا يُقِيمُونَ فِيهَا، وَهُمْ بَطْرُسُ وَيوحَنَّا، وَيَعْقُوبُ وَأَنْدَرَاوُسُ، وَفِيلِبُّسُ وَتُومَا، وَبِرْتُولْمَاوُسُ وَمَتَّى، وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَسَمْعَانُ الْغَيُورُ، فَيَهُودَا بْنُ يَعْقُوبَ.

١٤ وَكَانُوا يُوَاظِبُونَ جَمِيعًا عَلَى الصَّلَاةِ بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، مَعَ بَعْضِ النِّسْوَةِ وَمَرِيمَ أُمِّ يَسُوعَ وَمَعَ إِخْوَتِهِ.

١٥ وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ قَامَ بَطْرُسُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ، وَكَانَ هُنَاكَ جَمْعٌ مُحْتَشِدٌ مِنَ النَّاسِ يَبْلُغُ عَدْدَهُمْ نَحْوَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ، فَقَالَ:

١٦ "أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، كَانَ لَا بُدَّ أَنْ تَبْتَغِيَ آيَةَ الْكِتَابِ الَّتِي قَالَهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ مِنْ قَبْلِ بِلْسَانَ دَاوُدَ، عَلَى يَهُودَا الَّذِي أَمْسَى دَلِيلًا لِلَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ.

١٧ فَقَدْ كَانَ وَاحِدًا مِنَّا وَنَالَ نَصِيْبِهِ فِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ.

١٨ وَقَدْ تَمَلَّكَ حَقْلًا بِالْأَجْرَةِ الْحَرَامِ فَوَقَعَ عَلَى رَأْسِهِ مُنْكَسًا وَانْتَشَقَّ مِنْ وَسْطِهِ، وَانْدَلَقَتْ أَمْعَاؤُهُ كُلُّهَا.

١٩ وعَرَفَ ذَلِكَ سُكَّانُ أُورُشَلِيمَ جَمِيعًا، حَتَّى دُعِيَ هَذَا الْحَقْلُ فِي لُغَتِهِمْ "حَقْلَ دَمَخٍ" أَي حَقْلَ الدَّمِّ.

٢٠ فَقَدْ كُتِبَ فِي سِفْرِ الْمَزَامِير: "لِتَصِرْ دَائِرُهُ مُقْفِرَةٌ وَلَا يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ". وَكُتِبَ أَيْضًا: "لِيَتَوَلَّ مَنْصِبَهُ آخَرَ".

٢١ هُنَاكَ رَجَالٌ صَحِبُونَا طَوَالَ السُّدَّةِ الَّتِي أَقَامَ فِيهَا الرَّبُّ يَسُوعُ مَعَنَا،

٢٢ مُذْ أَنْ عَمَّدَ يُوْحَنَّا إِلَى يَوْمِ رُفْعِ عَنَّا. فَيَجِبُ إِذَا أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْهُمْ شَاهِدًا مَعَنَا عَلَى قِيَامَتِهِ".

٢٣ فَعَرَضُوا اثْنَيْنِ مِنْهُمْ هُمَا يَوْسُفُ الَّذِي يُدْعَى بَرَسَابَا، وَيُلَقَّبُ يُسْتُطُسُ، وَمَتَّى.

٢٤ ثُمَّ صَلَّوْا فَقَالُوا: "أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ الْعَلِيمُ بَقُلُوبِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، بَيْنَ مَنْ اخْتَرْتَ مِنْ هَذَيْنِ الْاِثْنَيْنِ،

٢٥ لِيَقُومَ بِخِدْمَةِ الرُّسَالَةِ مَقَامَ يَهُوذَا الَّذِي تَوَلَّى عَنْهَا لِيَذْهَبَ إِلَى مَوْضِعِهِ".

٢٦ ثُمَّ اقْتَرَعُوا فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى مَتَّى، فَضُمَّ إِلَى الرُّسُلِ الْأَحَدَ عَشَرَ.

فريق ينتظر (آ ١٢-١٤)

تم تلقي رسالة الملاكين، وستم طاعة أمر يسوع، إذ كان على الرسل أن ينتظروا ما وعد به الآب في أورشليم (آ ٤). ويكرر لوقا عمدًا الصيغة ذاتها التي في لو ٢٤: ٣٣ و ٥٢: ورجعوا إلى أورشليم. هذه المدينة هي بالنسبة إليه مركز تاريخ الخلاص (هنا أيضًا تمحو الترجمة الليتورجية تكرارًا ذا مدلول لهذا الاسم في النص الأصلي: تلة... هي قرب أورشليم). نعلم بعدئذ أن صعود يسوع قد تم على جبل الزيتون. وبيت عنيا التي يرد ذكرها في لو ٢٤: ٥٠، هي على الجهة الشرقية لهذه التلة. وان لوقا، بتحديد هـنا جبل الزيتون، قد يقصد الإشارة إلى أن مكان تمجيد يسوع هو ذاته مكان نزاعه البشري واتضاعه الأعظم (رج لو ٢٢: ٣٩). كما يرى بعض علماء الكتاب المقدس تلميحًا ممكنًا إلى نبوءة زكريا، التي، استنادًا إليها، سيتزل الله على جبل الزيتون من أجل المعركة النهيوية الأخيرة التي ستجني الشعب المظلوم (زك ١٤: ٤). وإن ذكر عودة المسيح في آ ١١ يجعل هذا التلميح محتملاً.

قد تكون الغرفة العليا (ترجمة تقليدية فضلها على طابق البيت)، حيث يجتمع الفريق الرسولي، غرفة العشاء الأخير (رج لو ٢٢: ١٢). ويختار لوقا وقت

الانتظار هذا لكي يعطينا مرّة جديدة أسماء الرسل الذين لم يعودوا سوى أحد عشر. اللائحة هي ذاتها كما في لو ١٢:٦-١٦، لكن في ترتيب مختلف بعض الشيء، إذ إنه يكسر ثنائيّة الإخوة، بطرس وأندراوس، يعقوب ويوحنا، لكي يضع في الطليعة بطرس ويوحنا اللذين كان قد جمعهما في لو ٨:٢٢. وهكذا يشير إلى الدور الذي سيلعبه هذان الرسولان معاً، مرّات عدّة، في باقي الرواية.

وينبغي إبراز آ ١٤ لأسباب متنوّعة. هنا يظهر للمرّة الأولى الطرف الذي يُنقلّ بعبارة بقلب واحد. سنصادفه عشر مرّات في سفر أعمال الرسل (مقابل استعمال واحد في العهد الجديد كلّهُ). هذا يكشف تعلقَ لوقا بفكرة الإجماع، وقد كانت تميّز في، نظره، الجماعة الأولى. كما ان الإشارة إلى المواظبة التي يُعبّر عنها بالجملة "كانوا يشتركون بأمانة"، ستُكرّر مع ذات الفعل، في موجز ٢:٤٢، كعلامة حاسمة للممارسة الجماعيّة (رج أيضاً ٢:٤٦؛ ٤:٦). أخيراً تعطي هذه الآية إشارة هامّة حول توسيع الفريق الرسوليّ؛ ففي لو ٣٣:٢٤، كان لوقا قد ذكر الأحد عشر ورفاقهم، كشهود على ظهور القائم من الموت، وبالتالي أصحاب شأن في الرسالة التي أعلنها يسوع. وها هو يضيف هنا وجود بعض النساء، قد يكنّ اللواتي رافقن يسوع والاثني عشر، بحسب لو ٨:٢، ٣، واللواتي حضرن موت يسوع ودفنّه (لو ٢٣:٤٩، ٥٥)، أو من تلك اللواتي شهدن اكتشاف القبر فارغاً (لو ٢٤:١٠). أنّه يذكر بنوع خاصّ مريم أمّ يسوع، وإخوته (رج لو ٨:١٩ي). ولأسباب عقائديّة، استبعد التقليد الكاثوليكيّ أنّ مريم كان لها أولاد آخرون غير يسوع، ويقترح أن يعطي لكلمة أخ معنى أوسع، أي من ذوي القربى. إلا ان النصّ ذاته لا يفرض هذا التفسير. ومهما يكن من أمر، فالملاحظة قيّمة لأنّها تبيّن أنّ لوقا لا يجعل الانتظار المليء بالايّمان لعطيّة الروح وقفاً على الرسل وحدهم دون سواهم.

ستحدّد الآية التالية هذه النواة الأولى للجماعة الأورشليميّة بحوالي مائة وعشرين شخصاً. المهمّ هو أن نرى بالأكثر أنّ وعد الربّ لم يحنث هذا الفريق على انتظار سلبيّ؛ بل نراه، على العكس، يستعدّ لأن يتلقّى بالتمام العطيّة المعلن عنها، وهم على الوحدة قائمون، وعلى الصلاة مواظبون. لم يقل لنا لوقا ما كان

مضمون هذه الصلاة التي كان لو ٥٣:٢٤ قد أشار إليها على أنها تسييح. فإذا ما تذكروا تحريض يسوع، كما أفاد عنه لو ١٣:١١، فإن طلبهم ينبغي أن يكون أيضاً طلب عطية الروح القدس، وهي موضوع وعدٍ، كانت استجابته أكيدة.

استبدال يهوذا (آ ١٥-٢٦)

نجد في هذه الحلقة خطبة أولى لبطرس الذي سيكون في الغالب الناطق باسم الفريق، وهو هنا بصفته مسؤولاً عن جماعة المائة والعشرين الأخوية، وقد شكّلت جمهوراً صغيراً، بحسب نصّ آ ١٥ الأصلي. هذا العدد هو حاصل ضرب العدد اثني عشر؛ وعندما لفت لوقا النظر إلى ذلك، فقد أراد من دون شك أن يبيّن أن هذا الفريق شكّل شعبَ الله الجديد الذي يرمز إليه اختيار يسوع للثاني عشر (رج لو ١٣:٦؛ ٢٢:٣٠). عند ذاك نفهم اهتمام بطرس: يجب إعادة تكوين نواة الاثني عشر المركزية. ذلك يفترض أنه أدرك البعد الرمزيّ لاختيار يسوع.

٢٠-١٦٦

حين توجه بطرس إلى الإخوة (تعبير يشير أكثر من ٣٠ مرّة في سفر الأعمال إلى أعضاء الكنيسة، لكن يمكنه أيضاً أن يصف المستمعين اليهود إلى الخطب اللاحقة)، بدأ بذكر خيانة يهوذا على أنّها حدث أعلنت عنه الكتب المقدّسة. ومن دون أن يقتبس صراحةً نصّاً ما، مُكْتَفِياً بذكر قول داود، يكون قد لمّح إلى المقطع الذي استشهد به يسوع بالذات، في يو ١٣:١٨، أي مز ٤١:١٠.

لقد كان هذا الذكر الأوّل لموضوع اتمام الكتاب المقدّس، المناسبة للتذكير كيف يتم استعمال هذا الموضوع في لاهوت لوقا؛ انه جزء من قناعة تمّت صياغتها باكراً جداً في كنيسة القرن الأوّل، أي: ان حياة يسوع وعمله، موته وقيامته، تُعتَبَر بشكل إجماليّ أنّها تتمم الوعود التي أُعْطِيت لإسرائيل في ما يتعلّق بالخلاص النهيويّ (رج لو ٢٤:٢٧، ٤٤ي). هناك لوائح من النصوص يمكن إيرادها بهذا المعنى (الشهادات) تكوّنت شيئاً فشيئاً، وإليها لجأ الإنجيليون لكي يوضحوا روايتهم باقتباسات داعمة، إمّا بشكل مراجع ضمنيّة، أو بشكل اقتباسات. إن المقاربة هي

في الغالب ذات مدلول عميق، وقد تبدو لنا أحياناً اصطناعية، لأن الراوي يستعمل حريةً كبيرةً لكي يكيّف النصّ المقتبس مع روايته! قد يحصل أحياناً أن يحرّر الإنجيلي روايته على شاكلة مدرّس يهودي، حيث يتكيّف السرد مع نصّ من الكتاب المقدّس، من أجل تأوينه؛ ذلك هو الحال لدى لوقا فيما يتعلق بروايات الطفولة أو برواية الصلب.

إنّ بوسع هذا الاستنتاج أن يساعدنا على فهم الطريقة الواقعية جداً التي بها تعرض آ ١٨-١٩ موت يهوذا، مستلهمةً على الأرجح مقطعاً من سفر الحكمة حول موت الأشرار (حك ٤:١٩). أمّا متى، من جهته، وقد اعتمد على تقليد شعبيّ مختلف، يكون قد رأى، كخلفية لروايته، انتحار أحيوتوفل الذي خان داود (رج ٢ صم ١٧:٢٣). إنّ النقطة المشتركة بين التقليديين (وبين تقليد ثالث نجده في نصّ لباياس في القرن الثاني) هي ذكرى حقل يُدعى **حقل دم**، مرتبط بالموت المأساويّ ليهوذا. أما بالنسبة إلى الباقي، فلا يمكننا، لا التوفيق بين التقليديين، ولا اكتشاف الطبقة التاريخية الدقيقة من ورائهما: ذلك أنّ النصّ هو دائماً عرضٌ حدث مُفسّر، يحمل رسالةً إلى القارئ. هذه الملاحظة يجب أن تبقى حاضرةً في ذهننا عندما نقرأ الأناجيل أو أعمال الرسل.

إنّ آ ٢٠ مبنية بشكل دقيق على استشهادين صريحين هذه المرّة، بهما يفسّر بطرس موت يهوذا وما ينبغي استخلاصه من ذلك. النصّ الأوّل مستلٌّ من مز ٦٩ الموافق جداً، لأنّ هذا المزمور، وهو مزمور البارّ **المضطهد**، كان في خلفية رواية الصلب، وآ ٢٦ منه هي لعنة ضدّ مضطهدي هذا البارّ. أمّا النصّ الثاني، فهو أيضاً جزء من لعنة (مز ١٠٩:٨) حيث يجد بطرس تبريراً لما هو مزمع أن يقترحه.

آ ٢١-٢٢

إنّ الطريقة التي بها يصوغ بطرس اقتراحه، هامةٌ جداً لفهم الفكرة التي يريد لوقا أن ينقلها عن المهمة الخاصة الملقاة على عاتق الرسل الاثني عشر. يجب أن يتحقّق من يخلّ مكان يهوذا شرطين محدّدين: أن يكون رفيق المغامرة الإنجيلية منذ

البدء (رج ١: ١)، أي منذ عماد يوحنا (ولدينا هنا تقليد عليه إجماع) وحتى النهاية عند الصعود، وبموجبه يصبح، بطريقة شرعية، شاهداً على القيامة. وهكذا، استناداً إلى هذا التحديد الملزم، لن يُعتبر بولس رسولاً على غرار الاثني عشر. وسنرى، عندما يحدد الوقت، أية رسالة محدّدة سينسب لوقا إلى بولس في تصميم الله. فمن الواضح أيضاً أن الرسل، في نظر لوقا، لن يكون لهم خلفاء، استناداً إلى هذا التحديد، لأنّ لهم وظيفة تأسيسية لا يمكن نقلها إلى آخرين.

٢٦-٢٣ آ

وكان هناك أكثر من مرشّح يستوفي الشروط المطلوبة في فريق المائة والعشرين. وقبلت الجماعة دون نقاش مشروع بطرس بتسمية اثنين، لكنّه أراد أن يترك للربّ حرية الاختيار (رج ١: ٢). يظهر، بدءاً من هذه الآية، أنّ صلاة الكنيسة يمكن أن تتوجّه إلى يسوع المجدّ بصفته الربّ الذي يواصل قيادة أخصائيه. إنّ للاقتراع الذي لا نعرف كيف جرى، ما يشهد له كممارسة شائعة في جماعة قمران، وبالتحديد في قبول أعضاء جدد. أمّا في ما يتعلّق بالشخص المختار، أي متبياً، فإننا لن نعرف شيئاً أكثر عنه. وهذا هو حال تسعة آخرين من بين الاثني عشر في اللائحة: بطرس ويوحنا فقط سيكونان لاعبي أدوار في بعض حلقات رواية أعمال الرسل.

٣ - العنصرة: مجيء الروح القدس، البشري السارة على يد بطرس.

والمادان الأولى (٢: ١-٤١)

- ١ ولَمَّا أَتَى الْيَوْمَ الْخَمْسُونَ، كَانُوا مُجْتَمِعِينَ كُلَّهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ،
- ٢ فَانْطَلَقَ مِنَ السَّمَاءِ بَغْتَةً دَوِيٌّ كَرِيحٍ عَاصِفَةٍ، فَمَلَأَ جَوَانِبَ الْبَيْتِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ،
- ٣ وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ قَدْ انْقَسَمَتْ فَوَقَفَ عَلَى كُلِّ مِنْهُمْ لِسَانٌ،
- ٤ فَامْتَلَأُوا جَمِيعًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَأَخَذُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ غَيْرِ لُغَتِهِمْ، عَلَى مَا وَهَبَ لَهُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَنْ يَتَكَلَّمُوا.
- ٥ كَانَ يُقِيمُ فِي أُورُشَلِيمَ يَهُودٌ اتَّقِيَاءٌ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ.

- ٦ فَلَمَّا انطَلَقَ ذَلِكَ الصَّوْتُ، تَجَمَّهَرَ النَّاسُ وَقَدْ أَخَذَتْهُمُ الْحَيْرَةُ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَةِ بَلَدِهِ.
- ٧ فَدَهَشُوا وَتَعَجَّبُوا وَقَالُوا: "أَلَيْسَ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ جَلِيلِيِّينَ بِأَجْمَعِهِمْ؟
- ٨ فَكَيْفَ يَسْمَعُهُمْ كُلُّ مَنَا بِلُغَةِ بَلَدِهِ
- ٩ بَيْنَ فَرَثِيِّينَ وَمِيدِيِّينَ وَعِيلَامِيِّينَ وَسُكَّانِ الْجَزِيرَةِ بَيْنَ التَّهْرِيِّينَ وَالْيَهُودِيَّةِ وَقِدُونِيَّةِ وَبُنطُسَ وَأَسِيَّةِ
- ١٠ وَفَرَجِيَّةِ وَبِمَفِيلِيَّةِ وَمِصْرَ وَنَوَاحِي لِسِيَّةِ الْمُنَاخِمَةِ لِقَيْرِينَ، وَرُومَانِيِّينَ نَزَلَاءَ هَهُنَا
- ١١ مِنْ يَهُودٍ وَدُخَلَاءَ وَكُرَيْتِيِّينَ وَعَرَبٍ؟ فَإِنَّا نَسْمَعُهُمْ يُحَدِّثُونَ بِعَجَائِبِ اللَّهِ بِلُغَاتِنَا."
- ١٢ وَكَانُوا كُلُّهُمْ دَهْشِينَ حَائِرِينَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "مَا مَعْنَى هَذَا؟"
- ١٣ عَلَى أَنَّ آخَرِينَ كَانُوا يَقُولُونَ سَاخِرِينَ: "قَدْ امْتَلَأُوا مِنَ النَّبِيذِ."
- ١٤ فَوَقَفَ بَطْرُسُ مَعَ الْأَحَدِ عَشَرَ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَكَلَّمَ النَّاسَ قَالًا: "يَا رِجَالَ الْيَهُودِيَّةِ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُقِيمُونَ فِي أُورَشَلِيمَ جَمِيعًا، اِعْلَمُوا هَذَا، وَأَصْعُوا إِلَيَّ مَا أَقُولُ:
- ١٥ لَيْسَ هَؤُلَاءِ بِسُكَّارَى كَمَا حَسِبْتُمْ، فَالْسَّاعَةُ هِيَ السَّاعَةُ التَّاسِعَةُ مِنَ التَّهَارِ.
- ١٦ وَلَكِنْ هَذَا هُوَ مَا قِيلَ بِلِسَانِ النَّبِيِّ يُونِيلَ:
- ١٧ سَيَكُونُ فِي الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ، يَقُولُ اللَّهُ أَنِّي أَفِيضُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بِنُوحِكُمْ وَبِنَاتِكُمْ وَيَرَى شُبَّانِكُمْ رُؤْيًى وَيَحْلُمُ شُيُورِكُمْ أَحْلَامًا.
- ١٨ وَعَلَى عِبِيدِي وَإِمَائِي أَيْضًا أَفِيضُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ،
- ١٩ وَأَجْعَلُ فَوْقًا أَعَاجِيبَ فِي السَّمَاءِ وَسُفْلًا آيَاتٍ فِي الْأَرْضِ دَمًا وَنَارًا وَعَمُودَ دُخَانٍ
- ٢٠ فَتَنْقَلِبُ الشَّمْسُ ظِلَامًا وَالْقَمَرُ دَمًا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الْمَحِيدِ
- ٢١ فَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ.
- ٢٢ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْمَعُوا هَذَا الْكَلَامَ: إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ، ذَاكَ الرَّجُلَ الَّذِي آيَدَهُ اللَّهُ لَدَيْكُمْ بِمَا أَجْرَى عَنْ يَدِهِ بَيْنَكُمْ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالْأَعَاجِيبِ وَالْآيَاتِ، كَمَا أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ،
- ٢٣ ذَاكَ الرَّجُلَ الَّذِي أَسْلِمَ بِقِضَاءِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ فَقَتَلْتُمُوهُ إِذْ عَلَقْتُمُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ
- بِأَيْدِي الْكَافِرِينَ،
- ٢٤ قَدْ أَقَامَهُ اللَّهُ وَأَنْقَذَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْمَوْتِ، فَمَا كَانَ لِيَقِي رَهَيْبَتَهَا
- ٢٥ لِأَنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ: كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ فَإِنَّهُ عَن يَمِينِي لَنَلَّا أَنْتَزَعَرَعُ.

- ٢٦ لِيَذْكُرَ فَرَحَ قَلْبِي وَطَرِبَ لِسَانِي بَلْ سَيَسْتَقِرُّ جَسَدِي أَيْضًا فِي الرَّجَاءِ،
- ٢٧ لِأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي مَثْوَى الْأَمْوَاتِ وَلَا تَدْعُ قُدُوسَكَ يَنَالُ مِنْهُ الْفَسَادُ.
- ٢٨ قَدْ بَيَّنْتَ لِي سُبُلَ الْحَيَاةِ وَسَعَّمْتَنِي سُورًا بِمُشَاهَدَةِ وَجْهِكَ.
- ٢٩ أَيُّهَا الْإِخْوَةَ، يَجُوزُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ صَرَاخَةً: إِنَّ أَبَانَا دَاوُدَ مَاتَ وَدُفِنَ، وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.
- ٣٠ عَلَى أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا وَعَالِمًا بِأَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ لَهُ يَمِينًا لِيَقِيمَنَّ ثَمْرًا مِنْ صُلْبِهِ عَلَى عَرْشِهِ،
- ٣١ فَرَأَى مِنْ قَبْلِ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا فَقَالَ:
- لَمْ يُتْرَكَ فِي مَثْوَى الْأَمْوَاتِ، وَلَا نَالَ مِنْ جَسَدِهِ الْفَسَادُ.
- ٣٢ فَيَسُوعُ هَذَا قَدْ أَقَامَهُ اللَّهُ، وَنَحْنُ بَأَجْمَعِنَا شُهُودٌ عَلَى ذَلِكَ.
- ٣٣ فَلَمَّا رَفَعَهُ اللَّهُ يَمِينِهِ، نَالَ مِنَ الْآبِ الرُّوحَ الْقُدُسَ الْمَوْعُودَ بِهِ فَأَفَاضَهُ، وَهَذَا مَا تَرَوْنَ وَتَسْمَعُونَ.
- ٣٤ فِدَاوُدُ لَمْ يَصْعَدَ إِلَى السَّمَوَاتِ، وَهُوَ نَفْسُهُ مَعَ ذَلِكَ يَقُولُ:
- قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَن يَمِينِي
- ٣٥ حَتَّى أُجْعَلَ أَعْدَاءُكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ.
- ٣٦ فَلْيَعْلَمُ يَقِينًا بَيْتُ إِسْرَائِيلَ أَجْمَعُ أَنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ قَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ رَبًّا وَمَسِيحًا.
- ٣٧ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ الْكَلَامَ، تَفَطَّرَتْ قُلُوبُهُمْ، فَقَالُوا لِبَطْرُسَ وَلِسَائِرِ الرُّسُلِ: "مَاذَا نَعْمَلُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ؟"
- ٣٨ فَقَالَ لَهُمْ بَطْرُسُ: "تُوبُوا، وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ مِنْكُمْ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِقُفْرَانِ خَطَايَاكُمْ، فَنَتَنَاوَلُ عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.
- ٣٩ فَإِنَّ الْوَعْدَ لَكُمْ أَنْتُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ وَجَمِيعِ الْآبَاعِدِ، عَلَى قَدْرِ مَا يَدْعُو مِنْهُمْ الرَّبُّ إِلَيْنَا".
- ٤٠ وَكَانَ يَسْتَشْهَدُ بكَثِيرٍ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْكَلَامِ وَيُنَاشِدُهُمْ فَيَقُولُ: "تَخَلَّصُوا مِنْ هَذَا الْجِيلِ الْفَاسِدِ".
- ٤١ فَالَّذِينَ قَبِلُوا كَلَامَهُ اعْتَمَدُوا، فَانضَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ نَفْسٍ.

تشكّل هذه الآيات الإحدى والأربعون (٤١) وحدة أدبيّة رائعة، مع تضمين بين ذكر يوم العنصرة في آ ١، وختام أحداث ذاك اليوم في آ ٤١. إنّه يوم مولد الكنيسة، فعل الروح القدس، كتتحقيق للوعد الذي تحدث عنه في الفصل الأوّل من الكتاب. نجد هنا من جديد، وبشكل ما، الرسم البيانيّ للبشارات-الولادات الذي

استعمله لوقا في رواياته عن الطفولة (لو ١-٢). إن بنية هذه المجموعة بسيطة هي، وصادفها من جديد مستخدمة في مقاطع أخرى: رواية الحدث، تتبعها خطبة توضيحية، وينتهي السرد بتبيان مفاعيل هذه الخطبة.

الشهادة بحسب لوقا

تحيل المصطلحات في هذا الموضوع، أي شاهد، شهادة، شهد (من اليونانية *martys*، التي منها اشتقت كلمة "شهيد"، *martyr*)، مكاناً هاماً في سفر الأعمال (٣٧ استعمالاً). في ٩ أماكن تُستعمل بشكل مألوف لا فائدة فيها لموضوعنا. ويمكننا أن نشير إلى ٥ نصوص حيث الفاعل الذي يشهد هو الله (٢٢:١٣؛ ١٤:١٧؛ ١٥:١٨)، أو الرب يسوع (٣:١٤)، أو الروح القدس (٢٠:٢٣). وهذا الموضوع مكثف في الإنجيل الرابع، لكنّه هامشي هنا. يبقى حوالي عشرين نصاً تتعلّق بشكل خاصّ بالشهادة الإنجيلية، من الصفحة الأولى من الكتاب وحتى الأخيرة منه (١:٨؛ ٢٨:٢٣)، وتتوزّع بين فئتين: بعضها يشهد للفكرة اللوقاوية الدقيقة المتعلقة بالشهادة الرسولية التأسيسية، وبعضها الآخر يستخدم هذه المفردات في معنى أوسع.

الشهادة الرسولية التأسيسية: لا يظهر لقب شاهد في إنجيل لوقا بشكل ذي مدلول، إلا بعد قيامة يسوع، ووصف رسالة التلاميذ، عبر كلمة للقائم من الموت تكرر في رسل ١:٨. أما في ١:٢١-٢٢، فهناك تحديد واضح جداً لمفهوم حصريّ للشهادة الرسولية، تخصّ الاثني عشر فقط: على من يأخذ مكان يهوذا أن يكون قد رافق يسوع إبان خدمته الأرضية، وأن يكون قد عاش اختبار الظهورات الفصحية. وفي انسجام مع هذا التحديد، تحتفظ خطب بطرس دائماً، في القسم الأوّل من الكتاب، بلفظة شهادة لإعلان قيامة يسوع، وهو أمر خاصّ بالفريق الرسوليّ، وبتطرس هو الناطق باسمه (٢:٣٢؛ ٣:١٥؛ ٥:٣٢؛ ١٠:٤١). وهذا المرجع الأخير هو صدى واضح للتحديد المعطى في ١:٢٢. وفي منعطف الكتاب، عندما يتولّى بولس متابعة العمل، يحرص لوقا على جعله يتكلّم بالتوافق مع هذا التحديد. أما في ١٣:٢١، فنسمع بولس يحترم خصوصية الرسل: ليس هو شاهداً بعين الصفة،

كما هم، ويعلن القيامة مستنداً إلى شهادتهم الخاصة التي لا بدليل لها.

الشهادة بالمعنى الواسع: قد يكون من الخطأ أن نستنتج أن هذه المهمة التاريخية التأسيسية وحدها تستحق لقب شهادة. هناك نصوص أخرى تكشف أن هناك استعمالاً للمفردة هو أقل خصوصية؛ ففي ٢٥:٨، نجد ان فعل **شهد**، إذا ما أخذ بالمعنى المطلق، يوازي عبارة "أعلن كلمة الرب" أو "بشّر بالإنجيل" – ولا زلنا بصدد بطرس ويوحنا. لكن في ٢٠:٢٢، هو إسطفانوس الذي لم يكن من الاثني عشر، يصفه بولس أنه "شاهد الرب" (هو الذي كان أول شهيد). وبولس بالذات **يشهد أن المسيح هو يسوع** (١٨: ٥)، و**يشهد لإنجيل النعمة** (٢٤:٢٠؛ رج ١٦:١٦؛ ١٥:٢٢؛ ١٨؛ ٢٣:٢٨). في كل هذه النصوص يأخذ فعل "شهد"، عملياً، المعنى ذاته الذي للأفعال المألوفة لدى لوقا: **أعلن البشرى السارة** (١٥ مرة)، أو **بشّر** (بالمسيح، بالكلمة، بملكوت الله، ٩ مرّات)، و**فاعلها هو فيليبس**، بولس، برنابا، لكن أيضاً **مسيحيون مجهولو الاسم** (رج ٨:٤؛ ١١:٢٠). في هذا المعنى، كل مؤمن مدعو لأن يصبح شاهداً.

مجيء الروح (آ ١٣-١)

انطلاقاً من همّ تربويّ في شأن الوضوح، تعطي الترجمة الليتورجية بين قوسين تفسيراً غائباً عن النصّ، يحمل حرفياً: **ولما تمّ يوم العنصرة** – هذه الكلمة تعني "الخمسين" (يوماً). وتلمح العبارة إلى دورة الأعياد المكوّنة من سبعة أسابيع، وكانت تُفتّح بالاحتفال بالفصح اليهودي. قد تكون الصياغة الاحتفالية إلى حدّ ما، وهي موازية لصياغة لو ٥١:٩، تعني بقلم لوقا أن عيد العنصرة اليهودي سيجد تنميته هنا. هذه الملاحظة الأولى تبرّر المقاربات التي سنقوم بها، على خطى العديد من المفسرين (في حين يعترض آخرون على ذلك). كان عيد العنصرة هذا في الأصل عيد الحصاد، لكنّه اتخذ، وفق الإيمان الإسرائيليّ التاريخي، قرابة قرنين قبل المسيح، معنى تذكّر الشريعة في سيناء. عند ذلك تكون الشعبُ كشعب العهد، وقد اتّخذ بطريقة عجائبية من عبودية مصر، وهذا ما يخلّد الفصح ذكراره. هناك

قيمة رمزية قوية، بعدما تمّ اعتبار موت المسيح كتميم للفصح، لتحديد ولادة شعب "العهد القديم" في يوم العنصرة هذا. ولنا في باقي الرواية ما يؤكد هذا التفسير، حيث تكشف قراءة متنبّهة عن نقاط تلاق أديبة عدّة مع الظهور الإلهي في سيناء، وفق النصّ السبعينيّ اليونانيّ للفصل ١٩ من سفر الخروج.

٤-١١

في آ ١، يدلّ بالتأكيد ضمير الغائب الجمع "هم" على فريق المائة والعشرين: **إِنَّ ذِكْرَ كُونِهِمْ مَعًا يَتَمُّ** بالتعبير النمطيّ ذاته، الخاصّ بلوقا، وقد قرأناه في ١٥:١، وسنعود نجده في ٢:٤٤ و ٤٧. لن يكون الاثنا عشر وحدهم إذًا في عيش الحدّث، كما أنّهم لم يكونوا وحدهم في انتظاره بالصلاة. وإنّ آ ٢-٣ محرّرتان بارتباط بالآيات الخارقة التي سبقت وحي سيناء، حيث "نزل الربّ في النار وصوت الرعد" (خر ١٩:١٨)، وحيث "كان الجبل برمته يرتعد، كما امتلأ هنا "البيت كلّهُ" صوتًا قويًّا! نحن أمام أسلوب لغويّ بيليّ اصطلاحيّ للإعلان عن تدخل إلهيّ حاسم، لا ينبغي أخذه حرفيًّا. لقد تمكّن الرسل، في فكر لوقا، من أن يتلقّوا، في رؤيا، العلامة الرمزية **لألسنة النار** (كرؤية يسوع للحمامة، استنادًا إلى متى ٣:١٦). ليس من الصعب تبيّن رمزيّتها: الروح القدس هو نار (رمز حُبّ الله الملتهب، وقوّته المطهّرة)، كما كان يوحنا المعمدان قد أعلن ذلك (رج لو ٣:١٦)، وستكون مهمّته الأولى أن يجعل الذين يقبلونه "يتكلّمون"، كما تبيّن الآية التي تلي.

تقول آ ٤ بكلمات قليلة ما هو جوهرّيّ. الأمر الأوّل، وهو أساسيّ، أنّ الرسل "امتلاؤا من الروح القدس". ذلك تعبير خاصّ بلوقا (١٢ مرّة في مؤلّفه، وليس ما يوازيه في باقي العهد الجديد)، طبّقته، في نوع من التسبيح للعنصرة، على أبطال رواية الطفولة، وهم: يوحنا المعمدان، أليصابات، زكريّا (لو ١٥:١، ٤١، ٦٧)، وبالطبع على يسوع بعد عماده (لو ٤:١). وسيستخدمه من جديد في شأن بطرس، والمؤمنين المجتمعين، وإسطفانوس، وبرنابا وبولس، وأخيرًا الوثنيين المهتدين، وفي كلّ مرّة بمناسبة أحداث استثنائية (رسل ٤:٨، ٣١؛ ٥:٦؛ ٧:٥٥؛ ١١:٢٤؛ ١٣:٩، ٥٢).

المشكلة تكمن في عبارة "التكلم بلغات أخرى". يتفق العديد من المفسرين اليوم على اعتبار الحدث الأولي الكامن وراء الرواية -وقد ورد ذكره على الأرجح في نسخة أولى من الرواية الأولى للعنصرة المسيحية- كان ظاهرة الألسنة أو "التكلم بلغات"، وهي شبيهة بتلك التي سيشير لوقا إلى أنها تواكب موهبة الروح القدس للوثنيين، في بيت كورنيليوس، في ١٠: ٤٦. ذلك هو اعتلان للروح القدس، كان شائعاً في كنيسة كورنتس بنوع خاص، وستوسّع بولس بشأنه في ١ قور ١٤. إنها لغة غريبة، منتشبة، بما يسبّح المؤمن الذي تملكه الروح القدس، بلغة لا يفهمها الآخرون، وتحتاج بالتالي إلى تفسير. وتتوافق بعض العناصر في تنمة روايتنا إلى حدّ ما مع هذه الفرضية التي، بموجبها، ترافق الاختبار التأسيسي لموهبة الروح القدس، وبشكل مذهل، بظهور موهبة التكلم بلغات جماعية.

لكنّ النصّ النهائي الذي نحن بصدده يرمي إلى أن يقول أمراً آخر، إذ إنه ليس من دون سبب يكتب لوقا **التكلم بلغات أخرى**، أي بلغات غريبة يمكن التعرف إلى هويتها. انه يفسّر الحدث على هذا النحو كي يبيّن ما كان جنينياً منذ البرهة الأولى من حياة الكنيسة: بالنسبة إليه، أعجوبة العنصرة هي علامة شمولية الإنجيل، إذ بوسع الكثير من الناس ومن كلّ لغة أن يتلقّوه ويفهموه. وهكذا يضع حدّاً، وبشكل رمزيّ، للوضع الذي دلّت عليه أسطورة برج بابل حيث كانت بلبلّة اللغات علامة انقسام البشريّة. أنّه يلتحق في ذلك (إذا كان عن إدراك أم لا، من الصعب الحسم في ذلك) بتفسيرات رأبينيّة، بموجبها، أراد الله في سيناء أن يبلغ شريعة ذات طابع شمولي، وقد تحيّلت ان، "صوت الله انقسم إلى ٧٠ صوتاً، في ٧٠ لغة، لكي تستطيع الأمم بأسرها أن تفهم". ففي شأن هذا الوحي بالذات، كان فيلون الإسكندريّ، الفيلسوف اليهوديّ المعاصر ليسوع، قد كتب أن "صوت الله كان ينطق في لهجة المستمعين العادية". وتبيّن الآيات التالية أنّ لوقا فهم ذلك على هذا النحو.

بالفعل، أثارت الضجة التي سببها تدفق الروح القدس (حرفياً، الصوت، وهذا ما يذكر بـ خر ١٩: ١٦ في السبعينية) تجمُّعاً كبيراً. والتشديد على الكليّة، وقد أُشير إليها في الآيات السابقة بالعبارات "كلّهم معاً"، "كلّ البيت"، "مملؤون جميعاً من الروح القدس"، يتواصل بطريقة مبالغ فيها، من خلال ذكر "كلّ الأمم التي هي تحت السماء" (آ ٥)، أي كونيّة العالم غير اليهودي. من المبكر جداً الحديث عن تلقّي كلّ الأمم للإنجيل، وهو مرمى رواية أعمال الرسل. لكنّ لوقا يريد هنا أن نشعر بذلك، مع حرصه على القول بأنّ الذين هرعوا هم يهود وراعون يقطنون اورشليم. ومثل هذه الترجمة تدعو إلى الافتراض أنّ المقصود يهود أتقياء كانوا في حج إلى اورشليم. كما يمكننا أن نفهم أيضاً أنّ المقصود مقيمون دائميون، أي يهود من الشتات قد أتوا ليقضوا أيامهم الأخيرة في المدينة المقدّسة، ولكنهم ما زالوا يعتبرون ان لغة البلاد التي وُلدوا فيها هي لغتهم الأمّ. ففي طرح لوقا، نجدهم يسمعون الرسل يتكلّمون في هذه اللغات المختلفة، وكلّ واحد يتعرّف إلى لغته الخاصّة، ومن هنا دهشتهم. ويكدّس لوقا هنا الأفعال التي كانت تعبر، في الإنجيل، عن ردّات فعل الجمهور أمام عجائب يسوع: حرفياً، هم خارج ذاتهم ومندهشون، بالمعنى القويّ الذي يمكن أن يأخذه الفعل المستعمل (آ ٧). وفي الفرضيّة المذكورة، إذا كان الرسل قد تكلموا بلغات، يمكننا أن نتصوّر أنّ الروح القدس يُحدث لدى المستمعين نوعاً من ظاهرة التفسير العفويّ: لديهم شعور بأنّهم يفهمون بشكل حميم، في لغتهم الأمّ، هذا البلاغ الذي يعلن عظمة الله (رج آ ١١). ففي التفسيرين، الأعجوبة الحقيقيّة الحاسمة، المعروضة بشكل مختلف، هي ذاتها: الروح القدس هو الذي يجعل الناس يتكلّمون، ويجعلهم يسمعون. فالعنصرة هي قبل كلّ شيء أعجوبة اتصال ناجح.

هناك ترديد مقصود في هذا المقطع، حيث يضع لوقا على فم الجمع الذي يتكلّم وكأنّه جوقٌ من التراجيديا القديمة، خطاباً يُبرز الطابع الرائع الذي يُختبره.

فمن الواضح في نظر القارئ البسيط أنّ هذا الخطاب قد بناه الراوي بمثابة تعليق على الحدث. ومن المحتمل أن يكون لوقا قد حرّر هذا التعداد الضخم من خلال استعماله لائحة شعوب من تلك اللوائح الموجودة في ذلك الزمان (لقد تقدّم الاختصاصيون بموازيات مختلفة). فلو كان هو نفسه قد ألفها، نعجب من أنّه لم يذكر بعض البلدان التي تلعب دوراً في الروايات الرسوليّة اللاحقة، مثل سوريا، وقيليقية، وبيسيدية. إذا نظرنا إلى الخارطة أعلاه، سنرى كيف أنّ ذكر خمسة عشر شعباً أو بلدًا يشمل في الواقع حقل العالم المعروف آنذاك، من الخليج الفارسيّ حتّى روما، عاصمة الأباطوريّة، حيث، كما يُقال، كانت الأمم كلّها ممثّلة. ويُدخل لوقا، بطريقة هزليّة بعض الشيء، وقبل نهاية لائحة البلدان، تمييزاً نوعياً: اليهود الأتقياء في آ ٥ هم، في آن واحد، يهود بالولادة ومهتدون (حرفياً: دخلاء). تلك طريقة ترمي الإيحاء بأنّ سماع الشتات اليهوديّ وإشعاعه في العالم اليونانيّ-الرومانيّ.

ومع ذلك، فإنّ الآيتين ١٢-١٣ توضّحان أنّه لم تكن لكلّ الحاضرين ردّة الفعل عينها. إذا كان البعض قد تساءلوا بارتباك حول معنى هذه المغامرة الغريبة، فإنّ آخرين سخروا وقالوا: قد امتلأوا سلافة! ومثل هذه الملحوظة تدعم الفرضيّة القائلة بأنّ هؤلاء المتهاكمين وجدوا أنفسهم أمام ظاهرة التكلّم بالألسن، ظاهرة كان بوسعها بالفعل أن تعطي شعوراً للذين يرون دون أن يفهموا أنّهم أمام أناس قد أفرطوا في السكر. سنرى كيف أنّ هذا الاستهزاء سيُستخدَم كنقطة شدّ لخطبة بطرس التوضيحيّة.

خطبة بطرس (آ ١٤-٣٦)

بدأ بطرس الكلام بشكل احتفاليّ باسم الرسل الاثني عشر، مخاطباً أولئك المستمعين الذين يعرف أنّ بينهم يهوداً من اليهوديّة، وآخرين من الشتات (آ ١٤). وكانت تلك هي الجاهرة الأولى العلنيّة للإنجيل. تتضمّن خطبته ثلاثة أجزاء، يُبرزها تكرار المناادة باتجاه المستمعين في آ ٢٢ وفي آ ٢٩.

ينطلق بطرس من الاندهاش الذي أبداه الجمعُ كي ينقل التفسير الجيّد للاضطراب الذي اعتراه. ومع شيء من الفكاهة، بدأ بالردّ على فرضية السكر: فالساعة الصباحية تجعل هذا التفسير غير محتمل! أمّا تفسيره هو، فيقوم على ربط الحدث بنبوءة، كون مستمعيه يعرفون الكتاب المقدّس، لذلك اقتبس بطريقة مطوّلة نصّ يو ٣: ١-٥ (بحسب النصّ اليوناني)، الذي بشرّ من قبل الله بفيض روحه، ليس على بعض الأنبياء فقط كما كان يحصل قبلاً، بل على شعب الله كلّ، شبّاناً وشيوخاً، أحراراً وعبداً! إنّه لَدُو مدلول أن يستهلّ بطرس اقتباسَ النصّ المذكور بإضافة من عنده: **في الأيام الأخيرة، يقول الله.** وهذا يعني صراحةً أنّ فيضَ الروح ينبغي أن يُعتبر علامة على أنّ الأزمنة الإسكاتولوجية قد جاءت. ويكرّر بطرس، على طريقته، رسالة يسوع الافتتاحية: **لقد اقترب ملكوت الله،** إذ ان الخلاص النهائي الذي وعدَ به الله هو الآن حقيقة حاضرة.

والآيات الخارقة التي يجري تعدادها في آ ١٩-٢٠ هي جزء من اللغة المشفّرة في كتب الرؤى، تبشّر باليوم العظيم حيث سيكشف الله عن ذاته في كلّ مجده ليقوم ملكه. ولقد أدخلها بطرس في اقتباسه، لأنّه أراد على الأرجح ان يدمج بهذه الآيات هبوطَ ألسنة النار، في مفتتح الرواية. مع هذا، ينبغي البحث عن جوهر المرجع بالأحرى في الإلحاح على أنّ الذين يقبلون الروح **يصبحون أنبياء.** يجب التذكّر دائماً أنّ الأنبياء البيبليين ليسوا أساساً عرّافين ينبئون بالمستقبل. إنهم الناطقون باسم الله كي يفسّروا وضعاً تاريخياً، ويبلّغوا دينونة الله أو نعمته لشعبه. بهذا المعنى، ستكون تنمة خطبة بطرس من مستوى البلاغ النبوي. كما ان خاتمة الاستشهاد بيوتيل تكون قد فتحت آفاق خلاصٍ لا تفريق فيه **لكلّ الذين يدعون باسم الربّ (آ ٢١).**

يدعو بطرس مستمعيه إلى مزيد من الانتباه. إنه ظاهرياً يقفز من موضوع إلى آخر: لا شيء في المعجزة التي لَمَّتْ هؤلاء الناس، ولا ربطها بنبوءة يوثيل، يكون قد أعدَّهم لأن يسمعوا التلقظ باسم يسوع الناصري! (الكنية المكتوبة هكذا في النصّ الليتورجيّ تعادل القولَ "مواطن الناصرة"، مع إهمال المشكلة التي تطرحها الصيغة الأصليّة لكلمة "نذير" (Nazoréen)، التي يبقى معناها غير أكيد. وهذه الكنية نجدها في متى ٢: ٢٣، و٦١: ٢٦، كما في لو ١٨: ٣٧، و٧ مرّات في سفر أعمال الرسل)، مع هذا، فإنّ بطرس يمدّ مستمعيه بأقلّ ما يمكن من المعلومات حول هذا الأمر الذي ما زال حديثاً: لا بد أنّهم سمعوا بعجائب صنعها مُرْسَلُ الله هذا (آ ٢٢)، وبالحكم عليه بالموت. فلقد كان هذا الموت مطابقاً بطريقة سرّيّة لتصميم الله، ولكنّ ذلك لا يمحو ذنّب أولئك الذين "سَمَّروه على الصليب بيد أناس وثنيين". ويصرخ بطرس بطريقة قاسية: "قتلتموه"، جاعلاً مستمعيه اليهود متواطئين مع سلطات شعبهم (آ ٢٣): هذه الصرخة يجب أن تجعلهم أكثر انتباهاً إلى ما سيلي.

ليس هذا حُكْمَ شجَب، بل إعلانٌ حدثٍ يكاد لا يُصدّق. لقد قلبَ اللهُ الوضع، إذ أقام يسوع، منتزِعاً إياه من سلطان الموت (آ ٢٤). إنه الخبر الخارق الذي يستعجل بطرس بنقله، ويجرّص، قبل أن يفصح عن نتائجه، على التأكيد أنّ هذا الأمر أيضاً، قد أُعلِنَ عنه قبلاً في الكتاب المقدّس. والبرهان على ذلك هي كلمات داود، في مز ١٦، حيث يقتبس منه آ ٨-١١، ودائماً بحسب النصّ اليونانيّ (آ ٢٥-٢٨). إنّ العودة إلى مز ١٦ جريئة هي، لأنّ داود المؤمن، في هذا المزمور، كان قد عبّر عن رجائه (وهذا نادر في العهد القديم) بأن ينجو من الجحيم (مثنوى الأموات)، أو من فساد جسده. لكنّ بطرس يُجيز لنفسه بأن يقوم بقراءة ثانية، بإعلانه أنّ المزمور كان في الواقع يتكلّم عن يسوع! وسيبرّر هذا الحديث بعد برهة حين يربطه بالوعود المسيحيّة التي أُعطيت لداود. ومع ذلك يجب أن يكون واضحاً أنّ الاقتباس لا يشكّل حجّة مقنعة. لأنّ قيامه يسوع لا تُستنتج من قراءة

المزمور، بل هي واقع كان بوسع بطرس أن يشهد له، وقد جاء ليعطي معنى وتماسكاً لما لم يكن، حتى في الأصل، نبوءة حقيقية تتعلق بالمسيح العتيدي!

آ ٢٩-٣٦

كان هناك من دون شك شيء من الصعوبة للمستمعين في متابعة هذا الطرح. هوذا بطرس يتوجه الآن إليهم منادياً إياهم إخوة، وكأني به يعدّهم لأن يفهموا بأنه لا يحاكمهم، ولكنه يريد أن يتقاسم معهم خيراً ساراً. ولما كانوا معتادين على الجدالات الرأبئية، فقد خصّص بطرس أيضاً آيات ثلاثاً (آ ٢٩-٣١) ليبرّر تفسيره للحدث. فما دام داود قد مات بالفعل، يجب أن يفهم أنه، بسبب الوعود التي أعطها الله لنسله، رأى في الواقع مسبقاً قيامة المسيح.

إنّه أوّل ظهور لهذا اللقب (Christos) في كتابنا، وهو نقلٌ يونانيّ لكلمة "مسيح" العبريّة؛ ويدلّ على شخص كُرسّ بمسحة الزيت نبياً أو كاهناً، ولكنه ملكٌ على الأخص؛ وكان هذا اللقب قد أصبح تقليدياً للكلام عن الملك، ابن داود، المنتظر ليقم مُلك الله على الأرض. بهذا المعنى، يستعمله لوقا في إنجيله ١٢ مرّة، ولكن، على عكس متى ومرقس، لا يتكلّم إطلاقاً عن "يسوع المسيح"، أي أنّه لا يجمع بين الاسم العَلَم واللقب المسيحانيّ. وهو بذلك على انسجام مع فكرة أنّه كان ينبغي موت يسوع وقيامته لكي تصبح هذه التسمية مفهومة دون التباس. كما نجد، في سفر أعمال الرسل، ١٢ مرّة اللقب وحده، و١٣ مرّة الصيغة "يسوع المسيح" (علاوة على مرتين "المسيح يسوع"، وهي صيغة بولسيّة جدّاً. ولا تضع يونانيّة العهد الجديد، وكذلك التقليد اللاحق، خطّاً جامعاً بين الاسم العَلَم واللقب).

في آ ٣٢، لكي يؤثّر بطرس بشكل قويّ، ويعلن الإنجيل بشكل إيجابيّ، نراه يدع جانباً أرضيّة التّأويل القابل للجدال لكي يعود إلى الحدث الحاسم، مكرراً أنّ يسوع هذا قد أقامه الله، وأنّه ورفقائه شهودٌ على ذلك. ويصل التفسير الذي قام به إلى هدفه، عندما يربط زمي خطبته، أي الأمرين الأعظمين، وهما فيض الروح

وتمجيد القائم من الموت: فالأول هو نتيجة الثاني. ذلك أن يسوع الذي رُفِعَ بالمجد، استطاع أن يُنجز الوعدَ ويفيض الروح على عبيده (آ ٣٢-٣٣).

إن آ ٣٤-٣٥ اللتين تستشهدان بـ مز ١١٠: ١ هما كقوسين يهدفان إلى تطبيق النمط ذاته من البرهنة على القيامة، كما على حدث الصعود. ذلك ان الرجوع إلى هذا النص يُعطي معنى لهذا الرُفَع: تلك هي علامة القوة الظاهرة التي وهبها الله لمسيحه، الجالس عن يمينه (الاقْتِباس ذاته نجدُه في روم ٨: ٣٤؛ عب ١: ١٣؛ ١ بط ٣: ٢٢).

آ ٣٦ هي خاتمة مكثفة وقويّة جدًّا في اقتضاها. إنها دعوة إلى الإيمان، في خط يقين "أكيد" (حرفياً: ثابت لا يتزعزع)، موجهة إلى الشعب الذي كانت له وعود الله: فقيامه يسوع وصعوده، وهما فعّالان حاسمان من قِبَل الله الذي قلب حكّم أولئك الذين لم يعرفوه، يعينان أن هذا الرجل رُفِعَ إلى كرامة المسيح الذي أعلن عنه الأنبياء. ويذكر اللقبان اللذان أُطلقا على يسوع يبشرى الملاك للرعاة، في لو ٢: ١١. وتنبغي الإشارة، في هذا الإعلان الرسوليّ الأوّل، ان موت يسوع على الصليب لم يكن بعدُ قد فُسرَ كفعل خلاص، بل كفعلٍ رذل مرْدُه عدم إيمان الشعب، رذل ألغاه تدخل الله الظافر. وكل هذا ينسجم بالتأكيد مع الحقيقة المعاشة: ذلك ان قيامه يسوع هي المصدر الأوّل لإيمان الكنيسة الفتية (رج روم ١: ٤)؛ وسيلزمها بعض الوقت لتحاول أن تتحدث عن معنى سرّ الصليب بشكل ايجابي.

نتائج خطبة بطرس (آ ٣٧-٤١)

لم يكن بوسع هذه البرهنة، وفق النمط الرائييّ القابل للنقاش، لجزء لا بأس به من هذه الخطبة، أن تقنع المستمعين! فالروح القدس هو من أعطى قوّة للشهادة الجوهريّة التي أداها بطرس للقائم من الموت، وهي التي، وإن لم يقل لوقا ذلك صراحةً هنا، قد فعّلت فعلها في قلوب الذين كانوا يسمعونها، وقد حرّكتهم حتّى عمق أعماقهم (حرفياً: صار قلوبهم مطعوناً؛ وفي اللغة البيبليّة، يحتل "القلب" مكان القرار الشخصيّ إلى أبعد الحدود، وليس فقط مركز المشاعر). انهم مقتنعون أن هذا

البلاغ الرائع يستدعي في الحال جواباً بالأفعال، ويتوجّهون إلى بطرس كما توجه الجمع في ما مضى إلى يوحنا المعمدان (رج لو ٣: ١٠): ماذا علينا أن نفعل؟ (آ ٣٧). ويذكر جواب بطرس، هو أيضاً، بالبلاغ الذي كان قد دشّن الأزمنة الإنجيلية: دعوة إلى التوبة وإلى العماد لمغفرة الخطايا (لو ٣: ٥). والشيء الجديد هو أنّ مستمعيّ العنصرة مدعوّون إلى أن يعتمدوا باسم يسوع المسيح. إنّها المرّة الأولى، عند لوقا، تظهر فيها هذه الصيغة بصفتها التعبير الأكثر كثافة للإيمان "المسيحي"، وهي نتيجة المحاضرة في ٢: ٣٦.

إنّ مصطلحات التوبة (١٤ مرّة عند لوقا، ١١ مرّة في أعمال الرسل) ومغفرة الخطايا (١٨ و ٦ مرّات) هي نمطيّة في مؤلّف لوقا. بمجمله. ومن الحدير بالذكر أنّ "اهتداء" أحد ما، في هذه النصوص، هو حرفياً "تغيير في الذهنيّة". وصورة التوبة، باعتبارها تحوّلاً، نجدها معبراً عنها في مقاطع ثمانية أخرى، كون المعنى العميق هو ذاته.

بإمكاننا أن نتساءل حول ممارسة عماد الماء الذي دشّنه بطرس هنا، بصفته فعل انتماء إلى الإيمان المسيحيّ. كان بإمكان الاعلان الذي أدّاه يوحنا المعمدان، وكرّره يسوع في رسل ١: ٥، أن يترك انطباعاً أنّ هذه العلامة الرمزية ستختفي عندما يأتي العماد بالروح القدس ليعكس حقيقته. وحفظت ممارسة الكنيسة هذه العلامة، لأنّها من دون شكّ مناسبة التزام مرئيّ وملموس جدّاً، رمز قطعة مع الماضي وحياة جديدة في الروح. وينسبها لوقا بسهولة إلى مبادرة بطرس، بدءاً من يوم ولادة الكنيسة، مبادرة يعتبرها بالتأكيد أنّها من إلهام الروح.

يعدّ بطرس بعطيّة الروح القدس بصفتها نتيجة لالتزام العماد. وإنّ ما طرح هنا بمثابة أمر ملزم سيُعرض بطريقة مختلفة في حلقات أخرى من الكتاب (رج أدناه الاطار: عماد، وضع الأيدي، عطية الروح). ينبغي اعتبار آ ٣٩ بانتباه، في صياغتها الأدبية. لقد أوشك النصّ الليتورجيّ على تشويه المعنى، حين رأى فيه تلميحاً إلى الوعد الذي أعطاه الله في ما مضى لإسرائيل. بينما النصّ هو في صيغة الحاضر: فإنّ

الوعدَ لكم؛ وهو الوعد الذي يُسمعهم بطرسُ إياه اليوم لكي يختصّوه. أنه وعد دائم، وصالح للأجيال الآتية من "بني إسرائيل"، لأننا ما زلنا في إطار يهوديٍّ بَحَث. لكنّه سيمتدّ أيضاً إلى جميع البعيدين، وهذا تعبيرٌ ملتبسٌ عمداً: ففي ذهن المستمعين، وفي ذهن بطرس أيضاً ولا شك، في هذه المرحلة، يمكن أن يفهم أن المعنيين هم يهود الشتات. تلك غمزة، بريشة لوقا، باتجاه تاوفيلس: انه يستبق امتدادَ الوعدِ إلى الأمم الوثنيّة (رج يش ٩: ٦-٩ أو أش ١٩: ٥٧ و ٤٠: ٦٠ حيث هناك تعبير مماثل يتعلّق بهذه الأمم). وإذا ما أُبلِغَت هذه الملاحظة الجوهرية إلى القارئ، صار باستطاعة لوقا أن يختصر رواية خطاب الرسول مرّة ثانية، رامياً بذلك إلى دفع المستمعين إلى القرار، وهو، في آنٍ معاً، شهادةٌ (بحسب النص اليوناني) وتحريرٌ. وإنّ خاتمة القاطعة بأسلوب مباشر هي بعض الشيء إعادة صياغة في الترجمة الليتورجية، فيما نُقلت بشكل أفضل في الترجمة المسكونية للكتاب المقدّس: **تخلّصوا من هذا الجيل الفاسد (حرفياً: الملتوي! رج تث ٣٢: ٥)**. والمقصود بشكل واضح، في السياق، هو الجيل الحالي من الشعب اليهودي، وقد ضلّ بعدم تبيّنه أنّ يسوع هو المسيح. ولا يرمي بطرس أن يدعوهم إلى "الخروج من عالم معوج"!

وباقتضاب ملفت يشكّل مفارقة مع خطبة بطرس الطويلة، تختم آ ٤١ رواية يوم العنصرة المسيحية الأولى هذا. وهكذا، من دون مغالاة، وعبر ملاحظة عددية بسيطة، يجعلنا لوقا حكماً على فعالية الكلمة المعلنة والمتلقاة: حوالي ثلاثة آلاف معمد جديد يُضافون إلى المائة والعشرين الذين ورد ذكرهم في الفصل السابق، ويشكّلون معهم منذ الآن جماعة أورشليم المسيحية، وهي فريق من يهود عرفوا المسيح في يسوع الناصري الذي صُلب وقام.

الخطبة في سفر أعمال الرسل

تحتلّ خطبٌ عديدة لوحدها ثلثَ كتاب أعمال الرسل تقريباً. هناك خطب خمس رسولية موجّهة إلى اليهود، بينها أربع لبطرس (٢: ١٤-٣٩؛ ٣: ١٣-٢٦؛

٤:١٠-١٢؛ ٥:٣٠-٣٢)، وواحدة لبولس (١٣:١٧-٤١)، إضافة إلى خطبة بطرس إلى "خائف الله" كرنيليوس (١٠:٣٦-٤٣). وهناك خطبتان لبولس باتجاه وثنيين سدّج (١٤:١٥-١٧)، ثم لآخرين مثقفين (١٧:١٦-٣٤)، فضلاً عن خطبته الوداعية لشيوخ أفسس (٢٠:١٧-٣٨).

لبولس أيضاً: ثلاثة دفاعات: أمام الجمع (٢٢: ١-٢١)، والحاكم فيليكس (٢٤: ١٠-٢١)، والملك أغريباً (٢٦: ٢-٢٣)، بالإضافة إلى تشجيعه ابان العاصفة (٢٧: ٢١-٢٦)، وحديثه الختامي مع يهود روما (٢٨: ١٧-٢٠). وهناك دفاع إسطفانوس الطويل (٧: ٢-٥٣)، وتدخّل جملئيل أمام السنهدريم (٥: ٣٥-٣٩)، وخطاب بطرس ويعقوب في مجمع أورشليم (١٥: ٧-١١، ١٣-٢١).

لكنّ لوقا يعرف أيضاً أن يجعل أشخاصاً آخرين يتكلمون، ليسوا يهوداً ولا مسيحيين: إنها الخطبة النقايبية التي ألقاها ديمتريوس (١٩: ٢٥-٢٧)، والكلمة السياسية لسكرتير مدينة أفسس (١٩: ٣٥-٤٠)، ومرافعة المحامي ترتلس (٢٤: ٢-٨)، أو تقرير فسّس إلى أغريباً الملك (٢٥: ١٤-٢١).

ولدى قراءتنا السفر، ستثير إعجابنا الطريقة التي بها عرف لوقا أن ينوع أسلوبه ليكيّفه مع خطباء ذوي وظيفة وثقافة مختلفين، ومع ظروف خاصة بكلّ خطاب.

بالإمكان التساؤل حول القيمة التاريخية لهذه الخطب. من الواضح أنّها، في صيغتها المكثّفة والمبنية من جديد، هي من تأليف لوقا. فهو يستعمل أسلوباً شائعاً عند مؤرخي الأزمنة القديمة: بهذه الوساطة، يُبلغ المؤلّف قارئه ما هو، في الواقع، تفسيره للوضع أو للأحداث التي يجري الإخبار عنها. ولكن يجب ألاّ نستخلص أنّنا أمام مجرد ابتكار أدبيّ أو لاهوتيّ لمؤلّف سفر الأعمال. لقد اعلن أنّه، وبصدق، قام بالتحقيق قبل أن يكتب (١: ١-٤). لذا يمكننا أن نعتبر خاصّة أنّ مادّة "الخطب الرسولية" لبطرس أو لبولس، والتي لها البنية ذاتها والمضمون ذاته، تعكس بأمانة كافية ما كان عليه البلاغ الرسوليّ الأصليّ. كما، إنّ للخطب الموضوعية على فم أصحاب المداخلات الوثنيين مضموناً يكاد يكون محتملاً جداً، إذ كانت لوقا معرفة بأوساط العالم اليونانيّ-الرومانيّ.

القرآن الثاني
جملة أورثليسي

(رسول ٢: ٤٢ - ٨: ١)

جماعة أورشلهم

(٤٢:٢ - ١:٨)

١- الكنيسة الأولى: الحياة الجماعية (٤٧-٤٢:٢)

- ٢
٤٢ وكانوا يُواظِبُونَ على تعليمِ الرُّسُلِ والمُشاركةِ وكَسْرِ الخُبْزِ والصَّلَواتِ.
- ٤٣ واستَوَلَى الخَوْفُ على جَمِيعِ الثُّقُوسِ لِمَا كانَ يَجْرِي عن أَيْدِي الرُّسُلِ مِنَ الأَعْجَابِ والآياتِ.
- ٤٤ وكانَ جَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا جَماعَةً واحِدةً، يَجْعَلُونَ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا بَيْنَهُمْ،
- ٤٥ يَبِيعُونَ أَمْلاكَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَيَتَّقاسَمُونَ الثَّمَنَ على قَدْرِ احتِياجِ كُلِّ مِنْهُمُ،
- ٤٦ يُلَازِمُونَ الهَيْكَلَ كُلَّ يَوْمٍ بِقَلْبٍ واحِدٍ، وَيَكْسِرُونَ الخُبْزَ في البُيُوتِ، وَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعامَ بِابْتِهَاجٍ وسَلَامَةٍ قَلْبٍ،
- ٤٧ يُسَبِّحُونَ اللهَ وَيَنالُونَ حُظُوةً عِنْدَ الشَّعْبِ كُلِّهِ. وكانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إلى الجَماعَةِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَنالُونَ الحِلاصَ.

نقرأ هنا أوّل ملخص وصفيّ لحياة الكنيسة الأولى، يكشف النقاط التي ينبغي لوقا التشديد عليها من أجل تعليم قارئه، حتّى وإن جازف برسم لوحة تكون إلى حدّ ما مثاليّة! تجمع آ ٤٢ المميّزات الأساسيّة لهذه الجماعة، وتبقى صالحة لكلّ جماعة مسيحيّة في كلّ زمان؛ لقد دُعيت أحياناً "ملاحظات" حول الواقع الكنسيّ. وهي أربع، يحكمها الفعل الذي سبق ان استعمل في ١٤:١ للتعبير عن فكرة المواظبة الدائمة.

٤٢ آ

تعليم الرسل. يجب أن نفهم بهذا التعبير واقعاً مختلفاً عن إعلان البشري السارّة الأولى ("الكرازة")، الذي كان قد أدّى بالمستمعين إلى الإيمان وإلى العماد، وهو نداء لا

يتكرّر دوماً. فالمقصود هنا هو تثقيف في العمق (ديداخية، *didaché*) للمسيحيين الجدد الذين كان على الرسل أن يجعلوهم يكتشفون بدقّة أكبر من هو يسوع، وما يمثله الخلاص الذي جاء يحققه. وهذا بالضبط هو معنى التعليم الديني الأعلى الذي حرّره لوقا إلى توافيلس في مؤلّفه الأوّل. أمّا، في بداية الكنيسة، فكان المقصود تعليمًا شفهيًا يأتي به الرسل، وهم جديرون به، لأنّهم كانوا قد تبعوا يسوع في رسالته، وسمعوا تعليمه الخاصّ. كان هذا يتطلّب منهم عملية استذكار، يقوده الروح القدس (رج يو ١٤: ٢٧؛ ٢٦: ١٥)، وقد أضيف إليه باكرًا جدًّا ولا شك -ورأينا مثلاً عنه في خطبة بطرس- تفكيرٌ لاهوتي لفهم كيف أنّ عمل يسوع قد أتمّ الكتب وفسّرها.

الشركة الأخويّة. إنّ عبارة "العيش في شركة أخويّة"، هي استعارة تعبّر عمّا يقوله لوقا بكلمة واحدة: الشركة. إنّها ضروريّة من دون شكّ، لأنّ لهذه الكلمة، في العهد الجديد، معاني عدّة. فبحسب سياق النصّ، قد تشير إلى التضامن على المستوى المادّي (جمع التبرّعات الذي يذكره بولس في روم ١٥: ٢٦)، أو إلى شركة المؤمن الروحيّة مع الله، أو شركة المؤمنين في ما بينهم. وهنا يرمي لوقا على الأرجح الخبرة الجماعيّة للكنيسة الناشئة في كلّ أبعادها (وهو على أيّ حال الاستعمال الوحيد في سفر الأعمال). أمّا تقاسم الخيرات، وهو تعبير عن الشركة، فسيأتي ذكره بتشديد أكبر.

كسر الخبز. إنّ المصطلح التقنيّ المستعمل مرّات عدّة في سفر الأعمال بهدف ذكر علامة مميّزة لتجمّع المسيحيين للعبادة، فيه يجدد حركات يسوع الذي "كسر الخبز" وقت العشاء الأخير (لو ٢٢: ١٩). وهو يذكر أيضًا، بشكل أوسع، ممارسة يسوع، وعاداته بتقاسم الطعام مع الخطاة، وقد أثارت الشكوك، فضلًا عن الوجبات التي تناولها الرسل مع القائم من الموت (رج ٢٤: ٣٥؛ رسل ١: ٤؛ ١٠: ٤١). وبحسب ٧: ٢٠، يمكننا الاعتقاد أنّ الاحتفال بالإفخارستيّا كان يتمّ عادة في كلّ اجتماع للعبادة، في "اليوم الأوّل من الأسبوع". وان الاحتفال بالعشاء الإفخارستيّي، كما أيضًا بالعماد، كان أمرًا معروفًا لدى القارئ المسيحيّ، وكان تعليمه الدينيّ الأوّل قد فسّر له معناه. لذلك لا يرى لوقا من الضروريّ أن يقول أكثر.

الصلوات. توحى صيغة الجمع بأنّ المسيحيين الأوائل كانوا يمارسون صيغًا عدّة من الصلاة، وفق الأوقات والأمكنة. سناهم لاحقًا يشاركون أيضًا في أزمنة الهيكل الليتورجيّة (٢: ٤٦؛ ٣: ١؛ ٥: ١٢)، أو يصلّون عند تناولهم الطعام معًا (٢: ٤٧). إلا أن نبرة التسبيح تبدو مهممنيّة، وتطلب الجماعة أيضًا حماية الربّ من أجل شهادة أمنيّة.

تكمل هذه الآيات الملخّص، بطريقة أكثر سردية بعض الشيء، راسمةً دائماً وبخطوط كبيرة لوحةً عامةً عن حياة المسيحيين الأوائل الجماعية في أورشلهم، وبعض هذه الخطوط سيوضّح لاحقاً من خلال روايات خاصّة. ليست **مخافة الله**، بالمعنى الذي لهذه العبارة في الغالب في العهد القديم، الخوف، بل الشعور بالاحترام المتواضع والطاعة، يلهمهما للناس تجلّي الله القدوس، هو تجلّيه يوم العنصرة بدون شك، ولكن أيضاً تجلّيه الذي تشهد له **المعجزات والآيات** التي عملها الرسل (آ ٤٣). إنَّ ذِكْرًا كهذا سيتكرّر أكثر من مرّة في الكتاب (١٢:٥؛ ٨:٦؛ ٣٦:٧؛ ٣:١٤): هذا يعني أنّ الرسل يشهدون بالأقوال وبالأفعال، على مثال معلّمهم (رج تذكير بطرس في ٢:٢٢)، وتوفّر أفعال القدرة هذه مصداقيةً لسلطة كلامهم.

تقاسم الخيرات (آ ٤٤-٤٥) هو عنصر يحرص لوقا جدّاً التشديد عليه؛ فهو الذي، في إنجيله، شدّد أكثر من غيره على تعليم يسوع المتعلّق بموضوع المال: مخاطر الغنى، الفقر الإرادي والوائق الذي يُنتظر من التلاميذ، تقاسم الخيرات أو التصدّق على الفقراء، كعلامات ضرورية لاهتداء أصيل (رج ٣:١١؛ ١٦:١٦-٣٤؛ ١٤:١٢-١٤؛ ١٦:١-١٣؛ ١٩:١-١٠). فبالنسبة إليه، لا يمكن "للشركة الأخوية" أن تبقى اقتساماً روحياً فقط، إذ إنّ لها أيضاً بُعداً اقتصادياً. من الصعب أن نكتشف الواقع التاريخي الدقيق الذي عاشته هذه الجماعة الأولى، إذ لم تكن الصيغة المرسومة هنا قادرة على أن تشكّل حلاً دائماً: "استهلاك رأس المال"، دون استنباط مصادر جديدة للعيش!

ستبيّن المقارنة مع ٤:٣٢ - ٥:١١ أنّ لوقا، في هذا الملخّص الأوّل، وضع بدون شكّ تعميماً مثالياً، بهدف إفهام قارئه أنّ روح الله يحرّر المؤمنين من غريزة المملّكية، وأنّ بُعد الاقتسام جوهرى بالنسبة إلى أيّ جماعة مسيحية. وسنلاحظ أنّ هذه "الاشتراكية" الخيالية ليست مساواة، لأنّ المقصود هو تقاسم وفق حاجات كل واحد. وان فكرة تقاسم الخيرات، على أي حال، لم تكن أمراً جديداً مطلقاً لذلك الزمان: فلقد كان يهود قمران الأسينيون قد أنشأوا جماعة ديرية حقيقية، فألغوا كلّ ملكية خاصّة. وقبلهم بكثير، كان فيثاغور وأفلاطون قد عظّموا تقاسم الخيرات "بين الأصدقاء". الفرق الجدير بالذكر هو أنّه لم يعد المقصود هنا نخبة دينية أو فلسفية، بل جماعة شعبية.

لا تحتاج آ ٤٦-٤٧ أبداً إلى تعليق؛ فالقارئ الذي يعرف الوضع اللاحق للقطيعة مع التيار اليهودي، مطلع، كما ينبغي، على أن المسيحيين، في البداية، بقوا يهوداً أمناء. كان إيمانهم الجديد يسوع المسيح يبدو لهم تمييزاً لإيمانهم اليهودي. وستظهر رواية أعمال الرسل، حتى ٤٢:٥ تعلقهم بالهيكل، حيث يُشار إليه ١٢ مرة بالاسم. أما بالنسبة إلى الباقي، فتجمع هاتان الآيتان الملاحظات اللوقاوية حول الإجماع، والفرح والتسبيح، وأيضاً نظرة الشعب الحسنة. لقد اعتنى لوقا في الإنجيل بأن يفصل شعب أورشليم عن سلطاته الدينية، وهي المسؤولة وحدها عن الحكم على يسوع. ذلك ان الشعب بقي إيجابياً تجاهه (رج لو ١٩:٤٧). لقد كانت حياة المسيحيين الأوائل الخلاب، بالنسبة إلى الراوي، واقعاً جذاباً، لكنّه يوضح في الاقتراح الأخير للملخص أن قوة الجذب هذه، مردّها عمل الربّ بالذات، هو الذي كان يُضيف كل يوم المخلصين إلى الجماعة (نقلٌ حريّ غير قابل للقراءة في جماعة!).

٢- الإعجوبة الأولى والمحاكمة الأولى (١:٣ - ٤:٤)

تحت هذا العنوان، تعطي الترجمة الليتورجية، دفعة واحدة، رواية طويلة لا تتجزأ، بين دفتيها وحدة أكيدة، ولكنها تتعلق بيومين متتاليين. ويسجل "ملخص نمو" قصير الوقفة في نهاية اليوم الأول. فمن أجل قراءة أكثر سهولة للنصّ وتفسيره، سنقسم إذاً هذه المجموعة إلى جزئين.

أ. شفاء سقيم

وخطبة بطرس إلى الشعب (١:٣ - ٤:٤)

- ١ وكان بطرس ويوحنا صاعدين إلى الهيكل لصلاة الساعة الثالثة بعد الظهر،
- ٢ وكان هناك رجلٌ كسيحٌ من بطن أمه يحمله بعض الناس ويضعونه كل يوم على باب الهيكل المعروف باباب الحسن ليطلب الصدقة من الذين يدخلون الهيكل.
- ٣ فلما رأى بطرس ويوحنا يوشكان أن يدخلوا، التمس منهما الحصول على صدقة.
- ٤ فحدق إليه بطرس وكذلك يوحنا، ثم قال له: "أنظر إلينا".

- ٥ فَبَعَلَّتْ عَيْنَاهُ بِهِمَا يَتَوَقَّعُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُمَا شَيْئًا.
- ٦ فَقَالَ لَهُ بَطْرُسُ: "لَا فِصَّةَ عِنْدِي وَلَا ذَهَبَ، وَلَكِنِّي أَعْطِيكَ مَا عِنْدِي: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ امشِ!
- ٧ وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَأَهْمَضَهُ، فَاشْتَدَّتْ قَدَمَاهُ وَكَعْبَاهُ مِنْ وَقْتِهِ،
- ٨ فَقَامَ وَثَبًا وَأَخَذَ يَمْشِي. وَدَخَلَ الْهَيْكَلَ مَعَهُمَا، مَاشِيًا قَافِرًا يُسَبِّحُ اللَّهَ.
- ٩ فَرَأَاهُ الشَّعْبُ كُلَّهُ يَمْشِي وَيُسَبِّحُ اللَّهَ،
- ١٠ فَعَرَفُوهُ ذَاكَ الَّذِي كَانَ يَقْعُدُ عَلَى الْبَابِ الْحَسَنِ فِي الْهَيْكَلِ لِيَطْلُبَ الصَّدَقَةَ، فَأَخَذَهُمُ الْعَجَبُ وَالذَّهْشُ كُلَّ مَا خَذَ مِمَّا جَرَى لَهُ.
- ١١ وَبَيْنَمَا هُوَ يَلْزَمُ بَطْرُسَ وَيُوحَنَّا، أَخَذَ الشَّعْبُ كُلَّهُ، وَقَدِ اسْتَوَى عَلَيْهِ الذَّهْشُ، يُسْرِعُ إِلَيْهِمْ نَحْوَ الرِّوَاقِ الْمَعْرُوفِ بِرِوَاقِ سُلَيْمَانَ.
- ١٢ فَلَمَّا رَأَى بَطْرُسُ ذَلِكَ، كَلَّمَ الشَّعْبَ قَالًا: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِمَاذَا تَعْجَبُونَ مِنْ ذَلِكَ؟ وَلِمَاذَا تُحَدِّقُونَ إِلَيْنَا، كَأَنَّا بَدَأَتْ قُوَّتُنَا أَوْ تَقْوَانَا جَعَلْنَاهُ يَمْشِي؟
- ١٣ إِنَّ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلَهَ آبَائِنَا، قَدْ مَجَّدَ عَبْدَهُ يَسُوعَ الَّذِي أَسْلَمْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ أَمَامَ بِيلاطُسَ، وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى تَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ،
- ١٤ وَلَكِنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُوسَ الْبَارَّ وَالتَّمَسْتُمُ الْعَفْوَ عَنْ قَاتِلِ،
- ١٥ فَفَتَنْتُمُ سَيِّدَ الْحَيَاةِ، فَأَقَامَهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ عَلَى ذَلِكَ.
- ١٦ وَمِنْ فَضْلِ الْإِيمَانِ بِاسْمِهِ أَنَّ ذَاكَ الْاسْمِ قَدْ شَدَّدَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَتَعْرِفُونَهُ. وَالْإِيمَانُ الَّذِي مِنْ عِنْدِ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي وَهَبَ لِهَذَا الرَّجُلِ كَمَالَ الصِّحَّةِ هَذِهِ بِمَرَأَى مِنْكُمْ جَمِيعًا.
- ١٧ وَإِنِّي أَعْلَمُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةَ، أَنَّكُمْ عَمِلْتُمْ ذَلِكَ بِجَهَالَةٍ وَهَكَذَا رُؤْسَاؤُكُمْ أَيْضًا.
- ١٨ فَاتَّمَّ اللَّهُ مَا أَنْبَأَ مِنْ ذِي قَبْلِ بِلِسَانِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ أَنَّ مَسِيحَهُ سَوْفَ يَتَأَلَّمُ.
- ١٩ فَتَوَبُوا وَارْجِعُوا لِكِي تُنْحَى خَطَايَاكُمْ،
- ٢٠ فَتَأْتِيَكُمْ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ أَيَّامُ الْفَرَجِ وَيُرْسِلَ إِلَيْكُمْ الْمَسِيحَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مِنْ قَبْلِ، أَيُّ يَسُوعَ،
- ٢١ ذَاكَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَتَقَبَّلَهُ السَّمَاءُ إِلَى أَرْمَنَةِ تَجْدِيدِ كُلِّ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ بِلِسَانِ أَنْبِيَائِهِ الْأَطْهَارِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ،

٢٢ فلقد قال موسى:

"سَيَقِيمُ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِكُمْ نَبِيًّا مِثْلِي،
فَإِلَيْهِ أَصْعُوا فِي جَمِيعِ مَا يَقُولُ لَكُمْ،

٢٣ وَمَنْ لَمْ يَسْتَمِعْ لِذَلِكَ النَّبِيِّ يُسْتَأْصَلُ مِنْ بَيْنِ الشَّعْبِ".

٢٤ وَإِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ صَمُوئِيلَ إِلَى الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بَعْدَهُ عَلَى التَّوَالِي قَدْ بَشَّرُوا هُمْ
أَيْضًا بِهَذِهِ الْأَيَّامِ.

٢٥ فَانْتَمَ أَنْبَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعَهْدِ الَّذِي عَقَدَهُ اللَّهُ لِآبَائِكُمْ إِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ:
فِي نَسْلِكَ تُبَارِكُ جَمِيعَ عَشَائِرِ الْأَرْضِ.

٢٦ فَمِنْ أَجْلِكُمْ أَوْلًا أَقَامَ اللَّهُ عَبْدَهُ وَأَرْسَلَهُ لِيُبَارِكَكُمْ، فَيَتَوَبَّ كُلُّ مَنْكُمْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ".

٤ ١ وَيَتِمَّا بَطْرُسُ وَيُوْحَنَّا يُخَاطِبَانِ الشَّعْبَ، أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا الْكَهَنَةُ وَقَائِدُ حَرَسِ الْهَيْكَلِ وَالصَّدُوقِيُّونَ،

٢ وَهُمْ مُغْتَابُونَ لِأَنَّهُمَا كَانَا يُعَلِّمَانِ الشَّعْبَ وَيُبَشِّرَانِ فِي الْكَلَامِ عَلَى يَسُوعَ بِقِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ.

٣ فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِمَا وَوَضَعُوهُمَا فِي السِّجْنِ إِلَى الْعَدِّ، لِأَنَّ الْمَسَاءَ كَانَ قَدْ حَانَ.

٤ وَآمَنَ كَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا كَلِمَةَ اللَّهِ، فَبَلَغَ عَدَدُ الرُّجَالِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ.

شفاء السقيم (١:٣-١١)

نحن إذاً بازاء رواية مفصلة لتوضيح الممارسة المقتدرة للرسل الأوائل، وقد أُشير إليها بشكل شمولي في ٤٣:٢. في آ ١-١١ سنتبين موازيات عدّة مع رواية عجائب في الأناجيل، وعلى الخصوص في إنجيل لوقا.

ليست تلك صدفة بالتأكيد: يريد لوقا أن يبيّن أنّ الرسل الذين أُبَسُّوا قُوَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، واصلوا ممارسة يسوع المحرّرة، كون الشفاءات علامةً حسيّةً للخلاص الذي يبشرون به. ولكن، كما كانت الحال بالنسبة إلى معلّمهم، تثير هذه الممارسة في آني معاً، اندهاش الشعب، من جهة، وريية السلطات الدينيّة، من جهة أخرى.

تؤكد إشارة آ ١ أنّ لم تحصل بعد قطيعة بين الجماعة الفتية وبين عادات أعضائها الدينيّة، وكلهم من أصل يهودي. وكما أشرنا إلى ذلك أعلاه، يشكل بطرس ويوحنا،

في بداية سفر أعمال الرسل، "ثنائياً" يمثّل الفريق الرسوليّ الذي ستراه في الغالب يعمل معاً، في حين يبقى بطرس دائماً الناطق الرسمي باسمهم. في آ ٢، كما في الآية السابقة أيضاً، يُبرز استعمال الفعل بصيغة الماضي الحاضر تصرُّفاً معتاداً. فالمعتلّ الذي يتسوّل عند باب الهيكل، وقد حُمّل وكأنّه شيء، هو إلى حدّ ما جزء من الزخرف. إنّه يوفّر لليهود الأتقياء الذين يصعدون إلى الهيكل الفرصة ليمارسوا الإحسان، وهو أحد "الأعمال الصالحة" الثلاثة المطلوبة من المؤمنين، إلى جانب الصلاة والصوم (رج متى ١: ٦-١٨). ويدلّ التعبير "الباب الحَسَن"، على الأرجح، على الباب الشرقيّ القائم تجاه رواق سليمان، بحسب آ ١١، وكان يفصل باحة الوثنيين عن باحة النساء. عبر هذا الباب، إذًا، كان يتمّ الدخول إلى الهيكل تحديداً، وهو محرّم على غير اليهود، ولكن أيضاً على فئات مختلفة من المبعدين، كالعُرج والعميان (رج متى ١٤: ٢١ حيث يُشير دخولهم إلى الهيكل خلف يسوع نوعاً من الشكوك). لقد كان على المعتلّ الذي نحن بصددده، وبحسب الشريعة، أن يبقى "عند الباب".

تلعب الأفعال المرتبطة بالنظرة دوراً كبيراً في هذه الرواية. في آ ٣، النظرة الأولى، المتبدلة، التي يليقها المتسوّل على الرسولين يُعبّر عنها بالفعل الأكثر شيوعاً. فليس بطرس ويوحنا، بالنسبة إليه، سوى مؤمنين كسائر المؤمنين يستجديهما بحركة يكرّرها دوماً. لكنّ الآيتين ٤-٥ تبرز لعباً مدهشاً في النظرات. يركّز بطرس عينيه على المعتلّ؛ انه فعل قوي يستعمله لوقا في الغالب ليشير إلى نظرة مشحونة بالمعاني (رج لو ٢٢: ٥٦؛ رسل ١: ١٠؛ إلخ)، وهوذا يعطيه أمراً غير معتاد: **أنظر إلينا** (الفعل الثالث). ويرمي الرسول من خلال ذلك إلى إقامة علاقة شخصية، وهذا ما لا يعمله عادةً المؤمنون الذين هم على عَجَل من أمرهم، معطين إحسانهم دون أيّ تركيز. وإذ تفاجأ المعتلّ، راح يراقبهما (الفعل الرابع!)، متصوّراً من دون شكّ أنّ هذا التمهيد هو بمثابة إعلان عن إحسان استثنائيّ. لقد حَيّب ردّ بطرس، في بدايته، أمله بشكل قويّ، لأنّه أعلن أنّه لا يملك **لا فضةً ولا ذهباً** (هذا ترتيب النصّ الأصليّ). ذلك معقول بحكم ممارسة تقاسم الخيرات الوارد ذكرها أعلاه. لكنّ بطرس يحمل غنىً من نوع آخر، ويقترح على المعتلّ عطيةً ذات طبيعة أخرى لم يكن يتوقّعها. إنّ ما يملك هو الإيمان باسم يسوع، أيّ اليقين بأنّ الربّ القائم من الموت قادر اليوم أيضاً أن يشفي الذين يتلقّون كلمته، فيرفع مقوَّسي الظاهر ويُنهض المضطّجين في عجزٍ ينذر بالموت. هذا الإيمان، شاء بطرس أن يتقاسمه مع

المريض حين قال له بسُلطان: "إفْهَضْ وامش"، وتتبع الترجمة الليتورجية، وعن حق، المخطوطات التي تضمّنت هذين الفعلين بدلاً من الفعل الوحيد امش، لأنّ ذلك يشدّد على التوازي الذي قصده لوقا من خلال رواية شفاء مقعد في لو ١٧:٥-٢٦.

والمقاربة واضحة في آ ٧-١١، في وصف الأعجوبة ومفاعيلها على الجَمْع: يُنْهَضُهُ بطرس، وهذا فِعْلٌ يُسْتَخْدَم للكلام على القيامة، وحصل المفعول على الفور، طالما ان الرجل الذي شَفِيَ أخذ يسبّح الله (رج لو ٥:٢٥)، وأصبح جميع الحاضرين حرقياً خارج ذاتهم، وممتلئين مخافةً، لدى رؤيتهم ما حصل (رج لو ٥:٢٦).

مع ذلك، تتضمّن رواية أعمال الرسل ملامح فريدة، مرتبطة بالسياق الخاصّ للحدث. تبين تفاصيل آ ٧-٨ أنّ المتسوّل سابقاً قد تغيّر كلياً: تستعيد أعضاؤه عافيتها ووظيفتها، ولن يكون بعدئذٍ جسماً سليماً يعتمد بالكليّة على الآخرين، بل يصبح (لأنّه كان معتلاً منذ مولده) شخصاً قادراً أن يكون ذا استقلالية وذا مبادرة. وللحال، لن يبقى من بعد عند باب الهيكل بصفة مبعّد: ها هو يدخل مع اللذين شفياه لكي يعبر الله عن امتنانه، والشعب كله (تعبير لوقاويّ معتاد) يتحلّق حولهم. إنّه وضع شبيه بوضع يوم العنصرة. وكما كانت الحال آنذاك، استفاد بطرس من الفرصة لإعلان البشري السارة للشعب.

يكرر جوهر الخطبة الموضوعات الأساسية ذاتها، لكنّ السياق يتحكّم بمطلع الخطبة. ومع ذلك، وكما كانت الحال آنذاك، كان المقصود، أولاً، استبعاد تفسير خاطئ للحدث. فلما كان الرسل مملوئين من الروح، لم يكونوا بالتالي سكارى. لقد كانوا أدوات شفاء، ولا ينبغي ان يُعْتَبَرُوا "شافين" ذوي سلطان عجائبيّ، أو ذوي تقوى (نقل أدقّ من قداسة) فعّالة من ذاتها. وفيما كان بطرس قد قال للمعتلّ: أنظر إلينا، ها هو يرمي الآن إلى تحويل نظر الجمع المندهب عن شخصيهما، لكي يوجّهه إلى من باسمه فعلاً ذلك.

نجد من جديد في آ ١٣-١٥ النواة المركزية للكراسة الرسولية ليهود أورشلهم، وهي تتماهى جوهرياً مع قلب خطبة بطرس الأولى في ٢: ٢٢-٣٢: الله يمجّد عبده يسوع الذي كانوا قد نبذوه وقتلوه، إذ أقامه من بين الأموات. ويوجز لوقا هذا الاستحضار للحدث الأعظم للخلاص، دون أن يضع على فم بطرس اقتباسات جديدة من الكتاب المقدس، بل قدّم ما هو مساوٍ لذلك حين وضع في الواجهة إله إبراهيم وإسحق ويعقوب. ذلك أنّ إله آبائنا هو الذي كان يفعل في هذه الأحداث: هناك تواصل بين وعود الله لإسرائيل وتمجيد يسوع. ويوحى لقب عبّد المعطى ليسوع بالوجه السرّي لـ "عبّد الرب" في أناشيد أشعيا الثاني (إنّه التعبير اليوناني ذاته). فلقد عرف لوقا أنّ هذا اللقب يتطابق مع صيغة أولية من كريستولوجية الكنيسة، نجد آثارها في الليتورجية القديمة كما جاءت في كتاب الديداخيه (أو تعليم الرسل الاثني عشر، وهو مؤلف معاصر تقريباً لكتاب لوقا) وسيستعمله أيضاً في آ ٢٦، وفي ٤: ٢٧، ٣٠.

يجب أن نلاحظ أيضاً أنّ الراوي الأدبي: لما كان عليه أن يكرّر، مرات عديدة، البلاغ الأساسي ذاته، نراه يسعى أن يُدخِلَ في كلّ مرة بعض البدائل في الحديث عن موت المسيح وقيامته. هنا، مثلاً، لدينا بعض التفاصيل حول محاكمة يسوع، مع ذكر إرادة بيلاطس بأن يُخلّي سبيله، أو لدى الحديث عن طلب إخلاء سبيل برابا، كي يبرز الزيف من خلال تفضيلهم قاتلاً على القدّوس والبار! وهوذا بطرس من جديد، وبشكل أكثر شدّة ممّا في خطبته الأولى، لا يخشى أن يُبرز هنا نوعاً من الذنب الجماعي ليهود أورشلهم في مأساة الآلام، وهذا ما كان لوقا قد استبعده في روايته الإنجيلية. وتدهشنا الإشارة إلى يسوع باعتباره رأس الأحياء، نظراً إلى الترجمة التقليدية سيّد الحياة، وهي تحدّدها بشكل رائع (رج ٥: ٣١).

كما تجعل الترجمة الليتورجية نصّاً موجزاً في آ ١٦ يصبح أكثر فهماً من خلال إعادة صياغة خفيفة للنصّ. فكما كان فيض الروح في ٢: ٣٣، هكذا، فإن الشفاء الذي تبيّنهُ الشعب يجب وضعه في علاقة مباشرة مع تمجيد يسوع. ولقد نادى بطرس باسمه لإفخاض المقعد، والمقصود شخصه الحيّ، وحضوره الفاعل وإن كان غير مرئيّ. ان سفر

أعمال الرسل يكشف عن لاهوتٍ للاسم، كان هو أيضاً قديماً، إذ يذكر ٣٢ مرة اسم يسوع، اسم الرب، أو ببساطة الاسم، وهو الاسم الذي يُنادى به لدى العماد (٢: ٣٨؛ ٨: ١٦؛ ١٠: ٤٨؛ ١٩: ٥؛ ٢٢: ١٦)، أو لدى التبشير والتعليم (٤: ١٨؛ ٥: ٢٨؛ ٤٠: ٨؛ ١٢: ٩؛ ٢٧: ٩)، أو لدى اجراء الشفاء (هنا وفي ٤: ٣٠؛ ١٦: ١٨)، وهو الذي لأجله تتألم (٥: ٤١؛ ٩: ١٦؛ ٢١: ١٣) إلخ... ويحرص بطرس هنا على التحذير من الضلال الذي يجعل من هذا الاسم شبه صيغة سحرية، إذ إنه يذكر مرتين في هذه الآية دور الإيمان الحاسم (ذلك هو أول ظهور لكلمة إيمان في السفر، حيث نُجدها ١٤ مرة؛ فيما يتكرر الفعل "آمن" ٣٦ مرة). ويفترض الإيمان باسم يسوع أو الإيمان الذي يأتي منه حداً أدنى من معرفة شخصه وعمله، ويفترض خاصة الثقة بقدرته الحالية على منح الحياة للذين يدعونه كَرَبٌ.

١٧-٢٦

وكما في ٢: ٢٩، ينادي بطرس مستمعيه متوجّهاً إليهم بصفتهم إخوته (آ ١٧). لم يكتفِ بأن يدلّهم على مصدر السلطان المدهش الذي رأوه يعمل، بل يستفيد منه كي يدعواهم إلى أن ينتفعوا هم بالذات من سرّ خلاص يخصّهم جميعاً. وهو سرّ، في الواقع، بقدر ما كان ردّهم للمسيح، -ويُنسبُ إلى الجهل أكثر منه إلى ضلال أساسي- قد أتم، في غفلةٍ منهم، مصيراً أعلن عنه الأنبياء. لم يشأ بطرس ان يجازف في تبيان اية نصوص تحدّثت عن آلام المسيح؛ وستوجّب انتظار فيلبس لكي يستشهد، في هذا الاتجاه، بنبؤة أش ٥٣. أن يجري الكلام عن الأنبياء كلّهم، فذلك أمر ضمني جداً، ولكنّه يذكر بلوقا ٢٤: ٢٧. أما آ ١٩، فهي دعوة ملحاحة جداً إلى الاهتداء، مع الفعلين اللذين يعبران عن الفكرة، لكي تُمحي خطاياهم: ذلك هو صدى لـ ٢: ٣٨، ولكن من دون ذكر العماد.

كان بوسع الخطبة أن تنتهي هنا؛ لكن، وبشكل مثير للفضول، تتم قفزة، من أجل إكمال معلومة حول سرّ الخلاص هذا، دون ان نميّز بشكل جيّد التتابع المنطقيّ. وتعالج آ ٢٠-٢١، في الواقع، عنصراً غائباً عن الخطبة الأولى المركزة كلياً على "الإسكاتولوجيا المحقّقة"، طالما ان فيض الروح كان قد اعتُبر بمثابة علامة الأيام الأخيرة (٢: ١٧). وهوذا بطرس يتكلّم الآن على إسكاتولوجية عتيّدة، بمفردات فريدة، ذاكراً مجيء زمن الراحة (حرفياً: أزمنا منعشة)، المرتبط بإرسال يسوع المسيح الذي، حتّى

الآن، كان عليه أن يبقى في السماء (رج ١: ١١). وحينذاك ستكون أزمنة تجديد كل الأشياء التي أعلنها الأنبياء، وتلك فكرة لا يمكن خلطها مع إعادة بناء مملكة إسرائيل التي تخيلها الرسل في ٦: ١. وبطرس، منقاداً بالروح القدس، تخطى هذه الرؤية الضيقة، وها هو يريد أن يتكلم عن "ترميم شامل" يتعلّق بالأمم كلّها، وقد يكون ذلك في منظار كونيّ نجده فعلياً في بعض النبوءات البيبليّة، وقد عرضه بولس في روم ٨: ١٨-٢٢. ومن دون انتقال، يعود بطرس إلى مرجع مسيحيّ كان شائعاً في الكنيسة الأولى: كلمات موسى في تث ١٨: ١٥. لقد كان أحد وجوه الانتظار اليهوديّ، في زمن يسوع، وجه هذا النبيّ الذي هو "موسى جديد" كان يجب على الشعب حتماً أن يصغي إليه (آ ٢٢-٢٣؛ رج ٧: ٣٧؛ يو ١: ٢١؛ ٦: ١٤؛ لو ٩: ٣٠، ٣٥).

يلي ذلك تأكيدٌ تعميميٌّ جدّاً، يجعل من صموئيل النبيّ الأوّل (بعد موسى بالتأكيد)، وينسب إلى الحركة النبويّة الإعلان عن أيام استثنائية يعيشها شعب الله حالياً (٢٤١). كان ذلك بمثابة إعداد للحدث النهائيّ حيث توجّه بطرس إلى مستمعيه باعتبارهم ورثة العهد الذي قطعه الله مع آبائهم. وبطرس، إذ يرقى إلى أبعد من موسى، صعوداً إلى "أبي المؤمنين"، يرجع، عبر تضمين جميل، إلى إبراهيم الذي افتتح اسمه خطبته (١٣١)، مذكراً بالوعد الذي أعطاه الله له بأن "بنسله تتبارك كل قبائل الأرض" (تك ٢٢: ١٨). وحين يضع لوقا هذا الاقتباس على فم الرسول، يوحى لقارئه، وبطريقة أكثر انفتاحاً ممّا في ٢: ٣٩، اتساع بشرى الإنجيل إلى الأمم الوثنيّة. لم يكن بطرس ذاته ولا شك يرى بعيداً إلى هذا الحد؛ انه، في الوقت الحاضر، يضع فقط مبدأً لاهوتياً ستحترمه رواية أعمال الرسل حتّى سطورها الأخيرة: يُعلن الخلاص أولاً لنسل إبراهيم، لأنهم ورثة العهد المباشرين. فمن أجلهم أهض الله (وباليونانية يمكن أن نفهم: أقام) عبده.

وتوحي الحملة الأخيرة من الخطبة بأن الاهتداء الذي هو جواب على دعوة الإنجيل، هو ثمرة بركة الله. سيقول لوقا ذلك صراحةً باستعمال الصيغة الجميلة مرّتين: "وهب الله الاهتداء" (٣١: ٥؛ ١١: ١٨).

توقيف بطرس ويوحنا (٤: ١-٤)

استناداً إلى طريقة أدبيّة سنجدها لاحقاً، تنقطع خطبة بطرس، أو خطبة يوحنا الذي تولّى الأمر عنه (يقول النصّ فقط، "وفيما كان لا يزال يتكلم"): لم يكن في ذلك ضرر للقارئ، إذ إن الراوي يكون قد مرّر البلاغ الذي أراد أن يوصله. ونجدنا بإزاء

سلطات الهيكل، ولا بدّ أنّها أُخْطِرَتْ بتجمّع استثنائيّ. لقد سمع بعضهم شيئاً من بلاغ بطرس، ولم يكن بوسعهم أن يحتملوه: يذكر لوقا الدافع الذي كان بوسعهم أن يُفقدَ الصدوقيّين صبرهم بنوع خاصّ (الصدوقيّون هم أعضاء الحزب الذي كان يضمّ الوجهاء، والعائلات الكهنوتيّة الكبيرة)، ألا وهو سماعهم كلاماً على القيامة في ما يتعلّق بيسوع. من المعلوم أنّهم كانوا ينبذون اعتقاد الفريسيّين بقيامة الموتى في اليوم الأخير (رج لو ٢٠: ٢٧). ولكن، بشكل عامّ، لا يستطيع أسياذ الهيكل القبول بأن يعمد هؤلاء النكّرة، من دون شهادة لاهوتيّة، وبجراً كبيرة، إلى تعليم الشعب. ومن دون آية صيغة محاكمة، أوقفوا إذاً الرسلين ورموهما في السجن. وكان الوقت متأخراً، لذلك تأجّل النظر في المسألة إلى اليوم التالي (آ ١-٣).

في مواجهة هذه العلامة الأولى على العدائيّة، ارتسمت على ثغر لوقا بسمّة انتصار صغيرة، وهو يشاهد من جديد الفعاليّة المدهشة لكلمة لم يكن بوسع الاضطهاد أن يوقفها. إنّ رمي بطرس للشبكة ثانية (رج لو ٥: ١٠) كان أكثر ثماراً من الأوّل: حوالي خمسة آلاف رجل آمنوا بالكلمة التي سمعوها (آ ٤). ويذهب بنا التفكير إلى الرجال الخمسة آلاف المجتمعين عند تكثير الخبز (لو ٩: ١٤). وحين أشار لوقا، بطريقة غير موفقة، "دون إحصاء سوى الرجال" (رج متّى ١٤: ٢١)، فقد أوحى بأنّ هناك نساء بين المهتدين في ذلك اليوم. كان بإمكانه أن يقول ذلك بطريقة أكثر أناقة، إذ من بين أحد الأمور الجديدة الملفتة في الكنيسة الناشئة، هو أنّه، مقابل الختان، تُمنح علامة الدخول في شعب الله الجديد، أي العماد، للنساء كما للرجال.

ب . بطرس ويوحنا أمام السنهدريم؛

صلاة الكنيسة (٤: ٥-٣١)

- ٤ ° فلماً كان الغدُ اجتمعَ في أُورَشَلِيمَ رؤساؤهم والشيوخُ والكتبةُ،
 ٦ وكان في المجلسِ حنّانٌ عظيمُ الكهنّةِ وقيافا ويوحنا والإسكندرُ وجميعُ الذين كانوا من سلالةِ عظماءِ الكهنّةِ.
 ٧ ثمّ أقاموهما في الوسطِ وسألوهما: "بأيّ قوّةٍ أو بأيّ اسمٍ فعلتما ذلك؟"
 ٨ فقالَ لهما بطرسُ وقد امتلأَ من الروحِ القدس: "يا رؤساءِ الشّعْبِ ويا أيّها الشيوخُ،

- ٩ إذا كُنَّا نَسْتَجِوِبُ الْيَوْمَ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى عَلِيلٍ لِيُعْرِفَ بِمَاذَا نَالَ الْخَلَاصَ،
- ١٠ فَاعْلَمُوا جَمِيعًا وَلِيَعْلَمَ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ كُلُّهُ أَنَّهُ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ فَأَقَامَهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ، بِهَذَا الْاسْمِ يَقِفُ أَمَامَكُمْ ذَاكَ الرَّجُلُ مُعَافَى.
- ١١ هَذَا هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي رَدَدْتُمُوهُ أَنْتُمْ الْبَتَّانِينَ فَصَارَ رَأْسَ الزَّرْوِيَّةِ.
- ١٢ فَلَا خَلَاصَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ مَا مِنْ اسْمٍ آخَرَ تَحْتَ السَّمَاءِ أُطْلِقَ عَلَى أَحَدِ النَّاسِ نَنَالُ بِهِ الْخَلَاصَ".
- ١٣ فَلَمَّا رَأَوْا جُرْأَةً بَطْرُسَ وَيُوْحَنَّا وَقَدْ أَدْرَكُوا أَنَّهُمَا أُمَيَّانَ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ، أَخَذَهُمُ الْعَجَبَ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَهُمَا مِنْ صَحَابَةِ يَسُوعَ،
- ١٤ وَهُمْ إِلَى ذَلِكَ يَرُونَ الرَّجُلَ الَّذِي شَفِيَ قَائِمًا قُرْبَهُمَا، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مَا يَرُدُّونَ بِهِ.
- ١٥ فَأَمَرُوهُمَا بِالْإِنْصِرَافِ مِنَ الْمَجْلِسِ، ثُمَّ تَشَاوَرُوا
- ١٦ وَقَالُوا: "مَاذَا نَصْنَعُ بِهِذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ؟ فَقَدْ جَرَتْ عَنْ أَيْدِيهِمَا آيَةٌ مُبَيَّنَةٌ، أَمْرُهَا وَاضِحٌ لِسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ أَجْمَعِينَ، فَلَا نَسْتَطِيعُ الْإِنْكَارَ.
- ١٧ لَكِنْ يَجِبُ الْأَلَّا يَزْدَادَ الْخَبْرُ انْتِشَارًا بَيْنَ الشَّعْبِ، فَلْنَهْدِّدُهُمَا بِالْأَلَّا يَعُودَا إِلَى الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْاسْمِ، أَمَامَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ".
- ١٨ ثُمَّ أَمَرُوا بِإِحْضَارِهِمَا، وَنَهَوْهُمَا نَهْيًا قَاطِعًا أَنْ يَذْكُرَا اسْمَ يَسُوعَ أَوْ يُعْلِمَا بِهِ.
- ١٩ فَأَجَابَهُمْ بَطْرُسُ وَيُوْحَنَّا: "أَمِنَ الْبِرُّ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَمْ الْأُخْرَى بِنَا أَنْ نَسْمَعَ لِلَّهِ؟ أَحْكُمُوا أَنْتُمْ.
- ٢٠ أَمَّا نَحْنُ فَلَا نَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ عَنِ ذِكْرِ مَا رَأَيْنَا وَمَا سَمِعْنَا".
- ٢١ فَهَدَّدُوهُمَا ثَانِيَةً ثُمَّ أَطْلَقُوا سِرَاحَهُمَا، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَى مُعَاقِبَتِهِمَا. وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ مُرَاعَاةً لِلشَّعْبِ، فَقَدْ كَانَ جَمِيعُ النَّاسِ يَمَجِّدُونَ اللَّهَ عَلَى مَا جَرَى،
- ٢٢ لِأَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي جَرَتْ فِيهِ آيَةُ الشِّفَاءِ هَذِهِ جَاوَزَ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ.
- ٢٣ فَلَمَّا أُطْلِقَ سِرَاحُهُمَا رَجَعَا إِلَى أَصْحَابِهِمَا وَأَخْبَرَاهُم بِكُلِّ مَا قَالَ لَهُمَا عِظْمَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ.
- ٢٤ وَعِنْدَ سَمَاعِهِمْ ذَلِكَ، رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ إِلَى اللَّهِ بِقَلْبٍ وَاحِدٍ فَقَالُوا: "يَا سَيِّدَ، أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ شَيْءٍ فِيهَا،
- ٢٥ أَنْتَ قُلْتَ عَلَى لِسَانِ أَبِينَا دَاوُدَ عَبْدِكَ، بِوَحْيِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ:
- لِمَاذَا ضَحَّتِ الْأُمَمُ وَإِلَى الْبَاطِلِ سَعَتِ الشُّعُوبُ؟

- ٢٦ مُلُوكِ الْأَرْضِ قَامُوا وَعَلَى الرَّبِّ وَمَسِيحِهِ تَحَالَفَ الرُّؤَسَاءُ جَمِيعًا
- ٢٧ تَحَالَفَ حَقًّا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ هِيرُودُسُ وَبُنْطَيْيُوسُ بِيلاطُسُ وَالرُّوتِّيُّونَ وَشُعُوبُ إِسْرَائِيلَ عَلَى عَبْدِكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ الَّذِي مَسَحْتَهُ،
- ٢٨ فَأَجْرُوا مَا خَطَّتُهُ يَدُكَ مِنْ ذِي قَبْلُ وَقَضَّتْ مَشِيئَتَكَ بِحُدُوثِهِ.
- ٢٩ فَانظُرْ الْآنَ يَا رَبُّ إِلَى تَهْدِيدَاتِهِمْ، وَهَبْ لِعَبِيدِكَ أَنْ يُعْلِنُوا كَلِمَتَكَ بِكُلِّ جُرْأَةٍ
- ٣٠ بِاسِطًا يَدَكَ لِيَجْرِيَ الشِّفَاءُ وَالْآيَاتُ وَالْأَعَاجِيبُ بِاسْمِ عَبْدِكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ."
- ٣١ وَبَعْدَ أَنْ صَلُّوا زُلْزَلَ الْمَكَانُ الَّذِي اجْتَمَعُوا فِيهِ. وَامْتَلَأُوا جَمِيعًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ، فَأَخَذُوا يُعْلِنُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ بِجُرْأَةٍ.

بطرس ويوحنا أمام السنهدريم (آ ٥-٢٢)

كما في لو ١٠:٢٠، تحصى آ ٥ أشخاصًا يشكِّلون السنهدريم، أو المجلس الأعلى، وهو سلطة عليا في إسرائيل. قد يكون لوقا أراد الإشارة إلى أن المقصود ليس اجتماعًا رسميًا للسنهدريم بكامل أعضائه، وإنما في حضرة أشخاص ذوي مكانة (آ ٦). ويقترف لوقا المؤرِّخ هنا الهفوة الصغيرة ذاتها التي وقع فيها في لو ٢:٣، وهي هنا أكثر جسامةً. فمن أجل تحديد زمان دعوة يوحنا المعمدان، كان قد كتب: **كان عظيمًا الكهنة حنان وقيافا؛** أما الآن فإنه يشير إلى كون حنان فقط هو عظيم الكهنة، في حين أننا نعلم أن عظيم الكهنة الفعلي من سنة ١٨ حتى ٣٦ كان في الواقع قيافا. لكن الهفوة قابلة للمساحة، إذ إن حنان، حما قيافا، كان عظيم الكهنة الذي حطه الرومان من وظيفته سنة ١٥، وكان لا يزال يمارس في الظل تأثيرًا كبيرًا، كما نرى ذلك في يو ١٨:١٣.ي.

إن الموازة بين يسوع والرسل - ويوحنا - بها لوقا بطرق عدّة في سفر أعمال الرسل - واضحة في آ ٧. إذ إن استجواب بطرس ويوحنا من قِبَل السلطات هو الردّ على استجواب يسوع عندما كان يعلم في الهيكل، في لو ٢٠:١-٢. هل كان بإمكانهما ان يربطا عملهما بسلطة أسمى تشرّعه؟

آ ٨-١٢

سيكرّر بطرس أمام السنهدريم التفسير الذي كان قد أعطاه للشعب في الليلة السابقة. ومن أجل ألاّ يتعب لوقا القارئ، هوذا يعطيه تعبيرًا مكثفًا، لكنّه ليس أقلّ قوّة.

بدايةً، عندما يذكر أن بطرس مملوء من الروح القدس (آ ٨)، فهو أتماً يحدّد بوضوح أنه، إذا كان التجلي الخاصّ جدّاً للروح القدس يومَ العنصرة (أعجوبة الألسن) علامةً استثنائيةً، فإنّ العطيّة الأساسيّة، أي الإلهام الذي يُولي سلطاناً لكلمة الرسل، كان حقيقةً تدوم. ولدينا هنا تميم وعد يسوع الذي أورده لو ١١:١٢.

تصطبّع بدايةً جواب بطرس بشيء من السخرية: ذلك ان الاستجواب الذي لا يُمليه لا الفضول اللاهوتي ولا حسن الطوية، بل ينطلق من عدائيّة مفتوحة تجاه أناس سُجِنُوا، لم يكن الدافع إليه سوى صنيع حَسَنٍ تجاه معتلّ! يشير بطرس، وبانسجام مع ميزة لوقاوية بشكل خاصّ (رج لو ٩:٦؛ ٣:٧؛ ٣٦:٨؛ إلخ)، إلى شفاء المعتلّ بالفعل "مخلص" (آ ٩)، الأمر الذي سيسمح له باستعادة مصطلح "المخلص" بالمعنى القوي والتامّ في اعتراف جريء وهائبي. فهذا الشفاء قد وُضِعَ علنًا، ومن جديد، في رصيد قدرة اسم يسوع، هذا الرجل الذي يجري التذكير بمصيره في إيجاز مؤثّر: صلبتموه، أقامه الله (هذه المرّة، يقصد ضميرُ المناداة المخاطبُ الجمعُ "أنتم" المسؤولين المباشرين عن موت يسوع). ولدينا هنا اقتباس جديد يوضح عمَلَ الله الذي يقلب رأسًا على عقب حُكْمَ الناس؛ إنّه نصّ مز ١١٨:٢٢ الذي كان يسوع قد استشهد به، استنادًا إلى الأناجيل الثلاثة الإزائية، في ختام مثل الكرامين القتلّة (متى ٤٢:٢١؛ رج أيضًا ١ بط ٢:٧). لا يدعو بطرس صراحةً هؤلاء الرؤساء الدينيين الإسرائيليين إلى التوبة، لكنّ هذه الدعوة هي ضمنيّة في ختام آ ١٢: عليهم هم أيضًا أن يعترفوا بأن اسم يسوع هو الاسم الوحيد المعطى للناس، والذي يستطيع أن يخلصنا: وعندما يتجاوز بطرس عدائيّة محاوريه، ألا يضمّنهم في هذا الـ نحن؟ يمكننا أن نأسف ألا تكون الترجمة الليتورجية -وهي هنا أكثر إيجازًا من النصّ الأصلي- قد أعطت الملاحظة حول الشموليّة إلاّ بشيء من المبالغة التي أضفاها بطرس على مناداته قائلاً: الاسم الوحيد تحت السماء الذي أُعطي للناس. وهو بذلك يلتقي مع النشيد الكريستولوجيّ في فل ٢ (آ ٩-١١).

٢٢-١٣ آ

تصف آ ١٣-١٤ أيضًا، مع شيء من السخرية، ارتباك المحاورين الذين يرون الجرأة لدى بطرس ويوحنا؛ هذه المفردة تميّز رواية أعمال الرسل في هذا الفصل، إذ إنّنا

نجدها مجدداً في آ ٢٩ و ٣١. مع إحصاء الفعل الموافق، "تكلّم بجرأة"، تكون هذه المفردة قد ظهرت ١٢ مرّة في مجمل الكتاب وحتى آخر آية منه. تلك واحدة من ثمار الروح، القادر أن يملأ الناطقين باسم الإنجيل جرأةً وصموداً ازاء التهديد، حتى ولو كانوا أصلاً رجالاً جهالاً. والرؤساء الدينيون الذين كانوا قد استنتجوا بنفسهم سلطان كلمة يسوع، ينسبون هذه الجرأة المدهشة في نظرهم إلى تأثير المعلم على التلاميذ. لكن حضور الإنسان الذي شفي (هل أتى ليشهد لصالح الذين شفّوه؟ يبقى حضوره في النصّ دون تفسير) جعلهم لا يعرفون كيف يردّون. كان يلزمهم إذاً أن يتشاوروا في غياب المتهمّين حول هذه المسألة الدقيقة. وإذا كانوا عاجزين عن أن ينكروا الأعجوبة الشهيرة (حرفياً: الآية) التي تعرفها أورشليم بأسرها، توخّوا أن يضعوا حدّاً لتعليم مُقلق بالنسبة إليهم، من خلال منع الرسل، بشكل حازم، من أن يتلفظا باسم يسوع (آ ١٥-١٨).

وجاء ردّ بطرس ويوحنا مملوءاً كرامة وجرأة في آنٍ معاً (آ ١٩-٢٠). فلقد وضع مبدأ عدم الطاعة الروحية لسلطة معترفٍ بها، باسم سلطة أسمى، هي سلطة الله بالذات، إذ منه تلقياً الأمر بإعلان الخلاص المنجز في اسم يسوع. بهذه القناعة الحازمة، كان يستحيل عليهم أن يصمتوا. وستتوقّف هذه المواجهة الأولى بين الرسل والسنيهدريم، بتبرئة الرّجائيين. وكما كانت الحال في لو ١٩:٢٠ و ٢٢:٢، هو الخوف من الشعب الذي يؤيّد الرسل، كما كان يؤيّد يسوع أيضاً، وقد حال دون ذهاب السلطة إلى أبعد، بالرغم من رغبتها في معاقبة هؤلاء الحاملين بلاعاً هدّاماً. وتنتهي الرواية بالقول بان أعجوبة الشفاء صارت أكثر روعةً، إذ أنّ المعتلّ منذ مولده كان في حالة معاناة منذ ما يزيد على أربعين سنة! والشعب الذي كان مذهولاً فقط في ٣:١٠، نراه الآن منقاداً إلى تمجيد الله لأجل ما حصل (آ ٢١-٢٢).

صلاة الكنيسة (آ ٢٣-٣١)

تخير آ ٢٣-٣١ عن ردة فعل الإخوة في أورشليم، عندما جاء بطرس ويوحنا اللذان أُطلق سراحهما، يقدّمان تقريراً عمّا جرى من أحداث، وبالتأكيد عن التهديدات التي تفوّه بها أعضاء السنيهدريم. وكان جواب الجماعة الصلاة، صلاة هي في آنٍ معاً تفسير روحي للوضع، والتماس الحصول على القوّة من أجل مواجهته. وبما أنّ لوقا لم يذكر إلا بشكل عامّ نشاط هذه الجماعة في مجال الصلاة (رج ٤٢:٢)، فقد استفاد من المناسبة لكي يحدّد مضمونها. ونكتشف أنّ مضمونها لا يتضمّن شيئاً غريباً، نظراً إلى

نماذج الصلاة اليهودية في الجمع، سوى المناذاة الأخيرة باسم يسوع. في الواقع، كانت مناداة الله الخالق في البداية تقليدية بالتمام (آ ٢٤)؛ وكذلك أيضاً طريقة الاستشهاد بنص من الكتاب المقدس (لم يكن للمسيحيين بعد من كتاب مقدس سوى البيبليا اليهودية)، من أجل تسليط الضوء على أمر راهن. لقد بدت لهم المؤامرة التي أدت إلى موت يسوع، وفيها تحالف هيرودس وبنطوس بيلاطس، والوثنيون وشعب إسرائيل، كتأوين لـ مز ٢ الذي أعلن عن حنق عظماء هذا العالم ضد الرب ومسيحه. اهم لا يقتبسونه منه سوى الآيتين الأوليين، لكنهم يعرفون جيداً التتمة: فهي تؤكد أن الله يستهزئ بهذا الشعب، إذ لا يمكن أن تكون مسألة اختيار الملك الذي كرّسه، في قراره المطلق، موضوع نقاش.

وتعزز فكرة تميم تصميم الله إيمانهم بقدرته وبحكمته، من دون أن تصبح تهديدات الخصوم تهديدات وهمية. لذلك تنتهي صلاتهم بطلب التمكّن من الاحتفاظ بـ جرأة تامة في إعلان الكلمة، مهما حصل، وأن تواكب هذه الكلمة أيضاً آيات فعالة (آ ٢٩-٣٠). وجواباً على ذلك، تلقوا عطية قوة الروح: كما في العنصرة، امتلأوا كلهم من الروح القدس، وكلهم (وليس فقط بطرس ويوحنا) هم حملة كلام الله بالجرأة المطلوبة. وسيكون لهذا الجزء الأخير من الجملة، في نهاية حلقة طويلة، شكل ملخصٍ تعميميٍّ، سيلي، مع فعل بصيغة الماضي.

٣- الكنيسة الأولى: مقاسمة الخيرات (٤: ٣٢-٣٧)

٣٢ وكان جماعة الذين آمنوا قلباً واحداً ونفساً واحدة، لا يقول أحدٌ منهم إنه يملك شيئاً من أمواله، بل كان كلُّ شيءٍ مشتركاً بينهم،

٣٣ وكان الرُّسُلُ يُؤدُّونَ الشهادةَ بِقيامَةِ الرَّبِّ يسوع تصحبها قوةٌ عظيمة، وعَلَمُهُمْ جَمِيعاً نعمةً وافرَةً.

٣٤ فلم يكن فيهم محتاج، لأنَّ كلَّ من يملك الحُفُولَ أو الثبوت كان يبيعها، ويأتي بثلثين المبيع،

٣٥ فيلقيه عند أقدام الرُّسُلِ. فيُعطي كلُّ منهم على قدر احتياجه.

٣٦ وإنَّ لاويًّا قُرْسِيًّا اسمه يوسف، ولقبه الرُّسُلُ برنابا، أي ابن الفرج،

٣٧ كان يملك حقلاً فباعه وأتى بثلثه فألقاه عند أقدام الرُّسُلِ.

تسلط هذه اللوحة الجديدة الشاملة، أكثر من الأولى، الضوء على سمة مميزة للكنيسة الناشئة، ألا وهي اقتسام الخيرات. وإذا ما تكلمنا بدقة، يتوقف الملخص، مع أفعاله بصيغة الماضي، في آ ٣٥. وتعطينا حالة برنابا التي يجري الكلام عليها في آ ٣٦-٣٧، مثلاً واقعياً لهذه الممارسة، هو بمثابة ردّ على المثال السلبي الذي سيضعه لوقا مباشرةً بعد ذلك.

في آ ٣٢، مع اعتبار التزايد العدديّ الهامّ للجماعة، وقد أصبحت حشدًا كبيرًا (لا يخشى لوقا أحياناً من استخدام المغالاة)، يدهشنا أن نسمع التذكير بأن الإيمان الجديد قد صنع وحدة قلب وروح غير عادية بين هؤلاء الأشخاص المختلفين جدًّا، وأن هذه الوحدة الروحية تتجلى في تقاسم الخيرات المادية. في الواقع، ان إمكانية هذه الممارسة مرتبطة بانتصار الروح في قلوبهم على غريزة التملك، وهي مصدر الكثير من المباحكات والانقسامات في المجتمع. وقبل تفصيل هذه الممارسة بعض الشيء، يشعر لوقا بالحاجة إلى تذكير القارئ بالأصل الحقيقي لهذا التبدّل في الذهنية: **قيامه الرب يسوع التي يشهد لها الرسل بقوة، هي التي أتت لتجعل كل شيء جديدًا، لمن يعيشون كلياً وفق نعمة الله (آ ٣٣).**

تسعى آ ٣٤-٣٥ إلى وصف كيفية سير النظام الاقتصادي الذي تمّ وضعه في كنيسة أورشليم، وقد كانت غايته واضحة عندما كتب لوقا بأنه لم يكن بينهم محتاج. هذا هو الهدف المثالي الذي ينبغي أن تحفظه الجماعات المسيحية كلّها، فيما تتبدّل بالضرورة الوسائل للبلوغ إليه، وفق إمكانيات التنظيم الواقعية، في ظروف الكنيسة والعالم المتبدّلة. علاوةً على ذلك، وبنظرة مدقّقة، لا يوحى لوقا إطلاقاً، كما تمّ تخيُّله أحياناً، بأن الكنيسة كانت نوعاً من الفريق الشعبي، يُرغمُ كلُّ أعضائه على مساواة مدقّقة، أو على نوع متجانس من الحياة ذات شكل واحد! انه يكلمنا على صندوق مشترك تغذّيه مبيعاتُ أملاك، ويتولّى الرسل إدارته، بهدف إعادة توزيع يسمح لكل واحد بأن يكون له الضروريّ للعيش. تحت هذا الشكل، لم يكن ذلك بالتأكيد نظاماً قابلاً للديمومة، كما لم يكن في نية لوقا أن يعرض نموذجاً اقتصادياً معيارياً؛ فهو انما يشهد خاصّةً لروح جديدة من الأخوة التامة، استطاعت، لبعض الوقت، أن تتجسّد بهذا الشكل. هل يجب أن نعتقد أن هؤلاء المسيحيين الأوائل لم يكونوا يهتمون بتنظيم يصلح

لمدة طويلة، لأنهم كانوا ينتظرون عودة الربّ الوشيكة؟ لقد ادّعي ذلك غالباً، لكنّ لوقا لا يقول شيئاً من هذا القبيل في هذا المقطع.

إذا أُعطيَ مثلٌ محسوس في آ ٣٦-٣٧، فعلى الأرجح لأنها كانت المناسبة لإدخال شخص جديد في الرواية، هو يوسف الملقّب برنابا (حرفياً: ابن التحريض)، الذي سيلعب لاحقاً دوراً هاماً. إنها أيضاً بالتأكيد طريقة لجعل الممارسة المعروضة بشكل تعميمي في الموجز، نسيية. ذلك ان لوقا يبيّن أنّ المقصود هو مبادرة حرّة، لم تكن تفرض ذاتها على الجميع كشرعية مُلزِمة. وسيقول بطرس ذلك في الحلقة التي تلي.

٤- الصعوبات الأولى.

حنانيا وسفيرة يرفضان النقاس (١-١١)

- ١ وإن رجلاً اسمه حننيا باع ملكاً له بموافقة امرأته سفيرة،
- ٢ فاقطع قسماً من الثمن بعلم من امرأته، وأتى بالقسم الآخر فألقاه عند أقدام الرُّسل.
- ٣ فقال له بطرس: "يا حننيا، لماذا ملأ الشيطان قلبك فكذبت على الروح القدس، واقتطعت قسماً من ثمن الحقل؟
- ٤ أما كان يبقى لك لو بقي على حاله؟ أو ما كان من حَقِّك بعد بيعه أن تتصرف بثمنه كما تشاء؟ كيف طويت قلبك على هذا الأمر؟ أنت لم تكذب على الناس، بل على الله".
- ٥ فلما سمع حننيا هذا الكلام وقع ولفظ الروح. فاستولى خوف شديد على جميع الذين سمعوا بذلك.
- ٦ فجاء الفتيان فكفّنوه وذهبوا به ودفنوه.
- ٧ ومضى نحو ثلاث ساعات، فدخلت امرأته وهي لا تعلم ما جرى.
- ٨ فسألها بطرس: "قولي لي، أبكدا بعثما الحقل؟"، فقالت: "نعم، بكدا".
- ٩ فقال لها بطرس: "لماذا اتفقتما على تجرية روح الرب؟ ها هي ذي أقدام الذين دفنوا زوجك على الباب، وسيذهبون بك أنت أيضاً".

١٠ فَوَقَعَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَقْتِهَا وَلَفْظَتِ الرُّوحَ. فَدَخَلَ الْفَتِيانُ فَوَجَدُوهَا مَيِّتَةً، فَذَهَبُوا بِهَا وَدَفَنُوهَا بِجَانِبِ زَوْجِهَا.

١١ فَاسْتَوْلَى خَوْفٌ شَدِيدٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ كَافَّةً وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذَلِكَ.

ليس عنوان الترجمة الليتورجية دقيقاً بالتمام: حنانيا وسفيرة، استناداً إلى آ ١-٢، "لم يرفضاً التقاسم"؛ وإنما صَعَاً تقاسماً غير كامل، دون أن يقولاً ذلك. كأننا يتمنيان، عن غرور، أن يُحصيَا في عداد المسيحيين الأسخياء، ولكنهما، سواء عن جشع أو خوف من المستقبل، أرادَا أن يحتفظَا ببعض المدخرات؛ إذَاك حَوْلَا جزءاً من مبيع مُلْكِيَّة، فلم يضعاهما كُلَّها بتصرفُ الرسل.

لن يُلامَا وكأنَّهما رفضا التقاسم، لأنَّ بطرس سيقول بوضوح لحنانيا أنَّه كان بإمكانهما أن يحتفظَا، إمَّا مُلْكِيَّتَيْهِمَا، أو بئمن الأرض التي باعاهما (آ ٤). أمَّا ملامة بطرس الجسيمة، فكانت تطال استسلامهما للتجربة الشيطانية، إذ كذبَا على الروح القدس (آ ٣). ذلك ان إبليس هو الذي يقسم، وهو الذي يسعى إلى أن يهدم عمل الله، ويفصل ما جمعه، وهو، استناداً إلى يو ٨: ٤٣، أبو الكذب. وتُفسَّرُ قسوة بطرس بالخوف من أن يُدخِلَ الرياءُ والنفاقُ المتضافِر، كما أظهرهما حنانيا وامراته، بذارَ هدم خطير في جماعة متَّحدة في "روح الحق".

لقد كانت وحدة الكنيسة على المحكِّ، أي حياتها بالذات. فلنسا إذا ازاء تحذير جديد في شأن إغراء المال، بل ازاء عبرة يعي لوقا أن ينقلها إلى قارئيه المسيحيين، عن طريق نقل ما يبدو ظاهرياً رواية من تقليد شعبي.

من المحتمل أن يكون في أصل هذه الرواية وفاتين مفاجئتين لعضوين في الكنيسة. لنلاحظ هنا (آ ١١) الاستعمال الأوَّل للكلمة "عضو" في كتاب لوقا: ليست مستعملة في إنجيله، ونصادفها ١٩ مرّة في سفر أعمال الرسل؛ أما في العهد القديم اليوناني، فكانت تشير اعتيادياً إلى شعب الله الملتئم.

قد تكون هذه أوَّل حالة وفاةٍ لمسيحيين، في حين كان يُعتَقَدُ أنَّ هذا الجيل سبرى في حياته مجيء الرب. يُحتمل أن يكون هذا الموت قد أدَّى إلى اضطراب الجماعة بشكل

عميق (رج آ ٥ و ١١)، ولم يمكن تفسيره إلا بكونه عقاباً نموذجياً على خطيئة جسيمة جداً! أما إخراج الرواية، فقد استلهم حدثاً بيبيئياً من النوع ذاته. ففي يش ٧، كانت جريمة عاكان المخفية سبب هزيمة جيوش إسرائيل، وقد كشفها الله ليشوع: لقد حوّل هذا الرجل لمنفعته (الفعل ذاته مستعمل في روايتنا) قسماً من الغنيمة المخصصة لله. وقد تمّت معاقبته بالموت، لأنه أدخل الحرم في شعب الله، وسبب بالتالي هزيمته أمام العدو!

يحمل القسم الأوّل من الرواية في طيّاته المعنى العميق لما حدث، ويبقى بسيطاً ومعتدلاً بما فيه الكفاية. لا يقال بأن بطرس لعن حنايا؛ لقد أظهر حقيقته، وقد يعود سبب موته المفاجئ إلى صدمة نفسية! وإن تكرار القصة، وهو أمرٌ تمطّي في رواية شعبية، هو الذي برّز طابعها المأساويّ والهزليّ: تكرر آ ١٠-١١، كلازمة حزينة، عناصر آ ٥-٦. قبلاً، لعب بطرس دوراً هزلياً لشراطيّ ينصب فخاً لسفيرة (آ ٨)، ومن ثمّ يتنبأ بموتها، معلماً إياها بفكاهة سوداء، موت زوجها، الأمر الذي كانت تجهله (آ ٩)؛ كل هذا يبدو غير محتمل، ومن قبيل التضخيم الأسطوريّ. ويحقّ لنا أن نتساءل عمّا إذا كان لوقا ملهماً لدى تدوينه هذه اللوحة القاتمة، وهي تتعارض مع الدعوة إلى الندامة وقبول مغفرة الله. لقد كان يريد دون شكّ أن يخترق بقوّة خيال قارئه، لكي يُسمع الكنيسة تحذيراً ضرورياً: عليها أن تخشى، قبل كلّ شيء، كلّ ما يهدّد وحدتها من الداخل، بفعل ابليس الذي يجزّي، أكثر من خشيتها الأعداء الخارجيين الذين لا يمكنهم أن يدمروها إلا بالقمع الجسديّ. فلقد كان الخوف العظيم الذي حلّ بالكنيسة كلّها (آ ١١) على مقياس النعمة العظيمة التي كانت تستقرّ عليها (رج ٤: ٣٣): تفهم الكنيسة أنّها بازاء نعمة مطلّبة، تثير في القلوب الخوف الخلاصيّ من عصيان الله القدّوس. وهكذا يلتقي لوقا مع تحريض الرسالة إلى العبرانيين: "فلنعبد الله بطريقة يرضى عنها، بتقوى وورع، فإنّ إلهنا نار آكلة" (عب ١٢: ٢٨).

٥- الكنيسة الأولى: عجائب الرسل (١٢-١٦)

^{١٢} وكان يجري عن أيدي الرسل في الشعب كثير من الآيات والأعاجيب (وكانوا يجتمعون كلّهم دون استثناء في رواق سليمان.
^{١٣} ولم يجرؤ أحد من سائر الناس أن يلتحق بهم، مع أنّ الشعب كان يُعظم شأنهم.

- ١٤ بل كانت جماعات الرّجال والنساء تزداد عدداً فننضم إلى الربّ بالإيمان،
 ١٥ حتّى إنهم كانوا يخرجون بالمرضى إلى الشوارع، فيضعونهم على الأسرّة والفُرش،
 لكي يقع ولو ظلّ بطرس عند مروره على أحد منهم.
 ١٦ وكانت جماعة الناس تُبادر من المذنب المجاورة لأورشليم، تحمّل المرضى والذين
 بهم مسّ من الأرواح النجسة فيشفون جميعاً.

يعود هذا الملخص الثالث المتعلق بحياة كنيسة أورشليم، فيتناول بعض موضوعات الملخص الأول، في حين كان الثاني قد وسّع بشكل أخصّ موضوع تقاسم الخيرات. وتأتي آ ١٢ لتبيّن أنّ خطر الانقسام الذي تجلّى في الحدث السابق قد استبعد بشكل ظافر، لأنّ كلّ المؤمنين أظهروا قلباً واحداً. انه يؤكّد أيضاً أنّ المسيحيين الأوائل كانوا يواظبون على ارتياد الهيكل. وعندما تتكلّم الرواية على رواق سليمان، فهي تذكر بـ ١١:٣: على الأرجح أنهم كانوا هناك إذاً من أجل سماع كرازة الرسل. ولأنّ "الكثير من الآيات والمعجزات" كانت تجري ولا شك على أيديهم، لاحظ لوقا، في مفارقة واضحة، في آ ١٣، أنّ الآخرين لم يكونوا يجرؤون على الانضمام إليهم، وقد يكون ذلك ولا شك بدافع من الخوف في حضرة الله، دون أن يحول ذلك دون مديح الشعب لهم، واهتداء أناس عديدين. وهنا يُشدّد لوقا بشكلٍ موفق أنّ المقصود هم رجال ونساء.

وتشدّد آ ١٥-١٦ من جديد على عجائب شفاء. وتحملنا كتابة الموجز على التفكير بـ لو ٦:١٨، وبالأكثر أيضاً بـ مر ٦:٥٥، مع الدكر الخاصّ لأناس "تعذبهم أرواح شريرة". ذلك يبيّن من جديد الموازة بين نشاط الرسل، وبين عمل يسوع إبان رسالته الأرضية. وكما كان الأمر آنذاك، كانت شهرة الشفاءات تحتذب الجموع التي يتخذ إيمانها لون انتظار سحريّ بعض الشيء. وكما لم يشجب يسوع (رج لو ٨: ٤٤-٤٨)، ثقة ساذجة كهذه، هكذا لم يفكر لوقا بشجب ثقة يستجيبها الربّ برحمته.

هذا النجاح الشعبي الذي شدّد عليه هذا الملخص، يُعدّ القارئ طبيعياً لفهم ردّة فعل السلطات السليبية، وهي تشكّل موضوع الحلقة التالية.

٦- محاكمة جديدة: نوكيف الرسل وإطلاقهم (١٧:٥-٤٢)

١٧ فقام عظيم الكهنّة وجميع حاشيته من مذهب الصدوقيين، وقد اشتدّت نفقتهم،

- ١٨ فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى الرَّسُلِ وَوَضَعُوهُمْ فِي السَّجَنِ الْعَامِّ.
- ١٩ غَيْرَ أَنَّ مَلَكَ الرَّبِّ فَتَحَ أَبْوَابَ السَّجَنِ لَيْلاً وَأَخْرَجَهُمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:
- ٢٠ "إِذْهَبُوا وَقِفُوا فِي الْهَيْكَلِ وَحَدِّثُوا الشَّعْبَ بِجَمِيعِ أُمُورِ هَذِهِ الْحَيَاةِ".
- ٢١ فَسَمِعُوا لَهُ وَدَخَلُوا الْهَيْكَلَ عِنْدَ الْفَجْرِ وَأَخَذُوا يُعَلِّمُونَ.
- فَجَاءَ عَظِيمُ الْكَهَنَةِ وَحَاشِيَتُهُ، فَدَعَا الْمَجْلِسَ، أَيَّ جَمِيعِ شُيُوخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَأَرْسَلُوا إِلَى السَّجَنِ مَنْ يُحْضِرُهُمْ.
- ٢٢ فَذَهَبَ الْحَرَسُ فَلَمْ يَجِدُوهُمْ فِي السَّجَنِ، فَارْجَعُوا وَأَحْبَرُوا
- ٢٣ فَقَالُوا: "وَجَدْنَا السَّجْنَ مُغْلَقًا إِغْلَاقًا مُحْكَمًا وَالْحَرَسَ قَائِمِينَ عَلَى الْأَبْوَابِ، وَلَكِنْ
لَمَّا فَتَحْنَاهُ، لَمْ نَجِدْ فِيهِ أَحَدًا".
- ٢٤ فَلَمَّا سَمِعَ قَائِدُ حَرَسِ الْهَيْكَلِ وَعُظَمَاءُ الْكَهَنَةِ هَذَا الْكَلَامَ، حَارُوا فِي أَمْرِ الرَّسُلِ
وَأَخَذُوا يَتَسَاءَلُونَ مَا هَذَا الَّذِي جَرَى.
- ٢٥ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ وَأَخْبَرَهُمْ قَالَ: "هَا إِنَّ الرِّجَالَ الَّذِينَ وَضَعْتُمُوهُمْ فِي السَّجَنِ
قَائِمُونَ فِي الْهَيْكَلِ يُعَلِّمُونَ الشَّعْبَ".
- ٢٦ فَذَهَبَ قَائِدُ حَرَسِ الْهَيْكَلِ وَرِجَالُهُ، فَجَاءَ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ غُنْفٍ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَخْشَوْنَ
أَنْ يَرْمِيَهُمُ الشَّعْبُ بِالْحِجَارَةِ.
- ٢٧ فَلَمَّا جَاؤُوا بِهِمْ وَأَقَامُوهُمْ أَمَامَ الْمَجْلِسِ، سَأَلَهُمْ عَظِيمُ الْكَهَنَةِ قَالَ:
- ٢٨ "تَهَيَّنَاكُمْ أَشَدَّ النَّهْيِ عَنِ التَّعْلِيمِ بِهَذَا الْإِسْمِ وَهَا قَدْ مَلَأْتُمْ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِكُمْ،
وَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا عَلَيْنَا دَمَ هَذَا الرَّجُلِ".
- ٢٩ فَأَجَابَ بَطْرُسُ وَالرُّسُلُ: "اللَّهُ أَحَقُّ بِالطَّاعَةِ مِنَ النَّاسِ.
- ٣٠ إِنَّ إِلَهَ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ إِذْ عُلِقْتُمُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ.
- ٣١ وَهُوَ الَّذِي رَفَعَهُ اللَّهُ بِيَمِينِهِ وَجَعَلَهُ سَيِّدًا وَمُخَلِّصًا لِيَهَبَ لِإِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا،
- ٣٢ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ. وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ الَّذِي وَهَبَهُ اللَّهُ لِمَنْ يُطِيعُهُ".
- ٣٣ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ اسْتَشَاطُوا غَضَبًا وَعَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِمْ.
- ٣٤ فَقَامَ فِي الْمَجْلِسِ فَرِيْسِيُّ اسْمُهُ جَمْلَانِيلُ، وَكَانَ مِنْ مُعَلِّمِي الشَّرِيعَةِ، وَلَهُ حُرْمَةٌ عِنْدَ
الشَّعْبِ كُلِّهِ. فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ وَقَتْنَا قَلِيلًا،

- ٣٥ ثم قال لهم: "يا بني إسرائيل، إياكم وما توشكون أن تفعلوه بهؤلاء الناس.
- ٣٦ فقد قام ثودس قبل هذه الأيام، وادعى أنه رجل عظيم، فشايعه نحو أربع مائة رجل، فقتل وتبدد جميع الذين انقادوا له، ولم يبق لهم أثر.
- ٣٧ وبعد ذلك قام يهوذا الجليلي أيام الإحصاء، فاستدرج قوماً إلى أتباعه، فهلك هو أيضاً وتشتت جميع الذين انقادوا له.
- ٣٨ وأقول لكم في صدد ما يجري الآن: كفوا عن هؤلاء الرجال، واتركوهم وشأنهم، فإن يكن هذا المقصد أو العمل من عند الناس فإنه سينتقض،
- ٣٩ وإن يكن من عند الله، لا تستطيعوا أن تفضوا عليهم. ويخشى عليكم أن تجدوا أنفسكم تحاربون الله". فأخذوا برأيه.
- ٤٠ ودعوا الرسل فضربوهم بالعصي ونهؤهم عن الكلام على اسم يسوع، ثم أخلوا سبيلهم.
- ٤١ أما هم فانصرفوا من المجلس فرحين بأنهم وجدوا أهلاً لأن يهانوا من أجل الاسم.
- ٤٢ وكانوا لا ينفكون كل يوم في الهيكل وفي البيوت يعلمون ويبشرون بأن يسوع هو المسيح.

يخبرنا لوقا هنا عن مجاهدة جديدة بين الرسل والرؤساء اليهود، في رواية مليئة بالحيوية والسخرية: أنه يوضح أولاً أن الخصوم الغاضبين جداً هم الكاهن الأعظم وحاشيته، لأنهم صدوقيون (رج ٤: ١٠). لقد ندموا على الاعتدال الذي أبدوه في ختام مثول بطرس ويوحنا أمامهم، لأن هذه الشيعة تتوسع، وتمتدع بتأييد الشعب، الأمر الذي يهدد سلطتهم. لذلك قرروا أن يقوموا بضربة قاضية عبر توقيف الرسل. ولا يقول لوقا إذا كان المقصود الاثني عشر بشكل عام، أم أولئك الذين أخذوا بالجرم المشهود وهم يبشرون بالإنجيل، وهذا يبدو أكثر منطقية.

٢٦-١٩ آ

يشكل التحرير العجائبي الذي حظي به الرسل معضلة واضحة بالنسبة إلى قارئ عصري. فمن غير الممكن لنا الوقوف على الحدث، ولذا يجب أن نكون متبهيين لأسلوب الرواية: ملاك الرب هو صورة أدبية متواترة في العهد القديم استعملها متى ولوقا في روايتهما بصدد طفولة يسوع (رج متى ٢٠: ١؛ ٢٣: ٢؛ ١٣: ١٩؛ لو ١١: ١؛ ٢: ٩)، أو بشأن القيامة (متى ٢٨: ٢)، وسنجد لها لاحقاً في رسل ٢٦: ٨؛ ٧: ١٢؛ ٢٣؛

وُتَسَخِّدَمَ للإشارة إلى وحيٍّ أو عملٍ محرَّرٍ من قِبَلِ الله، لا يمكن وصفه بحدِّ ذاته، ويعتَرَفُ عليه الإيمان في الغالب لاحقاً فقط (رج تك ١٦: ٢٨؛ رسل ١٢: ١١). إنَّها طريقة للكلام على تَدخُّلِ الله بين الناس، مع الاحتفاظ بسرِّ سموه. فملاك الربِّ، أي "مُرْسَلُهُ"، يعمل ويتكلَّم كما لو كان الله بالذات؛ وإنَّ الانزلاق من الواحد إلى الآخر هو على أيِّ حال ملفتٌ في بعض النصوص (رج خر ٣: ٢، ٤).

نحن نتعامل هنا مع نوع من "المدراس" (تأوين لمقطع من الكتاب المقدس) يؤوَّن به لوقا مز ٢ الذي أورده أعلاه، مستمتعاً في إظهار كيف أنَّ الله "يستَهزئ" بالذين يقفون ضدَّ مسيحه، حين يطاردون حاملي كلمته؛ قد يكون استلهم أيضاً مز ٨: ٣٤، حيث "ينجِّي ملائكة الربِّ أولئك الذين يخافونه". إنَّ فكاهة الله، وفكاهة الراوي، ظاهرة في الأمر الذي تلقَّاه الرسل بالتجاوز على المنع من إعلانِ البشرى السارَّة، ولا سيَّما في الهيكل. وتتواصل حتَّى آ ٢٦، في رواية تقطع النفس، مليئة بالحويَّة، وتستغني عن التعليق. وتجدر الملاحظة هنا إلى سِمة جديدة من التقارب مع الرواية الإنجيليَّة: ففي لو ٢٠: ٦، كانت السلطات ذاتها قد استحسنت اعتماد الفطنة، خوفاً من أن يرحمها الشعب! وهكذا استحقَّ المتَّهمون إذاً بعض المراعاة (آ ٢٦).

آ ٢٧-٣٣

تصبح النيرة من جديد أكثر وطأةً للإنخبار عن المثل الحديد أمام المجلس الأعلى (السنهدريم)، وعن الاستجواب الحديد على يد عظيم الكهنة. ويختلط الغضب لدى عظيم الكهنة من انه لم يُطع، بالخوف الذي يُعبَّر عنه في آ ٢٦، إذ إنَّ الشعب كان مزمماً أن يجعل السلطات مسؤولة عن موت يسوع، ذاك الذي يُمجَّد اسمه في أورشلهم كلَّها! (آ ٢٧-٢٨؛ رج متى ٢٧: ٢٥). وهنا يكتف لوقا إلى أقصى حدِّ ردِّ بطرس، كي يتحاشى التكرار، إذ إنَّها المرَّة الرابعة يعلن فيها الرسول البلاغَ الأساسيَّ لقيامه المصلوب، وبعين المفردات. يبدأ بطرس بإعطاء جوابه الخاصَّ على السؤال المطروح على السلطات، في ٤: ١٩، بهذه الجملة المتقنة جيِّداً: **يجب أن نطيع الله وليس البشر** (آ ٢٩). هذا يعني ضمناً ان ارادة الرؤساء اليهود، بالرغم من وظيفتهم، تتعارض في هذه المسألة مع إرادة الله، وهم الذي يعتبرون أنفسهم الممثلين الرِّسميين، وأنَّ قمعهم الاعباطي لا يستلهم

سوى مشاعر بشرية لا غير، مثل الخوف من فقدان ماء الوجه! لنفكر بالجرأة التي كان يمثلها، بالنسبة إلى يهودي أمين، استعمال لغة كهذه مع عظيم الكهنة، رئيس أمته!

لنتفحص بعض الملامح الفريدة من هذه الخطبة الوجيزة في آ ٣٠-٣٢: يتم ذكر الصليب بواسطة التعبير المستلهم من تث ٣٣:٢١، إذ علقتموه على خشبة (آ ٣٠)، وكان بولس قد استخدمه ليبيّن أن يسوع "أصبح لعنةً لأجلنا" (غل ٣:١٣). وهوذا يسوع يتلقّى لقبَ رئيس (رج ٣:١٥)، ومخلص، وهو لقب نادر في العهد الجديد (استخدامان فقط عند لوقا، واثان في سفر الأعمال). من المؤسف ألا تُنقل بدقة الصيغة الجميلة وهب الاهداء (آ ٣١)؛ فهو أوّل استخدام لهذه الكلمة التي تلتقي مع الفعل الذي يعني "بدّل جذرياً الذهنية"؛ وهذا التبديل يُقدّم هنا بمثابة فعل نعمة الله، حين سيحصل لاحقاً اندهاشٌ لأنها ستشمل أيضاً الأمم الوثنية (رج ١١:١٨). ويُلمح بطرس في الختام، وللمرة الأولى منذ العنصرة، إلى موهبة الروح القدس الذي هو، مع الرسل، شاهد على ذلك كله، أي على تمجيد المسيح وعلى نتائجه الخلاصية كلها. هذا الموضوع يعادل بالتمام ما يعلنه يسوع في خطبة الوداع بحسب يوحنا (رج يو ١٥:٢٦ي).

إنّ ردّة فعل السنهدريم على جواب بطرس الحازم، باسم الرسل كلّهم، كانت عفيفة. ويبلغ الصراع ذروته، حين نقرأ، وللمرة الأولى، أن أعضاء المجلس، وقد عيّل صبرهم من هذه الوقاحة، عزموا أن يقضوا على التلاميذ، كما قضوا على المعلم الذي ينتمون إليه (رج يو ١٥:٢٠). لكنّ تدخلاً غير متوقّع من أحدهم سيحوّل دون تنفيذهم هذا المخطط.

تَدخُلُ جَمَلِيل (آ ٣٤-٣٩)

يبيّن لوقا في إنجيله مرّات عدّة وجودَ فرّيسيّين متعاطفين مع يسوع. هذا هو الحال هنا من جديد، حيث يطيب للفرّيسيّ جمليل أن يتّخذ مسافة تجاه غيظ حزب الصدوقيّين الانتقامي؛ وهكذا، فإن حكمة عالم شهير بالشريعة، معروفٍ بميوله التحرّرية، جعلت زملاءه متنبّهين إلى الخطر الذي سيتعرّضون له إذا ما قمعوا بشكل وحشيّ هذه الشيعة المسيحانية الجديدة. ولكي يُقنعهم بذلك، قام بتذكيرهم بثورتين حديثتين قادهما روادٌ مسيحيّون أو "أنبياء" مُدّعون، وهما ثودس ويهوذا الجليليّ

(يذكرهما فلافيوس يوسيفوس المؤرّخ اليهودي). وسرعان ما أجهضت هذه الحركات بشكل يثير الشفقة. وهوذا جمليل يتخذ من ذلك حجةً ليؤكد على أنه، إذا كانت الحركة التي نشأت باسم يسوع ناجمة عن دوافع بشريةً بحتة، فإنها ستنهار كذلك؛ وإذا كانت، بالمقابل، من الله، فلا شيء يستطيع أن يقف عائقاً في وجهها. ولما كان عدم اليقين قائماً، اقتضت الحكمة إذاً بأن يأخذ الوقت مجراه لرؤية كيف تتطور الأمور، وهكذا يتم تجنّب الخطر من شنّ الحرب على الله بالذات!

٤٢-٤٠ آ

وإذ استعاد المجلسُ الفطنة بفضل هذه الخطبة، وقد يكون الدافع من جديد الخوف من الشعب (رج آ ٢٦)، أبدى المجلس رضوخه تجاه ما سمع؛ ولكن، حفاظاً على ماء الوجه، لم يُخل سبيل الرسل إلاّ بعد جلدِهِم (وهو الحلّ الذي كان ييلاطس قد اقترحه في حالة يسوع؛ رج لو ٢٣: ١٦)، مع تكرار، بطريقة ساذجة إلى حدّ كبير، الأمر بعدم التكلّم باسم يسوع.

لقد فكّر لوقا بالتأكيد بالتطوية ذات المفارقة التي كان قد أدرجها في إنجيله ٦: ٢٢، حين أَرانا الرسل يغادرون السنهدريم فرحين بأنهم وُجدوا أهلاً لأن يُهانوا من أجل الاسم. ولوقا، في هذا المقطع الأخير، بعد أن ذكر ١٣ مرّة اسم يسوع، بدءاً من ٢: ٢١، أخذ يكتب، بالفعل، الاسم لا غير. وهذه السمة هي ذاتُ مدلول: في الواقع، كان اليهود يستخدمون بشكل اعتيادي هذا التعبير للإشارة إلى الله بالذات، مع تحاشيهم لفظ اسمه المقدّس. وبعين يقين الإيمان الذي يجعل الرسل يُطلقون على يسوع لقب "الرب"، ها هم يجرؤون الآن على التماهي بين اسم يسوع والاسم الإلهي السري.

تشكّل آ ٤٢ ملخصاً قصيراً يختتم مرحلةً في تقدّم رواية لوقا. بالرغم من الصراع الذي يضع كنيسة أورشلهم في مواجهة مع السنهدريم، فإنها لم تتوقّف عن ارتياد الهيكل، لكي "تعلّم هناك وتعلن البشري السارة" (يتضمّن النصّ الفعلين اللذين يميّزان تعليم يسوع في الهيكل، في لو ٢٠: ١). فالجماعةُ تعتبر نفسها حركة مسيحية داخل الشعب اليهودي، وهي تأمل أن تقنعه، بالرغم من معارضة السلطات، بأن يسوع هو المسيح. والخصام بينها وبين الرؤساء الدينيين لا يدور سوى حول هذه النقطة، وهي حقاً نقطة رئيسة. لكنّ باقي الرواية سيبيّن قريباً، مع إسطفانوس، انطلاق خصام أكثر جذريّة.

٧- صعوبات أخرى بشأن النقاسم: إقامة السبعة (٦: ١-٧)

- ٦
 ١ في تلك الأيام كثر عدد التلاميذ، فأخذ اليهود الهليثيون يتذمرون على العبرانيين لأن أراملهم يهملن في خدمة توزيع الأرزاق اليومية.
- ٢ فدعا الاثنا عشر جماعة التلاميذ وقالوا لهم: "لا يحسن بنا أن نترك كلمة الله لنخدم على الموائد.
- ٣ فاجتوا، أيها الإخوة، عن سبعة رجال منكم لهم سمعة طيبة، مُمتلئين من الروح والحكمة، فنقيمهم على هذا العمل،
- ٤ ونواظب نحن على الصلاة وخدمة كلمة الله".
- ٥ فاستحسنّت الجماعة كلها هذا الرأي، فاختاروا إسطفانس، وهو رجل مُمتلئ من الإيمان والروح القدس، وفيلبس وبروخورس ونيقانور وطيمن وبرمناس ونيقلاوس وهو أنطاكيّ ذخيل.
- ٦ ثم أحضروهم أمام الرسل، فصلّوا ووضعوا الأيدي عليهم.
- ٧ وكانت كلمة الرب تنمو، وعدد التلاميذ يزداد كثيراً في أورشليم. وأخذ جمع كثير من الكهنة يستجيبون للإيمان.

يحيط بهذه الرواية القصيرة "لازمًا نمو" صغيرتان، كما لو كانتا من أجل أن تبيننا أن النزاع الذي كان بإمكانه أن يكون مؤذيًا لوحدة الكنيسة وإشعاعها قد حلّ بشكل مرض، وتم تجاوز الأزمة. لكن أولى هاتين اللازمين توحى بأن هذا النمو السريع قد أدى إلى مشكلات تنظيم غير متوقعة في البداية.

لحسن الطالع، تعيد الترجمة الليتورجية صياغة النصّ اليونانيّ الذي يقتصر على الإشارة إلى الفريقين المتصارعين باسم هليثيين وعبرانيين، وهما تسميتان ينقصهما الوضوح (لوقا هو الوحيد، في الأدب اليونانيّ، في ذلك الزمان، يستخدم التسمية الأولى). ويسمح سياق النصّ بأن نفهم، مع تذكّر رواية العنصرة أيضًا (٢: ٥-١١)، أن المقصود يهود مهتدون، كان بعضهم أصلًا من الشتات، وُلدوا في بلدان ذات ثقافة يونانية. من المتوقع أن يكون هؤلاء ذوي روح أكثر انفتاحًا من بني ديارتهم الذي يُعتون هنا بأنهم

عبرانيون (وهم يهود فلسطينيون بدون شك بقوا مناهضين لشيء من الهلينة). ونعلم هنا أنهم كَوّنوا فريقًا خاصًا في جماعة أورشلهم.

كانت الأرامل في الغالب، في ذلك الزمان، يتلقين المساعدات، ويقدر فريقُ الهلّيين بأنّ أراملهنّ يحصلن على خدمة أدنى، أي منسيّات، في الخدمة اليوميّة، بحسب الترجمة المسكونية (TOB). أما الترجمة الليتورجيّة، فترى في هذه الخدمة توزيع إعانة؛ كما يمكننا أيضًا أن نفكر بوجبات جماعيّة، إذ أن عبارة خدمة الموائد التي سيتكلّم بطرس عليها في الآية اللاحقة، قد تعني هذه أو تلك. على كلّ حال، المقصود هو إدارة الخيرات المشتركة، ومطالبة بمساواة في هذا المجال. هذه علامةٌ توتّر قد يكون جدّيًا، على الأرجح، بين الفريقين.

كانت للاثني عشر الذين بقوا حتّى الآن مسؤولين عن الجماعة، الحكمة لأخذ اتّهام الهلّيين على محمل الجدّ، كي لا يدعوا صراعًا صغيرًا يصبح جسيمًا. كما أنّهم لا يريدون أن يحلّوه بمفردهم، فدعوا بالتالي إلى عقد جمعيّة عامّة لعرض المعضلة والبحث عن حلّ معقول. وقد تكون حاضرة في ذهنهم المشورة الصالحة التي أعطهاها يثرو لصهره موسى، حين كان غارقًا بمفرده في مهمّة "القضاء" بين الشعب (رج خر ١٨: ١٣-٢٦). لذلك اقترحوا، ليس حلًّا يقوم على تنظيم مفصول للفريقين، الأمر الذي قد يؤدّي إلى تجزئة الكنيسة، بل حلًّا يقوم على تقاسم المسؤوليّات، وفق مبدأ جيّد يقضي بتوزيع العمل، في خدمة جماعة تبقى متّحدة.

يجب ألاّ يفهم كلامهم وكأنّه يعبر عن احتقار لمعضلات إداريّة، لأنّ هذه المعضلات، ومن أجل أن تُعالج بطريقة عادلة، تتطلّب رجالًا مملوئين روحًا قدسًا وحكمة (وهذه كانت صفة يوسف في مهمّاته كمدبّر في أرض مصر؛ رج تك ٤١: ٣٣-٣٨). إنّ تراكم مهمّات متزايدة قد يكون، بالنسبة إلى الاثني عشر، عقبة في وجه مهمّتهم الأوّليّة، ألا وهي خدمة الكلمة. لماذا اختاروا أن يسمّوا سبعة مسؤولين عن خدمة الموائد؟ لا يعطي لوقا جوابًا. وأوحى بعض المفسّرين بأنّ لذلك علاقة مع وجود سبعة "قضاة" كانوا مكلفين بنوع خاصّ بالاهتمام بالفقراء، في الجماعات اليهوديّة في الشتات، وهذا ممكن. وبما أنّ ما يلي سيبيّن أنّ هؤلاء السبعة هم أساس الانفتاح على

الوثنيين (رج ٢١:٨)، يمكننا أيضًا أن نرى تقاربًا هامًا في ذكر الخبزات السبع، والسلال السبع في الرواية الثانية لتكثير الخبزات، في مر ٨:٥، ٨، رواية ترمي بوضوح إلى أن تكون علامة رمزية لإعلان الإنجيل للأمم (التكثير الأول للخبزات أبرز الرقم اثني عشر، فاصدًا هكذا قبائل إسرائيل الاثني عشرة؛ مر ٦:٤٣).

قبلت الجماعة اقتراح الاثني عشر، وبادرت إلى انتخاب لا يُقال لنا شيء عن طريقة القيام به، لكن لا يبدو أنه كان بفعل قرعة، كما في ٢٦:١. والأمر الذي يجب إبرازه هو أن السبعة المختارين يحملون كلهم أسماء يونانية، وهذا ما يدعنا نفترض وجود إرادة متعمدة وحاذقة جدًا، بدلاً من القول بتسوية حكيمة توكل بموجبها مهمة إدارة أكثر مساواة إلى الفريق المتضرر: وسيسعون بالتأكيد إلى عدم إهمال الأرامل العبرانيات! نلاحظ روح الانفتاح الذي تجلّى باختيار وثني اهتدى إلى اليهودية (حرفياً دخيل)، أصبح بالطبع عضواً في الكنيسة؛ ولم يكن في الدين اليهودي ممكناً منح مسؤولية دينية إلى دخيل. وكما كان الحال سابقاً بالنسبة إلى برنابا، يُدخِل لوقا في روايته، وبشيء من التكتّم، اسم مدينة أنطاكية، حيث ستحصل لاحقاً أمور حاسمة (آ ٥).

توحي آ ٦ بتنصيب ليتورجي لهؤلاء الرجال السبعة. ويتكلم لوقا على وضع الأيدي دون أن يوضح معناه، معتبراً أن القراء المسيحيين يعرفونه (كما بالنسبة إلى العماد أو إلى كسر الخبز). تواكب هذه الحركة، في أماكن أخرى، دعوة الروح (رسل ٨:١٧؛ ٩:١٧؛ ١٩:٦)، لا سيما حين توكل خدمة جديدة باسم الكنيسة (١٣:٣). ذلك يؤكد أن مهمة إدارة الأمور مسؤولية روحية حقيقية، هي هامة للحفاظ على الوفاق الكنسي. ففي زمن كتابة لوقا، كانت خدمة "الشماسية" قد أضحت مؤسسة معترفاً بها في الكنائس (رج ١ طيم ٣:٨-١٣). ولم يستخدم لوقا هنا هذا اللقب، لأنه يعلم دون شك أنه لم يكن مستخدماً بعد في الكنيسة الأولى في أورشليم. ففي الرواية الحاضرة، لم يكن هدفه أصلاً أن يحدّد حيدماً منظّمة بدقّة: لن يجري لاحقاً الكلام قط على خدمة الموائد هذه، واثان من هؤلاء السبعة سيوضعان في الواجهة باعتبارهم خادمين مقتدرين للكلمة! يكون لوقا قد شاء بالأكثر أن يعطي نموذجاً مثالياً لحلّ صراع في الكنيسة. وسرى ذلك أيضاً عند الثمام مجمع أورشليم في الفصل ١٥.

تتضمّن لازمة النموّ في آ ٧، وهي علامة خصوبة كلمة الربّ، ملاحظة فريدة، تدور حول قبول العديد من الكهنة اليهود للإيمان. لا حاجة للتفكير بهذا الصّدّد أنّنا ازاء تحوّل مثير لخصوم الإيمان المسيحيّ، كما سيتم قريباً لدى انقلاب شاوول الطرسوسيّ. لقد كان معشر عظماء الكهنة قد أبدى عداً عميقاً تجاه حركة يسوع، اما "الكهنة العاديّون"، فقد نظروا بتعاطف إلى تحديّ الرسل للسلطة العليا! بإمكاننا أن نتصوّر كم أغضبت هذه الانكسارات أعضاء المجلس الأعلى، الذين سيقسّون موقفهم في الصراع المقبل.

٨- خدمة إسطفانوس أول شهيد، ومحاكمته، وموته (٦: ٨ - ٨: ٨)

لهذه الرواية الواسعة عين البنية التي لرواية يوم العنصرة، لأننا سنقرأ سرداً قصيراً إلى حدّ كبير للوقائع الجديدة، وخطاباً تبريرياً كبيراً لإسطفانوس، ثمّ رواية نتائجها المساوية: رواية تتخللها خطبة تعطي الأحداث التي تُسرّد كلّ مضمونها. هذه الخطبة هي بالذات، وبشكل مثير للفضول، سردٌ تاريخيٌّ طويل.

٨ وكان إسطفانوس، وقد امتلأ من النعمة والقوة، يأتي بأعاجيب وآياتٍ مُبينَةٍ في الشعب.

٩ فقام أناسٌ من المجمع المعروف بمجمع المعتقين، ومن القيرينيين والإسكندرانيين ومن أهل قيليقية وآسية، وأخذوا يجادلون إسطفانوس،

١٠ فلم يستطيعوا أن يقاوموا ما في كلامه من الحكمة والروح.

١١ فدسّوا أناساً يقولون: "إننا سمعناه يتكلّم كلام تجديفٍ على موسى وعلى الله".

١٢ فأتاروا الشعب والشيوخ والكتبة ثمّ أتوه على غفلةٍ منه، فقبضوا عليه وساقوه إلى المجلس.

١٣ ثمّ أحضروا شهوداً زور يقولون: "هذا الرجل لا يكف عن التعرّض بكلامه لهذا المكان المقدّس وللشريعة".

١٤ فقد سمعناه يقول إن يسوع ذاك الناصريّ سينقّض هذا المكان، ويبدّل ما سلّم إلينا موسى من سنن".

١٥ فحدّق إليه كلٌّ من كان في المجلس من أعضاء، فأرأوا وجهه كأنه وجه ملاك.

- ١ فسأله عظيم الكهنة: "أهذا صحيح؟"
- ٢ فأجاب: "أيها الإخوة والآباء، اسمعوا: إن إله المجد تراءى لأبينا إبراهيم، وهو في الجزيرة ما بين النهرين قبل أن يُقيم في حرّان،
- ٣ وقال له: "اخرج من أرضك وعشيرتك، واذهب إلى الأرض التي أريك".
- ٤ فخرج من أرض الكلدانيين وأقام في حرّان. ثم نقله منها بعد وفاة أبيه إلى هذه الأرض التي أنتم الآن مقيمون فيها،
- ٥ ولم يعطه فيها ملكاً ولا موطئ قدم، ولكن وعده بأن يملكه إياها، ونسله من بعده، مع أنه لم يكن له ولد.
- ٦ وقال الله: "سيترل نسله في أرض غريبة، فتستعبد وتعامل بالسوء مئة أربعين سنة. وقال الله:
- ٧ أما الأمة التي تستعبدهم، فأني أدبها، ويخرجون بعد ذلك فيعلموني في هذا المكان".
- ٨ وأعطاه عهد الختان فولد إسحق وختنه في اليوم الثامن. وإسحق ختن يعقوب ويعقوب ختن آباء الأسباط الاثني عشر.
- ٩ وحسد آباء الأسباط يوسف فباعوه فسير به إلى مصر، وكان الله معه،
- ١٠ فأنقذه من جميع شدائده، وآتاه الحظوة والحكمة عند فرعون ملك مصر. فأقامه والياً على مصر وعلى جميع بيته.
- ١١ وأصاب مصر كلها وأرض كنعان مجاعة وضيّق شديد، فلم يجد آباؤنا قوتاً.
- ١٢ وسمع يعقوب أن في مصر رزقاً، فأرسل آباءنا أول مرة،
- ١٣ وفي المرة الثانية تعرّف يوسف إلى إخوته، وظهر أصله لفرعون،
- ١٤ فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وعشيرته جميعاً، وكانوا خمسة وسبعين نفساً.
- ١٥ فنزل يعقوب إلى مصر ومات فيها هو وآباؤنا،
- ١٦ فحُمِلوا إلى شكيم ووضعوا في القبر الذي اشتراه إبراهيم من بني حمور أبي شكيم بمقدار من الفضة.
- ١٧ وكلما كان يقترب زمان الوعد الذي وعد الله به إبراهيم، كان الشعب في مصر ينمو ويكثر،

- ١٨ إلى أن قام ملك آخر لم يعرف يوسف،
- ١٩ فمكر بأممنا وعامل أباننا بالسوء، حتى أجهم إلى نبد أطفالهم لكي لا يعيشوا.
- ٢٠ في ذلك الوقت ولد موسى، وكان حسناً في عين الله. فرَّبني ثلاثة أشهر في بيت أبيه.
- ٢١ ولما بُدِّ التَّقَطُّتَهُ بِنْتُ فِرْعَوْنَ وَرَبَّتَهُ كَأَنَّهُ ابْنٌ لَهَا.
- ٢٢ ولَقِّنَ مُوسَى حِكْمَةَ الْمِصْرِيِّينَ كُلِّهَا، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ.
- ٢٣ وَلَمَّا بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ، خَطَرَ لَهُ أَنْ يَتَفَقَّدَ إِخْوَانَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
- ٢٤ فَرَأَى أَحَدَهُمْ يُعْتَدِي عَلَيْهِ، فَدَافَعَ عَنْهُ وَانْتَصَرَ لِلْمَظْلُومِ فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ.
- ٢٥ وَظَنَّ أَنَّ إِخْوَانَهُ سَيُدرِكُونَ أَنَّ اللَّهَ يَهَبُ لَهُمُ الْخَلَاصَ عَنْ يَدِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَدْرِكُوا.
- ٢٦ وَوُجِدَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بَيْنَ اثْنَيْنِ يَتَضَارِبَانِ، فَدَعَاهُمَا إِلَى الصُّلْحِ قَالَ: "أَيُّهَا الرَّجُلَانِ، أَنْتُمَا إِخْوَانٌ، فَلِمَ تَبْعَادِي أَحَدَكُمَا عَلَى الْآخَرَ؟"
- ٢٧ فَرَدَّهُ الْمُعْتَدِي عَلَى قَرِيْبِهِ وَقَالَ: "مَنْ أَقَامَكَ عَلَيْنَا رَيْسًا وَقَاضِيًا؟"
- ٢٨ أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ أَمْس؟".
- ٢٩ فَهَرَبَ مُوسَى عِنْدَ هَذَا الْكَلَامِ، وَنَزَلَ فِي أَرْضِ مَدْيَنَ، فَوَلَدَ فِيهَا ابْنَيْنِ.
- ٣٠ وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً تَرَاءَى لَهُ مَلَائِكٌ فِي بَرِّيَّةِ جَبَلِ سِينَاءَ، فِي لَهْيَبِ نَارٍ مِنْ عُلْيَقَةٍ تَشْتَعِلُ.
- ٣١ فَعَجِبَ مُوسَى عِنْدَ رُؤْيَيْهِ هَذَا الْمَنْظَرَ، وَتَقَدَّمَ لِيُوعِنَ النَّظَرَ فِيهِ، فَانطَلَقَ صَوْتُ الرَّبِّ يَقُولُ:
- ٣٢ "أَنَا إِلَهُ آبَائِكَ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ". فَأَخَذَتْ مُوسَى الرَّعْدَةَ، وَكَمْ يَجْرُؤُ عَلَى إِمْعَانِ النَّظَرِ فِيهِ.
- ٣٣ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "إِخْلَعْ نَعْلَ قَدَمَيْكَ، فَإِنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ قَائِمٌ فِيهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ.
- ٣٤ إِنِّي نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ شَفَاءَ شَعْبِي فِي مِصْرَ، وَسَمِعْتُ أَنِّيْنَهُ، فَتَزَلْتُ لِأَتَقَدَّهُ. فَتَعَالَ الْآنَ أُرْسِلُكَ إِلَى مِصْرَ".
- ٣٥ فَمُوسَى، هَذَا الَّذِي أَنْكَرُوهُ وَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَقَامَكَ رَيْسًا وَقَاضِيًا، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَيْسًا وَمُحَرَّرًا يُؤَيِّدُهُ الْمَلَائِكُ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ فِي الْعُلْيَقَةِ،
- ٣٦ وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ بِمَا أَتَى بِهِ مِنَ الْأَعْجِيبِ وَالْآيَاتِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَفِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَفِي الْبَرِّيَّةِ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

- ٣٧ هذا موسى الَّذِي قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: سَيَقِيمُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِكُمْ نَبِيًّا مِثْلِي،
- ٣٨ هذا الَّذِي كَانَ لَدَى الْجَمَاعَةِ فِي الْبَرِّيَّةِ وَسَيِّطًا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِي كَلَّمَهُ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ وَبَيْنَ آبَائِنَا، فَتَلَقَّى كَلِمَاتِ الْحَيَاةِ لِيُبَلِّغَنَا إِيَّاهَا،
- ٣٩ فَلَمْ يَشَأْ أَبَاؤُنَا أَنْ يَتَقَادُوا لَهُ، بَلْ رَدُّوهُ، وَتَلَفَّتْ قُلُوبُهُمْ نَحْوَ مِصْرَ،
- ٤٠ فَقَالُوا لِهَارُونَ: "إِصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا لِأَنَّ مُوسَى هَذَا الَّذِي أَخْرَجَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ".
- ٤١ فَصَاغُوا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ عِجْلًا، ثُمَّ قَرَّبُوا ذَبِيحَةً لِلصَّنَمِ، وَابْتَهَجُوا بِصُنْعِ أَيْدِيهِمْ.
- ٤٢ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَسْلَمَهُمْ لِعِبَادَةِ جَيْشِ السَّمَاءِ، كَمَا كُتِبَ فِي سِفْرِ الْأَنْبِيَاءِ: "يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ هَلْ قَرَّبْتُمْ لِي الصُّحَايَا وَالذَّبَائِحَ مِثْلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْبَرِّيَّةِ؟"
- ٤٣ فَقَدْ حَمَلْتُمْ خِيْمَةَ مَوْلَاكُمْ وَكُوكِبَ إِهْكَمَ رِفَانِ التَّمْتَالِينَ اللَّذِينَ صَنَعْتُمْ لِتَسْجُدُوا لَهُمَا. فَسَأَجْلِيكُمْ إِلَى مَا وَرَاءَ بَابِلَ".
- ٤٤ وَكَانَ مَعَ آبَائِنَا فِي الْبَرِّيَّةِ خِيْمَةُ الشَّهَادَةِ، كَمَا أَمَرَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى بِأَنْ يَعْمَلَهَا عَلَى الطَّرَازِ الَّذِي رَأَاهُ،
- ٤٥ فَتَسَلَّمَهَا أَبَاؤُنَا وَدَخَلُوا بِهَا، يَقُودُهُمْ يَشُوعُ، بِلَادِ الْأُمَمِ الَّتِي طَرَدَهَا اللَّهُ مِنْ أَمَامِهِمْ. وَبَقِيَتْ فِيهَا إِلَى أَيَّامِ دَاوُدَ.
- ٤٦ وَنَالَ دَاوُدُ حُظُورَةً عِنْدَ اللَّهِ، فَالْتَمَسَ مِنْهُ أَنْ يَجِدَ مَقَامًا لِبَيْتِ يَعْقُوبَ،
- ٤٧ وَلَكِنَّ سُلَيْمَانَ هُوَ الَّذِي بَنَى لَهُ بَيْتًا.
- ٤٨ عَلَى أَنَّ الْعَلِيِّ لَا يَسْكُنُ فِي بُيُوتِ صَنَعَتِهَا الْأَيْدِي كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ: يَقُولُ الرَّبُّ:
- ٤٩ "السَّمَاءُ عَرْشِي وَالْأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمِي. أَيُّ بَيْتٍ تَبْنُونَ لِي؟ أَمْ أَيُّ مَكَانٍ رَاحَتِي؟"
- ٥٠ أَلَيْسَتْ يَدِي قَدْ صَنَعَتْ هَذِهِ كُلَّهَا؟"
- ٥١ يَا صِلَابَ الرُّقَابِ، وَبَا غُلْفِ الْقُلُوبِ وَالْآذَانِ، إِنَّكُمْ تَقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ دَائِمًا أَبَدًا، وَكَمَا كَانَ أَبَاؤُكُمْ فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ.
- ٥٢ أَيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهْدَهُ أَبَاؤُكُمْ، فَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ أَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ وَلَهُ أَصْبَحْتُمْ أَنْتُمْ الْآنَ حَوْتَةً وَقَتْلَةً.
- ٥٣ فَقَدْ أَخَذْتُمْ الشَّرِيعَةَ الَّتِي أَعْلَنَتِهَا الْمَلَائِكَةُ وَلَمْ تَحْفَظُوهَا".

- ٥٤ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ اسْتَشَاطَتْ قُلُوبُهُمْ غَضَبًا، وَجَعَلُوا يَصْرِفُونَ الْأَسْنَانَ عَلَيْهِ.
- ٥٥ فَحَدَّقَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِيٌّ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللَّهِ وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنِ يَمِينِ اللَّهِ.
- ٥٦ فَقَالَ: "هَا إِنِّي أَرَى السَّمَوَاتِ مُتَفَتِّحَةً، وَابْنَ الْإِنْسَانِ قَائِمًا عَنِ يَمِينِ اللَّهِ".
- ٥٧ فَصَاحُوا صِيَاحًا شَدِيدًا، وَسَلُّوا آذَانَهُمْ وَهَجَمُوا عَلَيْهِ هَجْمَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ،
- ٥٨ فَدَفَعُوهُ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ وَأَخَذُوا يَرْجُمُونَهُ. أَمَّا الشُّهُودُ فَخَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ قَدَمَيْ شَابٍ يُدْعَى شَاوُلَ.
- ٥٩ وَرَجَمُوا إِسْطِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو فَيَقُولُ: "رَبِّ يَسُوعَ، تَقَبَّلْ رُوحِي".
- ٦٠ ثُمَّ جَنَّا وَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "يَا رَبِّ، لَا تَحْسَبْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْخَطِيئَةَ". وَمَا إِنَّ قَالَهُ هَذَا حَتَّى رَقَدَ.

٨
١ وكان شاوُلٌ موافقًا على قتلِهِ.

نشاط إسطفانوس وتوقيفه (٦: ٨-١٤)

من دون انتقال بالنسبة إلى رواية تأسيس إقامة السبعة، يركّز لوقا الانتباه على أولهم، وهو إسطفانوس، في نشاط مختلف عن نشاط خدمة الموائد التي لأجلها كان قد اتُخِبَ. انه شاهدٌ مقتدرٌ لكلمة الله عبر صنعه معجزات وآيات ساطعة بين الشعب، الأمر الذي جعله صنو الرسل بالذات (رج ٢: ٤٣؛ ٥: ١٢). وهكذا نرى أن الراوي ليس متعلقًا بتمييز هرمي صارم بين الخدم في الكنيسة، وأن الروح القدس، في نظره، يحتفظ بحريّة تحرّك، مزيلًا الحدود المرسومة بطريقة حكيمة بين خدمة الكلمة وخدمة الموائد (الشماسيّة على نطاق أوسع)!

دخل إسطفانوس في جدال، بمبادرة أناسٍ من مجمعٍ (يهوديّ) يقدّمه لوقا بدقّة. واستنادًا إلى إشاراته، نفهم أن المقصود هم يهود يتمتّعون بشيء من الألفة الثقافيّة مع إسطفانوس، كونهم مثله من الشتات، وإن أقاموا في أورشلهم حيث لهم مجامعهم الخاصّة. انهم عاجزون عن أن يقفوا في وجه خصمهم، بفضل الحكمة التي لا تُقاوم، وقد منحه إيّاها الروح القدس. وعندما أدرج لوقا هذه الملاحظة، يكون قد فكّر بالتأكيد بوعده

يسوع الذي يجد تتميمه فيه (رج لو ١٥:٢١). وعندما كثف لوقا في آ ٨-١٠، علاوة على ذكر الآيات والمعجزات، عبارات نعمة، وقدرة، وحكمة، فهو انما شرع في موازاة، ليس فقط مع الرسل، بل مع يسوع بالذات (رج لو ٤٠:٢، ٥٢؛ ١٤:٤). هذه الموازاة ستستمر في الآيات التالية وحتى آخر الإخبار عن محاكمة إسطفانوس وموته.

لجأ محاورو إسطفانوس إذاك إلى سلاح الضعفاء والجنباء، أي النميمة. فكما أنهم يسوع بالتجديف في لو ٥:٢١، هكذا أنهم إسطفانوس أيضاً؛ وعلى مثال يسوع في مر ١٤:٥٦، كان هو أيضاً ضحيةً شهودٍ زور. لم يكن لوقا قد ذكر هذه النقطة، لأنه لم يشأ أن يروي محاكمة حقيقيةً ليسوع أمام السنهدريم؛ ويبدو أنه احتفظ بما للرواية الحاضرة: التهمة بحق اسطفانوس بأنه تكلم ضد المكان المقدس، تذكر تماماً بشهادة الزور ضد يسوع التي يفيد مرقس عنها. كذلك الحال مع قهمة مخالفة شريعة موسى، فقد وُجّهت أيضاً من قبل إلى يسوع (لو ٦:٢؛ إلخ). لاحقاً، ستوجه التهمتان مجتمعين إلى بولس (رسل ٢١:٢٨).

إن آ ١٤ هي صدى لأقوال يسوع حول خراب الهيكل، وقد تم تشويهها، في مر ١٤:٥٨ و ٢٩:١٥، لأن يسوع لم يقل بأنه سيكون صانع هذا الدمار (رج لو ٦:٢١)! ومع ذلك، قد لا يكون شهود الزور قد استنبطوا كل شيء؛ فاستناداً إلى نهاية خطبة إسطفانوس (٤٦:٧-٥٠)، يكون من المحتمل أنه تفوه، وهو يشرح فكرة يسوع، بأقوال كانت تنتقد ديانةً مركزةً إلى حدّ المغالاة على الهيكل الذي هو من صنع أيدي البشر، وتم تفسيرها بأنها أقوال تجديفية. فمن الصحيح انه، في هذا المجال، ذهب إلى أبعد من موقف جماعة أورشليم، وقد رأيناها لا تزال متعلقة جداً بالمكان المقدس، ولكنه كان على الأرجح يعبر عن موقف "الهلينيين" الصارم.

وحين مثل إسطفانوس أمام السنهدريم، بدا لأعضائه، بحسب الراوي، ذا وجهٍ شبيه بوجه ملاك. هذه الإشارة، وهي فريدة في العهد الجديد، وليس لها مواز نصي إلا في قض ٦:١٣، قد توحي بتجلي يسوع (لو ٢٩:٩)، كما بوجه موسى النازل من جبل سيناء، حين كانت "بشرة وجهه مشعة" (خر ٣٤:٣٥)، وموسى هو الذي سيلعب دوراً محورياً في خطبة إسطفانوس. بالنسبة إلى القارئ، تكون هذه السمة قد استبقت الرؤية النهائية التي منحت للشهيد المسيحي الأول (آ ٥٥).

خطبة إسطفانوس (١:٧-٥٣)

الكاهنُ الأعظمُ استجوب إسطفانوسَ حول دقّة الاعتراضات المقدّمة ضدّه. عندها راح المتّهم يلقى خطبةً طويلةً بُجِد صعوبةً في الاعتقاد بأنّ المجلس الأكبر استطاع أن يصغي إليه دون مقاطعة! من أمرين واحد: إمّا أنّهم لا يرون آيةً علاقةً بين التذكير المفصّل بتاريخ مقدّس يعرفونه عن ظهر قلب، وبين الاتّهامات الموجهة ضدّ إسطفانوس (وتلك هي حالة القراء غير المتخصّصين في كتاب أعمال الرسل!)، وإمّا إنّهم يفهمون التلميحات النقدية المرهفة جدًّا التي يعرضها إسطفانوس في هذا الاستدكار؛ وفي الحالتين، كان يتوجّب عليهم أن يُسكتوه.

من أجل فهم أثر هذا الدفاع الذي سينتهي بقرار اتهام، من الضروريّ أن نحسّ بأنّ لوقا حرّر هنا، دون همّ مُفرط بشأن صحة القصة، شكل بيان لموقفٍ لاهوتيّ جديد، جسّد إسطفانوس، هو بالأكثر موقف الهلّينيين المسيحيين، وقد ذهب إلى أبعد من خطب بطرس الأولى، مدسّنا هكذا نقدًا جذريًا للديانة اليهودية. ونجد التعبير عن هذا الطرح الأساسيّ في النهاية، في آ ٥١-٥٣. ففيما أنّهم إسطفانوس بقلب شريعة موسى، هوذا يردّ التهمة لمتّهميه الذين يتصدّون للروح القدس كما فعل آباؤهم دائماً أبداً.

يستحيل علينا هنا التعليق بالتفصيل على الآيات الإحدى والخمسين التي تضمّنتها الخطبة. سنكتفي ببعض الملاحظات العامة، بتقييم الملامح الأكثر أهميّة. الأمر الأوّل الذي ينبغي إبرازه هو أنّ هذه الخطبة لا تأتي بجديد على مستوى النوع الأدبيّ. فمن الشائع في الكتاب المقدّس، من أجل تعليم شعب الله، أن يدعو شخصٌ ما الشعب إلى استدكار تاريخه، مقترحًا إعادة قراءة نقدية إلى حدّ ما لتقاليدّه. هذا هو حال المزامير التعليمية، كالمزامير ٧٨، ١٠٥، أو ١٠٦، كما هو حال الحثّ على الأمانة، كخطبة يشوع (قض ٢٤)، أو الهجاء، كما في حز ١٦ أو ٢٠، حيث يندد، كما سيفعل إسطفانوس، بعدم أمانة إسرائيل المتواصلة.

هناك ملاحظة ثانية عامّة، ضرورية لتنوير القارئ الغيور الذي يبحث في كتابه المقدّس عن مراجع للأحداث الواردة في هذه الخطبة، ألا وهي أنّ لوقا يستعمل، أكثر من مرّة، تقاليد رأيينية كانت تعلق على التاريخ البيبليّ، دون الخوف من اضمفاءات على

صمته، أو من دمج روايات عدّة لدى الحاجة. فخطبة إسطفانوس هي إذاً بذاتها نوعٌ من تراجوم (ترجمة آرامية حرّة للنصّ البيبليّ، كانت تُمارَس في مجامع ذلك الزمان) يخلّق فوق التاريخ المقدّس.

يتناول بالتتابع موضوعات أربعة: العهد مع إبراهيم (آ ٢-٨)، يوسف في مصر (آ ٩-١٦)، موسى قائد ومحرّر (آ ١٧-٤٣)، بناء الهيكل (آ ٤٤-٥٠)، لكي يُعدّد هجومه القاسي الأخير. إنّ للموضوعين الأخيرين أصلاً علاقةً مع التهمة التي يُفترض بإسطفانوس أن يدافع عن نفسه منها، طالما ان لومًا وُجّه إليه بأنّه تكلم ضدّ المكان المقدّس وضدّ شريعة موسى. يجب ان نسعى إلى فهم السبب الذي من أجله أراد أن يذكر مسبقاً وجوه الآباء ويوسف.

إبراهيم (آ ٢-٨)

لم يرد وجهٌ أبي الشعب لإبراز إيمان إبراهيم، كما عند بولس (رج روم ٤). بالكاد أُشير إلى امتحان هذا الإيمان في هامش آ ٥: في حين لم يكن له ولد. يبدو أنّ إسطفانوس يبغي خاصّةً أن يذكر بأنّ دعوة شعب الله طُبعت في أجداده، بصورة جازمة، بالقطيعة والتهية، أكثر منها بالإستقرار.

وتخبر آ ٢-٤ عن بدايات هذا الترحال، باتّباع تقليد يشهد له فيلون وفلافيوس يوسيفوس، إذ، في تك ١:١٢، يتلقّى إبراهيم دعوة الله في حاران، بعد موت أبيه. وليس لهذا التباين أهمية تُذكر: فالجوهريّ هو أنّ إله المجد أوحى بذاته، أصلاً، بعيداً عن المكان الذي يبغي اليهود اليوم أن يشبّثوا هذا المجد! وتدمج آ ٦-٧ بحريّة بين تك ١٥:١٣ وخر ٣:١٢، من أجل استذكار الإعلان عن العبوديّة في مصر، وعن التحرير الذي سيهبه الله؛ ولكن، في حين أن الله، في الخروج، عندما توجّه إلى موسى، تكلم عن تأدية العبادة له على هذا الجبل، أي على حوريب، هوذا إسطفانوس يقول، بشيء من الغموض، في هذا المكان، أي، على ما يبدو، الأرض التي وُعدّ بها إبراهيم ونسله. مع ذلك، لدى ذكره عهد الختان، فقد شدّد على أنّ هذا العهد هو عهد الانتماء إلى شعب، في تواصل أجياله، أكثر منه عهد التعلّق بأرض مقدّسة. ففي أرض المنفى أيضاً، سيكون مع يوسف.

يوسف (آ ٩-١٦)

يختصر إسطفانوس هنا، بخطوط عريضة، قصة يوسف وإخوته (تك ٣٧-٥٠)، دون الاستشهاد بنصّ خاصّ. لم تكن مصر دائماً أرضَ العبوديّة بالنسبة إلى إسرائيل. فمن المفارقة، ان الله هناك، جعل يوسفَ يجد نعمةً وحكمةً أمام فرعون (نقلٌ دقيق)، وهناك، به هو، أتقَدَ من الجوع إخوته الذين كانوا قد نبذوه حسداً! هنا ترتسم قراءة نمطيّة بوسع القارئ المسيحيّ أن يتعرّف عليها: يوسف المملوء نعمةً وحكمةً، ويوسف مخلص إخوته العقوقين، أليس صورةً تعلن المسيح؟ وستتأكد هذه القراءة في عرض قصة موسى.

للوهلة الأولى، يبدو استذكار دفن الآباء، في آ ١٦، خلطاً بين مقاطع مختلفة من سفر التكوين: في تك ٢٣:١٦-١٨، يشتري إبراهيم من عفرون الحثيّ مغارة تقع في حبرون، وهناك دُفن يعقوب (تك ٥٠:١٣)؛ في حين، في تك ٣٣:١٩، اقتنى يعقوب من بني حمور قطعة أرض، إليها سُنقِلَ عظام يوسف، استناداً إلى يش ٢٤:٣٢! ليست فرضيّة وقوع لوقا في خطأ فادحٍ مرصّية البتة. من المحتمل أن يكون المقصود بالأحرى دجماً واعياً جداً يتطابق مع تقليد شفهيّ لدى السامريين: ونكون حينذاك بازاء نقطة جدليّة تجاه محاوريّ إسطفانوس، إذ ان الإلحاح على شكيم بأنّها مكان مشوى الآباء، يعني أنّ ذكرى الآباء قد تكون محفوظة بشكل أفضل في أرض منشقة، منه في اليهوديّة الأرثوذكسيّة!

موسى (آ ١٧-٤٣)

كما رأينا أعلاه، لدينا، حتّى آ ٢٥، مختصر عن الرواية البيبليّة (خر ١:١ - ٢:١٠)، مع لمسة صغيرة هامّة مقتصرة من التقليد الشفهيّ، مفادها أنّ موسى الشابّ تأدّب بحكمة المصريين كلّهم؛ ولكن عندما يضيف إسطفانوس أنّه كان مقتدرًا بأقواله وبأفعاله، نتلمس أنّ الحرر يُعدّنا لأن نرى موازاةً تأخذ بالاتساع مع شخص يسوع وعمله (رج لو ٢٤:١٩؛ رسل ١:١). ويتعمق ذلك في آ ٢٥ من خلال عبارة الله يهب لهم الخلاص عن يده، وقد يكون أيضاً، في الآية اللاحقة، مع الصيغة تراءى لهم، وهي تبدو تلميحاً ضمناً إلى ظهورات القائم من الموت: إنّ الإخبار المفصل عن حدث مقتل

المصريّ وهرب موسى إلى أرض مدين (رج خر ٢: ١١-٢٢)، حيث يذكر إسطفانوس الحوارات بين موسى وإخوته بأسلوب مباشر، سيجد ما يبرّره في الاستفادة من الكلمة الاعتراضية: **مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟** وكما الحال مع الآباء، فإن استعراض حياة موسى يكشف ان قد تخللتها قطيعات مؤلمة، وتنقلات، وانتكاسات غير متوقّعة. وحتى هذه المرحلة، في الواقع، لم يكن موسى سوى مهاجر قد أخفق، بالرغم من رغبته في التضامن مع بني قومه.

يجري الإخبار عن حدث العليقة الملتهبة وعن دعوة موسى، عبر الاستشهاد غير المنسق — خر ٣: ٥-٨، ١٠. وفي خطّ ما استشفيناه في ما يتعلّق بدعوة إبراهيم، ينبغي أن نتذكّر أنّ الله أعلن ان المكان الذي كشف فيه عن ذاته هو **أرض مقدسة**، وهي أرض غريبة بالنسبة إلى اليهودية (رج آ ٦).

وبدءاً من آ ٣٥، يختصر إسطفانوس التاريخ مفسراً آياه: لا يتردّد في أن ينسب إلى مجموع الشعب الكلمة التي تلفظ بها سابقاً واحداً منهم، ليقول بأنّ الإسرائيليين نبذوا موسى، مع أنّه هو الذي بعثه الله إليهم قائداً ومحرّراً. ومع التذكير بالمعجزات والآيات التي طبعت مغامرة الخروج من مصر، كان هذا الطرح يرمي إلى أن يُظهر موسى بصفته صورة مسبقّة عن مصير يسوع، وهو قائد ومخلص لإسرائيل (رج رسل ٥: ٣١)، وهو الذي نبذه شعبه (١٣: ٣)، ولكن الله جعله ربّاً ومسيحاً (٣٦: ٢)، وقد واكبت رسالته **معجزات وآيات** (٢٢: ٢). وتصبح الغاية واضحة عندما ينقل إسطفانوس كلمة موسى الذي كان قد أعلن أنّ الله "سيقوم يوماً ما نبياً مثله" (تث ١٨: ١٥)، وكان بطرس قد سبق واقتبسها في ٣: ٢٢.

بدءاً من هنا، تناول إسطفانوس مسألة الشريعة، وهي في صلة مباشرة مع موضوع محاكمته. لقد وُجّهت إليه التهمة بأنّه **تكلم ضدّها** (١٣: ٦)، بينما تكلم هو عليها بشكل إيجابي جدّاً، مشيراً إليها بأنّها **كلمات حياة**، أعطاهها موسى إلى آبائنا (آ ٣٨). إنهم هم الذين تعدّوها بشكل جسيم، خاصّة بصنعهم عجل الذهب، حتى ان الله تحوّل عنهم، وتركهم يغرقون في الوثنية. فالصنم سلعة من صنّع أيديهم (آ ٤١). والمقاربة التي سنسمعها في آ ٤٨ ستعطي قوّة جدليّة فريدة لأقوال إسطفانوس بشأن الهيكل. وكان من قبل قد فضح عصيان الشعب مستشهداً بالنبي عاموس (٥: ٢٥)،

بحسب النصِّ اليونانيِّ)؛ وحين جعل، بشكل جريء، بابل عوضاً عن دمشق، فهو انما أعلن عن المنفى الكبير في القرن السادس، موحياً هكذا بأن كلَّ أجيال إسرائيل، منذ موسى وحتى نهاية الملكيّة، استمروا في عصيان الشريعة، وفي عبادة الوثن! إنّه تفسير متحيز للتاريخ، لكن كانت له سابقة في حزقيال ١٦ أو ٢٠.

الهيكَل (آ ٤٤-٥٠)

في آ ٤٤، يستذكر إسطفانوس خيمة الشهادة (ولا يتكلّم النصّ على العهد)، المشيّد في الصحراء وفقّ النموذج الذي أعطاه الله لموسى، وقد رافقت الشعب في احتلال أرض الميعاد، وحتى أيام داود. ثمّ يأتي التذكير ببناء سليمان للهيكَل الأوّل. وإذا يستشهد الخطيب — أش ٦٦: ١، يصبح نقدياً بشكل صريح: انه يعترض على هذه المبادرة بحجة أنّ العليّ لا يسكن في مكان صنعته الأيدي (والمقصود ضمناً هو الناس، نقلٌ حرفيٌّ). ويكون مستمعو هذا الخطاب، إذا هم أصغوا جيّداً، وهم أرباب هيكَل جديد كان موضوع افتخار كبير، قد صُدموا تماماً. لقد دَسَّ إسطفانوس فكرةً يكون بموجبها هذا الهيكَل المبني بيد إنسان، قد تماهى مع العجل الذهبيّ، أي مع صنم (آ ٤١)! ذلك هو حال يرتبط بالمشروع الأحمق ذاته القاضي بوضع اليد على حضور الله، وجعله تحت تصرفه، في حين أنّه الخالق المتسامي، ذات السيادة، لا راحة له البتّة، بحسب أقوال النبيّ. لم تكن هذه الخطبة بالتأكيد لتسمح باستبعاد التهمة التي يكون اسطفانوس بموجبها قد تكلم ضدّ المكان المقدّس!

وسنلاحظ أنّه، لكي يركّز على هذا النقد الشديد، اختصر على نحو رائع استذكار التاريخ المقدّس، متغاضياً عن المرحلة الطويلة للملكيّة حيث كان إسرائيل قد استقرّ في أرض الميعاد؛ كما نجح بقوة في تجنّبه ذكر اسم أورشلهم! اما خاتمة الخطبة، فسوف تعقد وضعه، إذ تبيّن ان سلطات أورشلهم الدينيّة، بالنسبة إليه، هي الممثّلة لديانة صامدة، متصلّبة، بعيدة جدّاً عن طاعة الله الحيّ الذي كان يلهم الأنبياء.

خاتمة الخطبة (آ ٥١-٥٣)

كان إسطفانوس قد افتتح باحترام خطبته، متوجّهاً بالكلام إلى أخوته وآبائه (آ ٢). ونقيس الطريق الذي تمّ اجتيازه حين نستمع إلى التهجم الختاميّ، وقد لطفته

الترجمة الليتورجية بشكل غير موفق حين أعادت صياغتها بينما النص هو التالي: (أيها الرجال) الصلاب الرقاب، الغُلف القلوب والآذان. وهكذا أضفى إسطفانوس، من جهة، العبارة التي كان الله يشير بها إلى الشعب العابد الأصنام بعد مسألة العجل الذهبي، وقد برهن عن إصراره في العصيان (خر ٣٢: ٩؛ ٥: ٣٣)؛ كما أضفى من جهة ثانية، صورة جريئة أطلقها إرميا (١٠: ٦؛ ٢٦: ٩) ليشير إلى عجز أورشليم عن الانفتاح على الحقائق الروحية. وهوذا إسطفانوس يتهم بقوة محاوريه بأنهم يقاومون الروح القدس، كما كان آباؤهم الذين اضطهدوا الأنبياء (وفي حماسته، عمّم بشكلٍ مفرطٍ بعض الشيء؛ وكان يسوع قد صنع الشيء ذاته؛ رج لو ٢٦: ٦؛ ١١: ٤٧؛ ١٣: ٣٤).

أخيراً، جاء التلميح الوحيد المباشر إلى أحداث الحاضر، ولكن من دون تسمية يسوع، كما كان بطرس يفعل باستمرار، ومن دون إعلان قيامته. ولما كان كلامه اتماماً فقط، فقد اكتفى بذكر الأنبياء الذين كانوا يبشرون سلفاً بمجيء البار، هذا الذي أسلمتموه وقتلتموه. أما كلمته الأخيرة، فكانت من أجل الخروج بخلاصة هذا التذكير التاريخي كله: أن الذين يتهمونه بالكلام ضدّ الشريعة، هم ذاقم لم يحفظوها! إنها عملية كلاسيكية وقوية حيث تقوم منظومة الدفاع على الانتقال إلى الهجوم المضادّ.

رجم إسطفانوس (٧: ٥٤ - ٨: ١)

لقد أثار خطبة إسطفانوس نائر مستمعيه: إنها ردّة الفعل ذاتها التي في ٣٣: ٥، حيث كانوا هم ذاقم أرادوا أن يُميتوا الرسل، قبل أن يردّهم جمليل إلى صوابهم. اما الآن، فلديهم دوافع أكثر جسامةً لكي يصمّموا أن يُسكتوا بشكل نهائيّ خصماً خطراً إلى هذا الحدّ. وكان عليه هو ذاته أن يدرك أنّه وقّع على نفسه الحكم بالإعدام، وأنّه سيلاقي المصير نفسه كسائر الأنبياء ذوي الكلمة التي لا تُحتمل، وهو وريثها. لكنّه بعيد عن أيّ خشية أرضية، إذ إنّ الروح القدس، وهو ممتلئ منه، يجعله يرى أشياء سماوية: مجد الله اللامنطور، ويسوع المنتصر إلى يمين الآب. وبمتابة شهادة أخيرة - بدلاً من أن تحرك قلوبهم، ذكّرهم على العكس بكلمات يسوع المثيرة التي تلفظ بها أمامهم (لو ٢٢: ٦٩) - كان هتافه بمجد الذي قتلوه: ها إني أشاهد السماوات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله. وهنا يكشف قارئاً للعهد الجديد ذو نباهة النصّ الوحيد الذي وُضع فيه هذا اللقب الرؤيويّ "ابن الإنسان" على فمٍ آخر غير فم يسوع بالذات. كان يسوع قد تكلم

على ابن الإنسان **الجالس** عن يمين الله، وتلك صورة كلاسيكية مستلّة من مز ١١٠؛
وها هو إسطفانوس يراه **واقفاً**، في الوضعية الظافرة للقائم من الموت (رج يو ٢٠: ١٤).

كان ذلك جسيماً جداً بالنسبة إلى أعضاء السنهدريم، فأخذوا يصيحون صياحاً
شديداً، ويندفعون لرحم إسطفانوس. إنّه نوع من الإعدام التلقائي خارج نطاق القانون،
دون المهلة قبل إصدار حكم بالموت. لو كانوا يتمتعون بالهدوء، لكانوا، كما في حالة
يسوع، أخذوا الاحتياط لسوّقه أمام بيلاطس. وهكذا مات إسطفانوس، أوّل شهيد
مسيحيّ، مئة الأنبياء، كما يُحتمل ان يسوع كان قد تصوّرّها لنفسه (رج لو ١٣: ٣٤).

تبيّن نهاية هذه الرواية القصيرة بوضوح أنّ في ذهن لوقا موازاة بين موت
إسطفانوس وموت يسوع. فهو لم يُصوّر المصلوب مثقلاً بوحشة الحجر؛ ويسوع، بعد
الغصة التي عبّر عنها في جبل الزيتون، كان قد عضده ظهور ملاك (لو ٢٢: ٤٣)، كما
تقوى إسطفانوس برؤيته ابن الإنسان. ثمّ مات يسوع مستودعاً روحه بين يدي الآب،
بعدهما طلب العفران لمضطهديه (لو ٢٣: ٣٤، ٤٦): كانت عبارتا إسطفانوس، قبل أن
يرقد رقاد الموت، بمثابة الردة الدقيقة لكلمات المسيح، وتفوّه بهما على مثاله **بصوت
قويّ**، كشهادةٍ أحيرةٍ علنيّةٍ. ونرى ببساطة، ان الربّ يسوع هو الذي يأخذ مكان
الآب من أجل شاهده الأمين حتّى الموت، كي يلقاه في المجد.

ولوقا هنا، بمهارته السرديّة المعتادة، ولأسباب هي أكثر من قصصيّة، كما سنرى،
جعل اسم شاول يظهر هنا، وللمرة الأولى، وكأنه بشكل عابر! ولما كان شاول لا يزال
"شاباً" (أقلّ من ثلاثين سنة)، لم يكن يستطيع أن يشارك فعلياً في الإعدام، فقدّم نفسه
كحارس لثياب الراجمين، إذ إنّه كان يؤيد هذا القتل (٨: ١). فسيؤكّد الرسول
بولس في شيخوخته هذا الأمر أمام جمهور أورشلهم حين كان هو ذاته مهتدداً بالإعدام
(٢٠: ٢٢).

القرىس الثالث

الكلمة تنطلق من اورشليم

لتطال الوثنيين

(رسل ٨: ١ب-١٥: ٣٩)

الكلمة ننتقل من أورشليم لنطال الوشيين

(٨:١ب - ١٥:٣٩)

١. الاضطهاد يؤدي إلى انبشار الإنجيل في اليهودية والسامرة (٨:١ب - ٤٠) على غرار الفصلين ٣ و ٤، يبدو من المستحسن أن نقسم إلى اثنين هذه الرواية الطويلة، فإن وحدتها ناجمة عن حضور فيليب وعمله، لكنها تتضمن قسمين جليين كلياً، أحدهما ينصب على البشارة في السامرة، والآخر على اهتداء الخصي الحبشي.

أ - الانجيل في السامرة (٨:١ب - ٢٥)

٨
١ وفي ذلك اليوم وقع اضطهاد شديد على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتتوا جميعاً،
ما عدا الرسل، في ناحيتي اليهودية والسامرة.
٢ ودفن إسطفانس رجال أتقياء، وأقاموا له مناحة عظيمة.
٣ أما شاؤل فكان يفسد في الكنيسة، يدخل البيوت الواحد بعد الآخر، فيجرؤ الرجال والنساء، ويلقيهم في السجن.
٤ وأما الذين تشتتوا فأخذوا يسرون من مكان إلى آخر مبشرين بكلمة الله.
٥ فزل فيلبس مدينة من السامرة وجعل يبشر أهلها بالمسيح.
٦ وكانت الجموع تُصغي بقلب واحد إلى ما يقول فيلبس، لما سمعت به وشاهدته من الآيات التي كان يُجريها،
٧ إذ كانت الأرواح النجسة تخرج من كثير من الممسوسين، وهي تصرخ صراخاً شديداً. وشفي كثير من المقعدين والكسحان،
٨ فعَمَّ تلك المدينة فرح عظيم.
٩ وكان في المدينة قبل ذلك رجل اسمه سمعان يفتري السحر، ويدهش أهل السامرة زاعماً أنه رجل عظيم.

- ١١ فكانوا يُصْعُونَ إِلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، وَيَقُولُونَ: "هَذَا هُوَ قُدْرَةُ اللَّهِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْقُدْرَةُ الْعَظِيمَةُ".
- ١٢ وَإِنَّمَا كَانُوا يُصْعُونَ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ يُدْهِشُهُمْ بِأَسَالِبِ سِحْرِهِ مِنْ زَمَنٍ طَوِيلٍ.
- ١٣ فَلَمَّا صَدَقُوا فِيلَيْسَ الَّذِي بَشَّرَهُمْ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، اعْتَمَدُوا رِجَالًا وَنِسَاءً.
- ١٤ وَصَدَقَهُ سِمَعَانُ أَيْضًا، فَاعْتَمَدَ وَلَزِمَ فِيلَيْسَ، وَكَانَ يَرَى مَا يُجْرِي مِنَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْمُبِينَةِ فَتَأْخُذُهُ الدَّهْشَةُ.
- ١٥ وَسَمِعَ الرَّسُلُ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ السَّامِرَةَ قَبِلَتْ كَلِمَةَ اللَّهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بَطْرُسَ وَيُوْحَنَّا،
- ١٦ فَتَزَلَا وَصَلِيًّا مِنْ أَجْلِهِمْ لِيُنَالُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ،
- ١٧ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ نَزَلَ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، بَلْ كَانُوا قَدْ اعْتَمَدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ فَقَطْ.
- ١٨ فَوَضَعَا أَيْدِيَهُمَا عَلَيْهِمْ، فَنَالُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ.
- ١٩ فَلَمَّا رَأَى سِمَعَانُ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَوْهَبُ بِوَضْعِ أَيْدِي الرِّسُولَيْنِ، عَرَضَ عَلَيْهِمَا شَيْئًا مِنَ الْمَالِ
- ٢٠ وَقَالَ لَهُمَا: "أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هَذَا السُّلْطَانَ لِكَيْ يَنَالَ الرُّوحَ الْقُدُسَ مَنْ أَوْضَعَ عَلَيْهِ يَدَيَّ".
- ٢١ فَقَالَ لَهُ بَطْرُسُ: "تَبَّ لَكَ وَلِمَالِكَ. لِأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنَّهُ يُمَكِّنُ الْحُصُولَ عَلَى هِبَةِ اللَّهِ بِالْمَالِ.
- ٢٢ فَلَاحِظْ لَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَلَا تُصِيبْ، لِأَنَّ قَلْبَكَ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ.
- ٢٣ فَانْدَمَّ عَلَى سَيِّئَتِكَ هَذِهِ، وَاسْأَلِ الرَّبَّ لَعَلَّهُ يَغْفِرُ لَكَ مَا قَصَدْتَ فِي قَلْبِكَ.
- ٢٤ فَإِنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ الْعَلَقَمِ وَشَرَكِ الْإِثْمِ".
- ٢٥ فَأَجَابَ سِمَعَانُ: "إِشْفَعَا لِي أَنْتُمَا عِنْدَ الرَّبِّ لِنَلَّا يُصَيِّبَنِي شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْتُمَا".
- ٢٦ أَمَّا هُمَا فَبَعْدَ مَا أَدَّيَا الشَّهَادَةَ وَتَكَلَّمَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ، رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ وَهُمَا يُبَشِّرَانِ قُرَى كَثِيرَةً لِلْسَّامِرِيِّينَ.

نتائج مقتل اسطفانوس (آ ١ب-٤)

إن تقسيم النصِّ في كتاب من مثل أعمال الرسل، يبقى دومًا عملاً اعتباريًا نوعًا ما. كان من المستطاع ضمُّ هذه الآيات ١ب-٤ إلى القسم السابق، لأنها تعالج النتائج المباشرة (في ذلك اليوم) لموت اسطفانوس. إلا أنه من الصحيح بأن الأسطر المفصليَّة القليلة هذه تُشكِّلُ المفتاح لما سوف يتبع. ويعرضُ لنا لوقا من خلالها كيف أنَّ الربَّ، من هزيمة ظاهرة، يُخرجُ مسيرة انتصارية لمخطَّطه في إعلان البشري السارة للعالم. هذه النبذة المتضعبة هي كثيرة التباين، إذ تُذكرُ في الوقت عينه العنف وتوسُّع الصراع الذي

انطلق باستشهاد اسطفانوس، وخروج المسيحيين خارج أورشلهم، وسوف يتضح بأنه حدث إيجابي جداً.

توحي صياغة لوقا بأن الرسل وحدهم بقوا في أورشلهم لكي يتصدوا للسندريم العدائي. ولدينا أسباب جيدة لنعقد بأن الواقع التاريخي كان مغايراً قليلاً: إنه لمن المحتمل بأن الفريق الهليني الذي كان اسطفانوس الناطق باسمه، هو الذي تلقى مباشرة اضطهاد السلطات، وهو الذي نشئت في قرى اليهودية والسامرة (آ ١). ونجد لاحقاً، وبوضوح، بأن جماعة كبيرة من اليهود المنتصرين قد صمدت في أورشلهم (رج ٩ : ٢٦؛ ١١ : ٢؛ ١٢ : ١٣؛ ...).

إن ردة الفعل المزروحة المشار إليها في الآيتين ٢-٣، إثر استشهاد اسطفانوس، متباينة جداً؛ فالذين دفنوه يتحسرون على المصير المساوي لني اغتيل، بينما شاول الذي وافق على هذه الجريمة، يبقى متمسكاً بموقفه، ويهاجم، هو نفسه، الكنيسة بضراوة. أما الآية ٤، فتشير برصانتها إلى تحوّل حاسم، ألا وهو أن إعلان البشري السارة يتخطى أسوار أورشلهم وينتشر في كل مكان، أي في اليهودية والسامرة، حيث نشئت المسيحيون المضطهدون. إنها الوجهة الثانية من الشهادة التي أعلنها يسوع في ١ : ٨؛ ومن اللافت أن نستنتج بأن هذا التطور كان بفعل مسيحيين بسطاء مجهولي الأسماء، الذين، بعيداً عن الاستسلام للهزيمة والتأسف على تفكك كنيستهم، عرفوا أن يعطوا معنى إيجابياً لهذا التهجير القسري، وفتح سبل جديدة.

فيليبس يبشر السامرة (الآيات ٥-١٣)

يحدّد لوقا بأن المقصود هو فيليبس، أحد السبعة، لأن هناك فيليبس آخر في عداد الإثني عشر (رج يو ٦ : ٥؛ ١٤ : ٨). وفيليبس هذا كان الثاني في لائحة السبعة، وهو يواصل عمل اسطفانوس في خدمة الكلمة: الملاحظة التي بموجبها يكون الروح القدس، في بدايات الكنيسة، قد اتخذ الحرية وأحدث انقلاباً في سلم تخصصية الخدم، قد تمّ التأكيد عليها كلياً.

تشكّل مرحلة السامرة تقدماً، ليس على المستوى الجغرافي وحسب، بل على المستوى الديني أيضاً؛ فعلى قارئ سفر الأعمال، المرموز إليه بتاوفيلس، أن يعرف، من

خلال قراءة كتاب لوقا الأوّل، إلى أيّ حدّ كان السامريّون واليهود إخوة أعداء، انفصلوا عن بعضهم البعض بسبب انشقاق دينيّ، شكّل مصدر كراهية حقيقية بينهم (رج لو ٩: ٥٢-٥٥). لكنّ يسوع دعا الجميع إلى تجاوز هذا الصراع: انظر لو ١٠: ٢٩-٣٧؛ ١٧: ١٦-١٩؛ وبالتأكيد يو ٤: ١-٤٢. نحن نشهد هنا الانفتاح الذي صورته مُسبقاً هذه التّصوص: إنّه الخروج الأوّل للبشرى الإنجيليّة خارج إطار الديانة اليهوديّة الضيّق حيث أبصرت النور.

فيلبيسُ يبشّر بالمسيح في مدينة من السامرة؛ وهذه الصيغة المكتنفة للخبر ملائمة جدّاً، على قدر ما كان السامريّون يعيشون واقع الانتظار المسيحيّ اليهوديّ، ويشاركون فيه بشكلٍ ما (رج يو ٤: ٢٥). وعندما سيتوجّه مبشّرون آخرون بالإنجيل إلى اليونان الأنطاكيّين، نرى لوقا يكيّف كتابته للقول بأنّهم يعلنون البشرى السارّة بيسوع الربّ (١١: ٢٠)، وهو اللقب الذي كان باستطاعتهم أن يفهموه. لقد أمعن لوقا التفكير في هذه التّنوّعات في التعبير.

ان كرازة فيليبيس، على غرار كرازة الرّسل واسطفانوس، ترافقها علامات خارقة، كالشفاءات وطرده الأرواح الخارق (آ ٦-٧)؛ ونتيجة لذلك، حدث في هذه المدينة فرح كبير (آ ٨)؛ تلك هي سمة لوقاوية نموذجيّة، إذ ان الفرح والابتهاج هما في مؤلّفه علامة قبول الخلاص (رج لو ٢: ١٠؛ ١٠: ١٧؛ ١٣: ١٧؛ الخ؛ رسل ٢: ٤٦؛ ٨: ٣٩؛ ١٣: ٤٨؛ ١٦: ٣٤).

آ ٩-١٣

حُصّصت هذه الفقرة لاهتداء فرديّ، ذي مغزى خاصّ عن قدرة الإنجيل العجيبة؛ وتسهم تأثيرات الأسلوب الأدبيّ في التأكيد على هذه الحقيقة، مع اللّعب في استعمال الفعل المترجم هنا بـ"انبهر" (نستطيع القول أيضاً "اندهل")، وأيضاً في استخدام المفردتين: "عظمة" و"قدرة". أما "الساحر" أو بالأحرى "سمعان الجحوسي"، فهو شخصيّة معروفة، ويكشف بعض آباء الكنيسة عن أنّه هرطوقيّ يهوديّ، مؤسس شيعة قريية من الديانات ذات الأسرار، وكان يجتذب اتباعه من خلال ممارسات سحرية؛ كان سيمون إذاً قد أحرز نجاحاً كبيراً في تلك المدينة السامريّة (لم يذكر لوقا اسمها)، إذ ينسب إليه أتباعه قدرة إلهيّة!

في مواجهة سمعان الساحر، يخلو للكاتب أن يبرز القدرة الفائقة في أعمال فيلبس، حين سترع من سيمون معجبيه، وتقنعه هو شخصياً بأن يعتمد. نلاحظ في الآية ١٢ الصيغة الجميلة والدامغة والموسعة بالأكثر، والتي من خلالها وصف لوقا رسالة فيلبس، إذ كتب: **بشّرهم بملكوت الله وإسم يسوع المسيح**؛ وبفضل عودة إلى ذكر الروح القدس في الآيات اللاحقة، نجدنا غير بعيدين عن مقاربة لإيمان ثالوثي، لن يتمّ تحديده عقائدياً إلا في ما بعد. وتعبّر نهاية الآية ١٣ بطريقة ساحرة عن أن **القدرة الفائقة الحقيقية يملكها الإنجيلي**، وأن الذي سحر الجموع أصبح هو نفسه مسحوراً!

بطرس ويوحنا في السامرة (آ ١٤-٢٥)

تعرض الفقرة الثالثة من هذا الفصل، ومن منظارين، البعثة الرسولية الموفدة من أورشلهم إلى السامرة. نستطيع أن نعتقد أن الرسل الذين مكثوا في أورشلهم قد ابتهجوا عندما عرفوا "أن السامرة قد قبلت كلمة الله"، لكن لوقا لم يوضح ذلك. إلا أن الرواية تشدد بالأكثر على أنهم شعروا بمسؤوليتهم في التدقيق بمشروعية عمل رسولي لم يبادروا هم به، لذا فوضوا بطرس ويوحنا (آ ١٤). وبالفعل، بدا مجيئهم ضرورياً لإتمام مهمة فيلبس، لأن لوقا يقول بأن عماد أولئك السامريين لم يرافقه قبول الروح القدس، خلافاً لوعد بطرس في ٢: ٣٨، وقد ربط هذه النعمة بالعماد باسم يسوع المسيح. إلا ان هذه المقاربة تشكل معضلة عندما نقرأ هنا بأنهم فقط اعتمدوا باسم يسوع المسيح! وترتبط آ ١٧ إذاً موهبة الروح القدس بحركة وضع الأيدي، بشكل مستقل عن العماد، وهي على ما يبدو وقف على الرسل وحدهم. وستظهر أيضاً حالات هامة أخرى؛ ويتمّ توضيح الأسئلة التي تطرحها، عبر اطار أدناه حول هذا الموضوع (عماد، وضع الأيدي، عطية الروح).

آ ١٨-٢٤

يعالج هذا المقطع مشهداً مأساوياً تظهر فيه من جديد شخصية سمعان الساحر الغريبة، وقد رأى أن الروح القدس يُمنح بوضع أيدي الرسل: يفترض هذا التعبير أن تمت ظاهرة جليلة مع عطية الروح، قد تكون التكلم بالسنة (كما في ١٠: ٤٦)؟ وسمعان الذي لم يتحرر تماماً ولا شك من الرغبة في سلطة دينية كانت تستحوذ عليه آنذاك،

اشتهى الحصول على ما بدا له قدرةً سحريةً نوعاً ما، يمكن تناقلها، فقدّم المال للرسل كي يُشركوه فيها. ولدينا هنا، بعد قصة حنانيا، حملةً جديدةً على المال المفسد. لقد استدعى ذلك، كما في الحالة الأولى، تأنيباً عنيفاً من بطرس بشكل لعنة (يبدو أنّ النصّ استوحى بعض التعبيرات من سفر تثنية الاشتراع ٢٩: ١٧).

يُظهر سمعان جهلاً كاملاً لمجانبة عطايا الله، كما يُبدي، في الوقت عينه، ثقة مفرطة في قدرة المال، هذا الصنم الذي نعته يسوع بـ "المال الظلم" (لو ١٦: ٩-١٣: المال الخادع في النصّ الليتورجي). وهذا الانحراف في القلب أبعَد سمعان الساحر من جماعة المؤمنين. وخلافاً لحالة حنانيا وسفورة، يفتح له بطرس إمكانيّة الغفران (آ ٢٢)، دون أن يضمنها له. إنه يدعوهُ إلى التحوّل عن هذا الشرّ، وحرقيّاً، إلى ان يهتدي ويغيّر ذهنيته (الفعل نفسه في ٢: ٣٨ أو ٣: ١٩)، وهذا يعني أنّ طلبه للعماد، وهو ثمرة إيمان إلى حدّ ما (آ ١٣)، لم ينتج عن اهتداء جذريّ. يطلب سمعان إذًا، وهو جدُّ متأثر، شفاعَةَ الرسل (آ ٢٤). يضيف النصّ الغريبيّ هنا أنّ سمعان لم يكفّ عن البكاء الشديد، وتلك علامة توبة تقابل توبة سمعان الآخر (بطرس) بعد نكرانه (لو ٢٢: ٦٢). وهكذا يتاح لنا التفكير بأنّ شخصيّة سمعان التاريخيّة، الساحر القديم، قد انخرطت مجدداً هي أيضاً في الجماعة. ولكن وبسبب اقتراحه التعيس الذي لم يبلغ الرمي، بقيت الملامة ملازمةً لاسمه، إذ تمّ استنباط كلمة "سيمونيّة" للإشارة بشكل عامّ إلى أيّ نوع من أنواع الاتجار بالأسرار، غالباً ما رافق تاريخ الكنيسة!

ينتهي النصّ عند آ ٢٥ بالإشارة إلى رجوع بطرس ويوحنا إلى أورشليم. وهذا التذكير مهمّ هنا، إذ إنّه يشير إلى أنّ هذين الرسولين لم يكرّسا دورهما كمحقّقين كنسيين، إنّما استفادا من هذا السفر ليشترّا شخصياً بالإنجيل عدداً كبيراً من قرى السامريين، فشاركاً هكذا بالتبشير الذي كان فيليّس قد بدأه في المدينة.

ب- فيليّس والخصي الحبشي (٢٦-٤٠)

٢٦ كَلَّمَ ملائِكُ الرَّبِّ فيليّسَ قال: "قُمْ فامضِ نحوَ الجَنُوبِ في الطَّرِيقِ المنحَدِرَةِ مِنَ أورشليمِ إلى غَزَّةَ، وهي مُقَفَّرَةٌ".

٢٧ فقامَ ومضى، وإذا أمامه رجلٌ من الحبشة، خصيٌّ ذو منصبٍ عالٍ عندَ فُنداقَةِ مَلِكَةِ الحبش، وخازنٌ جميعِ أموالِها.

٢٨ وكان راجعًا من أورشليم بعدَ ما زارها حاجًا، وقد جلسَ في مركبته يقرأ النبيَّ أشعيا.

٢٩ فقال الروحُ لِفيلبيُّس: "تقدّمْ فالحقُّ هذه المركبة".

٣٠ فبادرَ إليها فيلبس، فسمعَ الخصيَّ يقرأ النبيَّ أشعيا، فقال له: "هل تفهمُ ما تقرأ؟"

٣١ قال: "كيف لي ذلك، إن لم يُرشدني أحد؟" ثمَّ سألَ فيلبس أن يصعدَ ويجلسَ معه.

٣٢ وكانتِ الفقرةُ التي يقرأها من الكتابِ هي هذه:

"كحروفٍ سيقَ إلى الدبحِ وكحملٍ صامتٍ بينَ يدي من يجزُّه هكذا لا يفتحُ فاه.

٣٣ في ذلكَ ألغى الحكمُ عليه. ترى من يصفُ دُرَيْتَه؟ لأنَّ حياته أزيلتَ عن الأرض".

٣٤ فقال الخصيُّ لِفيلبيُّس: "أسألك: من يعني النبيُّ بهذا الكلام: أنفسه أم شخصًا آخر؟"

٣٥ فشرَّعَ فيلبس من هذه الفقرة يُشرِّه يسوع.

٣٦ وبينما هما سائرانِ على الطريق، وصلا إلى الماء، فقال الخصيُّ: "هذا ماء، فما يمنعُ أن أعتمد؟".

٣٨ ثمَّ أمرَ بأن تقفَ المركبة، ونزلا كلاهما في الماء، أي فيلبس والخصي، فعمده.

٣٩ ولما خرجا من الماء خطفَ روحُ الربِّ فيلبس، فغاب عن نظرِ الخصي، فسارَ في طريقه فرحًا.

٤٠ وأما فيلبس فقد وجدَ في أزوت. ثمَّ سارَ يُشرِّ في كلِّ مدينةٍ حتى وصلَ إلى قيصرية.

اللقاء في الطريق (آ ٢٦-٢٩)

تبدأ هذه القصة، المبنية بشكل جيد، بمشوار غريب. يتساءل القارئ لماذا يأمر ملاك الربِّ فيلبس، رجل الإبلان، أن يأخذ طريقًا مهجورًا. لم يطلب الإنجيلي المطيع تفسيرًا (مثل إبراهيم عندما دعى)، بل أخذ يسير. لن يطول عنصر المفاجأة، إذ سرعان ما يتبلور معنى الأمر المعطى، لأن الطريق ليست مهجورة تمامًا، ونستشف بأنها سوف تكون موقعًا للقاء مهم.

بالفعل، يعرض لوقا شخصية جديدة، وجميع ميزات وصفه المفصل يجب أن تحفظ. فهذا الرجل غريب، أفريقي، يعود إلى وطنه البعيد، إلى الحبشة. كان الرجل قد خضع لعملية بتر، فأصبح خصياً، لا يحق له، وفق الشريعة اليهودية، أن يقبل في جماعة اليهود (٢٣: ٢). لقد كان في وطنه، على المستوى الاجتماعي، شخصاً مهماً، أمين صندوق، ربّما أيضاً وزير مالية لمكلة الحبشة. كان بمقدوره أن يتحمّل تكاليف سفر طويل مع طاقم كامل، وفي حوزته أيضاً مخطوطة مكلفة للكتب المقدسة اليهودية. يمكن الافتراض أنه اشتراها عند مروره بالإسكندرية، بالترجمة اليونانية السبعينية للتوراة، وهو في طريقه إلى أورشليم، حيث ذهب ليعبد الله (حرفياً للسجود)، وها هو يعود منها الآن. ويستنتج البعض أنه يهودي يعيش في الحبشة. ليس مستحيلاً، لا بل مرجحاً بالأكثر أن يعتبره لوقا وثنياً مرتداً، اعتنق اليهودية، بهدف إظهار تقدّم جديد في مسيرة الإنجيل، تكون قد طالت فترات دينية بعيدة كلّ البعد عن نقطة انطلاقه. في هذه الحال، يكون الخصي الحبشي قد اكتسب الوعود التي نقرأ عنها في أشعيا ٥٦: ٣-٧، حيث يستطيع "أبناء الغريب" و"الخصيان" دخول عهد الربّ، طالما أن بيته "سوف يدعى بيت الصلاة لجميع الشعوب" (وهو نص ورد في لو ١٩: ٤٦).

لقد قال روح الربّ لفيليبس أن يمضي قدماً ويلحق بالمركبة (آ ٢٩). وينسب لوقا للروح الدور نفسه الذي نسبه إلى ملاك الربّ في آ ٢٦: تدعو هذه الحرية في الكتابة، ونجدها في العهد القديم، إلى تجنب القراءة بطريقة حرفية في مثل هذه النصوص، حيث يستعمل الكاتب عدّة أوجه أدبية للتعبير عن اليقين من أن لقاء كهذا كان الله وراء إعداده وتوجيهه. ونرى حرية شبيهة في نصّ لقاء جديد حاسم، هو لقاء بطرس وكورنيليوس، حيث يتدخل على السواء ملاك الربّ، الرؤية، الروح، الصوت، في إعطاء التوجيهات لشخصيات الرواية.

الحوار الحاسم (آ ٣٠-٣٥)

يقترّب فيليبس بان دفاع، فيسمع الرجل الحبشي يقرأ سفر أشعيا النبي: تلك قراءة بصوت عالٍ، كما كانت تقضي العادة. ونرى أيضاً في نصّ الفصل ١٠، أن الروح لا يملئ كل شيء على الذي يقوده، إذ كان على خادم الله أن يجرّك تفكيره وانتباهه للآخر. وفيليبس الذي تساءل ولا شك عن الهدف الذي من أجله أرسل إلى هذا الرجل،

شعر أن قراءته للنصّ النبويّ صعبة، لذا سأله، عبر لعب على كلمات لا تترجم ("فهم" و"قرأ" هما فعلاّن من عين الجذر، في اليونانيّة): هل تفهم ما تقرأ؟ وتحفّف كلمة "حقاً" من وطأة الاستجواب الجريئة جدّاً، إذ أنّ فيليبيّ يتوجّه، من دون تمهيد، إلى غريب، هو بالتالي شخص ذو أهميّة! وهذا الرجل ذو المتزلة الرفيعة، دون أن يصدمه السؤال الذي كان بوسعه ان يبدو له ناشزاً، أقرّ ببساطة أنّ النصّ الذي يقرأ هو بالفعل مُعلّق عليه.

كان جوابه معبّراً بكثير من الدقّة، قد تُرجم مع الحفاظ على صيغة الفعل: كيف يمكنني (أن أفهم) إذا لا يوجد من يرشديني (حرفياً: يقودني في الطريق، وهو الدور الذي ينسبه يسوع لروح الحقيقة في يو ١٦: ١٣). ان هذا القارئ لا يطلب أن يُروّد بمعنى النصّ جاهزاً، وانما يطلب المساعدة في بحثه الشخصي لهذا المعنى الذي يشكّل معضلة. والدعوة التي يوجّهها إلى فيليبيّ للجلوس بقربه، في علاقة مساواة، تشير إلى أنّه استشف لدى الذي انضمّ إليه بظروف سرّية، دليلاً أخوياً كان بحاجة إليه لتفسير هذا المقطع الصعب من الكتاب المقدّس.

هذا النصّ، وقد نُقل بحسب الترجمة اليونانيّة في آ ٣٢-٣٣، هو جزء من القصيدة الرابعة لـ "خادم الربّ" في أشعيا الثاني (٥٣: ٧-٨). من الواضح أنّ الرهان يكون في فهم القصيدة بمحملها. ان وصف الخادم المتألّم كونه ضحيّة وادعة وبريئة، هو الذي كان موته خيراً للجماهير، وقد رفعه الله ومجّده بعد الموت. لم يكن هذا الوصف صعب الفهم، أقلّه في خطوطه العريضة. إلا ان اللغز في تشخيصه. فالخصي هو قارئ ذكيّ يطرح بالضبط السؤال نفسه الذي طرحه دوماً المفسّرون بهذا الصدد: عمّن يتكلّم النبيّ، عن نفسه أم عن آخر؟ (آ ٣٤). كانت هناك تفسيرات عديدة ممكنة بحث عنها الربابنة. قد يكون أشعيا النبيّ أعلن عن مصيره الشخصيّ، أو كشف عن اضطهاد نبيّ آخر من مثل إرميا، أو انبأ بالمصير المفجع والسريّ لـ "خادم الله"، الذي هو شعب إسرائيل، أو لأقليّة من هذا الشعب.

سينقل فيليبيّ تفسيراً مسيحياً لنصّ أش ٥٣. هذا بالرغم من أنّ العهد الجديد لا يُرجع إليه نصّاً صريحاً إلاّ نادراً، فهو نصّ من تلك النصوص التي، بالتأكيد، ساعدت بالأكثر الأجيال الأولى للتعلّب على عشرة الصليب، وإضفاء معنى على ذبيحة المسيح. ومهما كان الوعي الذي خالج النبيّ في وصف المصير المستقبلي للمسيح، وهو أمر

مشكوك فيه، فان الواقع التاريخي لآلام المسيح، وموته، وتمجيده، يقدم مضموناً لنشيد الخادم المتألم. بالمقابل، يسمح نص الكتاب المقدس هذا بالكشف عن أن لهذه الأحداث معنى يندرج في خطة خلاص الله. وهكذا، انطلاقاً من هذا المقطع من الكتاب المقدس، يعلن فيليبس البشرى السارة يسوع (آ ٣٥).

سيتعرف القارئ النبيه لكتاب لوقا الأول على التشابه الكبير بين هذه الآية وتعليم يسوع لتلميذي عماوس: "بدءاً بموسى وجميع الأنبياء، فسّر لهم في كل الكتاب ما يخصه" (لو ٢٤: ٢٧). المقصود في كلتا الحالتين تعليم مسيحي على أساس العهد القديم. إلا ان الطريقة عكسية: فلقد اصطدم التلميذان بالحدث غير المفهوم، أي حدث موت معلّمهم؛ وهوذا يسوع يعطيه معنى من خلال إظهاره لهم أن هذا المسار، من الألم إلى المجد، كان قد أعلن بطريقة خفية في العديد من مقاطع الكتاب. اما الخصى، فقد اصطدم، هو الآخر بلغز الكتاب، فأوضح له فيليبس من خلال سرد الأحداث الإنجيلية التي، بإتمامها، تعطيه معنى. هذا الذهاب والإياب من يسوع إلى الكتاب ومن الكتاب إلى يسوع يبقى عاملاً أساسياً لكل تعليم مسيحي. لقد اعتنى لوقا بالتأكيد عناية كبيرة في كتابة هذين النصين المتكاملين، لهذا الهدف.

ونلاحظ، من دون التوقف عند التفاصيل، أن تركيبة هذين النصين متوازية جداً: في كلتا الحالتين، نحن بصدد مسافرين يواجهان مشكلاً صعباً، ووصولاً غير متوقّع لغريب سيساعد في حلّ هذا المشكل، كما نحن بصدد تساؤل جريء من رفيق السفر هذا، وإقرار صادق بما في السؤال من صعوبة، وجواب متمحور حول سرّ المسيح، جعل النور يتدفق. ففي الواقع، في كلتا الحالتين، أُعطي هذا التعليم الحاسم في جملة مكثفة جداً. وهوذا الراوي يحملنا على ان نفترض بأن هذا "التعلّم الديني في الطريق" قد تمّ التوسّع فيه بما فيه الكفاية حتى أنّه ألهم قلب التلميذين (لو ٢٤: ٣٢)، ودفع الخصى إلى طلب العماد.

عماد وفراق (آ ٣٦-٤٠)

إنّ التعليم الديني الذي ارتجله فيليبس كان دون شكّ كاملاً ومقنعاً كي يفهم محدّثه، المشبّع أساساً من الكتب المقدسة، أن هذه الرسالة تدعو إلى قرار إيماني يعتلن في

الكلمة ننتقل من أورشلهم لنطال الوشيين

طلب العماد المسيحيّ. لقد رأينا، بدءاً من رواية العنصرة، أنّ هذا الجواب الإيمانيّ وهذا الالتزام يمكنهما أن يأتيا مباشرةً عقب أول كرازة بالإنجيل، يتبعهما لاحقاً تعليم أكثر تعمّقاً. إنّ صياغة السؤال الذي وجهه الخصيّ إلى فيليبيّس: **ماذا يمنع أن أتعمد؟** (آ ٣٦)، ربّما ترجع الصدى لطقوس عماديّة قديمة، إذ نجد ذكر "مانع" متوقّع (رج ١٠: ٤٧؛ ١١: ١٧). ومن الغريب ان النصّ التقليديّ الذي اعتمده النصّ الليتورجيّ لا يحتوي على ردّ من فيليبيّس سوى الانتقال إلى العمل، ويبدو أنّه يشير إلى فجوة تركها غياب آ ١٣٧ أما الترجمة المسكونيّة للكتاب المقدّس، فقد أدرجتها في حاشية كما نجد في مخطوطات غربيّة: **"إذا كنت تؤمن من كلّ قلبك، فهذا مسموح. فأجاب الخصيّ: أوّمن أنّ يسوع المسيح هو ابن الله"**. لقد أراد واضح هذه الإضافة، -قد يكون لوقا ذاته عندما أعاد قراءة نصّه- أن يكمل، عبر هذا الحوار التقليديّ للاعتراف بالإيمان العماديّ، الحديث عن عماد الإثيوبيّ، وقد تم وصفه بشكل واضح.

ويتم التوقف عند ضفّة مجرى ماء على طريق غزّة، ويُعرض تقديم فعل العماد في آ ٣٨-٣٩، على أنّه نزول في الماء وخروج من الماء (رج مر ١: ١٠)، وهما يرمزان جيّداً إلى معنى العماد باعتباره اشتراكاً في تنازل المسيح وارتفاعه (في موته وقيامته؛ رج روم ٦: ١-١١).

عماد، وضع الأيدي، عطية الروح

الطريقة التي من خلالها يقدّم نصّ الأعمال دخول أعضاء جدد في الكنيسة، وقبولهم الروح القدس، هي جدّ متنوّعة، وهذا بوسعه أن يُدهشنا. ذلك ان الترتيب الذي أشار إليه بطرس في ٢: ٣٨، أي التوبة، والعماد باسم يسوع المسيح، وقبول الروح القدس، لا يرد بتاتاً في كلّ الكتاب. ولن نستغرب أنّه، في إشارات موجزة إلى اهتداءات جديدة (٢: ٤٧؛ ٤: ٤؛ ٦: ٧؛ ١١: ٢١؛ ١٣: ٤٨؛ ١٤: ١)، لم يُذكر العماد: إلا انه حتماً ضمنّي. ولكن، حيث يأتي ذكر العماد بمثابة تصديق على انضمام المعمّدين الجدد إلى الإيمان، كما في ٨: ٣٦-٣٩؛ ١٦: ١٥؛ ٣٣؛ ١٨: ٨، يحق لنا ان نتساءل لماذا لم تُربط به عطية الروح القدس. إلا ان هناك حالات

تكون فيها التراتبية العادية معطلة بشكل ملحوظ: ففي ٨: ١٤-١٧، حين لم يكن العمادُ باسم يسوع المسيح قد منح موهبة الروح القدس، اضطر بطرسُ ويوحناُ إلى التعويض بالصلاة ووضوح الأيدي. قد نعتقد أنّ هناك قدرة معيّنة معطاة للرسل؛ لكن، في ٩: ١٧، نرى مسيحيًا عاديًا يضع يديه على شاوول كي يُشفى ويمتلئ من الروح القدس، ومن ثم يقبل العماد. في ١٠: ٤٤-٤٨ تمّ هبوط الروح فجأة على الذين سمعوا الكلمة، ومن ثم مُنح لهم العماد بمثابة "تصحیح" كنسي! وفي ١٨: ٢٥، نجد أبولوس الذي كان يعلم بالضبط ما يخصّ يسوع، لا يعرف سوى عماد يوحنا: لا تقول الرواية شيئًا عن عماده "المسيحي" أو عن قبوله الروح القدس، بعدما عرفوه جيدًا على طريقة الله. بعد ذلك فورًا، هناك تلاميذ كانوا قد اعتمدوا مثله بمعمودية يوحنا، وتلقوا من بولس تعليمًا أشمل، اعتمدوا باسم الرب يسوع، ومن ثمّ وضع بولس يديه، فحلّ الروح القدس عليهم (١٩: ٣-٦).

من الطبيعيّ ان نفسّر هذا التنوّع، أو هذه الاختلافات، على أنّها نابعة من مصادر عدّة، تشهد لاختبارات أو ممارسات مختلفة، باختلاف الجماعات التي نقل عنها لوقا هذه التقاليد. إلا ان مجرد كونه لم يسع إلى جعلها متناغمة، فذلك يشير إلى أنّه لم يُبالِ بوضع مخطّط تنظيمي في هذا الشأن، ولا في ما يخصّ التنظيم الكنسيّ أو الخدم. وهكذا يشهد كتابه على حرّية الروح القدس وديناميكيته الخلاقة في بدايات الكنيسة. وفي القرن الثاني حين قبلت الكنيسة كتاب أعمال الرسل، فهي انما قبلت في الوقت ذاته هذا التنوّع وهذه المرونة. وسيطّيب للمناقشات المسكونية المعاصرة ان تستلهم توجّهاته.

يمكن للمقاربة المرسومة أعلاه مع رواية تلميذَي عمّاوس، أن تتواصل، عبر الانتباه من جديد إلى الطابع التكامليّ للروايتين. ففي نهاية مسار بيبليّ، تذكر كل منهما، بمثابة وقت حاسم للتعرف على الإيمان، إمّا كسر الخبز (لو ٢٤: ٣٠)، وإمّا العماد، أي

العلاقتين الأساسيتين لمشاركة المؤمنين في الحياة التي يمنحها يسوع. وفي كلتا الحالتين ينبغي لوقا تذكير قراءته بمسار مناسب دوماً ليقظة الإيمان، تمرّ أولاً بسماع بشارة يسوع المسيح الجديدة، في صلةٍ مع تفسير الكتاب المقدّس، ومن ثم بقبول العلامات الحسيّة للخلاص، أي العماد والإفخارستيا.

في لحظة التعرّف نفسها، هوذا يسوع يختفي عن أنظار اثنين من التلاميذ، في عماوس (لو ٢٤ : ٣١). وبالطريقة نفسها ينتهي النصّ هنا بشكل مفاجيء جدّاً: أخذ روحُ الله فيليبيّس، ولم يعد الخصيّ يراه، بل تابع طريقه مبتهجاً (آ ٣٩ ب). فبعد أن حصل المعمّد الجديد على ما هو جوهرّي، أصبح قادراً على أن يستغني عن المرشد الذي أرسلته إليه العناية الإلهيّة، جواباً على بحثه عن الحقيقة. وبالرغم من اختفاء فيليبيّس المفاجيء، نراه يذهب إلى بلده مملوءاً فرحاً، هو فرح اكتشاف الإنجيل، الأمر الذي طالما شدد عليه لوقا.

أمّا الإنجيليّ، فقد اختطفه الروح (رج ١ مل ١٨ : ١٢ ؛ ٢ مل ٢ : ١١)، على طريقة النصوص الحماسيّة في حلقة إيليا، ولكن ليس إلى السماء! إنّه يُرسل لمواصلة الكرازة بالبشرى السارة في مدن شاطئ البحر المتوسط، صعوداً إلى الشمال حتّى قيصريّة، عاصمة فلسطين الرومانيّة، حيث سيستقرّ (رج رسل ٢١ : ٨). ومن جديد، يُدرج لوقا، بمهارة، نوعاً من المعلومة المسبقة: هذه الإشارة الأولى إلى قيصريّة ترمز إلى إعلان البشرى السارة إلى الوثنيين، إذ في هذه المدينة بالذات سيكتشف بطرسُ مبدأها.

٢- يظهر الربّ يسوع لشاول الذي يبدأ للنوّ بالنبشير بالإنجيل (٩ : ١-٣٠)

- ١ أمّا شاول فكان ما زال صدره ينفثُ تهديداً وتفتيلاً لتلاميذ الربّ. فقصدَ إلى عظيم الكهنّة،
- ٢ وطلبَ منه رسائلَ إلى مجامع دمشق، حتّى إذا وجدَ أناساً على هذه الطريفة، رجالاً ونساء، ساقهم موثّقين إلى أورشليم.
- ٣ وبينما هو سائرٌ، وقد اقتربَ من دمشق، إذا نورٌ من السماء قد سطعَ حوله،
- ٤ فسقطَ إلى الأرض، وسمعَ صوتاً يقولُ له: "شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟"
- ٥ فقال: "مَنْ أنتَ يا ربّ؟" قال: "أنا يسوعُ الذي أنتَ تضطهدُهُ.

- ٦ ولكن قُمْ فادْخُلِ المَدِينَةَ، فَيُقَالُ لَكَ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ".
- ٧ وَأَمَّا رُقْفَاؤُهُ فَوَقَفُوا مَبْهُوتِينَ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَرُونَ أَحَدًا.
- ٨ فَهَضَّ شَاوُلُ عَنِ الأَرْضِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُ شَيْئًا، مَعَ أَنَّ عَيْنَيْهِ كَانَتَا مُنْفَتِحَتَيْنِ . فَاقْتَادُوهُ بِيَدِهِ وَدَخَلُوا بِهِ دِمَشْقَ.
- ٩ فَلَبِثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَكْفُوفَ البَصَرِ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ.
- ١٠ وَكَانَ فِي دِمَشْقَ تَلْمِيذٌ اسْمُهُ حَنَنْيَا. فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ فِي رُؤْيَا: "يَا حَنَنْيَا!" قَالَ: "لَيْلِكَ، يَا رَبَّ".
- ١١ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "قُمْ فَادْهَبْ إِلَى الرُّفَاقِ المَعْرُوفِ بِالرُّفَاقِ المُسْتَقِيمِ، وَاسْأَلْ فِي بَيْتِ يَهُوذَا عَنِ شَاوُلَ المَسْمَى الطَّرْسُوسِيِّ. فَهَذَا هُوَذَا يُصَلِّي،
- ١٢ وَقَدْ رَأَى فِي رُؤْيَاهُ رَجُلًا اسْمُهُ حَنَنْيَا يَدْخُلُ وَيَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيْهِ لِيُبْصِرَ"
- ١٣ فَأَجَابَ حَنَنْيَا: "يَا رَبَّ، سَمِعْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ مِنْ أَنَاسٍ كَثِيرِينَ كَمْ أَسَاءَ إِلَى قَدَيْسِيكَ فِي أُورُشَلِيمَ.
- ١٤ وَعِنْدَهُ هَهُنَا تَفْوِيضٌ مِنْ عَظْمَاءِ الكَهَنَةِ لِيُوثِقَ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِكَ".
- ١٥ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "إِذْهَبْ فَهَذَا الرَّجُلُ أَدَاةٌ اخْتَرْتَهَا لِكَيْ يَكُونَ مَسْؤُولًا عَنِ اسْمِي عِنْدَ الوَثَنِيِّينَ وَالمَلُوكِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ
- ١٦ فَإِنِّي سَأْرِيهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعَانِي مِنَ الأَلَمِ فِي سَبِيلِ اسْمِي".
- ١٧ فَضَى حَنَنْيَا، فَدَخَلَ البَيْتَ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَقَالَ: "يَا أَخِي شَاوُلُ، إِنَّ الرَّبَّ أَرْسَلَنِي، وَهُوَ يَسُوعُ الَّذِي تَرَاهُ لَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي قَدِمْتَ مِنْهَا، أَرْسَلَنِي لِيُبْصِرَ وَتَمْتَلِي مِنَ الرُّوحِ القُدُّسِ".
- ١٨ فَتَسَاقَطَ عِنْدَئِذٍ مِنْ عَيْنَيْهِ مِثْلُ القَشُورِ. فَأَبْصَرَ وَقَامَ فَاعْتَمَدَ،
- ١٩ ثُمَّ تَنَاوَلَ طَعَامًا فَعَادَتْ إِلَيْهِ قُوَاهُ.
- وَأَقَامَ بَضْعَةَ أَيَّامٍ مَعَ التَّلَامِيذِ الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ.
- ٢٠ فَأَخَذَ لَوْقَتَهُ يُنَادِي فِي المَجَامِعِ بِأَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ.
- ٢١ فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ يَدْهَشُ وَيَقُولُ "أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي كَانَ فِي أُورُشَلِيمَ يُحَاوِلُ تَدْمِيرَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهَذَا الاسْمِ؟ أَوْ مَا جَاءَ إِلَى هُنَا لِيَسْوَ قَهُمْ مُوتَقِينَ إِلَى عَظْمَاءِ الكَهَنَةِ؟"
- ٢٢ عَلَى أَنَّ شَاوُلَ كَانَ يَزِدُّ قُوَّةً، وَيُفْعِمُ اليَهُودَ المَقِيمِينَ فِي دِمَشْقَ، مُبَيِّنًا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ المَسِيحُ.

- ٢٣ ولَمَّا انْقَضَتْ بَضْعَةُ أَيَّامٍ تَشَاوَرَ الْيَهُودُ لِيَعْتَالُوهُ.
- ٢٤ فَانْتَهَى خَبْرٌ مُؤَامَرْتِهِمْ إِلَى شَاوُلَ. فَكَانُوا يُرَاقِبُونَ الْأَبْوَابَ نَهَارًا وَلَيْلًا لِيَعْتَالُوهُ،
- ٢٥ فَسَارَ بِهِ تَلَامِيذُهُ لَيْلًا وَدَلُّوهُ مِنَ السُّورِ فِي زَيْبِيلَ.
- ٢٦ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَاوَلَ أَنْ يَنْصَمَّ إِلَى التَّلَامِيذِ. فَكَانُوا كُلُّهُمْ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تَلْمِيذٌ.
- ٢٧ فَأَخَذَ بَرْنَابَا بِيَدِهِ وَسَارَ بِهِ إِلَى الرُّسُلِ وَرَوَى لَهُمْ كَيْفَ رَأَى الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ وَكَلِمَةَ الرَّبِّ، وَكَيْفَ تَكَلَّمَ بِجُرْأَةٍ بِاسْمِ يَسُوعَ فِي دِمَشْقَ.
- ٢٨ وَكَانَ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ مَعَهُمْ فِي أُورُشَلِيمَ يَتَكَلَّمُ بِجُرْأَةٍ بِاسْمِ الرَّبِّ.
- ٢٩ وَكَانَ يُخَاطَبُ الْيَهُودَ الْهَلِينِيِّينَ أَيْضًا وَيُجَادِلُهُمْ. فَحَاوَلُوا أَنْ يَعْتَالُوهُ.
- ٣٠ فَشَعَرَ الْإِخْوَةَ بِذَلِكَ فَمَضَوْا بِهِ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ، ثُمَّ رَحَلُوهُ مِنْهَا إِلَى طَرَسُوسَ.

على طريق دمشق (آ ١-٩)

من بعد قصة فيليبس التي احتلت الفصل ٨، تتعلق هذه الرواية بـ ٨: ٣، حيث كان لوقا قد ذكر نشاط شاول كمضطهد للكنيسة في اورشليم. انه يظهر هنا مجددًا أكثر "حقًا"، مطالبًا بموافقة عظيم الكهنة الرسمية ليقوم بالهجوم على المسيحيين حتى دمشق. لم يكن سفر أعمال الرسل قد تكلم من قبل على سوريا كمكان لانتشار الإنجيل، لأنه في ٨: ١ لم يكن الحديث يدور سوى على اليهودية والسامرة. وربما كانت مدرجة ضمناً في حاشية ٨: ٤ الموجزة. إنها الفرصة لنا للتأكيد على أن حديث لوقا لا يهدف إلى عرض مشهد تاريخي كامل عن انتشار الإنجيل خلال العقود الأولى للكنيسة. لم تكن لديه، من دون شك، الوسائل لذلك، لكننا نستنتج أكثر فأكثر بأن نظرتة، في كل حال، كانت باتجاه آخر. لقد اختار عددًا من المشاهد ذات المغزى ليجعل القارئ يدرك الميزات والمراحل الأساسية لنمو، هو لاهوتي أكثر منه جغرافي.

من غير معرفة من الذي بشر هؤلاء السوريين، نعلم أنه كان في دمشق رجال ونساء كانوا من هذا الطريقة (آ ٢، نقل حري). وهذا التعبير الخاص بكتاب أعمال الرسل حيث يتكرر سبع مرّات (رج ١٨: ٢٥؛ ١٩: ٩، ٢٣؛ ٢٢: ٤؛ ٢٤: ٤، ٢٢) يشير، عبر الاستعارة، إلى "الحركة" المسيحية التي توصف بأنها "طريق الرب" في

١٨ : ٢٥، أو "طريق الخلاص" في ١٦ : ١٧. إنه بالتأكيد تعبير مرتبط بموية التلاميذ كونهم أولئك الذين "يتبعون" يسوع، وهو تعريف شائع في الاناجيل.

تجب الإشارة إلى أن سخط شاوول ضدّ المسيحيين يصل إلى حدّ التمني الموت لهم. ففي نهاية الرواية، سيصبح هو مُهدّد بالموت من قبل يهود دمشق، ومن ثمّ من قبل يهود أورشليم. نحن أمام تضمين يحثّ على الاحتفاظ بهذه الرواية الطويلة باعتبارها وحدة: إنّها تُظهر بقوة معنى سرد سيجعل القارئ يكتشف كيف ولماذا مضطهد الكنيسة هذا سيصبح بدوره مضطهدًا!

ليس في نصّ لوقا ما يدعو إلى أي إعداد نفسيّ لهذا الانقلاب. إنّهُ تدخّل مفاجيء من الربّ يوقف مخطط هذا الرجل الذي يسكنه غضب قاتل ضدّ تلاميذه. وبولس، عندما يتكلّم عنه في رسائله، يشبّه ما اختبره على طريق دمشق بظهور للقائم (رج ١ قور ١٥ : ٥-٨)، وهذا ما يسمح له بان يطالب بصفة تلميذ، كونه قد "رأى ربّنا يسوع" (١ قور ٩ : ١). أمّا لوقا، فيبذل جهدًا لوصف الحدث بصفته وحيًا من نوع خاصّ، يميّزه في آن واحد عن الظهورات الفصحية التي وضع الصعود حدًا لها، كما يميّزه عن رؤى لاحقة ستعطي إرشادات معيّنة لبولس، كما لغيره (رج ٩ : ١٠ ؛ ١٠ : ٣، ١١٧ ؛ ١٦ : ٨ ؛ ١٨ : ٩ ؛ ٢٦ : ١٦). وإنّ تجليًا حارقًا للحضور الإلهيّ يسبق الحوار الذي يتضمّن دعوة، كما في حالة موسى في العليقة الملتهبة (خر ٣ : ٢ي)؛ رج أيضًا إيش ٦ : ١-٨). علمًا بان هذا الحدث يخصّ شاوول وحده فقط. لقد كان هناك نور من السماء سيعمي عينيه (آ ٨)، ويلفّه فجأة بسطوعه، ويلقي به أرضًا. فهو لم يرَ يسوع، وإنّما سمع صوته.

الحوار الذي يجري الكلام عليه في آ ٤-٦ هو المقصود. ولاحقًا عند مقارنة روايات الدعوة الثلاث التي نجدّها في سفر الأعمال (رج الاطار في ما بعد: الروايات الثلاث لدعوة بولس)، نرى أنّه، إذا كانت هناك اختلافات مهمّة في العناصر السردية، إلا ان الحوار فيها يبقى النواة الثابتة، وقد حُفظ بالتأكيد باكرًا جدًّا في التقليد الشفهيّ للحدث. يبدو السؤال الافتتاحي الذي يطرحه هذا الصوت السريّ مربكًا: كيف يمكن لشاوول اضطهاد كائن سماويّ؟ وبالرغم من ارتكابه، كان لديه الصفاء الذهنيّ ليستعلم

عن هوية مخاطبه، كما ان الجواب الذي تلقاه ملفت للنظر في إيجازه. وإن قارئاً على الفة مع العهد القديم في اليونانية وبالأنجيل (في اليونانية) يرى في الجواب عبارة "أنا، هو" الشهيرة، وهي تذكر بوحي الله لموسى (خر ٣: ١٤)؛ ويستعملها يسوع في صيغ يكشف فيها سرّ شخصه وعمله في نصوص عدّة من انجيل يوحنا (٦: ٣٥؛ ٨: ١٢؛ ١٠: ١١؛ إلخ). وكان لوقا قد وضعها على فم القائم من الموت في لو ٢٤: ٣٩.

والعبارة هنا تشخص يسوع الإنسان (الذي كان شاول يعتبره لغاية الآن مسيحاً كذاباً رذلت سلطات شعبه) بصفة كائن سماويّ مملوء مجداً ينكشف له. وهي، بالأكثر، تنشئ صلة شخصية وثيقة بين هذا الربّ وبين أولئك الرجال والنساء الذين يطاردهم شاول باعتبارهم هراطقة: فاضطهادهم يعني رفضاً له هو بالذات. وقد ترقى صورة الكنيسة بصفتها "جسد المسيح"، والتي سيتوسّع بولس فيها، إلى هذا الوحي الأول. أمّا الأمر الذي يتلقاه شاول بدخول المدينة، فيبقى غامضاً بشأن المهمة التي يكلفها الربّ إليه (آ ٦).

تصف آ ٧-٩ التهمة المباشرة لتلك الأحداث، مظهرةً أن رفاق درب شاول أدركوا أن هناك تدخلاً خارقاً، لكنهم لم يفقهوا معناه، فاقتادوه بيده مثل أعمى إلى المدينة القريبة. وبقي هناك خائر القوى مدة ثلاثة أيام في صوم كامل. ربّما تهدف هذه الإشارة إلى التركيز على مروره بنوع من الموت، يجعل شاول مشاركاً بسرّ موت المسيح. كما يمكن أن يكون لعماه الحسبيّ قيمة رمزيّة، سيرجع بولس إليها عندما يعرض، في ٢٦: ١٧، معنى دعوته الروحيّ، ألا وهو: فتح عيون الأمم الوثنيّة لجلبها من الظلمة إلى النور.

شاول في دمشق (آ ١٠-٢٥)

يستعمل لوقا، هنا كما في الفصل ١٠، بطريقة جدّ موسّعة، الأسلوب الأدبيّ المعروف "بالرؤية المزدوجة" للإشارة إلى الطابع الإلهيّ للقاء (لدينا أمثلة عدّة في الأدب الإغريقيّ القديم). يكشف الربّ في رؤيا لحنانيا (أحد التلاميذ، وقد وصفه بولس باليهوديّ-المسيحيّ التقّيّ في ٢٢: ١٢) أنّه، في اللحظة نفسها، يراه شاول في رؤيا قادماً إليه ليضع يديه عليه ويعيد البصر إليه (آ ١٠-١٢). ونعلم هنا بشكل عابر أن بولس هو

أصلاً من طرسوس: ربما كان واحداً من أولئك الرجال من كيليكية (منطقة في جنوب-شرق تركيا)، الذين دخلوا في الجدل مع إسطفانوس في أورشليم (٦ : ٩).

الحوار الموجز بين الربّ وحنانيا يذكر بحوار الربّ مع إبراهيم في تك ٢٢، ١. وحنانيا بدا متحفظاً في طاعة الأمر الذي تلقاه: لقد طلب منه الربّ أن يضع نفسه في شدة الذئب! ونعلم أن سمعة شاول السيئة قد سبقته إلى دمشق (آ ١٣-١٤). والرب، كي يطمئنه، يطلع حنانيا على التصميم الكبير المعد لهذا الرجل، بصفته الأداة المعدة ليبلغ اسمه إلى الأمم الوثنيّة، الأمر الذي لن يمرّ دون ألم (آ ١٥-١٦). وها نحن بازاء كشف مسبق بشأن القسم الأخير كلّ من رواية أعمال الرسل. يمكن أن نفاجاً لرؤيتنا حنانيا لا ييوح لشاول بكلمة عن هذه الدعوة. ذلك ان لوقا يريد بلا شكّ احترام المسار التاريخيّ الذي بموجبه لن يكتشف شاول إلاّ تدريجيّاً ما كان مدعوّاً له. في ما بعد، سيؤكّد بولس أنّه تلقى الوحي في رؤيا في الهيكل (٢٢ : ١٩ ي). وهكذا يجد الراوي، وبشكل بارع، الوسيلة ليضع القارئ فوراً في المسارّة، من خلال الكشف الذي منح لحنانيا!

وحنانيا، بعد أن رأى اعتراضه منقوضاً، سيؤدّي مهمته بضمير حي. إنّه مسيحيّ عاديّ، ولكنه يمثّل الكنيسة وهي تستقبل المضطهدّ القديم بصفة أخ، ويتصرّف بسلطان رسوليّ حقيقيّ واضعاً يديه على شاول ليشفيه، ويمنحه الروح القدس. ويفترض خطابه القصير أنّ الربّ سبق ان كلّمه عن ذلك مطوّلاً، مخبراً إياه أيضاً عن الخبرة التي حصلت على طريق دمشق. عندئذٍ يقوم شاول، وقد أنقذ بطريقة عجيبة من عماء، ليتلقّى العماد. إنّه نوع من العبور من الموت إلى الحياة. ولما كان مُنهيكاً بسبب صومه والتجربة الحارقة التي مرّ بها للتوّ، أخذ طعاماً، فعادت قوّته إليه: تذكر هذه الملاحظة الواقعيّة بلوقا ٨ : ٥٥ (آ ١٧-١٩).

في خبرة شاول الطرسوسيّ، يبدو ما روي بمثابة اعتداء أكثر منه دعوة. انه اعتداء مذهل، لأننا بازاء انقلاب خصم شرس إلى الإيمان المسيحيّ. وبإمكاننا الاعتقاد أنّ قد لزمه الوقت لكي "يستوعب" تحوّلاً كهذاً في قيمه الدينيّة. ربّما يكون إلى هذا الملح شاول في غل ١ : ١٧، حيث، وبدون تفسير آخر، ذكر الإقامة في بلاد العرب مباشرة بعد أن تلقى وحي ابن الله (وقد يكون ذلك من أجل ممارسة عمله الرسوليّ)؟ من المؤكّد، ووفقاً لوقا، هوذا شاول، ومن دون انتظار - وكان قد أوّفد إلى الجامع اليهوديّة في دمشق

لتوقيف تلاميذ يسوع - أخذ يعلن هذا الاسم هناك بالذات، بحماسة رجل ذي عزيمة، يذهب إلى أقصى حدّ في الاستجابة إلى متطلبات إيمانه الجديد. وهذا ما أثار غضبَ يهودِ دمشق الذين لم يعودوا يفهمون شيئاً، غير مصدّقين أنّهُ هو الذي جاء إلى مدينتهم ليطارد الذين كانوا يدعون بهذا الاسم (آ ٢٠-٢١).

الإلحاح المتكرّر على هذا المشروع المُجهّض (رج آ ٢ و ١٤) يؤكّد طابعَ المفارقة لتحوّل كهذا. وبما أنّ شاول اكتسب قوّة متزايدة لإثبات أنّ يسوع هو المسيح، بجدليّة لا تقاوم تذكر بجدليّة إسطفانوس، تشاور يهود دمشق للقضاء على منشقّ بهذه الخطورة (حرفياً: لإزالته؛ رج لو ٢٢: ٢). وتلك بداية لسلسلة مؤامرات، يتعرض لها رسول الأمم الوثنيّة، وهو موضوع كراهية شديدة من بعض اليهود، وينجح في النجاة منها، حتّى توقيفه في اورشليم بعد ذلك بوقت طويل. في الوقت الحاضر، سينجو بفضل فرار ليليّ يكاد لا يُصدّق. وسيذكر بولس ذلك عندما يعدّد مغامراته الكثيرة المحفوفة بالمخاطر، في ٢ قور ١١: ٣٣.

شاول في اورشليم (آ ٢٦-٣٠)

رجع شاول إلى اورشليم، من حيث كان قد غادر ليجعل اضطهاد المسيحيّين يمتد حتّى سوريا. نفهم أنّ انخراطه في مجموعة تلاميذ يسوع، في اورشليم، لم يمرّ من دون صعوبة، إذ أنّهم كانوا قد احتفظوا بذكرى مريّة للخراب الذي خلفه في صفوفهم (رج ٨: ٣)، كما بدا لهم ارتداده المفاجيء لا يُصدّق. لكنّ برنابا، وهو رجل ذو فكر منفتح، منحه ثقته وقدمه إلى التلاميذ، كافلاً أصالة لقائه بالربّ، والشهادة التي أدّاها في دمشق (آ ٢٦-٢٧).

مذ ذاك، أصبح شاول مقبولاً، ليس فقط كعضو في الكنيسة، إنّما كمبشّر بالإنجيل أخذ يجوب المدينة المقدّسة مع الرسل، ومثلهم راح يبشّر بجرأة توحى أنّه هو أيضاً مملوء من الروح القدس، كما كان حنانيا قد أعلن له (٩: ١٧). فذاك الذي كان قد أيد "تصفية" إسطفانوس (٨: ١)، يتولّى الآن مقاليد الأمور بدلاً منه، كونه ذا ثقافة يونانيّة، على مثاله، لكي يتوجّه بالكلام إلى يهود المدينة الهلينيّين؛ لكنّه أثار ضده العداء نفسه، إلى حدّ التصميم على إزالته (الفعل نفسه كما في آ ٢٣). لا تسعى الجماعة بشكل منهجيّ إلى الاستشهاد: حين علم الإخوة بخطر الموت الذي يهدّد شاول، حملوه

على المغادرة إلى طرسوس، بعد أن رافقوه، بدافع الاحتياط، إلى قيصرية (آ ٢٨-٣٠). لا يُقال إذا كان مكلفاً بمهمة معينة، ولن نعلم شيئاً عن نشاط شاول في مسقط رأسه. فلو كان لا يكتب سيرة حياة بولس، كما لم يفعل ذلك لبطرس أو ليسوع بالذات. وعلى الصعيد السردي، يبدو بولس قد وُضع في شبه احتياط لمهمته المقبلة.

في ما مضى، كانت للراوي رغبة في أن يؤسس، لاهوتياً، تبشير الوثنيين بالإنجيل، وكان قد أعلن انه سيكون أصلاً عملاً شاول، مع ربطه بخبرة بطرس الحاسمة، وهي ستظهر من جديد في خضم النشاط في الفصول المقبلة.

٣. خدمة بطرس في اليهودية: معجزتان لدى المؤمنين (٩: ٣١-٤٣)

٣١ كَانَتْ الْكَنِيسَةُ تَنْعَمُ بِالسَّلَامِ فِي جَمِيعِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْجَلِيلِ وَالسَّامِرَةِ. وَكَانَتْ تَنْشَأُ وَتَسِيرُ عَلَى مَخَافَةِ الرَّبِّ، وَتَنْمُو بِتَأْيِيدِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ.

٣٢ وَكَانَ بَطْرُسُ يَسِيرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَزَلَّ بِالْقِدِّيْسِينَ الْمَقِيمِينَ فِي اللَّدِّ،

٣٣ فَلَقِيَ فِيهَا رَجُلًا اسْمُهُ أَيْنِيَّاسُ يَلْزِمُ الْفِرَاشَ مِنْذُ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ، وَكَانَ مُقْعَدًا.

٣٤ فَقَالَ لَهُ بَطْرُسُ: "يَا أَيْنِيَّاسُ، أَبْرَأُكَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، فَقُمْ وَأَصْلِحْ فِرَاشَكَ بِيَدِكَ!" فَقَامَ مِنْ وَقْتِهِ.

٣٥ وَرَأَى جَمِيعَ سُكَّانِ اللَّدِّ وَسَهْلِ الشَّارُونَ فَاهْتَدَوْا إِلَى الرَّبِّ.

٣٦ وَكَانَ فِي يَافَا تَلْمِيذَةٌ اسْمُهَا طَايِيشَةُ، أَيِ ظَبِيَّةٍ، غَنِيَّةٌ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالصَّدَقَاتِ الَّتِي تُعْطِيهَا.

٣٧ فَاتَّفَقَ أَنَّهَا مَرَضَتْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَمَاتَتْ. فَعَسَلَوْهَا وَوَضَعُوهَا فِي عُثْيَةٍ.

٣٨ وَلَمَّا كَانَتْ اللَّدُّ قَرِيبَةً مِنْ يَافَا سَمِعَ التَّلَامِيذُ أَنَّ بَطْرُسَ فِيهَا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ وَنَاشَدُوهُ: "لَا تَتَأَخَّرْ فِي الْمَجِيءِ إِلَيْنَا".

٣٩ فَقَامَ بَطْرُسُ وَمَضَى مَعَهُمَا. فَلَمَّا وَصَلَ صَعِدُوا بِهِ إِلَى الْعُثْيَةِ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْأَرَامِلِ بَاكِيَاتٍ يَرِيْنُهُ الْأَقْمِصَةَ وَالْأَرْدِيَّةَ الَّتِي صَنَعَتْهَا ظَبِيَّةٌ إِذْ كَانَتْ مَعَهُنَّ.

٤٠ فَأَخْرَجَ بَطْرُسُ النَّاسَ كُلَّهُمْ، وَجَثَا وَصَلَّى ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى الْجَثْمَانِ وَقَالَتْ: "طَايِيشَةُ، قُومِي!" فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا، فَأَبْصَرَتْ بَطْرُسَ، فَجَلَسَتْ.

٤١ فَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ وَأَمْسَحَهَا ثُمَّ دَعَا الْقِدِّيْسِينَ وَالْأَرَامِلَ فَأَرَاهُمْ إِيَّاهَا حَيَّةً.

- ٤٢ فانتشرَ الحَبْرُ في يافا كُلِّها، فأَمَنَ بِالرَّبِّ خَلْقٌ كَثِيرٌ.
- ٤٣ وَمَكَثَ بَطْرُسُ بضعَةَ أَيَّامٍ في يافا عِنْدَ دَبَّاغٍ اسْمُهُ سِمَعَانُ.

خلاصة جديدة (آ ٣١)

تَرُدُّ هذه الآيةُ مثلَ لازمة، بعد سلسلة من الروايات المفصلة (بدءاً بـ ٦ : ٧)، لإعطاء القارئ نظرة شاملة عن حياة الكنيسة ونموها. نلاحظ أنَّ الاضطهاد الموقَّت، في أعقاب رجم إسطفانوس، قد هدأ.

تَبَيَّنَت الكنيسةُ في فلسطين كُلِّها، بما فيها الجليل الذي لم يتكلم لوقا بعد عن تبشيره بالإنجيل (ثغرة مماثلة لتلك التي كانت تتعلق بسوريا [رج ما قيل أعلاه]، وهي تستدعي الملاحظة نفسها). ومفردات هذه الخلاصة الوجيزة هامة: يبدو أنَّ الكنيسة، في المفرد، تشير إلى مجموع الجماعات؛ سيكون هذا الحال هو ذاته أيضاً في ٢٠ : ٢٨. وفي سائر الأحوال (١٧ حالة) يشير هذا المصطلح إلى جماعة محلية خاصة. ونجد صيغة الجمع، "الكنائس"، في ١٦ : ٥. تلك صورة بولسية جداً أن يُكْتَبَ أنَّ الكنيسة كانت تُبْنَى (أو تُشِيدُ؛ رج روم ١٤ : ٩؛ ١ قور ٣ : ٩؛ ١٤ : ٣؛ إلخ).

أخيراً، يلتقي التكلم على حماية الروح القدس مع النصوص اليوحناوية حيث يسوع يدعو الروح بصفة الفارقليط، أي "الحامي" (يو ١٤ : ٢٦؛ إلخ). أما في ما يتعلق بنمو الجماعة، فسواء القول عند لوقا، أنه من عمل الرب (رج ٢ : ٤٧)، أو من خصوبة كلمته (٦ : ٧)، أو، كما هنا، من الروح القدس.

شفاء إينياس : آ ٣٢-٣٥

في آ ٣٢، يبدو لنا بطرس وكأنه يمارس خدمة كهنوتية جوالة، ولكنها بالأحرى بمثابة تثبيت للجماعات أكثر منه تبشير بالإنجيل، أي بمثابة جولة رسولية في البلاد كُلِّها (حرفياً كان يتجول في كل مكان)، ويبدو، استناداً إلى الآية السابقة، أنه يشير إلى فلسطين. وصل إلى اللد (الاسم العبري لهذه المدينة، وهي تدعى لُدَّة في زمن العهد الجديد)، وهي مدينة تقع إلى جنوب سهل شارون الخصب. سوف يُصوِّر لوقا من جديد عمل الرسول العجائبي، وهو بمثابة امتداد لعمل يسوع، من خلال روايتين

مزدوجتين، كما فعل ذلك غالبًا في إنجيله. وللروايتين ميزات المعجزات التي صاغها التقليد الشفهيّ.

بدايةً لدينا رواية شفاء المخلّع، وهو يشبه الشفاء الذي رُوي في ٣: ١-١٠، شفاءً يذكر بخطوط من لو ٥: ١٧ ي. في هذه الحالة حفظت الرواية اسم المقعد الذي شفي. قد تبدو اضافة ترتيب سريره بنفسه أمرًا غريبًا؛ إنّه يُصدي لأمر يسوع في لو ٥: ٢٤، وقد نقل هنا، لأنّ الرجل قد شُفي، على ما يبدو، في بيته. هذا الشفاء هو فوريّ، كما هو الحال في الغالب في روايات المعجزات، ولا يتوجّه التمجيد إلى الرسول بل إلى الربّ الذي يرجع إليه جميع سكّان اللدّ وساحل شارون. ولا يخشى لوقا، بالمناسبة، من تحميل اللوحة بعض الشياء بتعميمات كهذه!

إقامة طابيتا من الموت (آ ٣٦-٤٣)

هذه المعجزة الثانية، وهي أكثر روعةً، تبيّن من جديد أنّ الرسل حصلوا على قدرة روحية مثل قدرة يسوع نفسه، يُعطوا علامات لانتصاره على الموت. كان لوقا قد روى "قيامتين" صنعهما يسوع (لو ٧: ١١-١٧؛ ٨: ٤٩-٥٦)، وهو يروي اثنتين في كتاب الأعمال، الثانية منهما صنعها بولس (رج ٢٠: ٧-١٢). وتُظهر الرواية الحالية تشابهًا جزئيًا مع معجزتي الإنجيل، لكن أيضًا مع رواية المعجزات التي تُنسب إلى إيليا (١ مل ١٧: ١٧-٢٤) وإليشاع (٢ مل ٤: ٢٤-٣٠).

يصعب علينا التصديق بإمكانية إنعاش جثة. ويُخيّل إلينا أنّ قدرة الشافين تتوقّف، على كل حال، أمام الطابع الجذري والعضال للموت. ذلك كان حال أصدقاء لعازر (رج يو ١١: ٣٧). فمن دون الادّعاء بتفسير ما لا يُفسّر، يعلم قارئ الكتاب المقدّس أنّ هذه الحالات الاستثنائية، في منظار الإيمان البيبليّ، ليست سوى شفاءات عجائبية: ويبقى مفهوم ما فوق الطبيعة غريبًا عنها. فقناعته تكمن في أنّ الله، الخالق، هو سيّد الحياة والموت؛ فهو الذي يُخرج الحياة من العدم، ويستطيع بشكل سياديّ أيضًا أن يعيد الحياة للموتى. كما ان الشفاءات أو الإفراجات العجائبية التي يمنحها بنعمته، تعلن مسبقًا عن قدرته التي هي أقوى من الموت، موت يعمل في المرض كما في جميع أنواع الاستبعاد التي تهدّد حياة البشر.

في يافا (يوبي في اليونانية) ماتت تلميذة (وهو الذكر الوحيد في العهد الجديد لهذه اللفظة في صيغة المؤنث) كانت غنية بأعمال الخير، بحسب نموذج المرأة التقية التي نجد ملامحها في ١ طيم ٢: ١٠. يطيب للوقا أن يذكر الصدقات، وهي شكل من مقاسمة الخيرات التي كان يمارسها المسيحيون واليهود (رج ١٠: ٢). لقد وُضع جثمانها في الغرفة العليا (هل هناك صلة مع ٢ مل ٤: ١١: ٢١؟). ويتم طلب نجدة من بطرس الذي كان على مقربة من المكان، في اللد؛ ولا يحدّد النصّ إذا كان قد قيل له عن السبب (آ ٣٦-٣٨). أما وجود، أرامل بيكين، فيذكر بـ لو ٨: ٥٢، كما يذكر الأمر بإخراجهنّ بنصّ مر ٥: ٤٠؛ وتذكر صلاة بطرس (وهي اشارة غائبة في رسل ٣: ٦) بصلاة إيليا وإليشاع في روايات سفر الملوك. أما الكلمة الفعّالة، قومي! (وهو أحد الأفعال الكلاسيكية للكلام على القيامة)، فتلقتي مع كلمة يسوع الذي أمر بنهوض ابن أرملة نائين وابنة يائير، في لو ٧: ١٤ و ٨: ٥٤ (وقد عبّر عنها بالفعل الآخر للكلام على القيامة: الهض!). لم يكن هناك أمرٌ بالصمت كما في لو ٨: ٥٦؛ وإنما على العكس، فقد انتشر خبر الأعجوبة (رج لو ٧: ١٦ي). وعلمت مدينة يافا بأكملها كما في آ ٣٥، بخبر الأعجوبة، حتى أنّ كثيرين آمنوا بالله.

وتسجّل آ ٤٣ محطة انتظار باتجاه الرواية اللاحقة. وسوف نكتشف أنّ ذكر سمعان الدباغ، يمكن ألا يكون مجرد قصة.

٤. كرنيليوس وذووه هم أول الوثنيين الذين قبلوا الروح القدس والعماد (١٠: ١ - ١١: ١٨)

نجد هنا الرواية المتتابعة الأطول في كتاب الأعمال، وتشتمل على وحدة في الموضوع لا يمكن تجاهلها، كما تحتوي على العديد من التكرارات التي قد تبدو للوهلة الأولى مملّة. لكن، باستثناء الحشو الذي يجعلها في قربي مع الحكايات الشعبية، مما يسمح بترسيخ أشياء مهمّة في ذهن القارئ، نرى أنّ هذه التكرارات العديدة مليئة بفروقات دقيقة. ويعتقد مفسّرو الكتاب المقدّس الذين يبحثون عن طبقات متتالية في تحرير الكتاب، وجود رواية أولى أكثر بساطة، أتقلتها الانشاءات المتتالية. فعند قراءة الرواية في نصّها الأخير، مع الانتباه إلى مؤثرات الأسلوب، نكتشف أنّ هذه الاضافات التي لا تنقصها المهارة، تشهد لفنّ لوقا الرفيع لفكاهته أحياناً. وبخلاف الخطب اللاهوتية المجردة،

نراه يبدع، عبر طريقته في السرد، في تمرير تعليم ديني عميق جداً. فمن أجل تيسير العرض والقراءة، سنقسم مجمل الرواية إلى أجزاء ثلاثة.

١- الرؤيا المزدوجة (١٠: ١-٢٣)

- ١ كان في قيصريّة رجلٌ اسمه قرنيليوس، قائدٌ مائةٍ من الكنيّة التي تُدعى الكنيّة الإيطاليّة.
- ٢ وكان تقيّاً يخافُ الله هو وجميعُ أهل بيته، ويتصدّقُ على الشعبِ صدقاتٍ كثيرة، ويواظبُ على ذكْرِ الله.
- ٣ فرأى نحوَ السّاعةِ الثّالثةِ بعدَ الظُّهرِ في رؤيا واضحةٍ ملاكُ الله يدخلُ عليه ويقولُ له: "يا قرنيليوس!"
- ٤ فحدّقَ إليه، فاستولى عليه الخوفُ فقال: "ما الخبرُ سيّدي؟" فقال له: "إن صلواتك وصدقاتك قد صعدت ذكراً عند الله.
- ٥ فأرسل الآن رجالاً إلى يافا واذع سمعان الذي يُلقبُ بطرس.
- ٦ فهو نازلٌ عند دَبَاغِ اسمه سمعان، وبيته على شاطئ البحر."
- ٧ فلما انصرف الملاك الذي كلمه، دعا اثنين من خدّمه وجندياً تقيّاً ممن كانوا يلازمونه،
- ٨ وروى لهم الخبرَ كُلّه، وأرسلهم إلى يافا.
- ٩ فبينما هم سائرون في الغد وقد اقتربوا من المدينة، صعد بطرس إلى السطح نحو الظهر ليُصلي،
- ١٠ فجاء فأراد أن يتناول شيئاً من الطعام. وبينما هم يُعدّون له الطعام، أصابه جذب.
- ١١ فرأى السماء مفتوحة، ووعاء كسماطٍ عظيمٍ نازلاً يتدلى إلى الأرضِ بأطرافه الأربعة.
- ١٢ وكان فيه من جميع ذوات الأربعِ وزحافات الأرضِ وطيور السماء.
- ١٣ وإذا صوتٌ يقولُ له: "قم يا بطرس فأذبح واكل."
- ١٤ فقال بطرس: "حاش لي يا رب، لم آكل قط نجساً أو دنساً."
- ١٥ فعاد إليه صوتٌ فقال له ثانياً: "ما طهره الله، لا تُنجسه أنت."
- ١٦ وحدث ذلك ثلاث مرّات. ثمّ رُفِع الوعاء من وقته إلى السماء.

- ١٧ فَتَحَيَّرَ بُطْرُسُ وَأَخَذَ يُسَائِلُ نَفْسَهُ مَا تَعْبِيرُ الرَّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا، وَإِذَا الرَّجَالُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ قُرْنِيلْيُوسُ، وَكَانُوا قَدْ سَأَلُوا عَنْ بَيْتِ سِمْعَانَ، وَقَفُوا بِالْبَابِ
- ١٨ وَنَادُوا مُسْتَخْبِرِينَ أَنْزِلْ بِالْمَكَانِ سِمْعَانَ الْمَلْقَبُ بُطْرُسُ.
- ١٩ وَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يُفَكِّرُ فِي الرَّؤْيَا، قَالَ لَهُ الرُّوحُ: "هَنَاكَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ يَطْلُبُونَكَ."
- ٢٠ فَقَمَّ فَاَنْزَلَ إِلَيْهِمْ وَاذْهَبَ مَعَهُمْ غَيْرَ مُتَرَدِّدٍ، فَإِنِّي أَنَا أَرْسَلْتُهُمْ."
- ٢١ فَنَزَلَ بُطْرُسُ إِلَى هَؤُلَاءِ الرَّجَالِ وَقَالَ لَهُمْ: "أَنَا مَنْ تَطْلُبُونَ. فَمَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ؟"
- ٢٢ قَالُوا: "إِنَّ قَائِدَ الْمِائَةِ قُرْنِيلْيُوسَ رَجُلٌ صَدِيقٌ يَتَّقِي اللَّهَ، وَتَشْهَدُ لَهُ أُمَّةُ الْيَهُودِ كُلُّهَا، أَوْعَزَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ طَاهِرَةٌ أَنْ يَدْعُوكَ إِلَى بَيْتِهِ لِيَسْمَعَ مَا عِنْدَكَ مِنْ أُمُورٍ."
- ٢٣ فَدَعَاهُمْ وَأَضَافَهُمْ.

إليك مشهد أول وضع فيه الشخصان الرئيسيان، كل في مكانه، بحيث يفهم القارئ للتو أن لقاءهما كان من تدبير العناية الإلهية. وكما أشرنا إلى ذلك أعلاه، إن فاعلي هذا التوجه الآتي من العلاء، هم على السواء الملاك، الرؤيا، الصوت، الروح القدس. والرسمه الأدبية للرؤيا المزدوجة، بشأن لقاء شاول وحنانيا (رج أعلاه)، تجد هنا توسعاً مطولاً. وتكرر اللفظة التي تُنقل بكلمة رؤوية، أربع مرات في هذه الرواية، وإحدى عشرة مرة في كتاب الأعمال، وإثني عشرة مرة في العهد الجديد.

رؤيا كرنيليوس (آ ١-٨)

تعني الآيتان الأوليان بالتعريف بدقة بكرنيليوس، وهو الشخصية الجديدة في الرواية، كما كان الحال بالنسبة إلى الخصي الحبشي. انه يسكن في قيصرية، المركز الدائم للحاكم الروماني على اليهودية، وهو قائد مئة في الكتيبة الإيطالية: كان إذاً ضابطاً وثيقاً في جيش الاحتلال، وربما كان هو ذاته رومانياً، حسب ما يوحي به اسمه. وعلى مثال قائد المئة الآخر، المجهول الاسم، وقد عرّف عنه لوقا في ٧: ١-١٠، كان متعاطفاً مع الدين اليهودي. حرفياً، كان يخاف الله، وهذا مصطلح تقني كان يشير في ذلك الزمان إلى وثنيين يعبدون الإله الواحد ويحفظون شريعته الخلقية، دون أن يبلغوا حدّ التحول إلى يهود عبر الختان، ودون أن يمارسوا التشريعات الطقسية كلها. كما انه كان كريماً بشكل خاص تجاه الجماعة اليهودية في المدينة، وكان رجل صلاة. في هذه الرواية التي

تهدف إلى سدّ الهوة الدينية التي كانت تفصل اليهود عن الوثنيين، تكون الشخصية التي وُضعت في الواجهة قد حققت مسبقاً، ومنذ الانطلاق، ذاك التقارب الذي سوف يستغلّه الروح.

منذ بدء المشهد في آ ٣، نلاحظ كم تحتوي الرواية على حوارات تُنقل بأسلوب مباشر. هوذا مرسل الله الذي رآه كرنيليوس داخلًا إلى بيته، يدعوه باسمه، كما في روايات بيبليّة عدّة بصدد ظهورات أو بصدد دعوة؛ وكما هو الحال دومًا، استولى الخوف على كرنيليوس. ويُطمئنه الملاك في الحال، لأنّ الله فكرّ به ايجابيا -حرفيًا: صلواته وصدقاته **صعدت تذكارةً أمام الله** (آ ٤). قد يكون هذا التعبير اقتباسًا من كلام الملاك رافائيل في قصة طوبيا (رج طو ١٢: ١٢)، ويعني أنّ هذه الأعمال قد حملت الله على أن يتذكر فاعلها بعين العطف.

والأمر الذي نقله الملاك إلى كرنيليوس (آ ٥-٦) مملوء بتفاصيل حول أسماء أشخاص وأماكن، وهي ضرورية للقيام بمهمّة استدعاء سمعان بطرس، لكن لا يقال شيء عن هدف هذا المسعى: هكذا، وعلى امتداد الرواية، سترتب على الأشخاص الذين "تحركهم" رسائل سماوية أن يبحثوا عن معنى للإشارات الموجهة إليهم.

أما لوقا، بتكراره أنّ مضيّف بطرس **يعمل كدباغ**، فهو بذلك يوجّه اشارة إلى القارئ النبيه. ذلك ان مهنة الدباغة، نظرًا إلى التشريعات اليهودية في ذلك الزمان، كانت بالفعل مهنة "دنسة". ولا نعلم إن كان سمعان هذا يهوديًا اهتدى إلى الإيمان المسيحي (وهذا أمر محتمل)، لكنّ ذكر مهنته قد يشير من طرف خفي إلى أنّ بطرس، من ناحيته (بالرغم من تأكيدات اللاحقة)، كان في الواقع قد ابتعد عن القواعد الصارمة التي سنّها الرابينيون في ما يخصّ الطهارة: ذلك يشكّل خطوةً صغيرةً إلى الأمام، قد لا تكون مقصودة، باتجاه الوثنيين، أولئك "الأنجاس". والنصّ اليوناني الذي يفتح آ ٦ هو ذو إحاء في هذا الاتجاه، إذ أنّ الفعل المنقول بكلمة "استضاف" يعني حرفيًا **استقبل الغريب**. وهكذا يمكن لقارئ النصّ الأصلي أن يستشعر من هذه اللحظة أنّ الرواية ستؤدي ببطرس إلى "انفتاح على الغريب"، هو بالتالي أكبر بكثير.

ينظّم كرنيليوس، من دون تأخر، المهمة الموكلة إليه. وكان لوقا قد سبق وأشار، في آ ٢، أنّ كرنيليوس كان يشرك أهل بيته في تقواه. ونراه في آ ٨ يتصرّف كرئيس

فيقدم تبريراً للأوامر التي يُصدرها، ويُقاسم هنا بالأخصّ ما يحصل له مع هؤلاء الرجال الثلاثة: لقد فسّر لهم كلّ شيء قبل ان يرسلهم إلى يافا، وهذا ما يشكّل علامة ثقةٍ مميّزةٍ تجاههم.

رؤيا بطرس (آ ٩-١٦)

وبإعارةٍ سرديّةٍ كبيرة، يربط لوقا هذا المشهد إلى سابقه: فموفدو كرنيليوس كانوا في الطريق، وخلال ذلك، حصل شيء في المكان الذي كانوا يقصدونه، وللشخص الذي كانوا يبحثون عنه. فبطرس، الذي ما زال ذلك اليهوديّ التقويّ، كان قد حافظ ولا شك على عادات أوقات الصلاة اليوميّة الثلاثة، وهكذا اعتزل على سطح البيت لصلاة الظهر. وفي انتظار الغداء الذي كان يُهيأ له، حصل له انخفاف.

إنّ تعبير "انخفاف" هو جدّ نادر (استعمل سبع مرّات في العهد الجديد، خمسٌ منها استعملها لوقا، ونجد الفعل الموافق ثماني مرّات في كتاب الأعمال للتعبير عن ذهول كبير)، وله هنا المعنى التقنيّ الذي للكلمة في الفرنسيّة (extase)، للدلالة على خبرة روحيّة يكون فيها الإنسان وكأنه خارج نفسه. سيستعمل بولس التعبير ذاته ليورد ذكرَ وحيٍ حصل له عندما كان يصليّ في الهيكل (رج ٢٢: ١٧). إلا ان لوقا، في آ ١٧ و١٩، سيتكلّم على رؤيا، مما يعني ان هذين التعبيرين هما بالتالي مترادفان. وبالفعل يرى بطرس (بمعنى "شاهد" أو "تأمل") السماء مفتوحة: هذا التعبير، في اللغة الروميّة، ينيء دوماً بوحى إلهيّ.

إنّ ما يراه بطرس غريب جدّاً. كانت الترجمات القديمة، المتأثرة بالتأكيد بسياق وجبة الطعام، تتكلّم على غطاء المائدة؛ في الواقع، يتعلّق الأمر بوعاء كبير من القماش يحتوي على جميع أنواع الحيوانات تقريباً، ما عدا السمك! من المؤكّد أنّ الرسول ارتبك جدّاً أمام هذا المشهد الذي يشبه حلمًا غريباً. لكنّ الصوت الذي يتوجّه إليه، كما في جميع الرؤى البيبليّة حيث هناك كلمة ترافق (وغالباً ما تفسّر) العلامة المرئيّة، قد أربكه بالأكثر. لم يكن تفسيراً، بل أمراً، وبايجاز مدهش، وهو حرفياً: قم، يا بطرس، اذبح وكل! وكان يحقّ لبطرس أن يتساءل ما إذا كانت هذه الرؤيا تجربة شيطانيّة، لأنّ ما أمرَ به هو تدنيس للمقدّسات: لقد كان في ما يشبه سفينة نوح من قماش، حيوانات كانت

تُعتبر دنسة، يُمنع استهلاكها (رج أح ١١). ولما كان بطرس مكبلاً بتربيته اليهودية، احتجّ للتوّ بأنه يستحيل عليه أن يأكل طعاماً محرّماً: فهو لم يخالف في حياته أبداً هذه القواعد الغذائية الإلزامية، وهي تفصل اليهودي عن الوثني! لكنّه سمع ردّاً شديداً: ما أعلنه الله طاهراً، لا تعلنه أنت ممنوعاً. فإذا لم يكن هذا الصوت يحمل كذبة شيطانية، فإنّه لا يعنى شيئاً آخر سوى ثورة دينية حقيقية: لقد غير الله شريعته! وأبطل التمييز بين الطعام الطاهر والنجس!

إنّما الصوت يستمر؛ فلكي يتأكد من أنّه قد سُمع بوضوح، كرّر النداء مرّتين. لا يسمح النصّ المقتضب للآية ١٦ بمعرفة ما إذا كان المشهد بأكمله يتكرر، أم هذا التصريح الأخير فقط. لكنّ الإشارة التي ينبغي إبرازها تكمن في الإلحاح القويّ الذي سيرك بطرس في ارتباك كبير، إذ كاد هذا التأكيد يكون مستحيلًا في نظر يهودي اعتنق حديثاً الإيمان المسيحي، وهو لا يزال مطبوعاً بالإشتمزاز من اللحوم النجسة، وهو اشتمزاز كان قد رُسّخ في ذهنه منذ الصغر.

بطرس ومؤندو كرنيليوس (آ ١٧-٢٣)

كان بطرس في خضمّ التفكير باللغز الذي تمثّله، بالنسبة إليه، الرؤيا التي كان قد رآها للتوّ، إذ أنّه لم يكن يفهم إلى أين يمكن أن يقوده ذلك، حين وصل الرجال الذين كان كرنيليوس قد أوفدهم. ويستمتع الراويّ في وصف طرحهم، وطلبهم بأسلوب مباشر (آ ١٧-١٨)، مشدداً بالأكثر على ان بطرس كان غارقاً في أفكاره (مستعملاً فعلاً يوحى بتركيز داخليّ كبير)، عندما ورده أمرٌ جديد، يُنسب هذه المرة إلى الروح القدس، وكان واقعياً جداً. يوجد (في اليونانية) الأمر نفسه كالذي في آ ١٣ -قم!-، وهو إنّما للانتقال إلى فعل بسيط جداً يقضي باللاحق بالرجال الثلاثة الذين أتوا ليبحثوا عنه. ويفترض الروح على الفور الاعتراض الذي كان بوسع الرسول أن يقدمه، عندما يكون قد أدرك أن الأمر يتعلق بالذهاب عند وثني. من المستحسن النقل وفق المعنى الحرفي، إذ هب معهم دون أن تقوم بأي تمييز (آ ٢٠). إنّهُ بالتحديد التمييز التقليديّ الذي كان يمنع يهودياً ما من دخول بيت وثني، وقد أصبح موضوع تساؤل. هوذا الروح يتكلّم مثل شخص كانت إرادته في الأساس من كلّ هذا المسألة؛ فبمبادرة منه، إذا، جاء ملاك إلى كرنيليوس: هذا على الأقلّ ما بوسعنا، نحن القراء، ان نفهمه، إذ أنّ

بطرس لم يكن بعد يعلم أيّ شيء بالتحديد. لذلك، عند نزوله عن السطح للقاء الموفدين، استوضحهم عن هدف مجيئهم (آ ٢١).

ويشكّل جوابهم "موجزاً" أوّل للمشهد الأوّل عند كرنيليوس: وهذا يبدأ بإضفاء طابع التكرار على الرواية، وهو طابع سيميّها حتّى النهاية، ويعطيها شكل حكاية شعبية (ولكنها، في الوقت عينه، حكاية جدّ لاهوتيّة!). ويستمتع القارئ من جديد مديحاً بحق قائد المئة على فم خدامه، الأمر الذي يؤكّد علاقتهم الجيدة. إنّما هناك شيء إضافي: يقول هؤلاء الرجال لبطرس أن سيدهم استدعاه من أجل سماع كلامه (آ ٢٢). والحال لم يكن الملاك قد قال شيئاً مثيلاً لكرنيليوس! وهنا يوحى لوقا بمهارة أن قائد المئة استنتج بذاته هذه الخلاصة: ينبغي أن يكون لسمعان الملقّب بطرس رسالة من لدن الربّ ينقلها إليّ؛ وكان قد أشرك موفديه بهذه القناعة.

هناك تفصيل أخير قد يبدو قصصياً، في هذا السرد الانتقالي، يسجّل بالفعل مرحلة في مسار بطرس الروحيّ؛ فباستضافة هؤلاء الرجال الثلاثة، وحرقيّاً باستقبال هؤلاء الغرباء (الفعل هو نفسه كما في آ ٦)، يكون بطرس قد بدأ بتطبيق نصيحة الروح، فلم يعد يميّز بينه، هو اليهوديّ الصالح أصلاً، وبين هؤلاء الوثنيين الذين لم يكن يجوز لهم أن يقيموا عنده تحت السقف ذاته! لقد بدا هذا الانتقال إلى الفعل عفويّاً ومن دون تخطيط مسبق؛ وسيكون لبطرس الوقت الكافي للتفكير بذلك واستخلاص كلّ نتائج المغامرة العريية التي جرّه إليها الروح، خلال يومي السير اللذين سيقودانه إلى قيصرية.

ب - بطرس عند كرنيليوس (١٠: ٢٣ب-٤٨)

- ^{٢٣} وفي الغد قام فمضى معهم، ورافقهم بعض الإخوة من يافا،
^{٢٤} فدخّل قيصرية في اليوم الثاني. وكان كرنيليوس ينتظرهم وقد دعا أقاربه وأخصّ أصدقائه.
^{٢٥} فلما دخل بطرس استقبله كرنيليوس وارتدى على قدميه ساجداً له.
^{٢٦} فأهضه بطرس وقال: "قم، فأنا نفسي أيضاً بشر".
^{٢٧} ودخل وهو يُحادثه، فوجد جماعة من الناس كثيرة.

٢٨ فقال لهم: "تَعْلَمُونَ أَنَّهُ حَرَامٌ عَلَى الْيَهُودِيِّ أَنْ يُعَاشِرَ أجنبيًّا أَوْ يَدْخُلَ مَترِلَه. أَمَا أَنَا فَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ لِي أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَدْعُوَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ نَجِسًا أَوْ دَنَسًا.

٢٩ فَلَمَّا دُعِيْتُ جِئْتُ وَلَمْ أَعْتَرِضْ. فَاسْأَلْكُمْ مَا الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ تَدْعُونِي".

٣٠ فقال له فرنيليوس: "كُنْتُ قَبْلَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ أُصَلِّي فِي بَيْتِي عِنْدَ السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَإِذَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَرَّاقَةٌ قَدْ حَضَرَ أَمَامِي

٣١ وقال: "يا فرنيليوس، سَمِعْتَ صَلَوَاتِكَ، وَذُكِرْتَ لَدَى اللهِ صَدَقَاتِكَ،

٣٢ فَأَرْسِلْ إِلَى يَافَا، وَادْعُ سِمْعَانَ الْمَلْقَبَ بَطْرُسَ، فَهُوَ نَازِلٌ فِي بَيْتِ سِمْعَانَ الدَّبَّاحِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ".

٣٣ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لَوْقِي، وَأَنْتَ أَحْسَنْتَ صُنْعًا فِي مَجِيئِكَ. وَنَحْنُ الْآنَ جَمِيعًا أَمَامَ اللهِ لِنَسْمَعَ جَمِيعَ مَا أَمَرَكَ بِهِ الرَّبُّ".

٣٤ فَشَرَعَ بَطْرُسُ يَقُولُ: "أَدْرَكْتُ حَقًّا أَنَّ اللهَ لَا يُرَاعِي ظَاهِرَ النَّاسِ،

٣٥ فَمَنْ اتَّقَاهُ مِنْ آيَةِ أُمَّةٍ كَانَتْ وَعَمِلَ الْبِرَّ كَانَ عِنْدَهُ مَرْضِيًّا.

٣٦ وَالْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهُ إِلَيَّ ابْنِ إِسْرَائِيلَ مُبَشِّرًا بِالسَّلَامِ عَنْ يَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِنَّمَا هُوَ رَبُّ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.

٣٧ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْأَمْرَ الَّذِي جَرَى فِي الْيَهُودِيَّةِ كُلِّهَا وَكَانَ بَدْؤُهُ فِي الْجَلِيلِ بَعْدَ الْمَعْمُودِيَّةِ الَّتِي نَادَى بِهَا يوحَنَّا،

٣٨ فِي شَأْنِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ كَيْفَ أَنَّ اللهَ مَسَحَهُ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ وَالْقُدْرَةِ، فَمَضَى مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيُبْرِئُ جَمِيعَ الَّذِينَ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لِأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ.

٣٩ وَنَحْنُ شُهُودٌ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ فِي بِلَادِ الْيَهُودِ وَفِي أُورَشَلِيمَ. وَالَّذِي قَتَلُوهُ إِذْ عَلَّقُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ

٤٠ هُوَ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَخَوَّلَهُ أَنْ يَظْهَرَ

٤١ لَا لِلشَّعْبِ كُلِّهِ، بَلْ لِلشُّهُودِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللهُ مِنْ قَبْلُ، أَيُّ لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلُوا وَشَرَبُوا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ.

٤٢ وَقَدْ أَوْصَانَا أَنْ نُبَشِّرَ الشَّعْبَ وَنَشْهَدَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ دَيِّانًا لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ.

٤٣ وَلَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِأَنَّ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا".

اللقاء في قيصرية (آ ٢٣ ب-٣٣)

لم يشأ بطرس أن يعيش وحده الاختبار الذي قاده الروح إليه: لذلك دعا بعض الإخوة من يافا لمرافقته، وهم بالطبع من اليهود المنتصرين مثله. أمّا كرنيليوس، من جهته، فلكي يعيش الحدث الأكبر الذي كان ينتظره، جمع عائلته وأصدقائه (آ ٢٣-٢٤). نحن إذاً بازاء فريقين سيتقابلان، فريق من المسيحيين من أصل يهودي، وفريق من الوثنيين المتعاطفين مع الديانة اليهودية. إنها بالفعل مغامرة مشتركة سيعيشانها معاً، وهي ستكشف لبطرس بالذات الأبعاد الحقيقية للجماعة الجديدة التي يؤسسها المسيح بين الناس. يوجد هنا في يونانية لوقا تأثير أسلوب يستحيل للأسف نقله إلى الفرنسية، يوحي مسبقاً بهذا الجانب من الرسالة: لفظة **مع** في آ ٢٣ ب نجدتها ستّ مرّات تسبق فعلاً أو اسماً، وحتى آ ١٢٧! لا تزال الهوة التي تفصل اليهود عن الوثنيين قائمة بين هذين الفريقين، في نظر الشريعة اليهودية المطبقة بصرامة، بالرغم من مساهمهم الروحي المسبق. وسيدكر بطرس بهذا في آ ٢٨، كما سيشهد لذلك في آ ٤٥ ذهول الذين كانوا يرافقونه، **هم الذين كانوا يهوداً** (كانوا إذاً ما يزالون كذلك، بالرغم من أنهم أصبحوا مسيحيين).

وإذ كان كرنيليوس متأثراً لدى وصول بطرس، انحنى أمامه، معتبراً إياه مرسلًا من السماء؛ لكن بطرس رفض هذا الإجلال الزائد: **لست سوى انسان، أنا أيضاً** (آ ٢٦)، وبالتالي، رجل مثلك أنت، يا كرنيليوس. وأخذ الرسول يُدرك ما يعنيه كوننا إخوة في الإنسانية، رغم الحواجز العرقية والثقافية أو الدينية. لم يكن ذلك واضحاً بالنسبة إليه في السابق، وهذا ما افترضه تصريحه الأول أمام الجماعة الصغيرة الملتزمة عند كرنيليوس (آ ٢٨-٢٩).

يبدأ بطرس بالتذكير بقانون الفصل الصارم الذي يمنع اليهودي من الاختلاط بغريب، أو من الدخول إلى بيته. حتى ذلك الوقت، لم تكن الجماعة اليهودية-المسيحية قد تحررت من هذه المنوعات. يجب أن نفهم تأكيد الرسول بمثابة اعترافٍ بوعي جديد جدًّا: **لقد بين لي الله (تعني في الواقع لقد بين لي الله للتو) بأنه يجب ألا نعلن نجسًا أو محرّمًا أيّ إنسان.**

تستحقّ هذه الصياغة أن تتوقّف عندها. لا يدّعي بطرس أن الله أشركه صراحةً في هذه الحقيقة التي تقلب مفاهيمه الدينيّة؛ ففي رؤياه التي يلمح إليها ضمناً، قال الصوت في ما يتعلق بالأطعمة النجسة: "ما أعلنه الله طاهراً، لا تعلنه أنت محرّماً". ويكرر بطرس الصفتين ذاقهما، ولكن لكي يطبّقهما على الناس. لقد حوّل إلى مجال العلاقات البشريّة ما كان يتعلّق بالطعام، وعرف أن يفسّر معنى رؤياه بوضعها في علاقة مع نداء كرنيليوس: إذا كانت الحيوانات المعتبرة نجسة لم تعدّ كذلك، فإنّ معاشرّة الوثنيين الذين يستهلكون هذه الأطعمة المحرّمة أصبحت ممكنة؛ هذا ما أراد الله أن يُفهمي إياه! لقد بلغ بطرس إلى هذه الخلاصة، وهي بمثابة ثورة ذهنيّة بالنسبة إليه كيهوديّ، من خلال عمل فكريّ يمكن أن نعتبره رمزياً، إذ إنّته قرّب، أي "وضع جنباً إلى جنب" (نقلٌ حرفيٌّ لكلمة sym-bole) العلامة التي تمّ تلقّيها في رؤياه، من جهة، والحدث الذي تلا، من جهة ثانية. وفي ختام هذا التفكير الشخصي، استطاع أن يستنتج: "الربّ بين لي". لقد عاش اختباراً، وفكّر فيه ملياً، ثمّ توصل إلى أن يتفوّه بمعناه بكلمات واضحة، وكأنّه كشفٌ واضح من الله. ولوقا، من دون أن يبدو وكأنّه لمسه، جعلنا ندرك بدقّة كبيرة، ومن دون ألفاظ مجرّدة، ما يقوم عليه درس اللاهوت: إدراكُ حقيقة الله وصياغتها من خلال تفسير العلامات التي يوجّهها إلينا، سواء في كلمته أم في ما يعطينا أن نحياه.

من النافل أن نتوقف طويلاً عند الآيات التي تلي؛ فبعد هذا التصريح الاحتفالي، يبدو بطرس وكأنّه راغب في سماع كرنيليوس ذاته يكرّر الدافع لدعوته (آ ٢٩)، علماً أنّه كان يعرف الجواب مسبقاً. إنّها المناسبة بالنسبة إلى الراوي لكي يقدّم لنا موجزاً ثانياً عن الرؤيا الأولى، مع بديلة صغيرة: أصبح الملاك "رجلاً في ثوب أبيض" (لو ٢٤: ٤؛ رسل ١: ١٠)، ومن ثمّ يعرب كرنيليوس عن شكره لبطرس لأنّه لبّى دعوته، ويعبّر بشكل جميل عن انتظار الجماعة الصغيرة، وقد بدت مسبقاً منفتحة لرسالة ذاك الذي سيكون الناطق باسم الربّ (آ ٣٠-٣٣). لكمّ نتمنى أن تكون الجماعات الكنسية بأجمعها على هذه النوعيّة من الإصغاء، وهذا القبول بكراسة بالإنجيل.

خطبة بطرس (آ ٣٤-٤٣)

قبل الانتقال إلى التصميم الكلاسيكي لإعلان الإنجيل، وقد أضحى الآن معروفاً بشكل جيد لدى القارئ، يشعر بطرس بالحاجة إلى أن ينظر، لذاته كما لمستمعيه، الاكتشاف الروحي الذي تمّ قبل قليل، وقد دعمته بكل تأكيد شخصية كرنيليوس واستقباله. انها المرة الأولى يتوجّه فيها إلى غير اليهود، ومطلع خطبته مرتبط بهذا الظرف الجديد. نراه يعلن، إذًا، وبشكل احتفالي، بأن لا تمييز عرقياً عند الله: فهو يقرّ بوجود التقوى والبرّ واضحين لدى غير اليهود. هناك بالتأكيد أسبقية تاريخية لإسرائيل الذي تلقى كلمة الله قبل غيره، لكنّ هذه الكلمة كانت تبشّر بخلاص شامل تحقّق الآن في يسوع المسيح، ربّ الجميع، فيه يكون ممكناً أن تتصالح أجزاء بشرية منقسمة (آ ٣٤-٣٦). انه موضوع السلام الذي تمّ تلقّيه من المسيح، وهو يهدم جدران الفصل، وخاصةً الحائط الذي كانت الشريعة قد أقامته بين اليهود والوثنيين. وهنا يلتقي بطرس بموضوع عرضه بولس في رسالته إلى أهل أفسس، حيث يبدو موضوع السلام وكأنّه العنصر الحاسم لـ "سرّ المسيح"، الموحى إلى بولس (رج أف ٢: ١١ - ٣: ٦). ويرمي لوقا إلى القول بأنّ هذا السرّ قد كُشف لبطرس أيضاً!

مع تبيين الموضوعات الأساسية لخطبة تبشير الإنجيل في آ ٣٧-٤٣، يجب الإشارة إلى بعض الخطوط الفريدة التي أدخلها لوقا عليها لكي لا يُسئم قارؤه. وأهمّها، في آ ٣٨، التلميح إلى رسالة يسوع في الجليل، واجتراحه الشفاءات، وبما كان يعمل على تقهقر سلطان الشيطان (رج لو ١١: ١٧-٢٢). لم يكن بطرس قد ذكرها في خطاباته الموجهة إلى يهود اورشليم، ويُفترض أنّهم كانوا على علم بما. ذلك يضيف على الخطبة عند كرنيليوس، بالرغم من ايجازها، شكل لحة عن المغامرة الإنجيلية كلّها، منذ عماد يوحنا وحتى القيامة: وهذا هو، بشكل عام، مخطط إنجيل مرقس، وهو ذاته يتوافق مع التعليم الرسوليّ في الأزمنة الأولى.

في آ ٤٠، يأتي بطرس على ذكر القيامة في اليوم الثالث، وهو تعبير تقليديّ يعرفه لوقا (رج لو ٩: ٢٢؛ ١٨: ٣؛ ٢٤: ٢٦)، ولكنّه الذكر الوحيد في سفر أعمال الرسل. أن يكون يسوع قد اختير بصفته ديّان الأحياء والأموات (آ ٤٢)، فهذا يقينٌ مدوّنٌ في "قانون إيمان الرسل": من المثير أنّنا لا نجد هذه الصبغة، في العهد الجديد كلّ، إلاّ هنا

وفي ٢ طيم ٤: ١ و ١ بط ٤: ٥. وباستثناء ذلك، لا تفيدنا آ ٤١-٤٣ عن أي شيء جديد، لكن بإمكاننا أن نلاحظ التشديد على الشهادة الخاصة الموكّلة إلى الرسل، بالمعنى الذي حدّده لوقا في رسل ١: ٢٢ (ذُكرت آ ٣٩ تحديداً بأنهم يستطيعون أن يشهدوا لـ كل ما صنعه يسوع في بلاد اليهود). أما مضمونه، فيتوافق مع الإعلان الذي أطلقه يسوع في لو ٢٤: ٤١-٤٢، بما في ذلك الإشارة إلى شهادة الأنبياء. ولكن الترجمة الليتورجية سهت عن التوازي اللوقاوي بامتياز: قَبْلَ بِاسْمِهِ مَغْفِرَةٌ خَطَايَاهُ (آ ٤٣). ومع ذلك، فان بطرس، من دون أن يجرؤ على القول صراحةً بأن هذه الرسالة يجب أن تُعلن لكل الأمم، يوحي بذلك من خلال صيغة كل من يؤمن، وهي تشكّل تضميناً مع كلماته الأولى: لا يفرّق الله بين الناس (آ ٣٤).

عنصرة الوثنيين (آ ٤٤-٤٨)

كان بطرس بالتأكيد سيُنهى خطبته بدعوة مستمعيه إلى التوبة، لكن ذلك بدا نافلاً. وقبل أن يقوم كرنيليوس وأهل بيته برّدّة فعل على إعلان البشري السارّة، نزل الروح القدس على كل الذين كانوا يصغون إلى الكلمة، الأمر الذي أذهل جدّاً رفقاء لبطرس من اليهود-المسيحيين (حرفياً: المؤمنين الآتين من الختان)، خاصّةً وأنّ عطية الروح القدس تزامنت مع ظاهرة "التكلّم بالألسن" (آ ٤٤-٤٦). حرفياً: كانوا يسمعونهم يتكلّمون بلغات ويمجدون الله (رج ٢: ١١). ونجدنا هنا بازاء تقارب واضح مع الحلول الأوّل للروح على الفريق الرسوليّ، وكأنّ الروح القدس أراد علناً أن يشهد بأنّ مرحلة جديدة حاسمة افتتحت بتبشير الأمم الوثنية بالإنجيل. لقد وجّه الروح كلّ شيء منذ البداية من أجل البلوغ إلى هذا الظاهرة الخارقة.

بالرغم من ان رفاق بطرس كانوا مُهيئين مبدئياً، من خلال خطبته، فإنّهم لم يصدقوا أعينهم أن يروا ذلك التأكيد مجسّداً على الفور وبالتمام بأنّ الله لا يفرّق بين الناس. هذا هو في الغالب حال "المؤمنين" الذين هم نحن، عندما يكون المقصود قبول بعض النتائج العملية لمبادئنا المسيحية الحسنة، أو عيش متطلّباتها!

بطرس، من ناحيته، إذا كان الحدث قد تحطّاه، فإنّه يقوم برّدّة فعل بصفته مسؤولاً كنسياً. لقد بين الله بوضوح إرادته، ولم يعد يبقى للمؤسسة سوى أن تتبعها.

هناك استنتاج منطقي جديد يؤسس قرار الرسول "بلاهوت عملي". ففي خلفيّة سؤاله الخطابي، بكل ما للكلمة من معنى، نكتشف من دون شك، كما في ٨: ٣٦، صدى ليتورجيات عماديّة توحى بوجود عوائق محتملة في وجه العماد: أنستطيع أن نرفض ماء العماد هؤلاء الناس الذين قبلوا الروح القدس تمامًا مثلنا؟ (حرفيًا: أيستطيع أحد ما أن يمنع التعميد؟ آ ٤٧). وإذا لم يكن في الجواب من شك، تم فوراً تعميد هؤلاء الناس. أما اعترافهم الإيماني، فكان بالتأكيد مضمراً من قبل الراوي. والطلب الذي يسوقونه إلى بطرس، بأن يبقى بضعة أيام معهم هو ذو مدلول. وكما تلاحظ الترجمة المسكونيّة للكتاب المقدس جيّداً، فإن "شراكة الحياة، ومن دون شك شراكة المائدة التي تقتضيها الضيافة، تكرس وجود الكنيسة الجديدة في قيصرية".

ج - بطرس يبرز ذاته أمام كنيسة أورشلهم (١١: ١-١٨)

- ١ وَسَمِعَ الرُّسُلُ وَالْإِخْوَةَ فِي الْيَهُودِيَّةِ أَنَّ الْوَتِنِيِّينَ هُمْ أَيْضًا قَبِلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ.
- ٢ فَلَمَّا صَعِدَ بَطْرُسُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، أَخَذَ الْمُخْتُونُونَ يُخَاصِمُونَهُ
- ٣ قَالُوا: "لَقَدْ دَخَلْتَ إِلَى أَنَاسِ قُلُوبٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُمْ"
- ٤ فَشَرَعَ بَطْرُسُ يُعْرِضُ لَهُمُ الْأَمْرَ عَرَضًا مُفْصَلًا قَالَ:
- ٥ "كُنْتُ أُصَلِّي فِي مَدِينَةِ يَافَا. فَأَصَابَنِي جَذْبٌ فَرَأَيْتُ رُؤْيَا، فَإِذَا وَعَاءٌ هَابِطٌ كَسِمَاطٍ عَظِيمٍ يَتَدَلَّى مِنَ السَّمَاءِ بِأَطْرَافِهِ الْأَرْبَعَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ.
- ٦ وَحَدِّقْتُ إِلَيْهِ وَأَمَعَنْتُ النَّظَرَ فِيهِ فَرَأَيْتُ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ الَّتِي فِي الْأَرْضِ وَالْوُحُوشَ وَالزَّحَافَاتِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ.
- ٧ وَسَمِعْتُ صَوْتًا يَقُولُ لِي: قُمْ، يَا بَطْرُسُ، فَادْبَحْ وَكُلْ.
- ٨ فَقُلْتُ: حَاشَ لِي يَا رَبِّ، لِمَ يَدْخُلُ فَمِي قَطُّ نَجِسٌ أَوْ دَنَسٌ.
- ٩ فَعَادَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ ثَانِيًا: مَا طَهَّرَهُ اللَّهُ لَا تُنَجِّسُهُ أَنْتَ.
- ١٠ وَحَدَّثَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَفَعَ كُلَّهُ إِلَى السَّمَاءِ.
- ١١ وَإِذَا ثَلَاثَةُ رِجَالٍ قَدْ وَقَفُوا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بِيَابِ الْبَيْتِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، وَكَانُوا مُرْسَلِينَ إِلَيَّ مِنْ قَيْصَرِيَّةِ.

- ١٢ فَأَمَرَنِي الرُّوحُ أَنْ أَذْهَبَ مَعَهُمْ غَيْرَ مُتَرَدِّدٍ. فَرَأَقَنِي هُوَ لِأَيِّ الإِخْوَةِ السَّتَّةِ، فَدَخَلْنَا بَيْتَ الرَّجُلِ،
- ١٣ فَأَخْبَرَنَا كَيْفَ رَأَى الْمَلَاكُ يَمْتَثِلُ فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ لَهُ: أَرْسِلْ إِلَى يَافَا، وَادْعُ سِمَعَانَ الْمُلَقَّبَ بِطَرُوسَ،
- ١٤ فَهُوَ يَرُوي لَكَ أُمُورًا تَنَالُ بِهَا الْخِلاصَ أَنْتَ وَجَمِيعُ أَهْلِ بَيْتِكَ.
- ١٥ فَمَا إِنْ شَرَعْتَ أَتَكَلَّمُ حَتَّى نَزَلَ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ كَمَا نَزَلَ عَلَيْنَا فِي الْبَدْءِ.
- ١٦ فَذَكَرْتُ كَلِمَةَ الرَّبِّ إِذْ قَالَ: إِنَّ يَوْحَنَّا عَمَدَ الْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسْتَعْمَلُونَ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ.
- ١٧ فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ وَهَبَ لَهُمْ مِثْلَ مَا وَهَبَ لَنَا، لِأَنَّآ آمَنَّا بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، هَلْ كَانَ فِي إِمْكَانِي أَنَا أَنْ أَمْنَعَ اللَّهَ؟".
- ١٨ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ، هَدَأُوا وَمَجَّدُوا اللَّهَ وَقَالُوا: "قَدْ وَهَبَ اللَّهُ إِذَا لِلوَتْنِيِّينَ أَيْضًا التَّوْبَةَ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ".

هذه الحلقة الأخيرة التي فيها سنسمع بطرس يوجز من جديد المسألة كلها منذ البداية، ستبدو متعبة بالنسبة إلى القارئ الذي هو على عجل من أمره! لماذا إذاً تكرر ما صرنا نعلمه مسبقاً؟ ولكن، مع شيء من الانتباه، سنرى أن إلحاح لوقا على هذه الأحداث يرمي إلى تعميق الوعي بمضمونها الهائل. فالرواية مؤطرة بتضمين يجري فيه تكرار الجدة الكبيرة، ألا وهي أن الأمم الوثنية قد قبلت هي أيضاً كلمة الله (آ ١)، أو الاهتداء الذي يُدخل في الحياة (آ ١٨). لكن في البداية، نحن بازاء معلومة تصل (عبر الإشاعة الشعبية التي سبقت بطرس؟) إلى كنيسة اليهودية، وتثير عثرة ذوي الختان. وفي النهاية، سيكررون هم ذاتهم هذا الخبر غير المسبوق، بنبرة اندهاش، ممجدين الله! ستفيد الرواية عن هذا التحول المدهش.

اللوم الشديد الذي وجهه المسيحيون من أصل يهودي في أورشليم إلى بطرس، يبين ما هي نقطة الانطلاق في هذه المغامرة التي سيرها الروح. لقد بقي مراقبو الرسول تحت نير شريعة الله التي رُسخت فيهم، فجعلتهم يقومون بردة فعل شبيهة بردة فعل بطرس في بداية القصة، عندما سمع الصوت السماوي. فمن وجهة نظرهم، يكون بطرس قد تعدى الشريعة، بشكل سافر، عندما دخل عند وثنيين أنجاس (كرنيليوس، الذي بالرغم من أنه كان "يخاف الله"، بقي "غير مختون" وبالتالي تُحظر معاشرته!)، وعندما

أكل معهم صار مذنبًا بسبب تواطؤ غير مقبول. لم يكن من الصعب على بطرس أن يتفهمهم، إذ كان يتوقَّع ردَّة الفعل هذه المليئة بالعتار.

ولكي يجعلهم يتخطَّونها، لم يطلق العنان لجدال لاهوتيّ كبير، بل روى ما حصل له. لقد كان لوقا راضيًا جدًا بأن يعرض الأمور على هذا النحو: بطرس هنا، بالنسبة إليه، هو نموذجُ "لاهوتِ سردي". أنه يروي الأحداث التي بها كشف الله عن ذاته بيسوع المسيح، ومن ثمَّ يروي أيضًا الأحداث التي بها قاد الروح القدس الكنيسة إلى اكتشاف كلِّ أبعاد الخلاص الذي تبشَّر به، وكلِّ عظمة مهمَّتها الرسوليَّة: هذا بالضبط المشروع الذي أراد أن يحقِّقه من خلال مؤلِّفه السردِي الغنيِّ بمعناه اللاهوتيِّ، مع تجنُّب التوسعات المجرَّدة. هناك علامة لافتة تبرِّر هذا التفسير: في آ ٤، يكتب لوقا أن بطرس بدأ — عرض مرتَّب، تمامًا بالتعابير التي بها كشف لتاوفيلس عن مشروع كتابه (رج لو ١: ٣).

إنَّ الآيات ٥-١٧ هي إذاً ملخَّص جديد عن الأحداث التي جاءت ببطرس من يافا إلى قيصريَّة، وعن نزعة شريعانية إلى الفصل، باتجاه شركة حقيقيَّة مع الغريب. كان من الطبيعيِّ جدًا أن يتبع بطرس ترتيبًا معاكسًا للسرد الأوَّلِي كي يذكر الرؤيويين الأوَّليين، طالما أنه يروي الاختبار من وجهة نظر ما عاشه هو بالذات. لقد كانت رواية رؤياه الخاصَّة إذاً بصيغة المتكلِّم المفرد، لكنَّها، مع ذلك، لم تتضمَّن سوى بدائل إنشائيَّة خفيفة عن رواية الراوي في الفصل ١٠. ويجري نقل كلمات حوارهِ الحاسمة مع الصوت السماويِّ بدقة، وذلك في آنٍ معًا، كتذكير ذي إيحاء للقارئ، وكدعوة لمستمعيه كي يفهموا فهمًا جيّدًا الوحي غير العاديِّ الذي تلقَّاه (آ ٥-١٠).

بالمقابل، نلاحظ سماتٍ أصليَّةً هامَّةً في آ ١١-١٤. نعلم أن الذين رافقوا بطرس إلى قيصريَّة كانوا ستة إخوة، وأنَّهم أتوا معه أيضًا إلى أورشليم (آ ١٢). إنَّهم الضامنون لأصالة شهادته. في هذه الآية ذاتها، نرى الترجمة الليتورجيَّة، المهمَّمة بالدقَّة القصصيَّة، جعلت بطرس يقول: لقد دخلنا عند قائد المائة كرنيليوس، فيما كتب لوقا: في بيت الرجل (أي "الرجل الذي نحن بصدده"، كما في الترجمة المسكونيَّة للكتاب المقدَّس). لا يمكن أن يكون ذلك سهوًا. لذا باستطاعتنا الاعتقاد ان لوقا نزع عمدًا البعد الشخصيِّ من القصة، في هذا الموجز الختامي، كي يُبرز البعد الشموليِّ. وهكذا بوسع كلِّ إنسان الآن أن يكون "كرنيليوس"، عليه يتزل الروح!

أخيراً، في ما يتعلّق بالتذكير الثالث لرؤيا كرنيليوس (آ ١٣-١٤)، بينما لم تكن الرواية الأولى قد قالت شيئاً من ذلك، لكي تفسح المجال لعنصر المفاجأة، هوذا بطرس يضع على لسان الملاك الإعلان عن هدف النداء الذي كان على كرنيليوس أن يبلغه آياه: **سيوجه إليك كلاماً به ستخلص، أنت وكل بيتك.** وباستثناء موازاة واضحة مع ١٦: ٣١، تلك كانت طريقة بطرس كي يفهم مستمعيه أن خلاصَ هذا الوثنيّ كان مبرمجاً مسبقاً من قِبَل الله بالذات.

ينبغي أن نلاحظ آ ١٥ بشكل مضاعف. أولاً من أجل همسة فكاهة لدى الراوي: ففي روايته الأولية، كان قد ترك لبطرس وقتاً ليس بقليل ليعلن الإنجيل؛ وعندما ذكر بطرس تدفق الروح على مستمعيه في قيصرية، يُخيل إلينا وكأنه بالكاد بدأ يتكلّم عندما حصل الحدث! ويبدو لنا كأنّ لوقا شاء بطريقة ماهرة أن يوحى بامتعاض الخطيب المحبّط الذي لم يتمكّن من إنهاء خطابه! لكن لوقا، وبشكل جدّي أكثر، أضاف تعليّقاً للرسول الذي، هو ذاته، قارب مع العنصرة (نزل الروح القدس عليهم كما نزل علينا في البدء، آ ١٥ب).

إذاك يُشرك بطرس إخوته الذين في أورشليم بالتفكير الشخصي الذي حرّكه فيه هذا التقارب: لقد تذكّر كلمة من الربّ (بحسب يو ١٤: ٢٦)، نحن هنا أمام العمل الخاصّ بالروح القدس؛ إنّها بالذات كلمة القائم من الموت للرسول، بحسب رسل ١: ٥. فكانت بالنسبة إلى بطرس ومضة نور: إذ ان العماد المهمّ هو العماد بالروح القدس. لقد كشف الله بوضوح، من خلال عطية الروح للوثنيين، أن إرادته الخلاصيّة تشمل كلّ الناس دون تمييز. هكذا، كلّ هذه القصة هي، آخر الأمر، تحت سلطان كلمة يسوع، ومبرّرة بها: ذلك هو عربون الأمانة الإنجيليّة تجاه شروءٍ محتملٍ للتّنوّر "الروحي". لا يمكن للروح أن يقود إلى حقائق قد لا تتحدّر في تعليم المسيح (رج أيضاً يو ١٦: ١٣-١٥ الذي يطرح هذا المبدأ اللاهوتي الكبير بوضوح).

لا يذكر بطرس بأنّه أمر عندئذ بعماد كرنيليوس وأهل بيته، لأنّ هذا ضمنيّ بالنسبة إلى القارئ، من خلال استخدامه الفعل ذاته في ١٠: ٤٧: **من أنا لكي أستطيع أن أمنع الله من أن يعمل؟** (آ ١٧). لكنّ هذه الخاتمة توسّع الموضوع. وببساطة، ومن

دون أيّ مجهود لتقديم الحجّة المقنعة، يدع بطرسُ مستمعيه وفي أذهانهم التأكيد أن الله ذاته كان يعمل حقًا في هذه المسألة بجملتها.

لقد أثمرت، في الواقع، شهادته الرزينة، إذ إن الإخوة في أورشلهم نَحَوْا باتجاه اليقين، وتخلّوا عن مآخذهم التي تخطّأها الزمن، لكي يؤدّوا مجدًا لله الذي وهب الأمم الوثنيّة أيضًا الاهتداء [الذي يوصل] إلى الحياة (آ ١٨). لقد فهموا أنّه، من خلال اختبار بطرس، تجلّى يسوع حقًا أنّه سيّد البشر بأجمعهم. لقد تبناوا من جديد التعبير الرائع الذي، في ٥: ٣١، كان يصف خلاص إسرائيل، لكي يشملوا به الأمم الوثنيّة: فهو يقول بقوة أنّ التبديل الجذريّ في الذهنيّة، والذي بموجبه يتحول يهوديّ أو وثنيّ إلى مسيحي، هو عطيةٌ مجانية من نعمة الله.

حين نلقي نظرة استعراضية على الرواية الطويلة التي تنتهي هنا، نرى أولاً أنّها، على مستوى الديناميّة الخاصّة بكتاب أعمال الرسل، تلعب دورًا حاسمًا؛ فهي تطرح التبرير اللاهوتيّ لتوسّع الكنيسة الشموليّ. وهي تهدف بنوع خاصّ إلى تبيان أنّ التحوّل الكبير الذي يشكّله خروجها من العالم اليهوديّ لكي تفتح على عالم الأمم، لم يكن عمَل فردٍ "مواهي" هامشيّ: فإذا كان الله سيختار بولس كي يتخذ تبشير الأمم كلّ اتّساعه (لقد سبق لوقا وأعلمنا بذلك؛ رج ٩: ١٥)، فإنّ الروح القدس قد كشف مبدأ ذلك للمتقدّم في الرسل الاثني عشر، والذي، بالرغم من مخاوفه، جعل الكنيسة الأمّ في أورشلهم تقبله. ومع ذلك، سنرى لاحقًا أنّ العضلات لم تكن قد حُلّت كلّها.

علاوةً على هذا المدلول الأساسيّ المتعلّق بوضع تاريخيّ تمّ تجاوزه إلى حدّ ما، بوسع رواية مغامرة بطرس وكرنيليوس الروحيّة أن تفسح المجال لتأوين محفّز. قد لا يبدو الأمر هكذا للوهلة الأولى، لكثرة ما تتضمن هذه القصّة من خوارق وتدخلات "سماويّة" غريبة جدًّا عن اختبارنا. لكننا رأينا كيف اعتنى لوقا بالإنحاء بأن هذين الرجلين لم يتلقيا حقائق واضحة هابطة من السماء، ولا تعليمات ينبغي اتّباعها بشكل سالب. لقد خلقت النداءات التي كانت موضوعها، عنصر المفاجأة، وأثارت لديهما الارتباك، واستوجبت التفكير، والانتقال إلى الفعل، دون أن يَعْلَمَا إلى أين سيؤدّي بهما ذلك، ليكتشفا آخر الأمر تصميم الله بشأكما. إذا ما وضعنا جانبًا العنصر الخارق، ألا توجد أحيانًا في حياتنا

أحداثٌ غريبة، ولقاءات غير منتظرة، ونداءات صريحة أو ضمنية تبدو لنا، في الإيمان، بمثابة علامة من الله ينبغي تفسيرها، وتدعونا إلى أن نسير في طرقٍ جديدة؟

بنوعٍ أخصّ، ومن وجهة نظر الرسول، بإمكان هذه الرواية أن تحمل العنوان التالي: "الاهتداء الثاني لبطرس". لقد قلبه الروح القدس بهدف انتزاعه من ضيق آفاق ذهنية شريعية انفصالية، وجعله يفتح على مسكونية روحية أصيلة: إنه تحوّل فائق العادة، كان يحمل كلّ مستقبل الإنجيل! وما ان اقتنع بطرس، وإذا به يخاطر: فيمنحه العماد لكرنيليوس ولأهل بيته، من دون المرور بالختانة (وكانت ضرورية حتى ذاك الوقت للانضمام إلى شعب الله)، عرض الكنيسة للاضطراب، لا بل للانقسام، وقد كانت متشبّثة بعد بتقليدها الأصلي. لقد كانت مخاطرةً مدروسة، لا تخلو من الفطنة، طالما ان بطرس اصطحب معه الإخوة الذين كانوا قد عاشوا معه المغامرة، وكان باستطاعتهم بالتالي أن يشهدوا لها. كما عرف أن يُقنع المتردّدين، ويضفي شرعية على فعله، ليس براهين عقائدية أو مسلكية، بل بالإخبار، وبكلّ بساطة، كيف حرّك الروح هذه الخطوة الجريئة.

يبدو لي أنّه، إذا كانت الحركة المسكونية المعاصرة قد استطاعت أن تكسر هذا الكمّ من الأحكام المسبقة المتشدّدة، وتحقق خطوات هائلة، فهذا لأنّ روادها، المدفوعين بالروح، عرفوا أن يتبينوا في ذلك مطلباً من الربّ، ويميزوا العلامات التي أعطها الله، ويعملوا بجرأة وفطنة، وكان بطرس صورتها المثالية. وتمشياً مع الخبرة التي قام بها الرسول، دعت وثيقة حديثة الكنائس المنقسمة كلّها إلى "اهتداء" يستطيع وحده أن يسمح بالاعتراف بالآخرين في اختلافهم، وبمسيرة حقيقية نحو الوحدة. وهكذا، بوسع روايتنا أن تبقى مرجعاً أعلى بالنسبة إلى الذين يرومون أن يناضلوا ضدّ التحزّبات كلّها التي ما زالت قائمة، مع الأسف، في الكنائس، كتلك التي تمرّق البشرية، وفي مقدمتها العنصريّات وأشكال التمييز، وهي تتسبّب في العديد من الصراعات والآلام. ولا يمكن للمسكونية الأصيلة، في الواقع، أن تنحصر بوحدة المسيحيين كههدف بحدّ ذاته، بل هي تشمل كلّ "الأرض المأهولة" (وهو معنى الكلمة اليونانية οἰκουμένη)، لأنّ تصميم الله يكمن في بشرية متصالحة في المحبة.

٥- تأسيس كنيسة أنطاكية (١١ : ١٩ - ٣٠)

- ١٩ وَأَمَّا الَّذِينَ تَشْتَتُوا بِسَبَبِ الصَّيْقِ الَّذِي وَقَعَ بِشَأْنِ إِسْطَفَانُسَ، فَإِنَّهُمْ انْتَقَلُوا إِلَى فِينِيقِيَّةَ وَقِرْسَ وَأَنْطَاكِيَّةَ، لَا يُكَلِّمُونَ أَحَدًا بِكَلِمَةِ اللَّهِ إِلَّا الْيَهُودَ.
- ٢٠ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ قَبْرُسِيُّونَ وَقِيرِيثِيُّونَ، فَلَمَّا قَدَمُوا أَنْطَاكِيَّةَ، أَخَذُوا يُكَلِّمُونَ الْيُونَانِيِّينَ أَيْضًا وَيُبَشِّرُونَهُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ.
- ٢١ وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُمْ فَأَمَّنَ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ فَأَهْتَدَوْا إِلَى الرَّبِّ.
- ٢٢ فَبَلَغَ خَبَرُهُمْ مَسَامِعَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورَشَلِيمَ، فَأَوْفَدُوا بَرْنَابَا إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ،
- ٢٣ فَلَمَّا وَصَلَ وَرَأَى نِعْمَةَ اللَّهِ، فَرِحَ وَحَنَنَهُمْ جَمِيعًا عَلَى التَّمَسُّكِ بِالرَّبِّ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ،
- ٢٤ لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا، مُتَمَلِّئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْإِيمَانِ. فَانْضَمَّ إِلَى الرَّبِّ خَلْقٌ كَثِيرٌ.
- ٢٥ فَمَضَى إِلَى طَرَسُوسَ يَبْحَثُ عَنْ شَاوُلَ،
- ٢٦ فَلَمَّا وَجَدَهُ جَاءَ بِهِ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ، فَأَقَامَا سَنَةً كَامِلَةً يِعْمَلَانِ مَعًا فِي هَذِهِ الْكَنِيسَةِ وَيُعَلِّمَانِ خَلْقًا كَثِيرًا. وَفِي أَنْطَاكِيَّةَ سَمِّيَ التَّلَامِيذُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مَسِيحِيِّينَ.
- ٢٧ وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ نَزَلَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أُورَشَلِيمَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ.
- ٢٨ فَاقَامَ أَحَدُهُمْ، وَاسْمُهُ أَغَابُسُ، فَأَخْبَرَ بَوْحِي مِنَ الرُّوحِ أَنَّ سَتَكُونَ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ فِي الْمَعْمُورِ كُلِّهِ، وَهِيَ الَّتِي حَدَثَتْ فِي أَيَّامِ فُلُودِيُوسَ.
- ٢٩ فَعَزَمَ التَّلَامِيذُ أَنْ يُرْسِلُوا مَا يَبْتَئِسُّ عِنْدَ كُلِّ مِنْهُمْ، إِسْعَافًا لِلْإِخْوَةِ الْمُقْبِمِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ.
- ٣٠ وَفَعَلُوا ذَلِكَ فَأَرْسَلُوا مَعَوْنَتَهُمْ إِلَى الشُّيُوخِ بِأَيْدِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ.

بعد سلسلة من الروايات المشخصة (إسطفانوس، فيلبس، شاوول، بطرس، كرنيليوس) والمكثفة جدًا من الناحية الأدبية في آن معًا، نجد من جديد سردًا أكثر رتابة وذا منحنى أكثر عموميّة، ولكنه ليس أقل أهمية، إذ إنه يخبر عن البداية الحقيقيّة لتقدّم الإنجيل باتجاه "كلّ وافد" من العالم الوثنيّ، وليس نحو الوثنيين المتعاطفين مع اليهوديّة من مثل كرنيليوس. وكنيسة أنطاكية التي يخبر لوقا هنا عن تأسيسها، ستصبح قاعدة انطلاق الرسالة البولسيّة.

الإنجيل في أنطاكية (آ ١٩ - ٢٦)

في آ ١٩ يعيد خيط الرواية العامّ الاتصال بمعطيات ٨ : ٤، في إشارة موازية بالتمام. يجدد لوقا الإشارة الهامة جدًا إلى أن انتشار البشرى السارّه ليس بفعل بعض

"الأصوات الصادحة" فقط، بل أيضاً بفعل الكثير من المسيحيين البسطاء، أولئك الذين بددهم الاضطهاد الذي حصل ضد إسطفانوس. بهذا التذكير يسلط لوقا الضوء على مفارقة هذا الاستشهاد الذي يحمل ثمراً، طالما ان تبشيراً غازياً بالإنجيل انبثق عن هذه المحنة. يكفي هذا الإشعار الأول بذكر انتشار جغرافي: كانت اليهودية والسامرة (٨: ١) لا تزالان أراضي يهودية؛ وها قد وصلت موجة جديدة من اللاجئيين حتى فينيقيا، وقبرص، وأنطاكية سورية. لكن، لَمَّا لم يكونوا بعد ولا شك قد علموا بقيام كنيسة وثنية-مسيحية في قيصريّة، واصلوا التبشير بالكلمة لدى اليهود حصرياً، وقد كانوا كثيراً في تلك البلدان. وإن الآية اللاحقة هي التي تشير إلى هذا التبدل النوعي الكبير الذي حصل في أنطاكية: تجرأ بعض من هؤلاء اللاجئيين على التوجه أيضاً إلى اليونانيين (وهذا المصطلح، عندما يكون على تعارض مع اليهود يوازي الوثني).

بالرغم من اقتضاب الرواية، من المهم ان نقيس جيداً مداها. يبقى فاعلو هذا التجدد مجهولي الاسم؛ فلقد تحركوا بطريقة عفوية (لوجهات نظر بشرية، إذ من الواضح، بالنسبة إلى لوقا، بأن الروح القدس هو الذي قادهم)، دون أن يتلقوا توجيهات من سلطة ما: غالباً ما يتقدم تاريخ الكنيسة بأمانة "القاعدة" أو بمبادئها، أكثر منه بالقرارات المتخذة "في القمة". عندما يذكر لوقا أن حاملي الكلمة هؤلاء هم أصلاً من قبرص، كبرنابا (رج ٤: ٣٦)، أو من القبروان، كلوقيوس الذي سيذكر اسمه في ١٣: ١، فهو انما يوحى بأنهم "هلينيين"، كما كان أيضاً إسطفانوس وشاول الطرسوسي. وهذا يعني بأن لهم روابط ثقافية مع هؤلاء اليونانيين الذين يبشرونهم، وهو أمر لا يُستهان به. تاريخياً، من المؤكد أن انتشار الإنجيل في العالم الوثني كان بفعل هؤلاء اليهود الهلنيين الذين أصبحوا مسيحيين.

ليس مجرد صدفة أن يكفّف لوقا هنا الرسالة الإنجيلية بصيغة: يسوع هو الرب. حتى ذاك الحين، كان يتم الإعلان لليهود، ولكن أيضاً للسامريين، أن يسوع هو بالأولى المسيح، إذ إن هذا اللقب كان يشير إلى تميم انتظارهم المسيحي؛ ولكن قد لا يكون ذا معنى بالنسبة إلى الأذن اليونانية. لاحقاً، في التعليم الذي تذكره آ ٢٦، سيكتشف المعمدون الجدد التقليد البيبلي في هذا الصدد. أما بالنسبة إلى تبشير أولي بالإنجيل للوثنيين، كان لا بد، بالمقابل، أن يكون للإعلان بأن يسوع هو الرب صدق قوي: كان هذا اللقب "سيد" (Kyrios) يُعطى للآلهة ولأمباطور روما الذي يُعتبر بمثابة "ابن

الاله". وهنا تكمن كل مفارقة الإنجيل: أن يأتي لاجئون وضعاء، من دون جاه، فيدعون أن السيد الحقيقي للعالم هو يسوع، ذاك النبي اليهودي المغمور، وقد صُلب، بصفته متمرِّداً، على يد الإدارة الرومانية للبلاد اليهودية! كان لا بد أن تكون يد الرب (هذه صياغة عبرية للتعبير عن عون الله القدير) مع هؤلاء الواعظين، لكي يتم قبول هذه الرسالة التي لا تُصدَّق، فيهددي العديد من السامعين (آ ٢١). هكذا تأسست أول جماعة وثنية-مسيحية في مركز ستراتيحي هام: لقد كانت أنطاكية في الواقع، في ذاك العصر، المدينة الثالثة في الإمبراطورية من حيث عدد سكَّانها (أكثر من ٥٠٠، ٥٠٠ نفس)، وكانت مع مرفأها في سلوقية مدينةً تجاريةً كبيرة، على مفترق الطرق بين الشرق والغرب.

تبيّن آ ٢٢-٢٤ كيف اعترفت "السلطات" بمبادرة القاعداة في وقت لاحق. ونرى، كما في ٨: ١٤، أن الكنيسة الأمّ في اورشليم أرادت أن تمارس شيئاً من الرقابة على الجماعات التي كانت تتأسس في البعيد، أو أقله أن تؤمّن رباط شراكة صريح معها. لكن هذه المرّة، لم يوفد رسولان إلى كنيسة أنطاكية بل برنابا، وكان "رجل عزاء"، أو "التشجيع والحث" (رج ٤: ٣٦). لم يكن بوسعه إلا أن يتحقّق من نعمة الله التي تعمل، ويغتنب بها. لقد تجاهل لوقا مسألة عطية الروح (وحثّ العماد)، ولم يذكر بالتالي أنه كان على برنابا أن يتمّ العمل المنجز، كما كانت الحال في السامرة (رج ٨: ١٥-١٧). بل اكتفى بتبرير كنيسته حاثاً إياهم جميعاً على أن يبقوا متعلّقين بالربّ بقلب راسخ. وقد شدّد لوقا على أن برنابا كان رجلاً ذا وزن، وبالأخص كان ممتلئاً من الروح القدس والإيمان.

لا يمكن أن يكون الضمان المعطى لهذه الكنيسة الفتية موضوع شبهة، إذ إن تقدّم الإنجيل نحو العرّض الكبير للعالم الوثني مطابق تماماً لتصميم الربّ (رج ١: ٨)، وهذا ما يؤكده تنامي الجماعة الكبير. ويدرك برنابا الذي يرتبط بها أن هناك مهمة كبيرة يجب القيام بها من أجل تعليم هؤلاء المؤمنين الجدد، وإتاحة الفرصة لهم بأن يعمّقوا إيمانهم الذي لم يكن له أيّ أساس بيبيي سابق، على عكس اليهود المرتدّين.

وهوذا برنابا يتذكّر شاول، الرابي الشابّ الموهوب الذي اهتدى في ظروف استثنائية، وكان قد قدّمه للرسول (رج ٩: ٢٧). وسيذهب إذاً ليبحث عنه في طرسوس،

حيث كان قد التجأ (٩: ٣٠). يبدو أن تلك كانت مبادرة خاصة منه، دون استشارة أولئك الذين في أورشليم، ومنهم كان قد تلقى التفويض. لا تقول الرواية شيئاً عن حجج برنابا، ولا عن ردّه فعل شاول على استدعائه، بل يقدم قبوله وكأنه أمر طبيعي (آ ٢٥).

سيمارس الرّجلان طوال سنة كاملة خدمة تعليميّة هامّة (آ ٢٦). ومن أجل طرح كنسيّ، من الجدير بالملاحظة أن أعضاء الكنيسة جميعاً مدعوون إلى أن يشهدوا لإيمانهم (هذا ما عمله بفعاليّة كبيرة مؤسسو هذه الكنيسة)، وأنّ التعمّق اللاهوتيّ، ولا غنى عنه من أجل تثبيت إيمان الجميع، يتطلّب خدمة نوعيّة وكفاءات خاصّة.

وفيما يختم لوقا هذا الإشعار الوجيز بالحدث الكبير الذي هو تغلغل الكنيسة في أنطاكية، يضيف، وكأمر عابر، أن هناك، وللمرّة الأولى، تلقى التلاميذ لقب مسيحيين، أي الذين للمسيح، وهو لقب فهم بدون شكّ وكأنه اسم علم غريب (كما تتبيّن ذلك من كتابات سويتون وتاسيتس. فلقد كان التلاميذ ينادون بعضهم البعض بكلمة إخوة، أو قديسين (رج ٩: ١٣، ٣٢، إلخ؛ فيما تستعمل الترجمة الليتورجيّة كلمة مؤمنين). وهكذا، تكون التسمية التي ستبقى في التاريخ قد أعطيت لهم من قبل رجل الشارع في مدينة هليّنيّة كبيرة، وعلى الأرجح بمثابة لقب فيه شيء من السخرية.

بادرة تضامن بين الكنائس (آ ٢٧-٣٠)

يظهر الرابط بين الكنائس "في تلك الأيام" من خلال زيارة أنبياء نزلوا من أورشليم إلى أنطاكية. يشهد كتاب الديداخيه، بالنسبة إلى ذاك العصر، على وجود أنبياء مسيحيين كانوا يمارسون خدمة جوالّة، مجتازين من جماعة إلى أخرى؛ هذه الخدمة، أدرجها بولس في المرتبة الثانية بعد مرتبة الرسل (أف ٤: ١١)، وهي خدمة الكلمة التي تقوم أساساً على البناء، والحثّ، والتشجيع (١ قور ١٤: ٣)، بكلام هو من إلهام الروح القدس. في ١٣: ١، سيكتب لوقا أنّه كان في كنيسة أنطاكية أنبياء ومعلّمون، أي رجالاً مكلفون بالتعليم، دون إبراز تمييز واضح بينهم.

كان هؤلاء الأنبياء لا يُنبئون بالمستقبل إلا في بعض المناسبات فقط، كما فعل هنا أغابوس، مُنبئاً، وبفعل الروح القدس، بأن ستكون جماعة كبيرة على الأرض كلّها (آ ٢٨). سنصادف هذا النبيّ من اليهوديّة في ٢١: ١٠، وهو ينبئ بتوقيف بولس (نأمل

الآ يكون فقط "نبي" شؤم!). ويشير لوقا إلى أن الجماعة المذكورة قد حصلت فعلاً في أيام حكم الأباطور كلوديوس، وهذا ما يؤكد المؤرخون، حتى ولو كانت صياغة الراوي مبالغ فيها بعض الشيء: فقد حصلت جماعة مزمنة في أماكن مختلفة من الأباطورية في السنوات ٤٦-٤٨ (انظر الاطار: التاريخ وتسلسل زميني).

هذه النبوءة المقلقة استدعت قرار تضامن عملي من قبل مسيحي أنطاكية، وكان بعضهم ميسوراً على ما يبدو، تجاه الإخوة الذين كانوا يقطنون اليهودية. لقد علموا من دون شك بوضع الكنيسة الأم المهش على الصعيد المادي، أولئك الذين يدعوهم بولس قديسي اورشليم الذين في الفقر، والذين لأجلهم نظم هو ذاته حملة تبرعات (رج روم ١٥: ٢٦). وهذه الإعانات التي ساهم فيها كل واحد على قدر إمكانياته، هي خدمة الإخوة (حرفياً: دياكونياً)، وهي تعبّر عن شراكة الكنائس في ما بينها، شراكة يجب أن تُمارس أيضاً على المستوى المالي. لقد كانت بادرة مؤمّية أنطاكية العفوية، تحت شكل جديد يناسب الظروف، استجابة لمتطلبات تقاسم الخيرات ذاتها، وكان لوقا قد أبرزها بصفتها إحدى مميزات الجماعة المسيحية.

تذكر آ ٣٠ للمرة الأولى شيوخ الكنيسة: هكذا يُعلمنا لوقا أن جماعة اورشليم لم تبق تحت إدارة الرسل الذين كانت لهم حرية الانطلاق في جولات رسوليّة، فكان لها مجلس شيوخ يديرون بطريقة جماعية الكنيسة المحليّة، على صورة نظام الجامع اليهودية. لقد تمّ تكليف برنابا وبولس بإيصال هذه الإعانات، وهذا برهان جديد على أن إدارة ممتلكات الجماعة ليست مسألة من درجة أدنى، لا تليق بحاملي الكلمة، بل تتمتع بمعنى روحي هامّ.

التاريخ وتسلسل زمني في سفر أعمال الرسل

إن ذكر ملك كلوديوس، في ١١: ٢٨، يُعتبر الإشارة الأولى، في السفر، من التلميح إلى التاريخ العام الذي فيه تتدرج الأحداث المروية. لقد فعل لوقا ذلك قبلاً في إنجيله (رج لو ١: ٥؛ ٢: ١١؛ ٣: ١). ونعلم أن كلوديوس كان أباطوراً من سنة ٤١ حتى سنة ٥٤، وأن الجماعة المذكورة قد حصلت حوالي سنة ٤٨. ولدى المؤرخين مراجع عدّة أخرى من

أجل وضع تسلسل زمني للرواية اللوقاوية: يؤرّخ موت هيرودس أغريبّا الأول في نيسان سنة ٤٤؛ وكان حُكم غاليلون في كورنثس من سنة ٥١-٥٢، فيما كان فيليكس حاكماً على اليهودية من سنة ٥٢ حتى ٥٩ (٥٦٠)، وهي سنة خلافة فسّس له. وهكذا، من خلال تقاطعات، نبلغ إلى تسلسل زمني تقريبي أُشير إليه في المقدمة (أنظر الاطار: تسلسل تاريخي تقريبي).

يمكننا أن نوكد أن لوقا يبدو مؤرّحاً شبيهاً بمؤرّخي زمانه، بالطريقة التي بها يعرض الديكور الجيوسياسي والثقافي للتاريخ الذي يروي، وكذلك أيضاً ذهنية أبطاله الرئيسيّين، وبالطريقة التي بها يرتّب التقاليد الجزئية التي جمعها في رواية متناسقة، تفسّر الوقائع وفق شخصيته وقناعاته، وهذا ما يعمل كل مؤرّح.

ومع هذا، فإن مشروعه غير قابل للمقارنة مع مشروع مؤرّح حديث يهتم بأن يضع تاريخاً عامّاً للمسيحية الأولى. فمن وجهة النظر هذه، بوسعنا أن نلومه على وجود كثير من الثغرات ومواضع عدم الدقة (أنظر في هذا الصدد الاطار ادناه حيث تتم المقارنة بين بولس الرسائل مع بولس لوقا). لكنّ مشروعه لم يكن إعادة بناء دقيقة للوقائع "التاريخية". يتوحى سرده، قبل كلّ شيء، ان يكون تعليماً دينياً لتثبيت إيمان قرّائه الوثنيين/المسيحيين. لذا فهو مؤسس على التأكيد بأن انتشار الكنيسة، وانفتاحها المتنامي على العالم، ما بين السنوات ٣٠ و ٦٠ (انتشار أُعيد تشكيله في محطاته الكبيرة على أساس استطلاع جدّي)، قد تمّ حقاً تحت قيادة الروح القدس، ووفق تصميم الله بأن يقدم خلاصه لكل البشر.

٦- اضطهاد جديد في اورشليم. اسنشهاد يعقوب، نجاته بطرس العجائبية (١٢: ١-١٩)

- ١ في ذلك الوقت قبض الملك هيرودس على بعض أهل الكنيسة ليوقع بهم الشرّ،
- ٢ فقتل بحدّ السيف يعقوب أخا يوحنا.
- ٣ فلما رأى أنّ ذلك يُرضي اليهود، قبض أيضاً على بطرس، وكانت تلك الأيام أيام الفطير.

- ٤ فأمسكته ووضعته في السجن، ووكله إلى أربعة أرهاطٍ ليحرسوه، كلُّ رهطٍ أربعةٌ جنود، وقصده أن يحضره أمام الشعب بعد عيد الفصح.
- ٥ فكان بطرس محفوظاً في السجن، ولكن الصلاة كانت ترتفع من الكنيسة إلى الله بلا انقطاع من أجله.
- ٦ وأوشك هيرودس أن يحضره أمام الشعب، وكان بطرس في تلك الليلة راقداً بين جنديين، مشدوداً بسلسلتين، وعلى الباب حرسٌ يحرسون السجن.
- ٧ وإذا ملائكة الرب يمشل، فيشرق الثور في الحبس. فضرب الملاك بطرس على جنبه فأيقظه وقال له: "قم على عجل". فسقطت السلسلتان عن يديه.
- ٨ فقال له الملاك: "أشدد وسطك بالزئار واربط نعليك" ففعل. ثم قال له: "إليس رداءك وأتبعني".
- ٩ فخرج يتبعه، وهو لا يدري أن فعل الملاك شيء حقيقي، بل ظن أنه يرى رؤيا.
- ١٠ فاجتازا الحرس الأول والثاني، وبلغا إلى الباب الحديد الذي ينفذ إلى المدينة، فانفتح لهما من نفسه، فخرجا وقطعا زقاقا واحداً، ففارقه الملاك من وقته.
- ١١ فرجع بطرس إلى نفسه فقال: "الآن أيقنت أن الرب أرسل ملاكته فأنقذني من يد هيرودس ومن كل ما يتوقع شعب اليهود".
- ١٢ ثم تحقق أمره فمضى إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس. وكانت هناك جماعة من الناس تُصلي.
- ١٣ ففرغ باب الدهليز فأقبلت جارية اسمها روضة تتسمع.
- ١٤ فعرفت صوت بطرس، فلم تفتح الباب من فرحها، بل أسرعت إلى الداخل وأخبرتهم بأن بطرس واقف على الباب.
- ١٥ فقالوا لها: "قد جننت". فأكدت لهم أن الأمر كما ذكرت. فقالوا لها: "هذا ملاكته".
- ١٦ أما بطرس فظل يقرع. فلما فتحوا رأوه فدهشوا.
- ١٧ فأشار لهم بيده أن يسكتوا. ثم أخذ يروي لهم كيف أخرجته الرب من السجن، ثم قال: "أخبروا يعقوب والإخوة بهذه الأمور". وخرج فذهب إلى مكان آخر.
- ١٨ فلما طلع الصباح وقعت بلبلة كبيرة في الجند: ترى، ماذا كان من أمر بطرس؟
- ١٩ ولما طلبه هيرودس فلم يجده، استجوب الحرس وأمر بسوقهم إلى الموت. ثم نزل من اليهودية وأقام في قيصرية.

وجّهت نهاية الرواية السابقة انتباه القارئ إلى كنيسة أورشليم. في خصمها، سيكرّس لوقا، لها، كما لبطرس، رواية أخيرة مفصلة إلى حدّ ما، قبل أن تتوجّه تنمّة الكتاب، بشكل مقصود، نحو تبشير العالم اليوناني الروماني بالإنجيل، انطلاقاً من أنطاكية.

اضطهاد جديد في أورشليم (آ ١-٥)

ليست هشاشة حياة هذه الكنيسة اقتصادية فقط، كما تركت نهاية الفصل ١١ انطباعاً في هذا الاتجاه. ها هي تشهد تصعيداً في الاضطهاد الذي لم يعد يضرب الهلنيين فقط، بل النواة اليهودية-المسيحية المؤسسة، في شخص اثنين من الاثني عشر. لقد أَرْضَى هذا القمع السلطات الدينية في أورشليم، دون أن تكون هي الفاعلة المباشرة، إذ إنّ السلطة السياسية اليهودية هي التي أخذت المبادرة في هذا المجال.

إنّ هيرودس أغريبّا الأول هو ابن شقيق هيرودس أنتيباس الذي كان حاكم الربع على الخليل ابان رسالة يسوع وموته. وبواسطة دسائسه في روما لدى كلوديوس حصل على لقب ملك اليهودية، سنة ٤١، لفترة ملك قصيرة، لأنّ موته المفاجئ -وسخبر عنه لوقا في الحطّة اللاحقة- يرقى إلى سنة ٤٤. نحن نجهل لماذا تسبّب في مقتل يعقوب، شقيق يوحنا، أي "ابن زبدى"، أحد الاثني عشر (رج لو ٥: ١٢؛ ٦: ١٤)، من دون أيّ شكل من أشكال المحاكمة. ولكنه إذ رأى أنّ الرأي العامّ اليهودي قد ارتضى بهذا الفعل الاعتياديّ من القمع، تشجّع في مواصلته؛ وبدافع تملق الشعب (ديماغوغية)، أوقف بطرس، ظاناً أنّ محاكمة عامّة للرسول هذه المرّة ستضمن له رضى الشعب، ولكن بعد انقضاء عيد الفصح.

هل كان قد بلغ مسامحة فرار الرسل الغامض، وقد رواه لوقا في ٥: ١٩؟ ومع ذلك، فلقد وضع بطرس تحت رقابة فريق حرس استثنائيّ مكونٍ من ستّة عشر رجلاً (آ ٤-١)؛ ولما ضُربَت الكنيسة في رأسها، لم يكن بإمكانها سوى أن تصلّي لأجله بلا انقطاع، وبحرارة (آ ٥): انه الوصف ذاته الذي استعمل لصلاة يسوع في جبل الزيتون (لو ٢٢: ٤٤).

نجاه بطرس العجائبيّة (آ ٦-١٩)

تبدو هذه الرواية في الأساس بمثابة تكرار لرواية الفصل ٥ المتعلّقة بنجاه الرسل المسجونين بأمر من السنهدريم. لكن الراوي أخذ يستمتع بالتوسّع في التفاصيل المذهلة لهذا الفرار الليليّ لبطرس. يجب القول مجدّداً هنا أنّه يستحيل التمييز في هذه الرواية ما حصل بالتحديد. وتقدّم لنا آ ١١ مفتاحاً لتفسير مفيد جدّاً. يبدو أنّ بطرس قد تبع، كمن يمشي أثناء النوم، الشخص السريّ الذي أتى لانقاذه (رج آ ٩)، وعندما رجع إلى ذاته (ترجمة حرفيّة جيّدة)، أي حين وجد نفسه وحيداً وحُرّاً في الشارع، قرأ الحدث قراءةً إيمانية، على ضوء مز ٣٤: ٨، قائلاً لذاته عاليّاً: **أرسل الربُّ ملاكَه فأنقذني**. نحن نعلم أنّنا أمام طريقة بيبليّة كلاسيكيّة للتعبير عن حقيقة تدخّل الله، محبّةً تحت مظاهر عاديّة أو خارقة. سنرى لوقا في ما بعد يورد ذكراً **ملاك الربِّ** من جديد ليفسر موت هيرودس المفاجئ! فهو إذاً، عندما يروي نجاه بطرس، انما يفعل ذلك بتوسّعه في التفسير الذي كان بطرس قد أعطاه له، وذلك بحريّة من يروي حكاية (légende). علينا نحن القراء أن نتمييز عندها كم أنّ هذه الحكاية (légende) (من حيث الاشتقاق بالفرنسية: "ما ينبغي قراءته")، تحت السمات العجيبة أو الغريبة للرواية، هي رويّة بنوع خاصّ، في معنّي الكلمة: أي أنّها مملّوءة في آن واحد بملامح فكاهة، كما بمدلول رمزيّ ينبغي التقاطه في الإيمان.

باستطاعتنا أن نكتشف موضوعين كبيرين كامنين وراء هذا السرد؛ فهناك أولاً إشارات ضمنيّة إلى الإنقاذ الكبير المؤسس، عندما تمّ انتزاع إسرائيل، بشكل عجائبيّ، من يد فرعون: لقد أدرج لوقا الحدث في **أسبوع الفصح** (حرفياً: **أيام الفطير**، آ ٣)، وهو تذكّار الخروج من مصر. هناك تفاصيل عدّة تذكّر برواية الخروج: فالأمر المعطى لبطرس بان يُسرّع ويشدّ وسَطَه ويتنعل حذاءه (رج خر ١٢: ١١)، وملاك الربِّ الذي يتقدّمه (خر ١٤: ١٩)، والنور الذي يشرق في غرفة السجن، يدفع إلى التفكير بـ"عامود النار" الذي أضاء طريق الشعب خلال الليل (خر ١٣: ٢١). وهكذا، فإنّ اعتراف بطرس بالله المحرّر هو في الخطّ المستقيم لإيمان آبائه.

لكن هناك أيضاً ما هو أكثر يقيناً، ألا وهي إرادة الراوي بأن يوحى بالتقارب بين مغامرة بطرس ومصير يسوع، وقد تمّ هو أيضاً في زمن الفصح. يعيش بطرس رمزياً نوعاً

من الموت والقيامة. إِنَّ سَجْنَهُ، وقيوده، ونومه، هي صورةٌ عجز وموت. ففي آ ٧ تكرر الرواية الفعلين اللذين يعبران بطريقة تصويرية عن القيامة، في العهد الجديد كله، وهما: استيقظ، وقام. فما يجري بعد خروجه من السجن هو بمثابة صدى لما جرى بعد قيامة يسوع: هناك امرأة كانت أول من اكتشف تحرير بطرس، عندما تعرّفت إلى صوته (رج يو ٢٠: ١٦)، وأحسّت بالفعل ذاته بفرح غامر (رج يو ٢٠: ٢٠؛ لو ٢٤: ٤١)؛ وعندما زفّت البشرية إلى الآخرين، اعتبروها فاقدة الرشد (رج لو ٢٤: ١١). لقد قالوا: هذا ملاك (شبيهه الروحي)، كما كان الأحد عشر ورفاقهم ظنوا أنهم يرون روحاً (لو ٢٤: ٣٧)! أخيراً، بعدما طلب بطرس أن تُعلن بشكل واسع بشرى تحريره، توارى، حسبما جاء في آ ١٧، ليذهب إلى مكان آخر، وهذا تعبير لغزي يدفع إلى التفكير باتجاه الصعود، وخاصةً باتجاه كلمات خطبة يسوع الوداعية (رج يو ١٣: ٣٦؛ ١٤: ٢).

هناك أيضاً شيء من الرهافة البسيكولوجية في الطريقة التي يلحظ بها لوقا ردات فعل بطرس المتتابة خلال تلك الليلة الغريبة، إلى جانب شيء من الدهاء عندما يرينا الذين كانوا يصلون بإلحاح من أجل بطرس، ولم يصدقوا أعينهم حين رأوا أن صلاتهم قد أُستجبت! وهناك تفاصيل أخرى تتعلق بما اعتدنا عليه في تأليف لوقا، حين يضع لمحات لرواياته المستقبلية: هكذا يوحنا مرقس، الذي ورد اسمه بشكل عابر دون ضرورة سردية، سيظهر مجدداً كرفيق ليرنابا وبولس عند انطلاق بعثتهما الرسولية الأولى (١٣: ٥). وهكذا يعقوب، وقد وضعه بطرس في الواجهة -ولا يمكن أن يكون الرسول الذي قُطع رأسه بأمر من هيروودس في آ ٢- سيلعب لاحقاً دوراً قيادياً في كنيسة أورشليم (رج ١٥: ١٣؛ ٢١: ١٨). والمقصود هو يعقوب الملقب بالصغير، أخو الرب (رج غل ١: ١٩؛ مر ٦: ٣). قد تكون غيابات بطرس المتكررة ولا شك هي التي قادته إلى لعب هذا الدور، وعلى الأرجح، بصفته رئيساً لمجلس شيوخ الجماعة.

أما آ ١٨، فهي صدى، بشكل أكثر إيجازاً، للذهول الذي أُشير إليه بسخرية من قبل، في ٥: ٢٢، وكان قد أصاب الذين، في الصباح الباكر، اكتشفوا السجن الفارغ. وهيروودس، بعد تحقيق قام به من دون جدوى، عاقب، وبشكل قاس، أولئك الحراس المهملين: وليس بوسع التعبير الملطف الذي يستخدمه الراوي ان يخفي كون هيروودس أصدر أمراً بإعدامهم (آ ١٩). لكن هذا الطاغية لم يعد له وقتٌ طويل قبل ان يقضي نَحْبَهُ.

٧- موت هيرودس أغريبيا، عقاباً له من الرب (١٢ : ٢٠-٢٣)

٢٠ وكان ساخطاً على أهل صور وصيدا، فأثفق بعضهم مع بعض، ومثلوا بين يديه، بعدما استمالوا بلسطس حاجب الملك والتمسوا الصلح، لأن رزق بلادهم يأتيهم من مملكته.

٢١ وفي اليوم المحدد لبس هيرودس حلتة الملكية، وجلس على المنبر يخطب فيهم.

٢٢ وكان الشعب يصيح: "هذا صوت إله لا صوت إنسان".

٢٣ فضربه ملاك الرب من وقته لأنه لم يُجدد الله. فأكله الدود ولفظ الروح.

قد تبدو هذه اللمحة الواقعية الوجيزة من التاريخ السياسي هامشية بالنسبة إلى خط الكتاب، لو لم تكن مناسبة جديدة لإظهار أن الرب "يستهزئ بملوك الأرض" الذين يتمردون عليه، وأن "غضبه يروّعهم" (رج مز ٢، الذي تم اقتباس آياته الأولى في ٤ : ٢٥ي)، وبطريقة أكثر مأساوية مما في ٤ : ٢١ أو في ٥ : ٢٤-٢٦. وهذه اللوحة تعكس، دون لبس، كلمات يسوع حول كبرياء "ملوك الأمم" (رج لو ٢٢ : ٢٥).

إن بداية آ ٢٠ موجزة جداً. ويمكننا أن نفهم بشكل أفضل ما يلي من أفكار إذا ما تبينا الترجمة المسكونية للكتاب المقدس التي بموجبها كان هيرودس على خلاف مثير مع أهل صور وصيدا. كانت مصلحة هاتين المدينتين الساحليتين الحرتين اللتين كانتا تعتمدان على البلاد المجاورة المنتجة للقمح، تقضي بالوصول إلى اتفاقية، وكان مبعوثوهما قد رحلوا إلى جانبهم شخصاً (أي عبر شراء دعمه) ذا نفوذ في البلاط الملكي. وتم تنظيم احتفال ضخم من أجل توقيع الاتفاقية المبرمة. واستفاد هيرودس من ذلك لكي يرسخ شعبيته، من خلال خطاب يتسم بالديماغوغية، بكل معنى الكلمة، يؤدي إلى إستمالة تملق الشعب الذي يقرن صوته بصوت إله! إن تأليه الإنسان هو، بحسب الكتاب المقدس، الخطيئة بامتياز؛ والاله الحقيقي الذي يسمح عادة أن تهيئه كبرياء البشر، من دون أن يرد، سيكشف هنا فجأة عن غضبه.

يُخبر فلافيوس يوسيفوس، في كتابه، العادات اليهودية، عن هذا الموت القاسي لهيرودس، وقد انتابته آلام قوية في المعدة، مما أدى إلى وفاته بعد خمسة أيام. لكن صياغة آ ٢٣ تكشف جيداً عن لاهوت لوقا؛ فلقد كان له تفسير طبيعي، طبي، لهذا الموت، مبيناً أن هيرودس توفي إذ أكلته الديدان. لكن بالنسبة إلى لوقا المؤمن، فإن هذه السببية

المرئية ترتبط بسببية أكثر عمقاً، ألا وهي إرادة سيّد التاريخ، وقد أهانه جحود الملك: ويعبر عن ذلك بواسطة الصورة التي أصبحت الآن مألوفة للقارئ، صورة ملاك الربّ الذي يضرب هيروُدس، كما كان الربّ قد ضرب أنطيوخوس أيفانيوس مضطهد اليهود المتعجرف (رج ٢ مك ٩: ٥). إن مقارنة لوقا مشاهمة لمقاربة مؤلف ٢ صم ٢٤: ١٥ الذي نسب إرسال الطاعون على إسرائيل إلى فعل ملاك الربّ. ولكن، إذا اعتقد لوقا من المناسب ان يخبر عن هذه الحادثة المأساوية، فهذا من دون شكّ لكي يشدّد عزيمة المسيحيين المضطهدين أو المهتدين بالاضطهاد، إذ سيرون فيها علامة سيادة الله، وهي أكثر قوّة من كل الطغاة.

٨- من أنطاكية أرسل برنابا وبولس في بعثة رسولية (١٢: ٢٤ - ١٣: ٣)

٢٤ وكانت كلمة الله تنمو وتتشر.

٢٥ وأمّا برنابا وشاول فلما قاما بخدمتهما في أورشليم رجعا بعدما استصحبا يوحنا الملقب مرقس.

١٣ ١ وكان في الكنيسة التي في أنطاكية بعض الأنبياء والمعلمين، هم برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر، ولوقيسوس القيريني، ومناين الذي ربي مع أمير الربع هيروُدس، وشاول. ٢ فبينما هم يقضون فريضة العبادة للربّ ويصومون، قال لهم الروح القدس: "أفردوا برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه". ٣ فصاموا وصلوا، ثم وضعوا عليهما أيديهم وصرفوهما.

كما في ٦: ١، نرى لازمة النموّ في آ ٢٤، وهي تُطبّق على مجمل الحقل الذي غطّته الرسالة المسيحية، تأتي في أعقاب اضطهاد تمّ لحسن الطالع تجاوزه. تلك فكرة ثابتة لدى لوقا الذي يريد أن يبيّن أنّ العقبات الناتجة عن عدائية الناس، وخاصة المقتدرين منهم، لن تقوى على إيقاف سير الإنجيل إلى الأمام، وقد برّمجه الربّ.

آ ٢٥ تواصل ١١: ٣٠، وتوحي بأنّ برنابا وشاول كانا في أورشليم عند اعتقال بطرس وموت هيروُدس، وانهما تضامنا مع محن الجماعة. لكنّ منطلقهما الحقيقي هو الآن أنطاكية، بصفتها جسر عبور الرسالة إلى الوثنيين. لقد عادا إليها بعد أن، أمّا

مَهْمَتُهُمَا الخدمية، مستصحين يوحنا مرقس الذي سيكون مساعدهما في مغامرتهما الرسولية التالية.

لقد نمت، في الواقع، كنيسة أنطاكية جدًّا؛ فهي تنعم بعددٍ لا بأس به من خدام الكلمة، من أنبياء ومعلمين: يبدو أن بعضهم كان يجمع الوظيفتين معًا؛ في كلِّ حال، لا يهتمُّ لوقا بتوزيع الألقاب بين الشخصيات الخمس التي يسميها. وتبدو اللائحة هامةً على قدر ما تشير إلى تنوع كبير في الأصل. كان مناين ما يمكن ان نسميه "أخًا بالرضاعة" لهيرودس رئيس الربع، أي عمِّ هيرودس أغريبَّا الذي ورد ذكره في الحلقة السابقة.

بدفع من الروح القدس، تعي هذه الجماعة المحظوظة أنه لا ينبغي أن تحتكر كلَّ خدام الكلمة هؤلاء من أجل خصوصيتها الروحية الخاصة. فإبان الاحتفال بالعبادة، قال لهم الروح القدس: هذه الطريقة في الحديث توحى بالتأكيد، برسالة نقلها أحدُ الأنبياء، متكلمًا بإلهام إلهي. هوذا يقف في وسط الفريق المصلي ويعلن: "هذا ما يقوله الروح القدس...".

تستدعي صياغة الرسالة ملاحظة مزدوجة: أفردوا لي برنابا وشاول: لقد سبق أن رأينا ذلك (رج ١٠ : ٢٠)، أي أن يتكلم الروح بصيغة المتكلم المفرد، بصفته ذاك الذي يقود تحقيق تصميم الله؛ للعمل الذي دعوتهما إليه: يشير زمن الفعل إلى أن الفريقين أدركا هذه الدعوة، وبدون شكَّ كلِّما الإخوة بهذا الخصوص، إذ أكد الروح أن الوقت قد حان للانتقال إلى العمل. ليس هذا "العمل" محددًا مسبقًا بدقة، وسيكتشفه المرسلان من خلال تقدمهما شيئًا فشيئًا تحت قيادة الروح. ولم يكن وضع الأيدي عليهما هنا حركة لاستئصال عطية الروح القدس، وقد سبق أن تلقاها خادما الله منذ زمن بعيد، بل حركة كنسية للإرسال في مهمة رسولية، تشاطر كنيسة أنطاكية فيها المسؤولية الروحية. لأجل هذا السبب، سيقدم بولس وبرنابا، في ختام بعثتهما الأولى، تقريرًا إلى هذه الكنيسة، وليس إلى كنيسة اورشليم (رج ١٤ : ٢٦).

٩- بولس وبرنابا في قبرص: قبول الكلمة ورفضها (١٣ : ٤-١٢)

٤ فلما كانا مؤفدين من الروح القدس، نزلنا إلى سلوقية ثم أبحرنا منها إلى قبرص.

- ٥ فلَمَّا بَلَغَا سَلَامِينَ، أَخَذَا يُبَشِّرَانِ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فِي مَجَامِعِ الْيَهُودِ، وَكَانَ مَعَهُمَا يُوحَنَّا مُعَاوَنًا لَّهُمَا.
- ٦ فَاجْتَازا الْجَزِيرَةَ كُلَّهَا حَتَّى بَأْفُسَ، فَلَقِيَا سَاحِرًا نَبِيًّا كَذَّابًا مِنَ الْيَهُودِ اسْمُهُ بَرِيْشُوعُ،
- ٧ مِنْ حَاشِيَةِ الْحَاكِمِ سِرْجِيُوسِ بُولُسَ، وَكَانَ هَذَا رَجُلًا عَاقِلًا. فَدَعَا بَرْنَابَا وَشَاوُلَ وَرَغِبَ إِلَيْهِمَا فِي أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ.
- ٨ فقاوَمَهُمَا عَلِيمُ السَّاحِرِ (وهذا معنى اسمه) مُحَاوِلًا أَنْ يَصْرِفَ الْحَاكِمَ عَنِ الْإِيمَانِ.
- ٩ وَكَانَ شَاوُلُ (وَيُدْعَى أَيْضًا بُولُسُ) مُمْتَلِنًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَحَدَّقَ إِلَيْهِ
- ١٠ وَقَالَ: "أَيُّهَا الْمُتَلَبِّئُ مِنْ كُلِّ غِشٍّ وَخِدَاعٍ، يَا ابْنَ إِبْلِيسَ، ويا عَدُوَّ كُلِّ بَرٍّ، أَمَا تَكْفُرُ عَنِ تَعْوِيجِ طُرُقِ الرَّبِّ الْقَوِيْمَةِ؟
- ١١ ها هي ذي يَدُ الرَّبِّ عَلَيْكَ فَتَصِيرُ أَعْمَى لَا تُبْصِرُ نَوْرَ الشَّمْسِ إِلَى حِينٍ". فَهَبَّطَتْ عَلَيْهِ مِنْ وَقْتِهِ ظُلُمَاتٌ حَالِكَةٌ، فَجَعَلَ يَدُورُ فِي كُلِّ جِهَةٍ مُلْتَمِسًا مَنْ يَقُوذُهُ بِيَدِهِ.
- ١٢ فَلَمَّا رَأَى الْحَاكِمُ مَا جَرَى، آمَنَ وَقَدْ أُعْجِبَ بِتَعْلِيمِ الرَّبِّ.

كان برنابا من قبرص أصلاً: يمكننا الاعتقاد أنه هو الذي اقترح أن يذهب أولاً إلى هذه الجزيرة. وان الإرسال من قبل الروح القدس، وقد شدّد عليه لوقا بإلحاح، لا ينفى وجود دوافع طبيعيّة لدى مرسله الذين يحتفظون بحريّة كاملة بأن يأخذوا مبادرات. وعندما يريد الروح أن يعاكس مشاريع المرسلين المعقولة، يكشفه لهم، كما سنرى ذلك لاحقاً في ١٦: ٦ي!

إذا وضعنا جانباً ذِكْرَ يُوحَنَّا مَرْقَسَ، في دوره الثانويّ، وسيعود قريباً أدراجه، نرى أن آ ٥ محرّرة على شاكلة موجز يهدف إلى أن يبيّن لنا بصورة قاطعة أنّ المرسلين المسيحيّين، العاملين في أماكن الشتات اليهوديّ، ينطلقون من الجامع (اليهوديّة) لينقلوا رسالتهم. فما بدا هنا مرتبطاً بمجرد تخطيط، يتلقّى في المحطة التالية تبريره اللاهوتيّ. لا يقول لوقا شيئاً عن نجاح هذا التبشير في قبرص أو عن عدم نجاحه. واستنتج البعض من ذلك أنّه لم يكن مثمراً بسبب سيطرة السحر الهامة في هذه الجزيرة، ويصدي له بالتحديد المشهد الأكثر تفصيلاً الذي نقله الراوي.

بلينوس القديم، معاصر الأحداث التي يرويها سفر الأعمال، يؤيد وجود سحرّة يهود، أصبحوا شبه "شيعّة" في قبرص، مشيراً بشكل عام إلى أن ملوك ذلك العصر وأباطرته كانوا في الغالب محاطين بسحرّة: هذا هو حال سرجيوس بولس، الحاكم، على صعيد سلطته، وقد أحاط نفسه بالساحر بر يشوع (إنّ تفسير الاسم الثاني لهذا الرجل، في آ ٩، غامض هو، إذ إنّ عَلِيمًا ليس ترجمةً للاسم "بر يشوع"). وبخلاف سيمون الذي كان قد اهتدى إلى الكلمة، ازاء عجائب فيليبس (رج ٨: ١٣)، ضلّ هذا الساحر رسالة برنابا وشاول اللذين أتى بهما الحاكم، وكان رجلاً ذكياً، وبالتالي منفتحاً.

استجلب عَلِيمًا لعنةً عنيفةً على نفسه من قِبَل شاول (آ ١٠-١١)، يمكننا أن نقاربها مع التأييب الذي كان بطرس قد وجهه سابقاً إلى حنانيا، أو إلى سيمون بعد محاولته الخسيسة (٥: ٣٣؛ ٩: ٢٠). ولدينا هنا أحد عناصر الموازة التي أراد لوقا بوضوح أن يضعها بين الأبطال الرئيسيين لجزءي كتابه الكبيرين (أنظر الاطار: بطرس وبولس، وجهان متوازيان). تتضمن هذه الموازة فرقاً بسيطاً لا يُذكر، إذ إنّ بطرس، وهو يهدّد سيمون بالموت، دعاه إلى التوبة؛ فيما يصدر بولس عقاباً منسوباً صراحةً إلى يد الربّ، وسيكون فورياً. ومع ذلك، ومن دون الكلام على التوبة، يجعلنا نفهم أنّ هذا العمى قد لا يكون إلاّ مؤقتاً.

وبما أنّ معارضة الساحر لبولس وبرنابا تذكر بمعارضة سحرّة مصر الذين تصدّوا لموسى أمام فرعون (خر ٧: ١١؛ رج ٢ طيم ٣: ٨)، قارب البعض بين عقاب عَلِيمًا وبين ضربات مصر، انطلاقاً من العبارة يد الربّ تكون عليه (رج خر ٧: ٤؛ ٩: ٣)، ومن ذكر الظلام الذي يكاد يكون ملموساً (خر ١٠: ٢١). بالفعل، قد يكون لوقا فكّر في ذلك وهو يحجّر هذه الرواية.

اهتدى الحاكم، إذ ذهل، ليس فقط بهذا الظهور للقدرّة الإلهية، بل — تعليم الربّ، وهذا تعبير مُستل من لو ٤: ٣٢، يُولي الناطق باسم الإنجيل سلطاناً ماثلاً لسلطان يسوع.

انطلاقاً من هنا، سيعطي لوقا دائماً لشاول اسم "بولس": وهي الصيغة اللاتينية لاسمه العبري؛ وكان يستعمله عندما يوجد في وسط غير يهودي، هو الذي كان مواطناً رومانيّ المولد. كأنّ لوقا يوحى بأنّ الرسول، على شرف سرجيوس بولس واهتدائه،

سيفضّل من الآن وصاعدًا هذا الاسم: في كل الأحوال، لوقا ذاته لن يعود يدعوّه إلاّ بهذا الاسم في باقي الكتاب، حيث سيحتلّ بولس المكان الأوّل بصفته مرسلًا إلى العالم اليوناني الروماني.

١٠- في أنطاكية بيسيمية (١٣ : ١٣-٥٢)

اختار لوقا هذه المحطّة الثانية من رحلة بولس وبرنابا الرسوليّة ليوسّع بشكل مطوّل الطريقة التي اعتمدها المرسلان، ومضمون تبشيرهما وردّات الفعل التي يحرّكها. سنقسم من جديد هذا المقطع إلى اثنين، الأمر الذي تبرّره الإشارة الزمنيّة في آ ٤٤.

أ- خطبة بولس في المجمع (آ ١٣-٤٣)

- ١٣ ثمّ أبحر بولس ورفيقاه من بأفس، قبلوا برجة بمقيلية ففارقهما يوحنا ورجع إلى أورشليم.
- ١٤ أمّا هما فغادرا برجة وسارا حتّى وصلا إلى أنطاكية بسيدية. ودخلا المجمع يوم السبت وجلسا.
- ١٥ وبعد التلاوة للشريعة والأنبياء، أرسل إليهما رؤساء المجمع يقولون: "أيها الأخوان، إذا كان عندكما كلام وعظ للشعب، فقولاها."
- ١٦ فقام بولس فأشار بيده وقال: "يا بني إسرائيل، ويا أيها الذين يتقون الله اسمعوا:
- ١٧ إن إله هذا الشعب، شعب إسرائيل، اختار آباءنا ورفع شأن هذا الشعب طوال غربته في أرض مصر. ثمّ أخرجهم منها بقدرته ساعده.
- ١٨ ورزقهم طعامًا نحو أربعين سنة في البرية،
- ١٩ ثمّ أباد سبع أمم في أرض كنعان وأورثهم أرضها،
- ٢٠ مدّة نحو أربعين سنة وخمسين سنة. وجعل لهم بعد ذلك قضاة حتّى النبي صموئيل.
- ٢١ ثمّ طلبوا ملكًا، فجعل الله لهم شاول بن قيس، من سبط بنيامين مدّة أربعين سنة.
- ٢٢ ثمّ خلعه وأقام لهم داود ملكًا، وشهد له بقوله:
- وحادث داود بن يسى رجلًا يرضيه قلبي وسيعمل بكلّ مما أشاء.
- ٢٣ ومن نسّله أتى الله إسرائيل بمخلص هو يسوع، وفقًا لواعده.

- ٢٤ وَسَقَى أَنْ نَادَى يُوْحَنَّا قَبْلَ مَجِيئِهِ بِمَعْمُودِيَّةٍ تَوْبَةٍ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ كُلِّهِ.
- ٢٥ وَلَمَّا أَوْشَكَ يُوْحَنَّا أَنْ يُنْهِيَ شَوْطَهُ قَالَ: مَنْ تَطُنُّونَ أَتَيْ هُو؟ لَسْتُ إِيَّاهُ. هَاهُوَذَا آتٍ بَعْدِي ذَاكَ الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا لِأَنْ أَفُكَّ رِبَاطَ حِذَائِهِ.
- ٢٦ "يَا إِخْوَتِي، يَا أَبْنَاءَ سُلَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَيَا أَيُّهَا الْحَاضِرُونَ هُنَا مِنَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ، إِلَيْنَا أُرْسِلَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، كَلِمَةُ الْخَلَاصِ.
- ٢٧ فَإِنَّ أَهْلَ أُورُشَلِيمَ وَرُؤُسَاءَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ وَحَكَمُوا عَلَيْهِ فَاتَّمُوا مَا يُتَلَى مِنْ أَقْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ سَبْتٍ.
- ٢٨ وَمَعَ أَهْلِهِمْ لَمْ يَجِدُوا سَبَبًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَوْتَ، طَلَبُوا إِلَى بِيلاطُسَ أَنْ يَقْتُلَهُ.
- ٢٩ وَبَعْدَمَا أَتَمُّوا كُلَّ مَا كُتِبَ فِي شَأْنِهِ، أَنْزَلُوهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَوَضَعُوهُ فِي الْقَبْرِ.
- ٣٠ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ،
- ٣١ فَتَرَأَى أَيَّامًا كَثِيرَةً لِلَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَهُمْ الْآنَ شُهُودٌ لَهُ عِنْدَ الشَّعْبِ.
- ٣٢ "وَنَحْنُ أَيْضًا نُبَشِّرُكُمْ بِأَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ آبَاؤُنَا
- ٣٣ قَدْ أَتَمَّهُ اللَّهُ لَنَا نَحْنُ أَبْنَاءَهُمْ، إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا كُتِبَ فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي:
- أَنْتَ ابْنِي، وَأَنَا الْيَوْمَ وَكَلَّمْتُكَ.
- ٣٤ وَأَمَّا أَنْ أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ وَلَنْ يَعُودَ إِلَى الْفَسَادِ، فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ:
- سَأُعْطِيكُمْ نَحِيرَاتِ دَاوُدَ الْمُقَدَّسَةِ، الْخَيْرَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ.
- ٣٥ لِهَذَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: لَنْ تَدَعَّ قُدُّوسَكَ يَنَالُ مِنْهُ الْفَسَادُ.
- ٣٦ عَلَى أَنَّ دَاوُدَ، بَعْدَمَا عَمِلَ لِقَصْدِ اللَّهِ فِي عَصْرِهِ، رَقَدَ وَضُمَّ إِلَى آبَائِهِ، فَجَالَ مِنْهُ الْفَسَادُ.
- ٣٧ وَأَمَّا الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُ الْفَسَادُ.
- ٣٨ فَاعْلَمُوا، أَيُّهَا الْإِخْوَةَ، أَنَّكُمْ عَنْ يَدِهِ تُبَشِّرُونَ بِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُبَرِّرُوا مِنْهُ بِشَرِيعَةِ مُوسَى،
- ٣٩ بِهِ يُبَرَّرُ مِنْهُ كُلُّ مَنْ آمَنَ.
- ٤٠ فَاحْذَرُوا أَنْ يَجِلَّ بِكُمْ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ:
- ٤١ أَنْظُرُوا أَيُّهَا الْمُسْتَحْفَنُونَ إِعْجَبُوا وَتَوَارَوْا.

فَأْتِي لَصَانِعٍ فِي أَيَّامِكُمْ صُنْعًا لَوْ حَدَّثَكُمْ بِهِ أَحَدٌ لَمَا صَلَفْتُمْ".

- ٤٢ وَيَيْنَمَا هُمَا خَارِجَانِ سَأَلُوهُمَا أَنْ يُحَدِّثَاهُم بِهَذِهِ الْأُمُورِ فِي السَّبْتِ الْمُسَبِّحِ.
- ٤٣ فَلَمَّا انْفَضَّتِ الْجَمَاعَةُ، تَبِعَ بُولَسَ وَبَرْنَابَا كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالذُّخْلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ. فَأَخَذَا يُكَلِّمَانِهِمْ وَيُحَدِّثَانِهِمْ عَلَى الثَّبَاتِ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ.

ترك المبشرون قبرص، وأبحروا باتجاه آسيا الصغرى. توفر آ ١٣، على اقتضابها، معلومة مزدوجة: فمن جهة أولى، لا يعود لوقا يذكر سوى بولس الذي سيبدو بعد الآن كرئيس للبعثة. وفي التتمة كلها، عندما سيذكر برنابا، سيكون ذلك دائماً في مرتبة ثانية. من ناحية أخرى، يشير لوقا، وبدون تعليق، إلى انفصال يوحنا مرقس، وهو الذي سيكون لاحقاً موضوع خلاف بين بولس وبرنابا (رج ١٥: ٣٧). ليس لنا شرح عن عدم توقّف الفريق الرسولي في بروجة، مع انها مدينة هامة من سهل بمفيليا الغني (لكنّ الفريق سيفعل ذلك في طريق العودة؛ رج ١٤: ٢٥).

تروي آ ١٤، دون أيّ تفصيلٍ ذي نكهة، رحلةً طالت بعض الشيء، طالما نحن بصدد اجتياز أكثر من خمسمائة كلم سيراً على الأقدام حتّى أنطاكية بيسيدية، وهي مدينة استراتيجية، واستناداً إلى تحقيقات علمية قام بها م. إ. بومار، كانت عشيرة سرجيوس بولس ذات نفوذ كبير. ويقول بومار "نفهم إذّاك، أنّ بولس وبرنابا أرادا التوجّه مباشرة إلى أنطاكيا، مع توصية من الحاكم". إنّها فرضية معقولة وإن يصعب التحقق من صحتها.

لقد اختار لوقا هذه المحطّة ليعطي مثلاً مفصلاً عن استراتيجية بولس الرسوليّة، وعن مضمون تبشيره لليهود في الجامع (وهذا ما كان قد فعله في دمشق وفي قبرص؛ رج ٩: ٢٠؛ ١٣: ٥). يذكر الإطّار بسياق الخطبة البرنامج التي كان يسوع قد ألقاها في مجمع الناصرة، مع ذكر رتبة مجمعية يوم السبت، حيث تحتلّ قراءة الشريعة والأنبياء مركزاً رئيسياً، وحيث باستطاعة أشخاص آخرين غير الرابّيين تفسير الأسفار المقدّسة بحريّة (رج ٤: ١٦-٢٠)؛ كان يسوع هو ذاته قد أخذ المبادرة، بينما نرى هنا ان رؤساء المجمع أنفسهم، وقد لاحظوا حضور هؤلاء الإخوة، وفروا لهم إمكانيّة إلقاء كلمة حتّى: سيسفيد بولس، الضليع في الكتب المقدّسة، من هذه الفرصة ليلقي خطبة

طويلة إلى حد ما! وينكشف عملياً همُّ الموازاة، لدى لوقا، من خلال إعطائه هذه الخطبة باتجاه اليهود، الطول ذاته الذي لخطبة بطرس يوم العنصرة، وقد كانت النموذج الأول للكراسة بالإنجيل والموجهة إلى مستمعين يهود، بعين الموضوعات الأساسية. بإمكاننا بالتالي أن نكتفي بملاحظة الجوانب الفريدة في خطبة بولس.

خطبة بولس

٢٢-١٦ آ

يتوجه بولس في آ ١٦ إلى رجال إسرائيل، ولكن أيضاً الى يعبدون الله -حرفياً، خائفى الله: إنها التسمية ذاتها التي خصت كرنيليوس. ويعلم بولس أن هناك، في كل مجامع الشتات، متعاطفين مع الدين اليهودي، بعدد كبير إلى حد ما.

في الآيات ١٨ إلى ٢٢، هناك تشابه بين خطابه وخطاب إسطفانوس، إذ إنه يبدأ بالتذكير بالتاريخ المقدس: فهو يستذكر اختيار إسرائيل، ونموه في مصر، وتحريره، وحياته في الصحراء، وحلوله في أرض كنعان، وزمن القضاة وحتى صموئيل، وتأسيس الملكة مع شاول الذي نبذه الله. انه استعراض سريع، لا يسمي فيه، لا إبراهيم، ولا يوسف، ولا موسى، وهم شخصيات هامة في نظر إسطفانوس. وعلى النقيض من اسطفانوس، نستشف أن ليس لمخاطبته ذاكرة الشعب مرمى جدلي. تلك مقدمة مكثفة جداً، إذ إن بولس يبغى الوصول على عجل إلى داود وإلى موضوع الوعد المسيحي.

كما في خطاب بطرس، هو داود، وليس موسى، كما فعل إسطفانوس، من سيقدم بصفته صورة للمسيح. فداود، هو الرجل حسب قلب الله، وهو من سيتم إرادته كلها (آ ٢٢)، اقتباس تقريبي يخلط مز ٨٩: ٢١؛ ١ صم ١٣: ١٤؛ أش ٤٤: ٢٨): والقارئ المسيحي لهذا النص، يجد نفسه مسبقاً وهو يفكر بيسوع. وبولس سيقود سامعيه بوضوح إلى هذا التفكير، بدءاً من الآية التالية.

٣١-٢٣ آ

سيتوسع بولس في الإعلان عن موت يسوع وقيامته بشكل مطوّل، مكرراً بشكل خاص، في النهاية، الحجّة نفسها التي استخدمها بطرس، حين استشهد بمز ١٦: ١٠، لكي يطبق على يسوع الوعد الذي أعطى لداود بالأبى الفساد (آ ٣٥-٣٧).

لُنشير إلى بعض السمات البارزة لِمَا سبق. نحن أولاً بازاء الإعلان الفوريّ للخلاص، في آ ٢٣، في صياغة تقول ما هو جوهرىّ بكلمات قليلة: فالله، إذ تمّ وعده، أعطى إسرائيل مخلصاً يُدعى يسوع. ومن ثمّ هناك آيتان (٢٤-٢٥) مكرّستان لاستدكار رسالة يوحنا المعمدان بمفردات كلاسيكيّة، بما في ذلك نفيه أنّه المسيح، عندما تساءل البعض عن هويته (رج لو ٣: ١٥). ليس مستحيلاً، نظراً إلى ما سنعلّمه بشأن أفسس (رج ١٩: ٣)، أن يكون يهود أنطاكية بيسيدية قد التقوا تلامذة للمعمدان كانوا يعتبرونه المسيح. في كلّ الأحوال، يبدو ان فكرة تثبيت يوحنا في دوره كسابق، وقد صادقت عليه أقواله بالذات، تمّ إدراجها بمثابة مدخل للكراسة الإنجيليّة (رج مر ١: ٧). وتُبرز آ ٢٧ مفارقةً مأساة الآلام: إنّ عماوة سكّان أورشليم ورؤسائهم، وعدم فهمهم لأقوال الأنبياء، أدّى، من دون علم منهم، إلى المشاركة في تتيم النبوءات! كان بطرس قد تناول الموضوع ذاته في ٣: ١٧، ولكنّه جعل من جهل اليهود بمثابة شكل من العذر. أما بولس، فهو هنا أكثر قسوة، من خلال تشديده، في آ ٢٨، على كونهم طلبوا من بيلاطس أن يعدمه، مع أنّهم لم يكونوا قد وجدوا أيّ سبب للحكم عليه (التعبير هو على فم بيلاطس في لو ٢٣: ٤، ١٤). ومن المدهش أن تكون آ ٢٩ المقطع الوحيد في سفر أعمال الرسل الذي يذكر إنزال يسوع عن الصليب، ووضعه في القبر.

أما آ ٣١، فهي ذات فائدة كبيرة للإشارة إلى تناسق فكرة لوقا: انها تجعل بولس يتكلّم بتوافق كامل مع تحديده الشخصي للعمل الرسوليّ بالمعنى الحصريّ للكلمة (رج ١: ٢٢)؛ فلقد كان شهود القيامة، بدرجة أولى، مرافقي يسوع بدءاً بالجليل. ولا يستطيع بولس وبرنابا اللذان يعلنان الآن هذه البشرى السارة (آ ٣٢)، أن يفعل ذلك سوى بدرجة ثانية، بناءً على إيمان اثني عشر ورفقائهم، وهذا لا يعني ان إعلاّم للبشرى هو أقلّ قوّة!

٢٢-٤٣

وبمثلة مثال على هذا الإعلان، يسبق بولس، على مز ١٦، اقتباسين آخرين: فهو يطبّق على قيامة يسوع كلام التنصيب الوارد في مز ٢: ٧، وكان قد سُمع بعد عماده، بحسب لوقا (لو ٣: ٢٢). وكذلك، فان الاقتباس عن أش ٥٥: ٣، في آ ٣٤، لم يكن لا واضحاً ولا مقنعاً جداً.

ونصل إلى خاتمة هذه الخطبة (آ ٣٧-٤١). إذا كان الإعلان عن مغفرة الخطايا لوقاويّ جدًّا، فإنّ التعليق الوجيه الذي يُضَاف إليه (آ ٣٨-٣٩) يبيّن أنّ لوقا يعرف جيّدًا إلحاح بولس على موضوع "التبرير بالإيمان"، وعجز الشريعة عن تحرير الإنسان من الخطيئة (روم ١: ١٦؛ ٣: ٢٠؛ إلخ). (٠٠٠).

من الغريب بعض الشيء أنّه، بدلاً من دعوة إيجابيّة إلى التوبة، تنتهي خطبة بولس، على حين غرّة، بتحذير قاسٍ من أنّ مستمعيه قد يتعرّضون إلى رذلِ الله لهم بسبب صفاقتهم، استنادًا إلى كلامٍ تهديدٍ للنبيّ حبقوق. ذلك ان لوقا يريد على الأرجح القول بأنّ بولس قد أحسّ بالمعارضة الوحشيّة التي ستضع حدًّا لإقامته في أنطاكية بيسيدية (رج ١٣: ٥٠).

مع ذلك، تشير آ ٤٢-٤٣ إلى أنّ عظة بولس قد أثارت اهتمام مستمعيه في المجمع، إذ طُلِبَ منه أن يعود ويعطي هذه الرسالة في السبت التالي، فيما واصل المحادثة على الفور العديدُ من اليهود ومن الدخلاء عابدي الله (إذا وثنيون مهتدون إلى اليهوديّة)، ويبدو أنّهم قبلوا رسالة نعمة الله.

ب-بولس وبرنابا، وقد رفضهما اليهود،

يتوجّهان إلى الأمم (آ ٤٤-٥٢)

- ٤٤ ولَمَّا جَاءَ السَّبْتِ، كَادَتْ المَدِينَةُ كُلُّهَا تَجْتَمِعُ لِتَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ.
- ٤٥ فَلَمَّا رَأَى اليَهُودُ هَذَا الجَمْعَ، أَخَذَهُمُ الحَسَدُ، فَجَعَلُوا يَعارِضُونَ كَلَامَ بولسٍ بِالتَّجْدِيفِ.
- ٤٦ فَقَالَ بولسُ وبرنابا بجرأة: "إليكم أولاً كان يجب أن تُبلِّغَ كَلِمَةَ اللهِ. أمّا وأنتم ترفضونها ولا ترون أنفسكم أهلاً للحياة الأبديّة، فإننا نتوجّه الآن إلى الوثنيين.
- ٤٧ فقد أوصانا الربُّ قال:
- "جَعَلْتُكَ نورًا لِلأُمَمِ لِتَحْمِلَ الخِلاصَ إلى أَقصى الأَرْضِ".
- ٤٨ فَلَمَّا سَمِعَ الوثنِيُّونَ ذلكَ، فَرِحُوا وَمَجَّدُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ، وآمَنَ جَمِيعُ الَّذِينَ كُتِبَتْ لَهُمُ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.

٤٩ وكانت كَلِمَةُ الرَّبِّ تَنْتَشِرُ فِي النَّاحِيَةِ كُلِّهَا.

٥٠ على أَنَّ الْيَهُودَ أَتَارُوا كَرَانِمَ النَّسَاءِ الْعَابِدَاتِ وَأَعْيَانَ الْمَدِينَةِ، وَحَرَضُوا عَلَى اضْطِهَادِ بُولَسَ وَبِرْنَابَا فَطَرَدُوهُمَا مِنْ بَلَدِهِمْ.

٥١ فَتَفَضَّا عَلَيْهِمْ غُبَارَ أَقْدَامِهِمَا وَذَهَبَا إِلَى أَيْقُونِيَّةِ.

٥٢ وَأَمَّا التَّلَامِيذُ فَكَانُوا مُمْتَلِئِينَ مِنَ الْفَرَحِ وَمِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.

آ ٤٤-٤٧

كان الموعد المعطى للسبت التالي قد حُدِّدَ بطلب من جماعة المجمع؛ وفي اليوم المحدد، اجتمعت المدينة كلها تقريباً لسماع المرسلين. لا يفسر لنا الراوي، وهو على عجل من أمره للوصول إلى ما هو جوهرى، كيف تم هذا الافتتان لدى القوم. بإمكاننا التخيل أن ذلك حصل من خلال شهادة الدخلاء الذين تم اكتسابهم للإنجيل، أو أيضاً من خلال محادثات بولس وبرنابا خلال الأسبوع مع قسم من سكان المدينة الوثنيين. يبقى أنه، عندما رأى اليهود هذا الحشد، امتلأوا غيظاً (بالإمكان نقل هذا التعبير بمفردتي حسد، أو غيره سيئة، وهو التعبير ذاته الذي في ١٧: ٥)، إذ شعروا أنهم مجردون من امتيازهم كشعب الكلمة، فانتقلوا من الفضول إلى الغضب: إنها حرفياً تجاديف واجهوا بها أقوال بولس، الأمر الذي يعني أنهم أخذوا على الأرجح يشتمون يسوع بالذات على اعتباره مسيحاً كاذباً (آ ٤٥)!

ويُنسب الإعلان الذي يلي، كي تبرز أهميته، إلى برنابا كما إلى بولس، وكلاهما يتكلمان بالثقة المعهودة التي يوفرها الروح القدس للناطقين باسمه (آ ٤٦-٤٧). إن "العبور إلى الوثنيين" يرره لوقا هنا لاهوتياً إذ يعرض أمامنا، في آيتين رئيسيتين (٤٦-٤٧)، القناعة التي تكمن وراء مؤلفه كله. هناك أولوية لا تُنكر ينبغي الاحتفاظ بها في إعلان الإنجيل: يجب أن يتلقى الشعب المختار، أولاً، قبل غيره - وهو المؤمن على وعود الله - البشرى السارة بتحقيق هذه الوعود. وإذا قبل أن يعترف بمسيحته، ويضع ذاته في خدمته، فبوسعه هو ذاته أن يصبح نور الأمم، داعياً أيأها إلى أن تأتي وتقاسمهم الخلاص الذي يهبه الله. ألم يتم اختيار أبيهم إبراهيم لكي يكون بركة لكل عائلات الأرض؟ ولكن، إذا رفضوا الإنجيل، فإن المرسلين سيتوجهون عندئذ، رغماً عنهم وبدونهم، نحو

أولئك الذين يجب أن تُعلن لهم أيضاً هذه الرسالة، حتى يتحقق تصميم الله. هكذا يجب أن نفهم "التحوُّل" الحاسم الذي يتكلّم عليه هذا النصّ.

لا تسمح لنا معرفة العديد من نبوءات العهد القديم حول خلاص الأمم، ان نفهم كلام بولس وبرنابا كما لو أن تبشير العالم الوثنيّ بالإنجيل لم يكن سوى نتيجة طارئة، أي عرضيّة وغير متوقّعة، لتصلّب إسرائيل. فما هو تاريخيّ وطارئ، هو أن المرسلين المسيحيين، أمام المعارضة الضارية لليهوديّة الرسميّة، اتخذوا خيار الحرّيّة، حتى وإن رافقها خطر قطيعة مؤلمة، وخاطبوا الجموع الوثنيّة مباشرةً، وعند ذاك أسّسوا جماعة وثنيّين مهتدين مقابل المجمع المعادي.

إنّ الاستشهاد بـ أش ٤٩: ٦ أساسيّ في نظر لوقا، وقد كان في خلفيّة نبوءة سمعان (لو ٢: ٣٢): ففيها يُعلنُ يسوع الطفل بصفته "خادمَ الربّ" المُعدّد ليكون نوراً للأمم، من أجل تحقيق دعوة إسرائيل. وبصياغة مختلفة قليلاً، سيصف بولس أيضاً دور المسيح القائم من الموت، وقد أعلن عنه موسى والأنبياء، في ٢٦: ٢٣ (حيث سيذكر بولس أن يسوع هو أيضاً "نور" للشعب اليهوديّ). وهنا يبدو المرسلان وقد تبنيّا هذه الدعوة، إذ إنّه بكلامهما سيتمكّن خلاص المسيح من أن يبلغ حتى أقاصي الأرض.

أضف إلى ذلك أنّ مثلّ الدعوة إلى الوليمة (لو ١٤: ١٦-٢٤) كان حاضراً ولا شك في ذهن لوقا، عندما حرّر هذه الحلقة: إنّ لردّة فعل بولس وبرنابا شيئاً من غضب ربّ المنزل وهو يرى أنّ دعوته مزدراة من قِبَل المدعوّين الأوائل (إنّه غضب الحبّ الخائب)؛ من ناحية ثانية، وبالتحديد في نصّ لوقا، تُضاف إلى دعوة فقراء المدينة وسقمائها (وهي تقابل رسالة يسوع لدى "فقراء إسرائيل"، وقد لقيت معارضة العظماء)، دعوة أوسع تعلن بالتأكيد عن الرسالة لدى الوثنيّين، وهي عزيزة على قلب الإنجيليّ.

آ ٤٨-٥٢

تُظهر آ ٤٨-٤٩ نجاح الرسالة في أنطاكية بيسيدية: يتلقّى الوثنيّون الرسالة بفرح (رج ٢٨: ٢٨)، ويمجدون كلمة الربّ. لقد أصابت الترجمة الليتورجيّة المعنى بالتمام عندما نقلت الجملة كما يلي: كلّ الذين كان الله قد هيّأهم للحياة الأبديّة (أو: الذين كتبت لهم الحياة الأبديّة)، متحاشيةً المعضلة اللاهوتيّة المطروحة من قِبَل الترجمة الشائعة،

أي أُعِدُّوا للحياة الأبدية (وقد تُستنتج منها فكرة المصير المسبق (prédestination)، وهي ليست في فكر لوقا). وبشكل عابر، تبرّر معلومة آ ٤٩ جانباً من استراتيجية المرسلين: فيبلوغهما إلى المدن ذات الأهمية، يدركان ان رسالتهما ستشعّ من هناك في المنطقة المحيطة بما.

لكن في أنطاكية بالذات، استعمل اليهود المعادون للإنجيل نفوذهم للتخلّص من بولس وبرنابا بطردهما؛ هكذا رفض هذان غبار أرجلهما ضدّ هذه المدينة التي لم تقبلهما، وتلك علامة قطيعة هي بمثابة تطبيق لأمر أعطاه يسوع (رج لو ٩: ٥). لكنهما، مع ذلك، تركّا وراءهما تلاميذ يبدون، بدافع الفرح الذي يهبه لهم الروح القدس، مستعدّين لمواجهة خطر الاضطهاد، هم أيضاً (رج ١٤: ٢٢).

١١- نجاح الرسالة وفشلها في آسيا الصغرى: عودة إلى أنطاكية (١٤: ١-٢٨)

- ١٤
- ١ وجرى مثل ذلك في أيقونية، إذ دخل بولس وبرنابا مجمع اليهود وأخذوا يتكلّمان كلاماً جعل جمعا كثيرا من اليهود واليونانيين يؤمنون.
- ٢ غير أن الذين لم يؤمنوا من اليهود أثاروا الوثنيين وحملوهم على أن يسبوا الظن بالإخوة.
- ٣ ولكنهما مكثا مدة طويلة يتكلّمان بجرأة في الربّ، وهو يشهد لكلمة نعمته فيهبّهما أن تجري الآيات والأعاجيب عن أيديهما.
- ٤ فانقسم أهل المدينة، فمنهم من كان مع اليهود، ومنهم من كان مع الرسولين.
- ٥ ولما أزمع الوثنيون واليهود ورؤساؤهم أن يشتموهما ويرجموهما،
- ٦ شعرا بذلك فلجأ إلى مدينتين من ليقونية وهما لسترة ودرية وما جاورهما
- ٧ فبشرا هناك أيضاً.
- ٨ وكان في لسترة رجل كسيح مفعدّ من بطن أمه، لم يمش قطّ.
- ٩ وبينما هو يصغي إلى بولس يتكلّم، حدّق إليه فرأى فيه من الإيمان ما يجعله يخلص،
- ١٠ فقال له بأعلى صوته: "قم فانتصب على قدميك!" فوثب يمشي.
- ١١ فلما رأت الجموع ما صنع بولس، رفعوا الصوت فقالوا باللغة الليقونية: "تمثل الآلهة بشراً ونزلوا إلينا".

- ١٢ وكانوا يدعون برنابا زاويش وبولس هيرمس، لأنه كان يتولى الكلام.
- ١٣ فجاء كاهن صمم زاويش القائم عند مدخل المدينة بيران وأكليل إلى الأبواب،
يريد تقريب ذبيحة مع الجموع.
- ١٤ فلما بلغ الخبر الرسولين برنابا وبولس، مزقا ردايهما وبادرا إلى الجمع يصيحان
- ١٥ فيقولان: "أيها الناس، لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضا بشر ضعفاء مثلكم نبشركم
بأن تتركوا هذه الأباطيل وتهتدوا إلى الله الحي الذي صنع السماء والأرض والبحر
وكل شيء فيها.
- ١٦ ترك الأمم جميعا في العصور الخالية تسلك سبلها،
- ١٧ على أنه لم يفتنه أن يؤذي الشهادة لنفسه بما يعمل من الخير. فقد رزقكم من
السماء الأمطار والفصول المخصصة، وأشبع قلوبكم قوتنا وهنأنا.
- ١٨ وبالرغم من هذا الكلام، لم يستطيعوا إلا بمشقة أن يصرفوا الجمع عن تقرب ذبيحة لهما.
- ١٩ ثم جاء بعض اليهود من أنطاكية وأيقونية. فاستمالوا الجموع فرجموا بولس
وجروه إلى خارج المدينة يظنون أنه مات.
- ٢٠ ولما التف التلاميذ عليه، قام فدخل المدينة، ومضى في الغد مع برنابا إلى درية.
- ٢١ فبشرا تلك المدينة وتلمذا خلقا كثيرا، ثم رجعا إلى لسترة فأيقونية فأنطاكية
- ٢٢ يُشددان عزائم التلاميذ، ويحثانهم على الثبات في الإيمان ويقولان لهم: "يجب
علينا أن نجتاز مضايق كثيرة لندخل ملكوت الله".
- ٢٣ فعينا شيوخا في كل كنيسة وصليا وصاما، ثم استودعاهم الرب الذي آمنوا به.
- ٢٤ فاجتازا بسيدية وجاءا بمفيلية،
- ٢٥ وبشرا بكلمة الله في برجة، وانحدرا إلى أطالية
- ٢٦ وأبحرا منها إلى أنطاكية التي كانا قد انطلقا منها، موكولين إلى نعمة الله من أجل
العمل الذي قاما به.
- ٢٧ فجمعا الكنيسة عند وصولهما، وأخبرا بكل ما أجرى الله معهما وكيف فتح باب
الإيمان للوثنيين.
- ٢٨ ثم مكثا مدة غير قليلة مع التلاميذ.

بولس وبرنابا في إيقونية (آ ١-٧)

بعد الرواية المفصلة جدًا لإقامة المرسلين في أنطاكية بيسيدية، سيصبح الراوي أكثر اقتضابًا في هذه المرحلة، حيث تتكرر الأحداث ذاتها. فما ينبغي الإشارة إليه قبل كل شيء، هو أن القرار بالانتقال إلى الوثنيين، باعتباره قطعة مع اليهود، ليس مبرمجًا، بل على العكس، في كل مكان كانت تُحترم الأولوية المعترف بها لشعب العهد: كان يُباشَر إذا بإعلان الإنجيل في الجامع، حيث وُجدت. وكان هذا التبشير قد اكتسب، في آنٍ معًا، يهودًا ووثنيين، بعدد كبير، في مدينة إيقونية، في أقصى الجنوب الشرقي من فريجيا (آ ١)، لكنه قسم السكان: فاليهود الذين رفضوا الدعوة المسيحية جروا قسمًا من الوثنيين إلى المشاركة في عداوتهم (آ ٢)، وهذا لم يحل دون إقامة بولس وبرنابا هناك بعض الوقت، ومن صنع آياتٍ ومعجزات. حتى ذلك الوقت، لم تكن مواكبة أفعال القدرة للكراسة بالإنجيل (ويُشار إليها هنا بشكل عام، كما في الموجزات في ٢: ٤٣؛ ٥: ١٢؛ إلخ) تُذكر إلا بشأن الرسل، كما بشأن إسطفانوس أو فيليبس، في وسط يهودي أو سامري. فلوفا يرمي إلى القول بأن بولس وبرنابا، في رسالتهما البعيدة، كانا يتمتعان بسلطان روحيٍّ مماثل لسلطان الشهود الأوائل. وبدقة أكبر، هو الربّ من يظهر قدرته على يدهم.

إن صيغة آ ٣ في هذا السياق فريدة هي، إذ تُضفي ملحنًا على هذه الرواية الشاحبة بعض الشيء: الربّ هو الذي كان يشهد بهذه الطريقة لكلمة نعمته، ولفظة "نعمة" مستلّة من لو ٤: ٢٢. هل بسبب هذا الذكر للآيات والمعجزات أعطى لوقا هنا للمرسلين، بشكل استثنائي، لقب رسولين (آ ٤ وأيضًا آ ١٤)، وكان يحتفظ به عادةً للاثني عشر؟ انه، في كلّ الأحوال، مناسب تمامًا في معناه الواسع، بصفتهما "مرسلين". سنرى في المحطّة التالية أن "العجائب"، في أرض وثنية، قد تلقت تفسيرًا لا يخدم الإنجيل!

أخيرًا، تؤدّي البلبلة التي سببها هذا التبشير الذي قسم سكان إيقونية، إلى مشروع رجم تمّ تدبيره بدعم من السلطات اليهودية والوثنية معًا. لكن بولس وبرنابا، وقد أحبطا علمًا، كان لديهما الوقت للفرار نحو مدن ليقونية حيث واصلًا إعلان البشرى السارة (آ ٥-٧).

مغامرة المرسلين لدى وثنبي لسترة (آ ٨-١٢١)

نجد هنا رواية مزدانة بالألوان. لقد أجرى بولس في لسترة شفاءً لسقيمٍ منذ ولادته، يشبه، على أكثر من صعيد، شفاء المريض على يد بطرس عند باب الهيكل، في ٣: ٢٠. والملاحظة الفريدة هي أن بولس حدّق في الرجل السقيم، فرأى أن له الإيمان لكي يخلص (آ ٩)، الأمر الذي يذكر ببعض الروايات الانجيلية عن العجائب، حيث كان يسوع يطالب المعنيين بإيمان مسبق (لو ٥: ٢٠؛ ٧: ٩). ولكن المسار الأكثر شيوعاً هو، مع ذلك، أن الشفاء، وهو مبادرة من يسوع، أو من بطرس في الحالة المذكورة، يحرك إيمان المستفيد من الأعجوبة وشكره. ويستعمل لوقا هنا الفعل **خلص** بمعنى شفى، كما فعل ذلك غالباً في الإنجيل (لو ٧: ٣؛ ٨: ٥٠؛ إلخ).

هذا الشفاء، وهو عنصرٌ موازاةٍ مع كرازة بطرس، يقدم مفارقة كبيرة في نتائجه، ذلك ان الجمع الذي تحقق من هذا الشفاء، يُبدي ردّة فعل على طريقة سكاّنٍ وثنين معتادين على الحكايات الميتولوجية (آ ١١-١٣). هوذا الجمع، في لهجته المحليّة، يهتف بأن هذين الزائرين هما إلهان اتخذّا شكلاً بشرياً! فاعتبروا برنابا زوس، قد يكون بسبب شيء من المهابة، أمّا بولس الذي شفى الرجل بكلمته، فقد اعتبروه هيرميس، الناطق باسم زوس، وإله الصحة.

لم يدرك المرسلان، على الفور، سوء الفهم، إذ لم يكونا يعرفان الليقونية، لكنهما سيرتاغان لدى رؤيتهما الاعدادات غير المتوقّعة لذبيحة على شرفهما! قد يكون لوقا على علم بقصة فيلمون وبوسيس الاسطورية، وقد حدّد أوفيد (Ovide) موقعها بالضبط في هذه المنطقة. كان هذا الثنائي من القرويين المتقدمين في السنّ، ولوحدهما، قد استقبلاً زوس وهرميس اللذين نزلاً بطريقة متخفية على الأرض. وهذان الإلهان، إذ غضبا من الاستقبال الذي لقيهما من الآخرين، أغرقا قريتهم في المياه: وهكذا يمكن الافتراض أن أهل لسترة، وعلى الأخصّ عبّاد زوس-خارج-الأسوار، لم يريدوا أن يتعرضوا لخطر عودة مأساة مماثلة، فسارعوا إلى تكريم زائريهما الإلهيين بطريقة لائقة!

وما إن فهم بولس وبرنابا الوضع حتّى عملا ما بوسعهما لوقف هذه الظاهرة البائسة، بدءاً بتمزيق معطفيهما، تلك علامة ردّة فعل تجاه هذا الأمر المعترّ (رج متى ٢٦: ٦٥)، ومن ثم، بردّ يذكر بردّ بطرس أمام كرنيليوس: لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضاً بشر

ضعفاء مثلكم (آ ١٥؛ رج ١٠ : ٢٦). (...). بعد هذا المدخل إلى الموضوع، يلي خطاب صغير هو، في سفر الأعمال، المثل الأول لخطاب أمام وثنيين (آ ١٥-١٧).

ولفلاً نُصاب بحجية من مضمونه، يجب أن يكون ماثلاً أمام أعيننا أننا بصدد حديث مناسبةٍ معيّنة: إنّه خطابٌ طوارئٌ للتخلّص من سوء فهمٍ جسيم، وهذا ما تمّ، ولكن ليس من دون عناء، كما تقول آ ١١٨! يجب إذاً ألا نرى فيه نمط خطبة كرازةٍ بالإنجيل. فإزاء ظاهرة الصنميّة الواضحة لدى الجمع، كان لا بدّ من ردّة فعل لدى المرسلين المسيحيين تتجسّد باعتراف بوحدانيّة الله. لقد دُعِيَ محاوريهما إلى الابتعاد عن الآلهة الكاذبة (ذلك توضيح من الترجمة الليتورجية؛ النصّ يقول: من هذه الأباطيل)، وإلى الاهتمام إلى الله الحيّ، تماماً كما كان سيفعل مكافهما مبشّرون يهود. فالإعلان عن الله الخالق الساهر على الناس، هو عنصر أوّل من "البشرى السارة". وسيكون بإمكان إعلان الخلاص بالمسيح يسوع أن يليه، عندما تكون فوضى الجمع قد سحمت، وحين يكون بولس وبرنابا قد تعافيا من تأثرهما!

آ ٢٠ التي تتكلّم على تلاميذ، توحى بأن المرسلين بقياً بعض الوقت في لسترة، وأعلنا الإنجيل بنجاح. ولكون الراوي مهتماً قبل كلّ شيء بأن يرسم لوحات ذات مدلول، فهو يحتزل أحياناً الوقت، دون أن يشير إلى المدة الحقيقيّة لرحلات أبطاله أو إلى مدّة إقامتهم. لقد أرادت الترجمة الغربيّة أن تملأ هذه الثغرة، فكتبت أنّهما بقياً هناك، وكانا يعلمان.

وتأتي لفظة (ثمّ أو عندئذ)، من دون تحديد، لتتناول مشكلة جديدة، في آ ١٩-٢٠. أنّها تبيّن ضراوة الخصوم اليهود الذين جاءوا من أنطاكية وأيقونية لمناهضة الرسالة المسيحيّة، ونجحوا في استمالة الجمع الذي كان قد تعاطف معها (النصّ الغربيّ يوضّح أنّهم اهتموا المبشّرين بالكذب). كان بولس هو المستهدف بنوع خاصّ: فلقد تلقى المصير نفسه الذي تلقاه، قبلاً، إسطفانوس، إذ إنّه رُجمَ وجُرحَ خارج المدينة، وتُرك هناك على اعتبار أنّه قد مات؛ ولكن في ما يشبه القيامة، هُضّ أمام التلاميذ الذين أتوا ليحيطوا به. هذا الرجم، بدون شكّ، هو الذي استذكره الرسول في ٢ قور ١١ : ٢٥. وفي ٢ طيم ٣ : ١١، يتكلّم بشكل عامّ على الاضطهادات والآلام التي عاناها في أنطاكية، وأيقونية، ولسترة، قائلاً: ومنها كلّها نجاني الرب! وفي اليوم التالي، استطاع، في الواقع،

أن يواصل طريقه مع رفيقه، ليصلاً إلى دربة حيث لا يبدو تبشيرهما قد تعرّض للاضطراب كما في المدن السابقة (آ ٢١ أ).

العودة من الرسالة (آ ٢١ ب-٢٨)

هنا أيضاً يُحتمل جداً أن تكون فترة طويلة، إلى حدّ ما، قد مرّت قبل أن يواصل بولس وبرنابا مسارَ هذه الرحلة الأولى، في اتجاه معاكس، دون أن يتعرضا لمضطهدهما. ويبدو من المحتمل أيضاً، أنهما لم يعودا يبشّران علانية. وفي الواقع، في لسترة، وأيقونية، وأنطاكية بيسيدية، قاما خلال مرورهما الثاني بمهمة هي بالأحرى رعائية، تضمّنت بتثبيت شجاعة التلاميذ؛ فهؤلاء كانوا بحاجة إلى الحثّ على الثبات في الإيمان، خاصة وأنّ من شأنّ المحنّ -الاضطهاد المحتمل- أن تجعل المؤمنين يتعرّض دائماً لخطر التخلّي. ويؤكد بولس هنا، كما يفعل في رسائله (آ ٢٢)؛ رج ١ تس ٣: ٢ ي؛ ٢ تس ١: ٤)، أنّ هذه المحنّ هي طبيعيّة في المسار الأرضي الذي يقود إلى ملكوت الله.

قبل أن يغادر المرسلان، نظّمًا هذه الكنائس الفتية أيضاً من خلال تعيين شيوخ (presbytres، كلمة يونانية أعطت الكلمة الفرنسية prêtres، "كهنة"/قسس). وسيحدّد بولس مسؤولياتهم بدقة أكبر في ٢٠: ٢٨. لقد وكّلاهم إلى الله بالصوم والصلاة، كما تمّ فعله لأجلهما عند انطلاقيهما إلى الرسالة (آ ٢٣)؛ رج ١٣: ٣ و١٤، ٢٦).

تروي آ ٢٤-٢٦ بطريقة مقتضية جداً نهاية رحلة العودة هذه، مشيرة إلى أن أهل برجه، هذه المرّة، بُشّروا بالإنجيل، لدى مرورهما. ومن ثمّ وصلا إلى أنطاكية بيسيدية، نقطة انطلاقيهما. هناك فارق بسيط: لم يترتب على بولس وبرنابا أن يبرّرا ذاتهما بشأن جرأتهما، وإنما تصرّفا كبطرس أمام كنيسة اورشليم (١١: ٤ ي): أخبراً بكلّ ما فعله الله معهما، لكي يحملاً الكنيسة التي كانت قد أرسلتهما إلى الابتهاج، بأنّه فُتِحَ للأمم الوثنيّة بابَ الإيمان (آ ٢٧). هذه الصورة البولسيّة بامتياز (رج ١ قور ١٦: ٩؛ ٢ قور ٢: ١٢؛ قول ٤: ٣) تدعم القناعة الحاسمة بنعمة الاهداء للوثنيين، وكانت قد أُعلنت بصفحتها جدّة حارقة في ١١: ١٨. ولكننا سنرى، في المحطّة التالية، أنّ كلّ النتائج لم تكن بعد قد قُبِلت بالتمام من قِبَل مسيحيّ اليهوديّة بأسرهم.

١٢- مجمع أورشليمي يكرس دخول الوثنيين في الكنيسة (١٥ : ١-٣٥)

١٥

- ١ وَنَزَلَ أَنَسٌ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَأَخَذُوا يُلْقِنُونَ الْإِخْوَةَ يَقُولُونَ: "إِذَا لَمْ تَخْتَبِنَا عَلَى سُنَّةِ
مُوسَى، لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَنَالُوا الْخَلَاصَ".
- ٢ فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بُولُسَ وَبِرْنَابَا خِلَافٌ وَجِدَالٌ شَدِيدٌ. فَعَزَمُوا عَلَى أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ
وَبِرْنَابَا وَأَنَسٌ مِنْهُمْ آخَرُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَيْثُ الرَّسُلُ وَالشُّيُوخُ لِلنَّظَرِ فِي هَذَا الْخِلَافِ
- ٣ فَشَيَّعَتْهُمُ الْكَنِيسَةُ. فَاجْتَازُوا فِي نِيْقِيَّةَ وَالسَّامِرَةَ يَرُوءُونَ خَيْرَ اهْتِدَاءِ الْوَتْنِيِّينَ،
فَيَفْرِحُونَ الْإِخْوَةَ كُلَّهُمْ فَرَحًا عَظِيمًا.
- ٤ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ رَحَّبَتْ بِهِمُ الْكَنِيسَةُ وَالرُّسُلُ وَالشُّيُوخُ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِكُلِّ
مَا أَجْرَى اللَّهُ مَعَهُمْ.
- ٥ فَقَامَ أَنَسٌ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى مَذَهَبِ الْفَرِيْسِيِّينَ ثُمَّ آمَنُوا، فَقَالُوا: "يَجِبُ خَتْمُ
الْوَتْنِيِّينَ وَتَوْصِيَّتُهُمْ بِالْحِفَاطِ عَلَى شَرِيعَةِ مُوسَى".
- ٦ فَاجْتَمَعَ الرَّسُلُ وَالشُّيُوخُ لِيَنْظُرُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.
- ٧ وَبَعْدَ جِدَالٍ طَوِيلٍ قَامَ بَطْرُسُ وَقَالَ لَهُمْ: "أَيُّهَا الْإِخْوَةَ، تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَ
عِنْدَكُمْ مِنْذُ الْأَيَّامِ الْأُولَى أَنْ يَسْمَعَ الْوَتْنِيُّونَ مِنْ فَمِي كَلِمَةَ الْبَشَارَةِ وَيُؤْمِنُوا.
- ٨ وَاللَّهُ الْعَلِيمُ بِمَا فِي الْقُلُوبِ قَدْ شَهِدَ لَهُمْ فَوَهَّبَ لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا وَهَّبَهُ لَنَا،
فَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي شَيْءٍ، وَقَدْ طَهَّرَ قُلُوبَهُمْ بِالْإِيمَانِ.
- ٩ فَلِمَاذَا تُجَرَّبُونَ اللَّهُ الْآنَ بِأَنْ تَجْعَلُوا عَلَى أَعْنَاقِ التَّلَامِيذِ نِيرًا لَمْ يَقَوْ آبَاؤُنَا وَلَا نَحْنُ
قَوِينَا عَلَى حَمَلِهِ؟
- ١١ فَتَحْنُ نُؤْمِنُ أَنَّنَا بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ نَنَالُ الْخَلَاصَ كَمَا يَنَالُ الْخَلَاصَ هَؤُلَاءِ أَيْضًا.
- ١٢ فَسَكَتَ الْجَمَاعَةُ كُلُّهُمْ وَأَخَذُوا يَسْتَمِعُونَ إِلَى بَرْنَابَا وَبُولُسَ يَرِوِيَانِ لَهُمْ مَا أَجْرَى
اللَّهُ عَنْ أَيْدِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَعَاجِيبِ بَيْنَ الْوَتْنِيِّينَ.
- ١٣ فَلَمَّا انْتَهَيَا تَكَلَّمَ يَعْقُوبُ فَقَالَ: "أَيُّهَا الْإِخْوَةَ، اسْتَمِعُوا لِي.
- ١٤ رَوَى لَكُمْ سَمْعَانُ كَيْفَ غَنِيَ اللَّهُ أَوَّلَ الْأَمْرِ بِأَنْ يَتَّخِذَ شَعْبًا لِاسْمِهِ مِنْ بَيْنِ الْوَتْنِيِّينَ،
وَهَذَا يُوَافِقُ كَلَامَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ:
- ١٦ سَاعُودٌ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَقِيمُ حَيْمَةَ دَاوُدَ الْمُتَهَدِّمَةِ. سَأَقِيمُ أَتْقَاصَهَا وَأَنْصُبُهَا

- ١٧ فَيَسْمَعِي سَائِرَ النَّاسِ إِلَى الرَّبِّ وَجَمِيعُ الْأُمَمِ الَّتِي ذُكِرَ عَلَيْهَا اسْمِي يَقُولُ الرَّبُّ صَانِعُ
هَذِهِ الْأُمُورِ
- ١٨ الْمَعْرُوفَةِ مُنْذُ الْأَزَلِ.
- ١٩ وَلِلذَلِكَ فَإِنِّي أَرَى أَلَّا يُضَيِّقَ عَلَى الَّذِينَ يَهْتَدُونَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْوَثْنِيِّينَ،
- ٢٠ بَلْ يُكْتَبُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَجْتَنِبُوا نَجَاسَةَ الْأَصْنَامِ وَالْفَحْشَاءِ وَالْمِيتَةِ وَالِدَّمِّ.
- ٢١ فَإِنَّ لِمُوسَى مُنْذُ الْأَجْيَالِ الْقَدِيمَةِ دُعَاةً فِي كُلِّ مَدِينَةٍ، فَهُوَ يَقْرَأُ كُلَّ سَبْتٍ فِي الْمَجَامِعِ."
- ٢٢ فَحَسَنَ لَدَى الرُّسُلِ وَالشُّبُوحِ، وَمَعَهُمُ الْكَنِيسَةُ كُلُّهَا، أَنْ يَخْتَارُوا أَنَا سَاءً مِنْهُمْ،
فِيُوفِدُوهُمْ إِلَى أَنْطَاكِيَّةٍ مَعَ بُولْسَ وَبِرْنَابَا. فَاخْتَارُوا يَهُودًا الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَرَسَابَا،
وَسِيلا، وَهُمَا رَجُلَانِ وَجِيهَانِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ.
- ٢٣ وَسَلَّمُوا إِلَيْهِمْ هَذِهِ الرُّسَالَةَ: "مِنْ إِخْوَتِكُمُ الرُّسُلِ وَالشُّبُوحِ إِلَى الْإِخْوَةِ الْمُهْتَدِينَ مِنَ
الْوَثْنِيِّينَ فِي أَنْطَاكِيَّةِ وَسُورِيَةِ وَقِيلِيقِيَّةِ، سَلَامٌ.
- ٢٤ بَلَّغْنَا أَنَّ أَنَا سَاءً مِنَّا أَتَوَكَّمُ فَأَلْفَوْا بَيْنَكُمْ الْاضْطِرَابَ بِكَلَامِهِمْ وَبَعَثُوا الْقَلْقَ فِي
نُفُوسِكُمْ، عَلَى غَيْرِ تَوْكِيلٍ مِنَّا.
- ٢٥ فَحَسَنَ لَدَيْنَا بِالِاجْتِمَاعِ أَنْ نَخْتَارَ رَجُلَيْنِ نُوَفِدُهُمَا إِلَيْكُمْ مَعَ الْحَبِيبِينَ بَرْنَابَا وَبُولْسَ،
وَهُمَا رَجُلَانِ بَدَلًا حَيَاتِهِمَا مِنْ أَجْلِ اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.
- ٢٦ فَارْسَلْنَا يَهُودًا وَسِيلا لِيُبَلِّغَاكُمْ الْأُمُورَ نَفْسَهَا مُشَافَهَةً.
- ٢٨ فَقَدْ حَسَنَ لَدَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَلَدَيْنَا أَلَّا يُلْقَى عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْبَاءِ سِوَى مَا لَا بُدَّ مِنْهُ،
- ٢٩ وَهُوَ اجْتِنَابُ ذَبَائِحِ الْأَصْنَامِ وَالِدَّمِّ وَالْمِيتَةِ وَالْفَحْشَاءِ. فَإِذَا احْتَرَسْتُمْ مِنْهَا تُحْسِنُونَ
عَمَلًا. عَافَاكُمْ اللَّهُ".
- ٣٠ فَلَمَّا صَرَفُوا انْحَدَرُوا إِلَى أَنْطَاكِيَّةِ. فَجَمَعُوا الْجَمَاعَةَ وَسَلَّمُوا إِلَيْهِمُ الرُّسَالَةَ.
- ٣١ فَقَرَأُوهَا فَفَرِحُوا بِمَا فِيهَا مِنْ تَأْيِيدٍ.
- ٣٢ وَكَانَ يَهُودًا وَسِيلا هُمَا أَيْضًا نَبِيِّينَ، فَوَعَّظَا الْإِخْوَةَ وَشَدَّدَا عَزَائِمَهُمْ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ.
- ٣٣ وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ صَرَفَهُمَا الْإِخْوَةُ بِسَلَامٍ إِلَى الَّذِينَ أَرْسَلُوهُمَا.
- ٣٤ وَلَكِنَّ سِيلا رَأَى أَنَّ يَلْبَثُ هُنَاكَ.
- ٣٥ أَمَّا بُولْسُ وَبَرْنَابَا فَأَقَامَا فِي أَنْطَاكِيَّةِ، يُعَلِّمَانِ وَيُبَشِّرَانِ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ وَمَعَهُمَا آخَرُونَ كَثِيرُونَ.

تُظهر هذه الرواية، الطويلة إلى حدّ ما، وحدةً أكيدة من حيث الموضوع، لأنّ المقصود، بالنسبة إلى لوقا، هو أن يُخبر عن خلاف جسيم وعن حلّه؛ واما، من حيث السرد، فيتمّ الانطلاق من أنطاكية للعودة إلى أنطاكية.

الخلاف (آ ١-٥)

لقد أصبحت أنطاكية حاضرةً هامّةً للمسيحيّة الأولى، باعتبارها قاعدة انطلاق الرسالة إلى العالم الوثنيّ. وقد تبدو كنيستها وكأنّها تنافس بشكل خطير سلطة الكنيسة الأمّ في أورشليم، وهي التي بقيت بشكل أساسيّ يهودية-مسيحيّة. علاوةً على ذلك، هناك لدى بعض أعضاء كنيسة أورشليم تحفّظات لاهوتيّة كبيرة تجاه دخول وثنيين عديدين إلى الكنيسة، لذا أخذوا المبادرة بالجميء وطرح المعضلة التي تقلقهم، بين الإخوة في كنيسة أنطاكية: إذ لم تختننوا بحسب شريعة موسى، فلن يمكنكم أن تخلصوا (آ ١).

تلك وجهة نظر تبدو في أيامنا ضيقة جدًّا، لكن يجب أن نفهم أنّها كانت تعكس لدى هؤلاء "التقليديين" قناعة وقلقًا صادقين، وتدلل على موقف لاهوتيّ متماسك. فهم لم يكونوا ضدّ منح الخلاص للجميع، لكنّهم كانوا مقتنعين بأنّ الانسان كي يخلص، عليه أن يندمج في شعب الله: وفي منظارهم، لن يكون ذلك ممكنًا إلاّ بالختانة (في ذاك الزمان، كان العديد من الوثنيين يقبلون هذا الشرط لكي يصبحوا دخلاء، أي أعضاء في شعب الله بشكل كامل).

بالرغم من أنّ لوقا لا يتكلّم على هذا الأمر، فمن المحتمل أن يكون لمحاولة تلقين المسيحيين من أصل وثنيّ دافعها الاجتماعيّ أو السياسيّ أيضًا: فأنّ يكون المرء عضوًا في الشعب اليهوديّ، فذلك يمنح في ذاك الزمان وضعًا متميزًا في الأمبراطوريّة الرومانيّة، كون اليهودية "ديانة مشروعة"، بحيث ان أتباعها كانوا مُعّفين حتّى من تأدية العبادة الواجبة للأميراطور: اما "المسيحيون"، كما كانوا يُدعَوْنَ في أنطاكية، فلم يكن قد أُعترفَ بهم بصفة فريق دينيّ خاص، وهكذا وجدوا ذاتهم دون اعتراف رسميّ، وعرضةً لمضايقات الإدارة الرومانيّة (ستحصل اضطهادات رهيبية، بعد ذلك بقليل، بسبب رفض عبادة الأمبراطور بالتحديد). إنّ ربط المسيحيين من أصل وثنيّ بالديانة اليهوديّة كان عمليًّا، إجراءً فطنًا.

لكنّ المسؤولين عن التبشير، أي بولس وبرنابا يعلمان جيّدًا أنّ فرضَ هذا الشرط قد يعني عرقلة انتشار الإنجيل بشكل خطير. وكان لا بدّ من التصادم مع هؤلاء "المتهودين". مع هذا، لا يخفي لوقا -ويشدّد غالبًا على نزعة المسالمة- أنّ المسألة قد أثارت في أنطاكية صراعًا وجدالات جسيمة جدًّا (آ ٢). يمكن العودة إلى الرسالة إلى الغلاطيين لتبيّن حسامة هذا الخلاف ومسألة مردوداته اللاهوتية الكبرى، عندما ناشد بولس المؤمنين من أصل وثنيّ بالأّ يدعّوا ذاتهم يُستعبدون من جديد، مؤكّدًا بأنهم، إذا ما اختنوا، فإنّ المسيح لن يفيدهم في شيء (رج غل ٥: ١)!

كان يجب إذا مناقشة هذه القضية صراحةً مع مسؤوليّ كنيسة أورشلهم الحقيقيين: استنادًا إلى لوقا، فإن كنيسة أنطاكية هي التي طالبت بإجراء هذا النقاش، ونظّمت بعثة عمية بولس وبرنابا. وها هو يضيف افهم، بينما كانوا في الطريق، ملأت قصة اهتداء الوثنيين جميع الإخوة فرحًا: وعلى العكس، يجعلنا نشعر كم سيكون انتصار الطرح المتهود تراجعًا محزنًا جدًّا. ولدى وصولهم، قدّم المبعوثون تقريرًا إلى كنيسة أورشلهم حول كلّ ما أجرى الله معهم (آ ٤، التعبير ذاته كما في ١٤: ٢٧). انهم إذا فريسيون قدامى، أصبحوا مسيحيين، ولكنهم بقوا متعلّقين بحفظ الشريعة، وهم الذين يجاهون نقطة الخلاف، ألا وهي: يجب إرغام هؤلاء الناس على الاختتان، وعلى حفظ شريعة موسى (آ ٥).

جمعية أورشلهم تناقش المسألة (آ ٦-٢١)

في النصّ الحالي، في آ ٦، يبدو أنّ الخدام فقط، أي الرسل والشيوخ، قد اجتمعوا للتداول. ويضيف النص الغربي مع الجمع، وتعني هنا مجمل الكنيسة. هذه الاضافة تعيد تماسك الرواية إذ في آ ١٢ سيذكر كلّ الجمع، وفي آ ٢٢ سيأخذ الرسل والشيوخ القرار مع الكنيسة كلّها. من هنا نتبين أنّه من الأصح التكلّم على "جمعية أورشلهم"، وليس، كما كان يقال، على "جمع" (هو مصطلح، استنادًا إلى تاريخ الكنيسة، يوحى باجتماع كلّ أساقفة الكنيسة الجامعة).

والمقصود هنا هو المواجهة بين جماعتين من أصل ديني ومن توجه لاهوتيّ مختلفين؛ وعلى مستوى أكبر، نجد من جديد الأزمة التي وضعت في الماضي الهلنيين والعبرانيين في

مواجهة، وتمّ حلّها في جمعيّة للرسل (رج ٦ : ٢). كان باستطاعة الكنيسة الأولى أن تحاول حلّ صراعاتها من خلال "الديموقراطية المباشرة"، حتّى ولو، كان "الكبار"، كما هو الحال دائماً، هم الذين يأخذون الكلام ليسيروا بالنقاش إلى الأمام، ويُعدّوا القرار. ينقل لنا لوقا ثلاث مداخلات متتالية.

١١-٧١

إنّه بطرس أولاً. نحن أمام آخر ظهور له في سفر أعمال الرسل. فلقد كان قد احتفظ بكلّ السلطان الروحيّ للمبشّر الأوّل بالإنجيل، هو الذي أسّست شهادته كنيسة أورشليم. يمكنه إذاً أن يشهد أن الله اختاره أيضاً لكي يكون الأوّل في التبشير بالإنجيل للوثنيين. انه يستخرج الآن كلّ النتائج اللاهوتية للاختبار الذي حصل مع كرنيليوس وأهل بيته. ويتذكّر القارئ، ومعه مستمعو بطرس أيضاً، الشيء الكثير عن هذه القصة الجميلة، فلا يرجع إليها بالتفصيل.

إنّ ما هو جوهريّ في الملفّ الذي حوله يجري النقاش، هو التشديد على أن الله أعطى الروح القدس إلى أناس غير محتونين، وأنّه طهرّ قلبهم بالإيمان، من دون تمييز (رج ١٠ : ٢٠). من الملفت ان نستنتج كيف وضع لوقا على لسان بطرس خطاباً "بولسياً" جدّاً، متحدّثاً هو أيضاً على متطلبات الشريعة كما لو كانت نيراً، ومعتزفاً بأنّ آبائنا ونحن بالذات لم نكن قادرين على حمله (آ ٩-١٠)، ليشير بأنّ الجميع، يهوداً ووثنيين، قد خلّصوا بنعمة الربّ يسوع وحدها (آ ١١). لذا فان أتباع الطريق الذي يقترحه المنتهودون سيكون بمثابة تجربة الله، أو إثارته (TOB)، إذ، في هذا السياق، نقص في الثقة بحكمته (رج خر ١٧ : ٧؛ عد ١٤ : ٢٢). لقد كان هذا الموقف واضحاً تماماً، حتى ان قوّة الاقناع فيه تركت أثراً في الجمعيّة التي لاذت بالصمت.

٢١-١٢٢

إذّاك لم يعد برنابا وبولس (في أورشليم تمّ الاحتفاظ بهذا الترتيب الأصليّ للتراتبية، ويأخذه الراوي بعين الاعتبار بطريقة بارعة) بحاجة إلى أن يُضيفاً حججاً لاهوتية على تلك التي قدّمها بطرس، طالما أنّها تدعم طرْحَهُما بالتمام؛ لذلك اكتفيا بالتشديد على أن الله ذاته كان حاضراً في رسالتهما، لا سيما وان الآيات والمعجزات،

التي كانت توابك التبشير الرسولي الأول في أورشلهم، صادقت هي الأخرى على مصداقية الكرازة بالإنجيل للوثنيين (آ ١٢).

كان آخر المتكلمين يعقوب، أخوا الرب. ومن المعروف أنه، مع شيوخ أورشلهم، كان يمثل موقفاً متمسكاً بالشرعية إلى حد كبير (رج ٢١: ٢٠ ي). لذا لم يكن مستعداً بالتأكيد لاتباع مفاهيم بولس الراديكالية، ولقبول انتفاء أي فرق من بعد بين اليهود والوثنيين الأصل. لكنه كان يهمله جداً بالأ تنقطع الشركة بين الكنائس اليهودية المسيحية والكنائس المسيحية الوثنية الأصل (وكانت لفترة التضامن المروية في الفصل ١١ قد أظهرتها). انه يتكلم بصفته الرئيس المسؤول عن هذه الجمعية، ويقترح حلاً وسطاً. لذا كانت رؤيته للأمر في الواقع مثيرة للفضول إلى حد كبير.

لا يطعن يعقوب في كون اهتداء الوثنيين من عمل الله، لكن هذا الاهتداء، بالنسبة إليه، لا يؤدي إلى اتساع شعب الله الواحد ("جسد واحد في يسوع المسيح")، وانما يعني أن الله اقتنى له شعباً جديداً مطبوعاً باسمه. ولما كان ذلك يسير في اتجاه هذا الطرح، ومن أجل دعمه، اقتبس من الترجمة السبعينية (وهو مع ذلك يفضل عادة العبرية) مقطوعاً من النبي عاموس (٩: ١١ ي)، يفهم منه أن سيكون هدفان لعمل الخلاص النهائي الذي أمته الله: من جهة أولى، إعادة خيمة داود، وهذا يعني إعادة بناء إسرائيل؛ ومن جهة ثانية، حمل الأمم الوثنية على البحث عن الرب. أما في النص العبري، فان مُلك داود المرّم سيدمج الأمم الوثنية فيه: وهذا يناقض القراءة التي يريد يعقوب أن يقوم بها! ذلك ان الأحداث الحاضرة، بالنسبة إليه، هي تحقيق هذا المشروع الإلهي؛ فلقد أقام الله لاسمه شعبين مختلفين؛ فليس المقصود أنهما يمتزجان، بل أن يعيشا في تفاهم جيد. بالتأكيد، لن يشكّل هذا اللاهوت منهجاً؛ بل كان له الفضل، في الوقت الراهن، بأن يوحى إلى يعقوب طريقة تعايش يقبل بها الجميع.

ولكي نفهم اقتراحه هذا، يجب ان نكتشف تماسكه في إطار الديانة اليهودية التي فيها تتحرك أفكاره: يتخلى يعقوب عن مطالبة الوثنيين المهتدين بالمرور بوضعية الدخلاء، وهي تتطلب الختان للاندماج في شعب الله الأول: وهذا ما يرضي موفدي كنيسة أنطاكية؛ وهكذا تم فضح مثيري الشغب؛ لكن، من أجل السماح لليهود-المسيحيين بالتعايش مع الإخوة الذين من أصل وثني بشكل سلمي، سيطلب من هؤلاء احترام بعض

المحرمات، وهي ذاتها التي كان يُطلب من "الغريب المقيم" في الأرض المقدسة أن يحترمها، في مستوى واحد مع الذين هم من بيت إسرائيل، بهدف إفساح المجال لعلاقات حسن الجوار، استنادًا إلى أح ١٧-١٨.

هذه المحرمات أوجزها يعقوب في نقاط أربع: الامتناع عن نجاسة الأصنام، والميتة، والمخنوق، والدم (آ ٢٠). في ما يخص النقطة الأولى، يجب أن يُفهم، كما ستحدّد ذلك آ ٢٩، الأطعمة التي تُقدّم للأصنام، ويؤدّي تناولها إلى النجاسة: من النافل ان يُطلب من المسيحيين الآتين من الوثنية أن يتخلّوا عن عبادة الأصنام؛ فلقد قاموا بذلك عند اهتدائهم! وحتم يعقوب مقدّرًا أن هذه المتطلبات يجب ألا تبدو غريبة بالنسبة إلى الذين لديهم بعض المعرفة بشريعة موسى، بفضل وجود مجامع في مدن الشتات. ولا بد ان اقتراح يعقوب كان مرصّيًا للجمعية، إذ لم يواصل أحد النقاش.

تهدئة الخلاف (آ ٢٢-٣٥)

اتخذ إذا الرسل والشيوخ، مع الكنيسة كلّها، القرار بإرسال موفدين إلى أنطاكية ليحملوا رسالة تهدئة. ودون أن يخشى لوقا بعض التكرار، استخدم أسلوبًا كنسيًا جدًّا، فأعطى في آ ٢٣-٢٩ مضمون هذه الرسالة الرسمية.

إنها موجهة إلى الإخوة الآتين من الأمم الوثنية، ليس فقط من أنطاكية، بل من سوريا وقيليقيا (وبالتالي من طرسوس ولا شك). لم يُذكر صراحةً أن قيليقيا تلقت البشارة بالإنجيل، لكن بولس قد يكون قام بذلك خلال إقامته في طرسوس (رج ٩: ٣٠). لقد حرصت الرسالة على قطع الصلة عن أناس من اليهودية كانوا قد أتوا يزرعون البلبلة في أنطاكية، وفعلوا ذلك دون تكليف من أحد. ومن ثمّ تمّ مدح حبيينا برنابا وبولس، اللذين بذلا حياتهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح (آ ٢٥-٢٦)، نقل حرفيًّا، كما تمّ نقل القرار الذي اتخذه الروح القدس ونحن بشكل احتفالي، مع التلميح إلى أن الالتزامات التي تفرض ذاتها ليست ثقيلة جدًّا، ما يعني ضمنا: "اعتبروا ذاتكم سعداء أننا لم نكن أكثر تطلبًا!"

وفعلًا تمّ إبلاغ هذه الرسالة إلى جمعية أنطاكية (من جديد حرفيًّا: الجمع)، وقد تلقفتها بفرح وكأنها تشجيع. وبقي مبعوثًا أورشليم، يهوذا وسيلا - وكانا نبيين - بعض

الوقت في أنطاكية لتثبيت الجماعة وترسيخ العلاقات الجيدة بين الكنيستين، بينما واصل بولس وبرنابا خدمتهما في أنطاكية، قبل انطلاقة جديدة.

ملاحظات ختامية حول جمعية أورشلهم

إنّ الرسالة التي يريد مؤلف سفر أعمال الرسل أن يوصلها إلى القارئ، ومن نظاره هو، من خلال تقديم هذه الجمعية، بسيطة هي: بتسوية مقبولة وحكيمة، حلّ الخلاف الذي كان بإمكانه إعاقة تقدّم الإنجيل في ما بين الوثنيين، وأنقذت وحدة الكنائس المنبثقة من اليهودية والوثنية. أما الكنيسة الأمّ في أورشلهم، فلم تتبع "أصوليها"، بل صادقت رسمياً على الرسالة البولسية التي سيكون بإمكانها بعد الآن أن تتوسّع بحرية تامة. فلهذه الرسالة وحدها سيكرّس (المؤلف) نهاية روايته.

من وجهة نظر النقد التاريخي، تبدو الأمور أكثر تعقيداً. ذلك ان رواية مجريات هذه الجمعية هي واحدة من تلك التي، ولأسباب جدية، حصل اعتراض على دقتها التاريخية: في الواقع، من الصعب التوفيق بينها وبين ما ورد في الرسالة إلى أهل غلاطية، حيث يخبر بولس عن الأزمة ذاتها التي سببها إخوة كذبة كانوا يريدون أن يُرغموا الوثنيين المهتدين على أن يختنوا، علماً أنّ بولس عاش هذه الأزمة، وشهد عليها علناً. ففي غل ٢: ١-١٠ نراه يتكلّم على صعودٍ إلى أورشلهم مع برنابا، ولكن بمبادرة شخصية منه، وباتفاق مع أعمدة الكنيسة، مُقراً بأنّ تبشير غير المختونين بالإنجيل قد أوكل إليه. ولكنّه لا يهمس بكلمة حول "مرسوم" صادر من الجمعية، بل، على العكس، يقول بأنهم لم يفرضوا عليه شيئاً (آ ٦).

يؤكد بعض النقاد أنّ جمعية أورشلهم، كما يجري تقديمها في غل ٢، تفترض أنّ بولس قد قام ببعثة رسولية لحسابه الخاص، وليس تحت ظلّ برنابا. إذ ان النقاش يفترض فترة زمنية هامة لبولس، ودخولاً "جماعياً" للوثنيين في الكنيسة. وبحسب نظرية هؤلاء النقاد، تكون الرسالة في اليونان - وسيُخبر عنها بدءاً من رسل ١٥: ٤٠ - قد سبقت جمعية أورشلهم، بحيث يؤخرون تاريخها حتى خريف سنة ٥١.

كما كان هناك أيضاً نقاش طويل لمعرفة ما إذا كان الخلاف مع كيفا (بطرس) في أنطاكية - ويستعرضه بولس في غل ٢: ١١-١٤، ولا يتكلّم عليه لوقا-، وهو يتعلّق

بشركة المائدة بين مسيحيين من أصل يهودي وآخرين من أصل وثني، يمكن أن يفهم، في سياق نظرية الاتفاق كما هو معروض في رسل ١٥، من خلال وضعه قبل أو بعد قرارات جمعية أورشليم.

بدلاً من محاولة إيجاد توافقية عسيرة، ينبغي القبول باختلافات يصعب تجاوزها، معتبرين أن لوقا يكتب بعد الأحداث بوقت طويل: كان هدفه قبل كل شيء التشديد على أن بولس تمكن من أن يواصل رسالته بحرية، بموافقة "سلطات" أورشليم الروحية؛ فلقد استطاع أن يضع مسافة بينه وبين تاريخ الأحداث. انه يجرر رواية تُوليفٍ وخلاصة، وقد يكون ذلك من خلال مزج مصادر متنوّعة. وجاء في حاشية من الترجمة المسكونية (بالفرنسية) TOB: "من المحتمل أن يكون واضح سفر الأعمال هنا قد جمع وقدم، على طريقته، أحداثاً كانت في الحقيقة وعلى الأرجح أكثر تَشْتَتًا وأكثر تعقيداً" — كأن يكون هناك، جدالان مختلفان، احدهما حول الإرغام على الاختتان للحصول على الخلاص، والآخر حول معضلات تناول الطعام بين مسيحيين من أصل يهودي وآخرين من أصل وثني. لكن، على صعيد الجوهر، بإمكاننا، القول بأن الرواية اللوقاوية تتطابق مع شهادة بولس في الرسالة إلى أهل غلاطية، طالما أن الإلزام بالاختتان، في الأساس، لم يفرض على الوثنيين الذين كانوا يعلمون أنهم خُلصوا بنعمة الرب يسوع، وأن بطرس ويعقوب قد صادقا على هذا الخيار الحاسم.

١٣- بولس وبرنابا ينخاضمان ويفترقان (١٥ : ٣٦-٣٩)

٣٦ وبعد بضعة أيام، قال بولس لبرنابا: "لِنَعُدْ فَنَتَفَقَّدَ الإِخْوَةَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ بَشَرْنَا فِيهَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ، وَنَرَى كَيْفَ أَحْوَالُهُمْ".

٣٧ فأرادَ بَرْنَابَا أَنْ يَسْتَصْحِبَ يُوْحَنَّا الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَرْقُسُ،

٣٨ ورأى بولس أنه ليس من الحق أن يستصحب من فارقهما في بمفيلية ولم يرافقهما للعمل معهما.

٣٩ فوقع بينهما خلاف شديد حتى فارق أحدهما الآخر فاستصحب برنابا مرقس وأبحر إلى قبرس.

تُعبّر هذه الرواية الوجيزة، في الغالب، وكأنها بداية الجولة الرسولية الجديدة التي أعلن بولس لبرنابا عن نيته القيام بها (آ ٣٦)، مفتحة هكذا القسم الرابع من السفر. والترجمة الليتورجية، من خلال تقطيع آخر لهذا المقطع، ترى فيه نهاية القسم الثالث،

وليس بداية القسم الرابع، لأن هذا الإشعار يلاحظ نهاية التعاون بين بولس وبرنابا (آ ٣٧-٣٩). ذلك مصير كل رواية مفصليّة من هذا النوع، وهذا الفرق الطفيف لا يستحقّ الجدال.

بالمقابل، من المفيد سكبّه في ملفّ النقاش حول "منحى لوقا السلامي". اننا نراه هنا يخبر عن شجار جدّي، دون الاهتمام باخفائه (في آ ٣٩ يقول حرفياً أنّه بلغ الذروة)، ودون أن تصدمه القطيعة التي أدّى إليها. فعلى مستوى المردودات، ليس هنا ما يشبه القطيعة التي بين لوقا باعتناء، في الرواية السابقة، كيف كان ينبغي تحاشيها، وبأيّ ثمن. ليس هذا خلافاً حول مبادئ قد يعرّض حلّها للخطر مستقبل الكرازة بالإنجيل، وإنما هو شجار بين رجلين مختلفين في التقدير حول قيمة معاونٍ كشف عن اختلاف في الطباع بينهما. فبرنابا، المتساهل تجاه ابن عمه الشابّ يوحنا مرقس (رج قول ٤: ١٠) شاء أن يعطيه فرصة جديدة لكي يعوّض عن فشله الأوّل (رج ١٣: ١٣). اما بولس، فيحتفظ بذكري سيئة عن هذا التراجع، ولا يريد أن يجازف، في بداية الانطلاق، في مغامرة جديدة لن تخلو من المخاطر. ففي خلاف من هذا النوع، ليس هناك من تسوية ممكنة ولا منتظرة، بل بالعكس قد يصبح في الأساس من توترات تضرّ بفعاليّة العمل. وكان من الحكمة إذاً أن يفترقا.

لا بد ان لوقا لم يعتبر هذه القطيعة جسيمة، وإن لم يقل ذلك صراحةً، لأن العمل الرسوليّ سيواصله فريقان بدلاً من واحد! عاد برنابا، إذًا، وهو قبرصيّ الأصل، مع مرقس، إلى تلك الجزيرة، ليزور الإخوة ويطلع على أحوالهم. وسيبقى قارئ سفر الأعمال يجهل إذا ما كان اهتداء الحاكم سرجيوس بولس قد أدّى إلى اهتداء آخرين عديدين، إذ أن لوقا، بدءاً من هنا، سيركّز حصرياً على متابعة الرسالة البولسيّة.

بطرس وبولس، وجهان متوازيان

بالإمكان عَنوَبَة سفر أعمال الرسل، وعلى نحو صحيح، "أعمال الرسولين بطرس وبولس"، إذ أن شخصيّة الأوّل تهيمن على الرواية في الفصول ١-١١، وشخصيّة الثاني تبقى وحدها في الواجهة في الفصول ١٦-٢٨، في حين أنّ الوجّهين يتقاطعان في الفصول ١٢-١٥. وكما فعل واضع

الفصل ٢١ من انجيل يوحنا مع بطرس و"التلميذ الحبيب"، لدينا الشعور بأن لوقا سعى إلى إقامة توازن كامل تقريباً بين هذين الشخصين البارزين كي يستشف القارئ الأهميّة المتساوية لدور كليهما في تاريخ الكنيسة الأولى. يظهر ذلك من خلال المقاربات العديدة، في التعبير كما في الموضوع، والتي يمكننا أن نصادفها في السفر كله.

في ما يلي، السمات الرئيسيّة لهذه الموازنة: بولس، على قدر بطرس، مملوء من الروح القدس (٤: ٨؛ ٩: ١٧؛ ٣: ١٢)، ويتكلم بجرأة (٢: ٢٩؛ ٤: ١٣؛ ٩: ٢٧؛ ١٩: ٨). يتلقى هذا وذاك توجيهات إلهية من خلال رؤى (١٠: ١١-١٦؛ ١٨: ٩)، ويختبران حتى الانخطاف (١٠: ١٠؛ ٢٢: ١٧). آياتٌ مشابهة ترافق تبشيرهما: شفاء مقعد (٣: ٢-٨؛ ١٤: ٨-١٠)، وإقامة ميت (٩: ٣٢-٤٣؛ ٢٠: ٧-١٢)، يُسبّان نوع ما إلى كلّ منهما، كما أيضاً شهرة شفاء المرضى التي تثير أحياناً انتظاراً سحرياً بعض الشيء (٥: ١٥؛ ١٩: ١١-١٢). لكنّ الاثنين يواجهان ساحراً بشيءٍ من العنف (٨: ٢٠؛ ١٣: ٩ي).

رأينا أعلاه أنّ هناك موازنة مقصودة بين خطب تبشير بالإنجيل باتجاه اليهود، لبطرس ولبولس، من حيث طول الطرح، ومن حيث قوة الحجّة (٢: ١٤-٣٦؛ ١٣: ١٦-٤١)؛ ويتفق بولس مع التحديد الذي أعطاه بطرس للعمل الرسوليّ في ١: ٢٢ (١٣: ٣١). سيصبح بولس إنجيليّ الأمم الوثنيّة بامتياز، ولكنّ لوقا يحرص جداً، في قلب السفر، بأن يبيّن بأنّ المبدأ قد تمّ الوحيّ به إلى بطرس (١٠: ١-١١، ١٨).

سيختبر بولس، وكذلك بطرس، إنقاذاً عجائبياً من السجن (١٢: ٣-١٧؛ ١٦: ١٩-٤٠). لقد كانت مفردات الفصل ١٢ توحى بأنّ بطرس عاش نوعاً من الآلام والقيامة الرمزيّة، جعلته شريكاً في مصير يسوع: وسيعود هذا الموضوع بشأن بولس الذي تُرك على أنّه ميت، وأُقيم، في ١٤: ١٩-٢٠، كما أيضاً في رواية "صعوده إلى أورشليم"، وتوقيفه، في الفصلين ٢٠-٢١. مع هذا، يحتجّ هذا وذاك بأنّهما ليسا سوى إنسانين، عندما أريد تقديم الإكرام لهما، وهو لا يحقّ إلاّ لله (١٠: ٢٦؛ ١٤: ١٥). فلوفا لا يكتب بشأنهما سيرة ذاتية. بل يلبان الدور الذي وكّله الله إليهما في تاريخ الخلاص، ثم يختفيان دون أن يُعلمنا الكاتب بشيءٍ عن المصير الأخير لكل منهما. وإذا كان قد أوحى باستشهادهما، فذلك من خلال تلميحات خفيفة.

القسم الرابع
رسالة بولس إلى أقاصي
الأرض

(رسل ١٥ : ٤٠ - ٢٨ : ٣١)

رسالة بولس إلى أقاصي الأرض

(٤٠:١٥ - ٣١:٢٨)

١- يعبر بولس إلى أوروبا بعدما ثبتت كنائس آسيا الصغرى (٤٠:١٥ - ١٠:١٦)

- ١٥ ٤٠ وأما بولس فاختار سيلا ومضى، بعدما استودعه الإخوة نعمة الرب،
٤١ فطاف سورية وقيلية وثبت الكنائس.
- ١٦ ١ وقدم ذربة ثم لستره، وكان فيها تلميذ اسمه طيموتاوس وهو ابن يهودية مؤمنة وأب يوناني.
٢ وكان الإخوة في لستره وأيقونية يشهدون له شهادة حسنة.
٣ فرغب بولس أن يمضي معه فذهب به وحثه بسبب اليهود الذين في تلك الأماكن،
فقد كانوا كلهم يعلمون أن أباه يوناني.
٤ وكانا عند مرورهما في المذنب يبلغانهم القرارات التي أصدرها الرسل والشيوخ
الذين في أورشليم، ويوصيانهم بحفظها.
٥ وكانت الكنائس ترسخ في الإيمان، وتزداد عددًا يومًا فيومًا.
٦ ثم طافا فرجية وبلاد غلاطية لأن الروح القدس منعهما من التبشير بكلمة الله في آسية.
٧ فلما بلغا ميسية حاولا دخول بتينية، فلم يأذن لهما بذلك روح يسوع.
٨ فاجتازا ميسية وانحدرا إلى طرواس،
٩ فبدأت بولس رؤيا ذات ليلة، فإذا رجل مقدوني قائم أمامه يتوسل إليه فيقول: "اعبر إلى
مقدونية وأغننا!"
١٠ فما إن رأى بولس هذه الرؤيا حتى طلبنا الرحيل إلى مقدونية، موقنين أن الله دعانا
إلى تبشير أهلها.

من أجل إنجاز المشروع المعلن عنه في ٣٦:١٥، كان على بولس تكوين فريق رسوليّ جديد. ووقع خياره أولاً على سيلا الذي كان قد دخل للمرة الأولى في الرواية بشكل مستتر (مثل برنابا، ومثل شاول بالذات) في ٢٢:١٥، حيث وُصِفَ بأنه رجلٌ وحيه بين الإخوة، ونبيّ في ٣٢:١٥. وفي ٣٤:١٥، وهي آية ناقصة في النصّ الحالي، وأضافها النصّ الغربيّ: **قَرَّرَ سيلا البقاء (في أنطاكية)، وذهب يهوذا وحده.** هذا التفصيل يوضح أن بولس استطاع أن يأخذ سيلا رفيقاً له، دون أن يضطرّ إلى الذهاب إلى أورشليم للبحث عنه. انه المعاون الذي يدعوه بولس سلوانس في ٢ قور ١:١٩؛ ١ تس ١:١ و ٢ تس ١:١، وفي كلِّ مرّة برفقة تيموتائوس، التلميذ الذي يظهر في روايتنا في ١:١٦ (و ٢٤ مرّة في العهد الجديد!).

إنّ انضمام تيموتائوس إلى فريق بولس شكّل له معضلةً دقيقةً. لقد ناضل لكي لا يُفرض على المهتدين الذين من أصلٍ وثنيّ المرور أولاً بالختان (في غل ٣:٢ أبدى بولس ارتياحه حين لم يُرغم رفيقه تيطس على ذلك، وهو يونانيّ). يعتقد بولس في العمق أنّ الختان غير مفيد إطلاقاً للخلاص (رج غل ٥:١-٦)، ولكنّ مسألة تيموتائوس هي من نوع خاص؛ فهو من أصلٍ يهوديّ من جانب والدته، وبالتالي يفترض أن يكون قد خُتِنَ. ولما كانت والدته قد أصبحت مؤمنة (أي "مسيحيّة"، بحسب أعمال الرسل)، سعى يهود تلك المنطقة، خصوم بولس، إلى البحث عن دافع جديد للتراع، متّهمين رفيقه بالجحود بالنظر إلى يهوديته.

فمن باب الفطنة والتهدئة، أخضع بولسُ إذاً تيموتائوس للختان. ذلك مثل رائع عن تصرف بولس الذي يبرره في ١ قور ٩:١٩ي، عندما يقول: "صرت يهوديّاً مع اليهود لأربح اليهود...، وصرتُ كلًّا لكلّ، في سبيل الانجيل". هنا وضع بولس مسبقاً، عبر أفعال، الردّ الأكثر صراحة تجاه الاتهامات التي سيرجع يعقوب صداها في ٢١:٢١.

باستثناء هذه المعلومة الوجيزة، ولكن المهمة، في آ ١-٣، نجد ان للمقطع ١٥:٤٠ - ١٦:٥ أسلوب الملخصات نفسه الذي نصادفه في الغالب، وهو يروي بدون تفاصيل، خدمة بولس ورفاقه "الرعايية" (أو الأسقفية بحسب ٣٦:١٥) لدى الكنائس

التي تم تأسيسها أثناء الرحلة الرسولية الأولى. وكان أحد جوانب هذه الخدمة نقل مقررات جمعية أورشليم (و اقتصرنا هنا على الرسل والشيوخ)، وقد تم بدون شك تلقيها جيداً، طالما أن الكنائس لم تكن تتوطد حسب، بل كانت تزداد عدداً (آ ٥). لكننا نستشف أن الراوي هو على عجل كي يجعلنا نشعر بخطوة جديدة حاسمة في تقدم الرسالة المسيحية. ونحن نعلم منذ زمن بعيد أن الروح القدس، بالنسبة إليه، هو الذي يقود هذه المسيرة الظاهرة. وها هو يعبر من جديد عن هذه القناعة بصيغ غير اعتيادية إلى حد ما.

آ ٦ - ١٠:

إن الخطة المعقولة التي توخاها بولس لتوسيع نطاق تبشير آسيا الصغرى قادت خطاه إلى الغرب، باتجاه مقاطعة آسيا المهمة وعاصمتها أفسس. إلا ان ذلك لم يكن من تصميم الروح القدس، وهو الذي منع المرسلين من التبشير بالكلمة في تلك المقاطعة (آ ٦). كم نود أن نعرف أي نوع من المعوقات فسره المرسلون بصفته حائلاً صادراً عن وجهة إلهية، إلا إذا كان ذلك عبر كلام نبوي (نذكر أن سيلا كان نبياً)، وهذا ما توحى به صياغة آ ٧: إن روح المسيح لم يأذن لهم. لم يشعر لوقا بالحاجة إلى إشباع فضول القارئ في هذه النقطة.

من المؤكد أن التحوّل باتجاه الشمال الشرقي (بيثينية) كان بدوره اتجاهاً ممنوعاً، فلم يبق سوى التوجه نحو شمال ميسية، للوصول إلى مرفأ طرُواس. هناك سيحصل المرسلون على تفسير خط السير المفروض عليهم. وستكون هذه المرة، عبر رؤية إيجابية، يفسرها نداء المقدونيّ الواضح، ومن خلاله يتلقى بولس ورفاقه بلاغاً عن مخططات الروح القدس. كان المقصود العبور إلى أوروبا، لحمل البشرية السارة إليها. هكذا فهم الفريق الرسولي ما هو الجواب الذي كان عليه أن يعطيه لاستجداد المقدونيّ، والذي فسّر بأنه نداء من الله (آ ٩-١٠).

يحمل لنا العبور من آسيا إلى أوروبا بُعداً رمزياً لم يشعر به، على الأرجح، المرسلون المنصاعون لتوجيهات الروح القدس. ومن غير المرجح أن تكون لديهم شعور بتبديل قارة عندما أبحروا الى مقدونية، حتى وإن ابتعدوا فعلياً، أكثر فأكثر، من قاعدة

انطلاقهم. فلقد كان انتقالاً ضمنَ العالم الثقافي ذاته، وهو العالم الهيليني، وضمن العالم السياسي ذاته، وهو الامبراطورية الرومانية، منتقلين من مقاطعة إلى أخرى.

المقاطع بصيغة المتكلم الجمع "نحن"

من الناحية الأدبية، يجب الملاحظة أنه، في آ ١٠، يبدأ أول مقطع من الكتاب يتكلم فيه الراوي بصيغة المتكلم الجمع. لقد سبق ان قلنا في المقدمة كلمة حول هذا الموضوع، كونه مصدراً مكتوباً سهل تبيُّنه. وسيتمتد هذا المقطع حتى ١٦:١٧، ليشمل الأحداث الأولى التي حصلت في فيلبي؛ اما المقطعان الثاني والثالث، في ٥-١٥، و ٢١-١:١٨، فسيرويان مراحل المسار الذي هو بمعظمه بحري، وينجزه بولس في ختام رحلته الرسولية الثالثة، من فيلبي إلى اورشليم. أخيراً، يخبر المقطع الرابع، وبكثير من التفصيل، عن السفر الحافل بالأحداث من قيصرية إلى روما (١:٢٧ - ١٦:٢٨). إن فرضية البراعة الأدبية التي اعتمدها لوقا كي يُضفي على النص حيوية أكبر لا تصمد قط أمام التحليل. لذا فنحن، على الأرجح، بصدد اجزاء من "يوميات سفر" وضعها أحد رفاق بولس الذي يُحتمل أن يكون سيلا، بحسب الفرضية المعللة بما فيه الكفاية التي اقترحها م.ا. بُوامار (M.E. Boismard).

إلا ان ذلك لا يُرغم على ان نرى كاتب الأعمال في شاهد العيان هذا لبعض المحطّات: يُحتمل ان يكون هذا الكاتب قد تمكّن، على مثال بعض المؤرّخين القدامى، من ادراج هذا المصدر المكتوب بدون تغيير الأسلوب بصيغة المتكلم الجمع "نحن". كما في حالة "التلميذ الحبيب" في الإنجيل الرابع، فان قراءة صادقة للنصّ تقوم على احترام رغبة المحرّر في إغفال هويته.

٢ - البدايات المضطربة لكنيسة فيلبي (١٦: ١١-٤٠)

- ١١ فَأَجْرْنَا مِنْ طَرُوسٍ وَاتَّجَهْنَا تَوًّا إِلَى سَامُوتْرَاقِيَا، وَفِي الْعَدْرِ إِلَى تِيَابُولِسَ
- ١٢ وَمِنْهَا إِلَى فِيلِبِّي وَهِيَ عَظْمَى الْمُدُنِ فِي وِلَايَةِ مَقْدُونِيَّةِ، وَمُسْتَعْمَرَةٌ رُومَانِيَّةٌ. فَمَكُنْنَا بِضَعَةَ أَيَّامٍ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ.
- ١٣ ثُمَّ خَرَجْنَا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَى خَارِجِ بَابِ الْمَدِينَةِ، إِلَى صَفَةِ نَهْرٍ، طَنَّا مِنَّا أَنْ فِيهَا مُصَلَّى. فَجَلَسْنَا نُكَلِّمُ النِّسَاءَ الْمُجْتَمِعَاتِ هُنَاكَ.

- ١٤ وكانت تَسْمَعُ إِلَيْنَا امْرَأَةٌ تَعْبُدُ اللَّهَ، اسْمُهَا لِيدِيَّةٌ وَهِيَ بَائِعَةٌ أَرْجَوَانٍ مِنْ مَدِينَةِ تِيبَاتِيرَةِ. فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا لِتُصْغِيَ إِلَيَّ مَا يَقُولُ بُولُسُ.
- ١٥ فَلَمَّا اعْتَمَدَتْ هِيَ وَأَهْلُ بَيْتِهَا، دَعَتْنَا فَقَالَتْ: "إِذَا كُنْتُمْ تَحْسِبُونِي مُؤْمِنَةً بِالرَّبِّ فَادْخُلُوا بَيْتِي وَأَقِيمُوا عِنْدِي". فَاضْطَرُّنَا إِلَى قَبُولِ دَعْوَتِهَا.
- ١٦ وَكُنَّا ذَاتَ يَوْمٍ ذَاهِبِينَ إِلَى الْمُسَلَّى، فَتَلَقَّتْنَا جَارِيَةً يَحْضُرُهَا رُوحٌ عَرَّافٌ، وَكَانَتْ بِعِرَافَتِهَا تُكْسِبُ سَادَتَهَا مَالًا كَثِيرًا.
- ١٧ فَأَخَذَتْ تَسِيرٌ فِي إِثْرِ بُولُسٍ وَإِثْرِنَا، وَهِيَ تَصِيحُ: "هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ عِبِيدُ اللَّهِ الْعَلِيِّ، يُبَشِّرُونَكُمْ بِطَرِيقِ الْخَلَّاصِ".
- ١٨ وَظَلَّتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ عِدَّةَ أَيَّامٍ، فَاعْتَاظَ بُولُسُ فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِلرُّوحِ: "أَمْرُكَ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا!" فَخَرَجَ مِنْ وَقْتِهِ.
- ١٩ فَلَمَّا رَأَى سَادَتِهَا ضِيَاعَ أَمْلِهِمْ مِنَ الْكَسْبِ، قَبَضُوا عَلَى بُولُسٍ وَسِيْلَا وَجَرَّوهُمَا إِلَى سَاحَةِ الْمَدِينَةِ لَدَى الْحُكَّامِ.
- ٢٠ وَقَدَّمُوهُمَا إِلَى الْقَضَاةِ وَقَالُوا: "هَذَانِ الرَّجُلَانِ يُوْقِعَانِ الْإِضْطِرَابَ فِي مَدِينَتِنَا، وَهُمَا يَهُودِيَّانِ،
- ٢١ يَدْعَوَانِ إِلَى سُنَنِ لَا يَحِلُّ لَنَا قَبُولُهَا وَلَا اتِّبَاعُهَا، وَنَحْنُ رُومَانِيَّوْنَ".
- ٢٢ فَتَارَ الْجَمْعُ عَلَيْهِمَا فَتَرَاعَ الْقَضَاةُ ثِيَابَهُمَا وَأَمَرُوا بِضَرْبِهِمَا بِالْعَصِيِّ
- ٢٣ فَاتَّهَلَّوْا عَلَيْهِمَا وَأَرْسَعُوهُمَا ضَرْبًا. فَالْقَوْهُمَا فِي السَّجْنِ، وَأَوْصَا السَّجَّانُ بِأَنْ يُشَدَّ الْحِرَاسَةَ عَلَيْهِمَا.
- ٢٤ فَلَمَّا تَلَقَّى السَّجَّانُ هَذَا الْأَمْرَ أَلْقَاهُمَا فِي السَّجْنِ الْجَوَانِيَّيِّ، وَشَدَّ أَرْجُلَهُمَا بِالْمِقْطَرَةِ.
- ٢٥ وَعِنْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ، بَيْنَمَا بُولُسُ وَسِيْلَا يُسَبِّحَانِ اللَّهَ فِي صَلَاتِهِمَا، وَالسَّجَّانُ يُصْغُونَ إِلَيْهِمَا،
- ٢٦ إِذْ حَدَثَ زَلْزَالٌ شَدِيدٌ تَرَعَزَعَتْ لَهُ أَرْكَانُ السَّجْنِ، وَتَفْتَحَتْ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا مِنْ وَفْتِهَا، وَفُكَّتْ قُبُودُ السَّجَّانِ أَجْمَعِينَ.
- ٢٧ فَاسْتَيْقِظَ السَّجَّانُ، فَرَأَى أَبْوَابَ السَّجْنِ مَفْتُوحَةً، فَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَهَمَّ بِقَتْلِ نَفْسِهِ لِظَنِّهِ أَنَّ الْمَسْجُونِينَ هَرَبُوا،
- ٢٨ فَنَادَاهُ بُولُسُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "لَا تَمَسَّ نَفْسَكَ بِسُوءٍ، فَتَنْحُنُ جَمِيعًا هَهُنَا".
- ٢٩ فَطَلَبَ نُورًا وَوَتَّبَعَ إِلَى الدَّخْلِ وَارْتَمَى مُرْتَعِدًا عَلَى أَقْدَامِ بُولُسٍ وَسِيْلَا.

- ٣٠ ثُمَّ أَخْرَجَهُمَا وَقَالَ: "يَا سَيِّدِي مَاذَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَ لِأَنَالَ الْخَلَاصَ؟"
- ٣١ قَالَا: "آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ تَنَلِ الْخَلَاصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ".
- ٣٢ ثُمَّ كَلَّمَاهُ وَجَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ.
- ٣٣ فَسَارَ بِهِمَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَعَسَلَ جِرَاحَهُمَا وَاعْتَمَدَ مِنْ وَقْتِهِ، وَاعْتَمَدَ ذَوْوَهُ جَمِيعًا.
- ٣٤ ثُمَّ صَعِدَ بِهِمَا إِلَى بَيْتِهِ، فَوَضَعَ لَهُمَا الْمَانِدَةَ، وَابْتَهَجَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، لِأَنَّهُ آمَنَ بِاللَّهِ.
- ٣٥ وَلَمَّا طَلَعَ الصَّبَاحُ، أَرْسَلَ الْقَضَاةَ الْقَوَّاسِينَ يَقُولُونَ لِلسَّجَّانِ "أَخِثْ سَبِيلَ الرَّجُلَيْنِ".
- ٣٦ فَتَقَلَّ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى بُولُسَ قَالَ: "أَرْسَلَ الْقَضَاةَ أَمْرَهُمْ بِإِخْلَاءِ سَبِيلِكُمَا، فَاخْرُجَا إِذَا وَادَهَبَا بِسَلَامٍ!"
- ٣٧ فَرَدَّ بُولُسُ عَلَيْهِمَ قَالَ: "ضَرَبُونَا بِالْعَصِيِّ عِلَانِيَةً مِنْ غَيْرِ مُحَاكَمَةٍ، نَحْنُ الْمَوَاطِنِينَ الرُّومَانِيِّينَ، وَالْقَوْنَا فِي السَّجْنِ، وَهُمْ الْآنَ يُخْرِجُونَا سِرًّا. كَلَّا، بَلْ يَأْتُونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَيَطْلُقُونَا!"
- ٣٨ فَتَقَلَّ الْقَوَّاسُونَ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى الْقَضَاةِ. فَخَافُوا عِنْدَمَا سَمِعُوا أَنَّهُمَا رُومَانِيَانِ.
- ٣٩ فَجَاؤُوا إِلَيْهِمَا وَاعْتَدَرُوا، ثُمَّ أَطْلَقُوهُمَا وَسَأَلُوهُمَا أَنْ يُغَادِرَا الْمَدِينَةَ.
- ٤٠ فَذَهَبَا بَعْدَ خُرُوجِهِمَا مِنَ السَّجْنِ إِلَى لِيدِيَّةٍ فَرَأَى عِنْدَهَا الْإِخْوَةَ، فَشَدَّدَا عَزَائِمَهُمْ ثُمَّ انصَرَفَا.

كما سنرى تكراراً، تسجّل يوميات السفر، وهي في أساس هذا المشهد، وبدون تعليق، مراحل المسار القصير الذي قاد الفريق الرسولي من طرواس إلى فيلبّي (آ ١١-١٢). وهذه المدينة التي يعود اسمها إلى والد الإسكندر الكبير، كانت المدينة الرئيسة لمقاطعة مقدونية. لقد كانت مدينة رومانية (حرفياً: مستعمرة): استُعمرت منذ أكثر من قرن، وغالبية سكانها من قدامى فيالق أنطونيوس، وبإدارة رومانية النمط، كما سيظهر لاحقاً.

اهتداء ليدية (آ ١٣-١٥)

هذه الرواية القصيرة تبين لنا بولس أميناً لخطته الثابتة: انطلاقاً من قنعة لاهوتية، كما أيضاً بدافع عملي، كان يسعى أولاً إلى الاتصال باليهود. غير أن هؤلاء، وهم من دون شك قليلو العدد، لم يكن لديهم مجمع في المدينة، فيجتمعون للصلاة على ضفة النهر

(من المرجح أن لديهم مصلى صغير في الهواء الطلق)؛ وكان بولس ورفاقه يرتادون هذا المكان يوم السبت، ويخاطبون (أي يبشرون بالإنجيل) النساء اللواتي كن يجتمعن هناك. وعلى عكس ما كان لوقا قد وصفه في ١٣: ١٤ي، من المستبعد هنا أن يكون المقصود عبادة مجتمعية رسمية، إذ ان مثل هذه الصلاة كانت تتطلب أقله وجود عشرة رجال. أما جماعة الصلاة المذكورة، فكانت حصرياً نسائية. لكن بولس، وتبعاً لمثل يسوع (رج لو ١٠: ٣٨ي؛ يو ٤: ٧ي)، تخطى أحكامه الرأبئية المسبقة، ولم يتردد بالتالي من مخاطبة اولاء النساء اليهوديات علناً.

بين تلك النساء كانت هناك واحدة تُدعى ليديا، أصلها من تياطيرة في آسيا الصغرى، ويُفترض أنها كانت تنتمي إلى طبقة اجتماعية رقيقة، إذ أنها كانت ترئس تجارة الأقمشة الأرجوانية (المستوردة، من دون شك، من مسقط رأسها حيث كانت صناعة الصباغة رائجة). كانت ليديا على الأرجح "دخيلة" (حرفياً: تعبد الله؛ وهي عبارة اقترنت بكلمة "دخيل" في ١٣: ٤٣، وسنجدها في ١٧: ٤، ٢٤). وخلافاً لأمثالها من النساء في أنطاكية بسيدية، اللواتي اندفعن إلى اتخاذ موقف ضد المرسلين المسيحيين (رج ١٣: ٥٠)، كانت ليديا تصغي بانتباه إلى الرسالة الإنجيلية. وعلى شبه العبارة المختارة بشأن التلاميذ في لو ٢٤: ٤٥، تقول الترجمة أن الرب فتح ذهنها، وذلك يعطي المعنى الصحيح بالنسبة لنا. إلا انه من المهم أن نلاحظ أن لوقا كتب: فتح الرب قلبها، وهو تعبير يستعمله بشكل حصري للتكلم على أعماق الكائن البشري، بالمعنى القوي للمرادف العبري الذي يشير إلى مركز الشخص البشري، أي مكان فناعاته العميقة وقراراته الوجدانية (٢١ مرة في الإنجيل، و٢١ مرة في أعمال الرسل). وهو لا يستعمل كلمة "روح" للتكلم على الذهن البشري، إلا في لو ١: ٤٧، ٨٠، ورسل ١٧: ١٦ و١٨: ٢٥ (في لو ٢٤: ٤٥ نحن بصدد تعبير آخر نقلته الترجمة المسكونية بشكل صحيح بكلمة "فكر").

أما بالنسبة إلى صورة الفتح، فهي توحى لدى لوقا بالسّر الفصحي (رج لو ٢٤: ٣١، ٣٢، ٤٥): كان من سلطة القائم من الموت ان يفتح قلب ليديا لجعلها متنبهة لما كان بولس يقوله: إنتباه أدى إلى الإيمان، إذ أنها، مثل الخصي الأثيوبي (رج ٨: ٣٦)،

تطلب فوراً العماد، وعلى مثال كرنيليوس، تجرّ أهل بيتها (سواء كانت عزباء أم أرملة، فلقد كانت على الأرجح على رأس عائلة).

وستؤكد آ ٤٠ على أن "كنيسة منزلية" قد تكونت بسرعة في بيتها، حيث دعت لساعتها المرسلين للإقامة عندها، مع إلحاح ينسجم تماماً مع عادات الضيافة الشرقية: لقد أرغمنا على القبول! كتبها صاحب يوميات السفر، مكرراً الفعل ذاته الذي في لو ٢٤: ٢٩، عندما أرغم تلميذاً عماوس المسافر السري بأن يبقى معهما.

طرد روح ينقلب سوءاً (آ ١٦-٢٤)

١٦-١٨

هذا الطرد لروح شريرة يذكر، بشكلٍ خلاّب، بشبيهه في الإنجيل، خاصّة في لو ٤: ٣٣. نجد فيه وضوح الرؤية الغامضة ذاته لدى الشخص المسوس، والتحفّظ ذاته لدى طارد الأرواح أمام دعاية مشبوهة، والأمر ذاته للروح النجس بالخروج، والمفعول المباشر ذاته لكلمة بسيطة ذات سلطان. حرفياً، نرى أنّ الخادمة الشابة لديها روح بيثون (ثعبان)، أي روح عرافة، وفي هذا تلميح إلى الحيّة الحارسة في هيكل دلفي، حيث كانت بيثيا تكشف المستقبل. ونجد هنا الاستعمال الوحيد في العهد الجديد للفعل الشائع جدّاً في اليونانية للتعبير عن موهبة العرافة. كانت هذه الموهبة، في الماضي كما في الحاضر، تؤمّن دخلاً كبيراً لمن يستثمرها.

كما في لو ٤: ٣٤، لم تكن صرخات الفتاة الشابة تقول إلا ما هو صحيح جدّاً. ذلك أنّ بولس ورفاقه هم فعلاً خدام الله العليّ، الذين يبشّرون بطريق الخلاص! لا يأتي انزعاج بولس من الرغبة في كتمان "السّرّ المسيحيّ"، كما في لو ٤: ٤١، بل من الخوف من إلتباس مريكّ بين الإنجيل الذي يعلنه وبين التدنّين العاطفي الذي يستثمره أسياد تلك الخادمة لصالحهم. لا يحتاج عمل الربّ إلى تلك الدعاية المتنبسة.

وبولس، لكي ينجّي تلك الممسوسة، نادى اسم يسوع المسيح، كما كان بطرس قد فعل ليشفي مقعد الباب الحسّن (٦: ٣)، ثمّ كلّّم "الروح" بسلطان من ينطق باسم الربّ. يلعب لوقا بشيء من الفكاهة بالفعل خرج أو ذهب، وقد تكرر ثلاث مرّات في

آ ١٨-١٩: يذهب الروح كما أمره بولس، لكنّ أسياد الخادمة كانوا غاضبين لرؤية الأمل بجني الأرباح يذهب في الوقت نفسه.

آ ١٩-٢٤

على مستوى تداعيات الأعجوبة، تتعد الرواية عن لو ٤، ولكنها تقترب من رسل ٤: ١-٣، حيث رأينا بطرس ويوحنا مُلقَيْن في السجن على أثر شفاء المقعد. لقد دفع الجشع المخيب لأسياد الخادمة إلى اقتياد بولس وسيلا (بجهد ما حصل لثيموتاوس) إلى أمام سلطات المدينة، واتهامهما لدى القضاة (حرفياً: *Les stratèges*)، تعبير دقيق وموفّق جداً يستعمله لوقا). ولقد قاموا بذلك بسوء نية واضح. وعلى غرار أعضاء السنهدريم أمام بيلاطس (لو ٢٣: ٢)، يتحفّظ المشتكون من كشف نواياهم بدافع المصلحة، ويتظاهرون بالدفاع عن النظام العام، عن طريق اتهام المرسلين بإثارة البلبل في المدينة. انهم يقدّمونهما بحجة أنّهما يقومان بدعايات غير لائقة لصالح قواعد سلوك (أو عادات) غريبة (يهوديّة ولا شك، إذ ليست المعادة للسامية وليدة أيّمانا!)، مضادة للشرعيّة الرومانيّة التي يتباهون باحترامها. لقد كانوا طبعاً، هم ذاتهم، كما كانت الجموع التي يجرّكونها، وكذلك القضاة، يجهلون أن يوسع بولس أيضاً أن يطالب بصفة مواطن رومانيّ، الأمر الذي سينادي به عاليّاً في نهاية الرواية! ومن دون أدنى تحقيق، سيوسع القضاة ضرباً ضحيتي هذه الوشاية، ويزجونهما في السجن، موصين بمراقبتهما عن كتب، وكانّهما مرتكباً جرائم خطيران. وللحال يقوم حارس السجن ضميرياً بوظيفته التنفيذيّة. وتعدّنا ملاحظة آ ٢٤ لنشهد تراجع هذا الشخص بشكل خارق، وهو الذي ستسلّط عليه الأضواء في بقيّة الرواية، كما ستشدّد على الطابع المذهل لمغامرة السجينين.

نخاة عجائبيّة (آ ٢٥-٤٠)

آ ٢٥-٣٤

لدينا هنا رواية حيّة جداً، بما يكمل لوقا الموازاة بين مغامرات بولس، وتلك التي عاشها بطرس. كما في ١٩: ٥، تفتح أبواب السجن بطريقة عجائبيّة، غير أن بولس

وسيلا لا ينقضان على الفرصة؛ انهما ينتظران اليوم التالي للحصول على إطلاق سراح رسمي للغاية. في الواقع، إن رواية الأعجوبة، كان بوسعها أن تكون تكراراً رتيباً، وها نحن نجدها موسّعة بملامح فريدة لكي تستعمل كإطار دراماتيكي لرواية اهتداء استثنائي.

تبدأ رواية تلك الليلة الحافلة بالأحداث بلوحة مثالية. ليس بولس وسيلا مسجونين عاديين. وها هما في حالة ذهنية تذكّر بحالة الرسل في ٢١:٥، إذ بدلاً من التشكي والقلق على مصيرهما، وعلى مستقبل رسالتهما، أخذ الرجلان يصليان وينشدان التسابيح لله، في عمق الليل، في آخر زاوية من ذلك السجن، وأرجلها مكبلة بقيود مثبتة في الحائط. ما هذا الهدوء وهذه الثقة المثاليان في وسط المحنة! تلك شهادة أدهشت بلا شك السجناء الباقين الذين كانوا يسمعونهم، كما يقول لنا لوقا (آ ٢٥). لذلك، من دون شك، لم يفكر هؤلاء المساجين الذين كانوا منصاعين لسلطة بولس الروحية، بالفرار، عندما حدثت هزة أرضية (وهي ليست نادرة في هذه المنطقة) فتحت الأبواب، وقطعت جميع قيودهم! هذا ما يوحى به الراوي الذي لا يجد حرجاً كبيراً هنا من احتمال ما حصل.

يمكن ان نتفهم جيداً انفعال حارس السجن الذي أوقف من نومه بشكل مفاجئ: كان بوسع أن يخشى فراراً شاملاً. لكن يُدهشنا أنه حاول الانتحار خوفاً من البقاء على قيد الحياة وهو يحمل وصمة هذا العار، وقبل أن يتحقق من الوضع الحقيقي (آ ٢٦-٢٧). وهنا يسمح الراوي لنفسه شيئاً من المبالغة لكي يجعل الحوارات التي ستلي أكثر إثارة للشفقة، ويجعل اهتداء "سجان فيلبي" الشهير أكثر روعة. هنا كما في مكان آخر، يقع سبب التضخيم الخيالي على عاتق التقليد الشفهي لأحداث مدهشة طبعت حياة الجماعات (رج ٧:٥-١١).

في اللحظة الأخيرة، توصّل بولس إلى ردع الحارس عن القيام بحركته المميتة، مؤكداً له أن ليس هناك أحد مفقوداً. وهوذا الحارس، وهو مضطرب، يرمي عند أقدام الذين انتزعوه للتو من الموت، ثم أخذهم جانباً لي طرح عليهم سؤالاً هو الأكثر أهمية حول "خلاصه": "يا سيدي، ماذا يجب عليّ أن أعمل لأنال الخلاص؟" (آ ٢٨-٣٠). إن ترجمة لقب "سيدي" موفق جداً، فيما نقلته الترجمة المسكونية للكتاب المقدس بكلمة "سادة" الاعتيادية (حرفياً: أرباب): وهذا الرجل لا يعتبر هذين اللذين يدين لهما بحياته

بمثابة إلهين، كما فعل شعب لِسْتِرَّةَ، وإثما راح يخاطبهم باحترام متواضع، الأمر الذي لم يكن يفعله عادةً مع مساجينه!

بالنسبة إلى الباقي، من الواضح أنّ سؤاله والجواب الذي سيتلقاه، قد صاغهما لوقا في لغة تبشيرية خاصة به، وهي مكثفة جداً وكأها الردّات في مسرح. هناك مشكلة في معرفة إذا كان هذا الطلب، في الأساس، وفي هذا المكان وهذه الساعة الغريبة، قابلاً للتصديق. يميل تفكيرنا النقدي والعقليّ باتجاه جواب سليبيّ. لكن يجب علينا أن نضع أنفسنا في ذهنيّة ذاك الزمان: يُحتمل أن يكون السجّان قد رأى في هذه الهزة الأرضيّة تدخلاً إلهياً (رج مز ١٨: ٨). وقد يكون موقف السجينين غير العاديّ، لا بل سكينتهما في الاحتجاز وترانيم التسييح، ومن ثم اريحيتهما المذهلة تجاهه، أدّت به إلى التساؤل عن السرّ الكامن وراء حرّيّة داخلية كهذه. ولا بدّ أنه سمع صدى كلام العرّافة الذي كان يعظّم هؤلاء الرجال الذين يعلنون طريق الخلاص بصفتهم خدام الله العليّ (آ ١٧).

يجدر هنا التذكير بأنّ هذا الاهتمام بـ "الخلاص الأبديّ" (وقد أصبح غريباً جداً بالنسبة إلى معاصرينا) كان منتشرًا بكثرة في إطار تلك الحقبة الدينيّة الهلينيّة. باختصار، أيّا كانت التعابير الدقيقة لطلبه، يمكننا أن نتصوّر هذا الرجل المصدوم بعمق (المرتعد، حسب آ ٢٩) وهو يتساءل حول معنى حياته العميق، آملاً أن هؤلاء الأشخاص الاستثنائيين يملكون الجواب.

إنّ آ ٣١ هي جوابٌ ذو سياق شبه ليتورجيّ؛ انه يكتفّ بالإعلان الرسوليّ للبشرى السارّة: يسوع هو الربّ، بالمعنى العميق للكلمة، وبالإيمان به يحصل المرء على الخلاص الذي يهبه الله مجاناً. هذا هو الطرح الأساسيّ لخطاب موسّع من الكرازة بالإنجيل، وتوحي به الآية التالية: بشرّوه بكلمة الربّ، وهي تتضمّن الدعوة إلى العماد. سوف تخلص أنت وكلّ بيتك: هذه الصياغة تذكّر بتلك التي استخدمها بطرس في ١١: ١٤. كما كانت الحال عند كرنيليوس، وأفضل ممّا في ١٦: ١٥، ندرك أنّ أهل بيت السجّان قبلوا هم أيضاً الكلمة، قبل ان يتعمدوا.

مع التعبير المزدوج نفسه، في الساعة عينها، وفي اللحظة عينها (تعبير نموذجيّة في روايات العجائب)، تلفت آ ٣٣ الانتباه إلى العجبية المزدوجة لتحوّل حارس السجن هذا: يغسل بنفسه جراح السجينين، الأمر الذي لم يخطر بباله أن يقوم به الليلة السابقة،

وهو بذلك يحصل على علامة على آتة "عُسل" من خطاياها كلها. وتنتهي تلك الليلة التي لا تنسى بفرح الضيافة التي تلقاها السجينان، وبالمائدة المشتركة في منزل ، وهو فرح قبول الخلاص الذي يؤكد لوقا عليه مراراً، وله هنا طابع إفخارسيتي (آ ٣٤).

هكذا، هناك منزلان قائمان على صخرة الكلمة، سيشكلان بدايات جماعة فيلبّي، وهي عزيزة على قلب بولس: منزل دخيلة يهوديّة غنيّة، ومنزل موظّف وثنيّ، وتلك صورة جميلة عن شموليّة الخلاص.

٤٠-٣٥ آ

هذه الرواية الغنيّة بالألوان يختمها دافع آخر، سنرى من جديد كم هو عزيز على قلب كاتب سفر الأعمال. لهذا السبب، يكرّس له رواية تحاورية صغيرة، تبدو وكأنّها إلْتقطت مباشرةً. في الصباح، أدرك قضاة فيلبّي، وقد ادركوا بطلان دوافع الشكوى المقدّمة في الليلة السابقة ضدّ بولس وسيلا، وأسفوا من انهم تأثّروا بوفرة الجموع العدائيّة، لذلك فكروا أن ينهوا المسألة عن طريق إطلاق سراحهما سرّاً، عبر رسالةٍ ينقلها القوّاسون. غير أنّ بولس، وقد علّم بالأمر، نظر إلى المسألة بمنظار آخر، فألقى على القوّاسين كلمة احتجاجٍ يفهم من خلالها، كما يُقال في أيّامنا، أنّها "حمّاقَة" بوليسيّة وقضائيّة!

نسمعه، وللمرّة الأولى، يسلّط الضوء على صفته مواطناً رومانياً (ويشمل هنا رفيقه سيلا بها)، ويشدّد على اللاشعريّة المزدوجة لتصرّف القضاة في هذه القضية. لذا رفض أن يُخلى سبيله خفيّةً، وكانت له الجرأة بالمطالبة بأن يأتي المخطئون شخصياً ويقوموا بذلك بشكلٍ رسميٍّ! هذا الاعتراض الفعّال جدّاً خلق الخوف لدى القضاة الذين لم يذهبوا ليخرجوهما من السجن حسب، بل ليعتدروا منهم أيضاً. ولكي لا يفقدوا ماء الوجه كلياً، اعتبروا، مع ذلك، هذين الرجلين مسؤولين عن الاخلال بالنظام العامّ، وأنّ وجودهما في المدينة غير مرغوب فيه. ولن يصرّ بولس وسيلا على موقفهما، بل غادرا بالفعل فيلبّي، ولكن بعد أن تأكّداً من متانة الحجارة الأولى من بناء الكنيسة في هذه المدينة.

تحافظ هذه الرواية الخاصة بلوقا على آنيته. انما تبين للقارئ أن التواضع المسيحي لا يمكنه أن يتماشى مع موقف خضوع جبان ازاء الظلم الذي يتعرض له المرء من قبل الآخر، أو يتعرض له من قبل ذاته أيضاً، ولا سيما عندما يتعلق الأمر بمسؤولين مكلفين من قبل الله (رج روم ١٣: ١٥) بضمان السلام الاجتماعي من خلال ممارسة العدل. ذلك هو أيضاً مظهر من مظاهر الشهادة الإنجيلية: أن تكون هناك مطالبة في بعض الحالات بالحقوق الشرعية الخاصة، على مثال بولس ويسوع نفسه (رج يو ١٨: ٢٣)، عبر إلزام السلطة، على كافة المستويات، بالقيام بمهامها بدون تعسف.

٣ - يؤسس بولس كنيسة نسالونيكى وبيرية بالرغم من معارضة اليهود (١٧: ١-١٤)

- ١٧
- ١ فمراً بأفبوليس وأبولونية وأتيا نسالونيكى، وكان فيها مجمع لليهود.
 - ٢ فدخل عليهم بولس كعادته، فخاطبهم ثلاثة سبوت، مُستنداً إلى الكتب،
 - ٣ يشرح لهم مبيناً كيف كان يجب على المسيح أن يتألم ويقوم من بين الأموات، "وأن يسوع الذي أبشركم به هو المسيح".
 - ٤ فافتتح بعضهم فانضموا إلى بولس وسيلا، ومعهم جماعة كثيرة من عباد الله اليونانيين، وعدد غير قليل من كرائم النساء.
 - ٥ فامتعض اليهود من الحسد فأتوا ببعض الرعاع من السوق وحشدوا الناس وأشاعوا الشغب في المدينة. ثم جاؤوا بيت ياسون يطلبون بولس وسيلا ليسوقوهما إلى محفل الشعب.
 - ٦ فلم يجدوهما، فحجروا ياسون وبعض الإخوة إلى قضاة المدينة يصيحون: "هؤلاء الذين فتنوا الدنيا هم الآن ههنا
 - ٧ يُضيفهم ياسون، وهؤلاء كلهم يخالفون أوامر قيصر إذ يقولون بأن هناك ملكاً آخر هو يسوع".
 - ٨ فأتاروا الجمع والقضاة الذين سمعوا ذلك.
 - ٩ فأخذوا كفالة من ياسون والآخرين، ثم أخلوا سبيلهم.
 - ١٠ فأسرع الإخوة إلى إرسال بولس وسيلا إلى بيرية ليلاً. فلما بلغاها قصدا إلى مجمع اليهود.

- ١١ وكان هؤلاء أحسن من أهل تسالونقي خُلُقًا، فقبلوا كلمة الله برغبةٍ شديدة. وكانوا يَتَصَفَّحُونَ الكُتُبَ كُلَّ يَوْمٍ لِيَتَيَّنُوا هل تلك الأمور كذلك.
- ١٢ فَأَمَّنَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وآمن من النساءِ اليونانيَّاتِ الكريماتِ والرِّجالِ عددٌ غيرٌ قليل.
- ١٣ فلَمَّا عَرَفَ يَهُودٌ تَسَالُونِيقِيٌّ أَنَّ بُولِسَ يُبَشِّرُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فِي بِيرِيَّةٍ أَيْضًا، جَاؤُوا إِلَيْهَا وَأَخَذُوا يُحَرِّضُونَ الْجُمُوعَ وَيُثِرُونَ هُنَاكَ أَيْضًا.
- ١٤ فَأَرْسَلَ الْإِخْوَةَ بُولِسَ مِنْ وَقْتِهِمْ نَحْوَ الْبَحْرِ، وَمَكَثَ سِيلاَ وَطِيمُوتَاوَسُ هُنَاكَ.
- ١٥ أَمَّا الَّذِينَ رَافَقُوا بُولِسَ، فَقَدْ أَوْصَلُوهُ إِلَى آثِينَةَ، ثُمَّ رَجَعُوا بِأَمْرٍ مِنْهُ إِلَى سِيلاَ وَطِيمُوتَاوَسَ أَنْ يَلْحَقَا بِهِ بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُ.

بعد رواية حافلة بالتفاصيل والمفاجآت والغرائب، تتخذ وقائع رحلة بولس الرسولية الثانية مسارًا عاديًا أكثر فأكثر. سنجد فيها من جديد أنماطًا مشابهة لتلك التي للبعثة الأولى، ولكن أيضًا مع بعض السمات الخاصة.

في تسالونيكى (آ ١-٩)

كانت تسالونيكى، عاصمة مقاطعة مقدونية، تضم مستعمرة يهودية أكبر من تلك الموجودة في فيليبي، وذات نفوذ كبير، كما سنرى. كان لها إذاً مجمع ارتاده بولس، "حسب عادته" (تصحيح طفيف لا يخلو من الأهمية)، على مدى ثلاثة سبوت، وأعلن الإنجيل على شكل محادثات أو مجادلات، وهذه صيغة يستعملها لوقا عشر مرّات للكلام على بولس (من أصل ١٣ استعمالاً في العهد الجديد).

ان الراوي الذي لم يورد محتوى الشهادة لدى اليهود، منذ التبشير في أنطاكية بسيدية، يذكر هنا أنه (= بولس)، بشكل طبيعي، ينطلق من الكتب المقدسة. وهكذا سيكون القارئ أكثر تنبهاً لاختلاف الطرح لدى تبشير الوثنيين في أثينا. وان آ ٣ التي على أساسها يعرض ضرورة آلام المسيح وقيامته، ينبغي ان نقرّبها من أقوال يسوع على طريق عماوس (لو ٢٤: ٢٦؛ رج أيضاً ٢٤: ٤٤ي)، خاصةً وأنّ ما تمّ التعبير عنه من خلال القول "كان يفهمهم"، يكرر حرفياً الصورة الواردة في لو ٢٤: ٣٢: "كان يفتح لنا الكتب".

وإذا كان بعض اليهود قد اقتنعوا وتعلقوا ببولس وسيلا (حرفياً: يصبحون من نصيبهما، وهذه ملاحظة تذكر بـ ١ قور ١: ١٢!)، فإن نجاح تبشيرهما هو أكبر عند الدخلاء ذوي الأصل الوثني (حرفياً: يونانيين متعبدين)، وعدد كبير من النساء ذات المكانة المرموقة (لا يتكلم النص على أزواجهنّ، كما توحى الترجمة الليتورجية، في تفسير تنقصه الأثوية). وكما تلاحظ بدقة حاشية في الترجمة المسكونية للكتاب المقدس، "يشدد الكاتب عن طيب خاطر على اهتداء النساء بشكل عام، واولاء اللواتي ينتمين إلى المجتمع الرفيع بشكل خاص. فلقد كان دورهنّ مهمّاً، في الأباطورية، لازدهار الديانات الشرقية، كما لنجاح الديانة اليهودية التي كنّ منجذبات نحوها أكثر من الرجال. لقد سهّلن في الغالب الرسالة المسيحية".

غير أنّه، كما في أنطاكية بسيدية وفي أيقونية، كانت الأغلبية اليهودية ممتلئة من الحسد؛ وبمساندة مجموعة من الحثالة، حرّضت الجموع ضدّ المبشرين. يبدو أنّ ذلك كان موقفاً دائماً لدى خصوم بولس اليهود في محاولة منهم لعاقة عمله من خلال تدخل أشخاص (آ ٥). يبدو أنّ ياسون كان أحد المهتدين الذي عنده أقام بولس وسيلا. وفي غيابهما، اقتيد هو وبعض الإخوة أمام القضاة، أي ساسة المدينة. إنّ التهمة الموجهة ضدّ المسيحيين مفرطة بشكل خاصّ - وكانهم بثّوا الفوضى في العالم كلّه (١) - تمّ تحويلها إلى الصعيد السياسي (في ١٦: ٢٠، كانت بالأحرى على الصعيد الاجتماعي): كأنّهم كانوا يعملون ضدّ أوامر القيصر، بإعلانهم أنّ هناك ملكاً آخر، هو يسوع. ولدينا هنا صدئ أكثر وضوحاً ممّا في فيلبي، للتهم الموجهة ضدّ يسوع أمام بيلاطس (لو ٢٣: ٢). لا يأخذ ساسة المدينة، بالرغم من اضطرابهم، على محمل الجدّ خطر التحريض على الفتنة، لأنّهم اكتفوا بإطلاق سراح ياسون والآخرين بعدما طالبوهم بكفالة، والتزموا دون شك بصرف مثيري الشغب.

في بيرية (آ ١٠-١٤)

كما في ٢٥: ٩، ٣٠، الإخوة إذا هم الذين يصرفون بولس وسيلا ليلاً من تسالونيكى. تشبه المرحلة الجديدة في بيرية سابقتها من حيث أنّ المرسلين بدأوا بارتداد الجمع، غير أنّ لوقا يلاحظ تعارضاً ملفتاً: إنّ يهود بيرية كانوا أحسن خُلُقاً من يهود

تسالونيكى، وتلقوا الكلمة بشكل جيد، مع اهتمام جاد للقيام بفحص حرّ (موقف نقديّ، حسب حرفيّة النصّ): ولقد أخذوا يتصفّحون الكُتُبَ كُلَّ يَوْمٍ لِيَتَبَيَّنُوا صحّة مراجع المبشّرين (ما من واعظ يحاسب نفسه على غيرة كتابيّة كهذه، هي للأسف نادرة جدًّا!). هناك إذا عدد كبير من الاهتدات، ومن جديد، ذكرٌ خاصٌّ لنساء يونانيّات ذات نفوذ، يذكرهنّ لوقا قبل الرجال العاديّين!

غير أنّ يهود تسالونيكى كانوا مناهضين جدًّا للتبشير المسيحيّ؛ لذلك ساروا في إثر بولس لتحريض جموع بيرية، فارتأى الإخوة أنّه من الفطنة بكثير أن يصرفوا من هو أكثر استهدافاً من قبل الخصوم، غير أنّ سيلا وتيموتاوس بقيّا هناك، مع المهمة الضمنيّة بترسيخ الجماعة الفتية في إيمانها. يظهر تيموتاوس مجدّدًا عند هذه الملاحظة: كان مشاركًا في نحن السردية حتّى ١٦: ١٧، لكنّ اسمه لم يعد يُذكر أبدًا. ليست هناك حاجة للبحث عن تفاسير مبهمّة وذات لغز: إنّ إعادة استعمال لوقا لمصادر متنوّعة تنطوي بين الحين والآخر على شيء من عدم التناسق من هذا النوع، وهو لا يلغي شيئًا من معنى الروايات، ولا يزعم إلاّ الذين يبحثون عن تقرير دقيق وشامل عن كلّ تفاصيل البعثة، وهذا ليس هدف الكاتب.

٤ - بولس في أثينا: خطاب في الأريوباغس (١٧ : ١٥ - ٣٤)

^{١٥} أمّا الذين رافقوا بولس، فقد أوصلوه إلى آثينة، ثمّ رجعوا بأمْرٍ منه إلى سيلا وطيموتاوس أن يلحقا به بأسرع ما يمكن.

^{١٦} وبينما بولس ينتظرهما في آثينة، ثار ثائره إذ رأى المدينة تملأها الأصنام.

^{١٧} فأخذ يُخاطبُ اليهود والعباد في الجمع ويُخاطبُ كلَّ يومٍ في ساحة المدينة من يلقاهم فيها.

^{١٨} وكان أيضًا بعضُ الفلاسفة الأبيقوريّين والرواقيّين يُباحثونه. فقال بعضهم: "ماذا يعني هذا الثرثارُ بقوله؟" وقال بعضهم الآخر: "يبدو أنّه يُبشّرُ بأهية غريبة". ذلك أنّه كان يُبشّرُ بيسوع والقيامة.

^{١٩} فقبضوا عليه وساروا به إلى الأريوباغس وقالوا له: "هل لنا أن نعرف ما هو هذا التعلّم الجديد الذي تعرّضه؟"

^{٢٠} فأنت تنقلُ إلى مسامعنا أمورًا غريبة، ونحن نرغبُ في معرفة ما يعني ذلك."

- ٢١ فقد كان أهل آثينة جميعاً والتَّارلونَ عندهم من الأجنبِ يصرفون ساعاتِ فراغهم في أمرٍ واحدٍ وهو أن يقولوا أو يسمعوا ما كان جديداً.
- ٢٢ فوقف بولس في وسط الأريوباغس وقال: "يا أهل آثينة، أراكم شديدي التَّدِينِ من كُلِّ وجهٍ.
- ٢٣ فإنِّي وأنا سائرٌ أنظر إلى أنصابكم وجدتُ هيكلًا كُتِبَ عليه: إلى الإلهِ الجَهِولِ. فما تَعْبُدونه وأنتم تجهلونونه، فذاك ما أنا أبشركم به.
- ٢٤ إنَّ اللهَ الذي صنع العالم وما فيه، والذي هو ربُّ السماء والأرض، لا يَسْكُنُ في هياكل صَنَعَتها الأيدي،
- ٢٥ ولا تخدمه أيدي بشرية، كما لو كان يحتاج إلى شيء. فهو الذي يهبُ لجميع الخلقِ الحياة والنفس وكل شيء.
- ٢٦ فقد صنعَ جميعَ الأممِ البشريَّةِ من أصلٍ واحدٍ، ليسكنوا على وجه الأرض كلَّها، وجعلَ لسكانهم أزماناً موقوتةً وأمكنةً محدودةً،
- ٢٧ لِيَحْتُوا عن الله لعلهم يتحسَّسونه ويهتدون إليه، مع أنَّه غيرُ بعيدٍ عن كلِّ منَّا.
- ٢٨ ففيه حياتنا وحركتنا وكياننا، كما قال شعراءُ منكم: فنحنُ أيضاً من سلالته.
- ٢٩ فيجبُ علينا، ونحن من سلالة الله، ألاَّ نحسب اللاهوت يشبه الذهب أو الفضة أو الحجر، إذا مثله الإنسان بصناعته وخياله.
- ٣٠ فقد أغضى اللهُ طرفه عن أيام الجهل وهو يعلنُ الآن للناس أن يتوبوا جميعاً وفي كلِّ مكان،
- ٣١ لأنَّه حدَّد يوماً يدين فيه العالم دينونة عدلٍ عن يد رجلٍ أقامه لذلك، وقد جعلَ للناسِ أجمعين برهاناً على الأمر، إذ أقامه من بين الأموات".
- ٣٢ فما إن سمعوا كلمة قيامة الأموات حتَّى هزئ بعضهم وقال بعضهم الآخر: "سنستمع لك عن ذلك مرَّةً أخرى".
- ٣٣ وهكذا خرج بولس من بينهم،
- ٣٤ غير أنَّ بعض الرجال انضمُّوا إليه وآمنوا، ومنهم ديونيسيوس الأريوباغي، وامرأة اسمها دامريس وآخرون معها.

بولس في أثينا (آ ١٥-٢١)

الظروف التي سبقت خطاب بولس، موصوفة بدقة، كما كان الحال بالنسبة إلى ظروف الخطاب النموذجيَّ باتجاه اليهود في ١٣: ١٤، وعلى مفارقة معها. يرسم لوقا

لوحة صغيرة مليئة بالحياة والدهاء، تنير اهتمام القارئ. لا يبدو لنا، بدايةً، أن هذا المرسل المسيحيّ مأخوذ بجمال المباني، ولا بالغنى الفنّي والفكريّ لتلك المدينة الشهيرة التي، بالرغم من خسارتها منذ زمن بعيد قوّتها السياسيّة القديمة، بقيت المركز الثقافيّ اللامع للعالم الهيلينيّ. ولما كان مأخوذاً كليّاً بإعلان الإنجيل، ثارَ ثائرُه إذ رأى المدينة تملأها الأصنام (آ ١٦): كانت السمة في موقفه غضباً شديداً، كما في ٣٩:١٥، وليس عذاباً فقط. وهنا، لا يتميّز الوضع الدينيّ بالنقص، وإنّما بالفيض! أيّ مكان سيكون بوسع رسالته أن تجده في هذا الجمّع الصنمي الذي يبدو في ظاهره ظافراً؟ غير أن ردّة الفعل الأولى تخلي المكان لغيرته الإنجيليّة.

كما في كلّ مكان، يذهب بولس قبل أيّ شيء آخر، ليناقد اليهود في الجمّع والذين كانوا يعبدون الإله الحقّ (إنّ الترجمة هي تورية، لأن لوقا يستعمل كلمة عبّاد ليقصد بهم، كما في ٤٣:١٣، "الدخلاء"؛ رج أيضاً ٥٠:١٣؛ ١٤:١٦؛ ١٧:٤؛ ١٨:٧). ومن دون أن ينتظر بولس احتمال طرده من الجمّع، ها هو يخاطب فوراً كلّ قادم إلى الساحة العامّة (آ ١٧). وازاء الديانة-التظاهرة، نراه يطرح كلمته المجرّدة، وينجح في إثارة اهتمام بعض الفلاسفة، الأبيقوريّين والرّواقسيّين (أكبر مدرستين رواجاً، ظهرتا كلتاهما في أثينا).

منذئذ أخذت الرواية تتّجه نحو مجابهة المبشّر مع النخبة المتنفّذة ذات التّرة الإنسانيّة اليونانيّة (أنّها المرّة الوحيدة، لا يهتمّ فيها لوقا بردّات فعل اليهود على إعلان الإنجيل). يلقي بولس عند محاوريه ردّات فعل ساحرة بعض الشيء: ماذا يريد أن يقول هذا الببغاء (أو هذا العقق، بحسب الترجمة المسكونيّة للكتاب المقدّس)؟ ومع ذلك، فلقد أثار فضول البعض، بحيث شبّهوه بـ مبشّر بأله غريبة، كما كان يمرّ الكثير منهم في ذلك الزمان في مكان بهذه الأهميّة كأثينا. والكلام عنهم بالجمع هو بمثابة احتقار. حرفياً، كان بولس يبشّرهم يسوع وبالقيامة: ذلك أنّهم فهموا هذا التعبير الأخير (*Anastasié*) وكأنّه اسم إلهة هي عروس يسوع الذي يجهلونّه (آ ١٨).

كانت لديهم إذا الرغبة في أن يعرفوا أكثر عن هذه العقيدة الجديدة والمربكة، فاقتادوا بولس كي يفصّل بشكلٍ رسميّ أفكاره في الأوروباغس. قد يكون المقصود،

وبساطة، التلة التي تحمل هذا الاسم، حيث كان هناك مسرح يسمح بالإصغاء بانتباه أفضل، ولكن المقصود على الأرجح المجلس الذي كان مقره هناك، وليس محكمة كما في أيام سقراط، بل شكل مجلس ديني وجامعي، بوسعه أن يسجّل ويصنّف هذه العقيدة الجديدة (آ ١٩-٢٠). غير أن الملاحظة الساخرة في آ ٢١ تُرجع المسار إلى مستوى فضولٍ سطحيّ، وتسلية وقتية، أكثر من اهتمام عميق.

الخطاب في الأريوباغس (آ ٢٢-٣١)

بمهارة، وبشيء من المراعاة، إذا ما رجعنا إلى آ ١٦ (!)، يجهد بولس نفسه في جذب انتباه المستمعين، مهتئاً إيّاهم على تدنيهم الملفت. ليس هذا استفزازاً ولا سخرية: لقد وجد الخطيب نقطة اجتذاب ذكية جداً، ذاكراً اكتشافه لمذبح مكرّس لإله مجهول (آ ٢٣). وهذه الكتابة المنقوشة تقابلها كتابة مشاهمة، ولكن في صيغة الجمع: ذلك يتماشى مع منطق هؤلاء الذين لا يريدون التعرض لغضب الآلهة التي قد تكون نُسيّت في معبد الآلهة، إذ ما السبيل لمعرفة ما إذا كان هناك إله أو أكثر؟ غير أن بولس استغلّ هذا الإهداء المنقول في صيغة المفرد بصفته تمهيداً ثميناً لرسالته. إن هذا الإله المجهول موجود، وها هو يكشفه لهم.

إنّ الكشف الذي يحمله بولس هو ذو طابع تاريخي، وقد بدأ مع دعوة الله لإبراهيم، واستطاع للحال أن يكشف عن الرسالة البيبليّة. لكنه سرعان ما أحسّ بالخطر من انغلاق مستمعيه الحاضرين من المفكرين الأثينيين! لقد كان بولس يتمتّع بثقافتين، يهوديّة، ولكن أيضاً يونانيّة - من خلال تربيته في طرسوس -، ولا يجهل أن يكون فلاسفة هذا الوسط الثقافيّ أو شعراؤه قد استشفّوا شيئاً ما من حقيقة وجود إله واحدٍ وخالق. لذا نراه يأخذ حرّيته في تفسير الكتابة المهداة لإله المجهول، بصفته علامة نوع من انتظار واعٍ إلى حدّ ما، وبمثابة فراغ ستملأه كلمته.

توسّع الآيات ٢٤-٢٩ خطاباً عن الله الخالق، وعن بطلان اصنام الآلهة الوثنيّة، كان بإمكان أيّ مبشرٍ يهوديٍّ أن يلقيه بدلاً عنه، مؤكّداً على وحدانية الله. لكنّ هذا الخطاب يلتقي أيضاً مع نقد الأديان الشعبيّة أو الأساطير الرسميّة التي كان العديد من اليونانيين، المطبوعين على الفلسفة، يسمحون لذاقم بها. من المهمّ جدّاً الملاحظة أنّه، في

هذا المقطع كله، يستعمل بولس، جنباً إلى جنب، المفردات البيبليّة والأفكار الفلسفيّة أو مراجع شعريّة مألوفة لدى مستمعيه.

مفردات بيبليّة: الله سيّد السماء والأرض، الذي لا يسكن هياكل مصنوعة بأيدي [البشر] (آ ٢٤)؛ التلميح إلى آدم بعبارة إبتداءً من رجل واحد (آ ٢٦)، ومفهوم قرابة الإنسان مع الله الذي يُستخلص من تك ١: ٢٧؛ رفض الأصنام المصنوعة من ذهب أو فضة أو حجارة التي مثلها الإنسان بفنّه وخياله (آ ٢٩)، وهو موضوع شائع عند أنبياء إسرائيل.

ولكن هناك أيضاً مفاهيم قريبة من الرواقيّة: الله الذي خلق العالم (الكون، آ ٢٤)؛ وحدة الجنس البشريّ إنطلاقاً من إنسان واحد، أو من مبدأ واحد (النصّ، المختصر، يقول: من واحد، آ ٢٦)؛ التعبير عن قرب الله في صيغة مستلهمة من إبيمينيدس: ففيه حيأتنا وحركتنا وكياننا، ومن ثمّ في قول للشاعر أراتوس الطرسوسيّ: فنحن أيضاً من سلالته (آ ٢٨).

إليكم بعض الملاحظات أيضاً لإنارة هذا التفسير عن الإله الواحد الذي لا يصدم بشيء مستمعي بولس. في آ ٢٥ يجب إبراز هذا النقد البسيط والمهمّ لكلّ أشكال الديانات التي من خلالها يظنّ الإنسان أنّ بمقدوره الحصول على بعض الاستحقاقات أو المكافآت من خلال خدمة الله، بتقدم الذبائح له، هو الذي لا يحتاج إلى شيء (سبق ان قدّم سنिका هذه الفكرة أيضاً)، بينما الإله الحقيقيّ هو الذي، أولاً وأخراً، يعطي، مجّاناً.

وانطلاقاً من الرسم التخطيطيّ المقدم في ١٤: ١٦، من الأفضل أن نقرأ في آ ٢٦ جعل أزمنة ثابتة، بصفتها تلميحاً إلى انتظام الفصول، وليس إلى تاريخ الشعوب. أخيراً، تبدو آ ٢٧ من النصوص البيبليّة النادرة التي تدعم فكرة إمكانية معرفة الله معرفة "طبيعية": يكون الله قد أعطى للبشر إمكانية البحث عنه، وبالتالي إكتشافه عن طريق التلمس (الترجمة المسكونيّة للكتاب المقدّس، رج حك ١٣: ٦). هذا ما يقترحه بولس في روم ١: ١٩-٢٣، مؤكّداً أنّ كمال الله مرئيّ من خلال أعماله الخلاقّة. ولكنه يريد القول في الوقت نفسه أنّ إمكانية المعرفة هذه قد شوّهت في عبادة الأصنام، فكانت النتيجة سجن الوثنيّين في الشعور بالذنب. وهنا أيضاً يعي بولس أنّ هذا البحث عن الله

في التدنُّين الوثنيِّ لم يصل إلى مبتغاه، طالما قال عنهم أنَّهم لا يعرفون الإله الحقيقيَّ (آ ٢٣)، وسيتكلَّم من ثمَّ عن أزمة الجهل التي يدعو الله الإنسانَ للخروج منها.

في الواقع، وبدءاً من آ ٣٠، يتخذ خطاب بولس منعطفاً حاسماً، عبر تغيير واضح في النبرة. فقد انتهت المهادنة مع مؤسَّسات الفلاسفة أو الشعراء اليونانيِّين. ذلك ان نزعة توحيدية نظرية لا تكفي لتغيير حياة البشر. فالله الذي أتى بولس يشترُّ به ليس إلهاً يخلُق في سماء أفكار أزلية، بل هو إله يتكلَّم الآن، ويدعو الناس كلَّهم إلى ان يهتدوا، أي إلى اجراء تغيير في الذهنية والسلوك (وهو معنى شامل لهذا الفعل في النصوص اللوقاوية). وهذا الاهتداء ضروريٌّ ومُلحّ، لأنَّ الله الذي وضع أزمة الحياة البشرية (آ ٢٦) قد حدّد يوماً سيدين فيه العالم (والعالم يعني هنا كلَّ الأرض المأهولة؛ واللفظة اليونانية أعطت كلمة "مسكونية").

ستكتمل هذه الدينونة بواسطة رجل أقامه لذلك، كما أعطى الضمانة لذلك عندما أقام هذا الرجل من بين الأموات (آ ٣١). إنَّ هاتين الآيتين الأخيرتين هما بالضبط صدى بشارة بولس للوثنيِّين، كما يوحى بها في ١ تس ١٠-٩:١ مختصراً هكذا قبول مستمعيه لها: "كيف اهتديتم إلى الله، وتركتم الأوثان لتعملوا لله الحقَّ الحيَّ، وتنتظروا أن يأتي من السماوات ابنه الذي أقامه من بين الأموات".

خطاب قوطع (آ ٣٢-٣٤)

على مقدار ما كان الوثنيون المثقفون الذين يخاطبهم بولس عاجزين عن تقبُّل الانتقاد بحق الديانات الشعبيَّة أو التكهَّئات حول الألوهة، على مقدار ذلك كان مفهوم القيامة غريباً عن طريقة تفكيرهم، بل كان يبدو لهم من السخافة. بمكان! لهذا السبب قوبلت كلمات بولس الأخيرة بالاستهزاء. اما الأكثر كياسة من مستمعيه، وكانوا هم أنفسهم قد طلبوا عرضاً لعقيدته، قاطعوه قائلين: "سنستمع لك عن ذلك مرَّةً أخرى"، ممَّا يعني صرفاً إلى أجل غير مسمَّى. لقد فهم بولس الدرس وتركهم. وكتب لوقا: غير أن بعض الرجال تعلقوا به وأصبحوا مؤمنين، واستطاع ان يسمِّي أحد أعضاء الاريوباغس، هو ديونييسيوس، إضافةً إلى امرأة اسمها داماريس، شخصيتان كان اسمهما

ولا شك معروفاً في كنائس زمانه. وإنَّ قراءةً، حتى وإن كانت من دون إعداد، لن ترى في ذلك إقراراً بالفشل. كان بوسع العديد من المبشرين أن يُسرُّوا بنتيجة كهذه بعد اجتماع وحيد قوطع!

لهذه الملاحظة أهمية تساعدنا على ان نقول كلمة الفصل في نقاش هام يتعلّق بالتفسير الشامل لخطاب بولس هذا في الأريوباغس. ما زلنا نقرأ حتّى الآن، بقلم مفسرين جديين، أن تبشير بولس في أثينا كان فشلاً شبه كامل، ويرتكزون على هذا الفشل الظاهري لشرح تعليم بولس في ١ قور ١:٢-٥. كأن يكون بولس قد وصل إلى كورنتس تحت وطأة هذا الفشل الذي لقيه في أثينا، ويكون قد اقتنع أنّه كان من الخطأ الاستناد على الخطابات الإقناعية للحكمة (على الفلسفة)، كما حاول أن يفعل ذلك في الأريوباغس. وهكذا يكون قد قرّر ألاّ يبشّر من الآن وصاعداً إلاّ بـ جنون الصليب (رج ١ قور ١:١٧ي). باختصار، ان الأنجزة الأصيلة، كما فهمها بولس آنذاك، يجب أن تكون لغة قطعية، أي لغة مغايرة تماماً عن البحث الخطير المطبوع بالتلاقي مع حكمة البشر، وقد احتيرها عبثاً في خطابه في أثينا، حين لم يشر فيه إلى الصليب، ولم يذكر يسوع المسيح بالاسم! هذا الطرح المغربي في الظاهر مرفوض لأسباب كثيرة:

١- لقد استُخدم نصّ الرسالة بشكل مفرط؛ فبولس لا ينطق بأيّ كلمة عن مروره في أثينا، وقراره بالألاّ "يعرف شيئاً إلاّ يسوع المسيح مصلوباً" لا يُقدّم إطلاقاً على أنّه انقلاب في إثر اختبار فاشل.

٢- يقدّم السرد اللوقاويّ خطاب بولس في أثينا، كما رأينا، على أنّه خطاب مُقاطع. فلو تُرك له المجال ان يكمل، لما تغاضى عن التوضيح بأنّ هذا الرجل الذي أوكلت إليه رسالة دينونة العالم، يُدعى يسوع (تبيّن آ ١٨ جيداً أنّ بولس، في احاديثه، قد سمّاه)، وإذا كان الله قد أقامه من الموت، فلاّته، أولاً، حُكِم عليه بالموت على صليب! كما إنّ الكلمات الأولى من خطابه المسيحي (آ ٣٠-٣١) كانت حصراً لغة قطعية، كما يؤكّد ذلك ما يوازيه في الرسالة إلى التسالونيكيين. ذلك ان التكلّم على قيامة (وكذلك الكلام على اهتداء ودينونة محدّدة في زمن البشر)، أمام الفلاسفة اليونانيين، هو أمر مرفوض ومعتر، بمقدار التبشير بمسيح مصلوب للاهوتيين يهود، وذلك يدعو إلى فعل إيمان مماثل بما لا يُصدّق، ويتطلّب تغييراً جذرياً مماثلاً لكلّ نظام القيم لديهم.

٣- إن مضمون البشارة بالمصلوب/القائم، بالنسبة إلى القارئ، -وهو مضمون لم يتسن لبولس التوسّع فيه- معروفٌ لديه جدًّا، وليس نقصاً البتة أن نجد هنا خطاباً غير مكتمل. وبالمقابل، نحن بازاء فرادة يقدّمها لوقا في آ ٢٢-٢٩، وهي لا تشكّل سوى مدخل يقوم في وصف نموذج طرح أمام هذا الجمهور الوثني المثقف، يختلف كلياً عن الطرح الكلاسيكيّ أمام جمهور يهودٍ أو دخلاء.

في المجمع، كانت اللغة المشتركة هي لغة الوعود المسيحيّة، وكان بوسع الاستدلال، من البدء، أن يستشهد بالكتب المقدّسة، لدعم إعلان البشري السارّة التي هي تميم هذه الوعود. ولن يكون لذلك معنى بالنسبة إلى هؤلاء اليونانيّين. لقد أدرك بولس ذلك، وفهم أن إعلان الإنجيل، وهو أساساً كلام جديد، موجه إلى البشر أجمعين، وكان بالإمكان أن يستند إلى الثقافة الفلسفيّة لهؤلاء المستمعين، من دون الرجوع مسبقاً إلى الكتاب المقدّس أو إلى تاريخ إسرائيل (من البديهيّ أن الكرازة اللاحقة لدى الوثنيّين المرتدّين سوف تستشهد بهما). وهذه الخطّة "التوفيقية"، إذا أردنا، أو أقلّه هذا البحث عن نقطة تشويق مناسبة -نقول اليوم هذا "الانتقاف"- لا صلة لهما مع ما يصفه بولس بمثابة **خطاب الإقناع بالحكمة**. فلقد تخلّى طوعاً عن ذلك عندما تكلم صراحةً عن ضرورة الاهتداء للحميع، وتلك دعوة إلى القطيعة إذا تطلّب الأمر ذلك. ذلك ان رسالته تتمايز كلياً عن خطاب فلسفيّ عن الله. إنّها، كما في مكان آخر، كلمة الله المرجعيّة التي تنكشف في التاريخ.

٤- إن تفسير خطابنا بالاستعانة بالرسالة إلى الكورنثيين هو خطأ في المنهجية. يجب قراءة كتاب أعمال الرسل في تناغم مضمون واضعه. فبالإضافة إلى الحجج المشار إليها أعلاه، رأينا أن التقديم التفصيلي لإطار هذا الخطاب في الأريوباغس يجعله نقيضاً للخطاب في الكنيسة في أنطاكية بسيدية، وقد كان خطاباً نموذجياً للإنجّل في إطار يهودي. من الواضح إذاً أن لوقا أراد، بشكل متوازٍ، إعطاء القارئ هنا خطاباً نموذجياً للإنجّل في وسط وثنيّ مثقف. فهل اعتنى إلى هذا الحدّ بوضع خطاب، لم يكن، في مضمونه وشكله، سوى نموذج لما لا يجب القيام به؟

إنّ هذه الصفحة من كتاب الأعمال، إذا كنا قد فسّرناها بشكل جيد، تبقى وثيقة آنيّة، قادرة أن تلهم الفكر حول الرسالة المسيحيّة وإعلان الإنجيل عبر تنوّع الثقافات البشريّة.

٥- تأسيس كنيسة كورنثس (١٨ : ١-١٧)

١٨

- ١ وغادرَ بعدَ ذلكَ أثينةَ فجاءَ إلى قورنثس.
- ٢ فصادفَ يهودياً بنطيَّ الأصلِ اسمهَ أقيلا أتى هو وامرأته برسِقلةَ قبلَ وقتِ قليلٍ من إيطالية، لأنَّ فلوديوسَ أمرَ جميعَ اليهودِ بالجلأِ عن رومة. فذهبَ إليهما،
- ٣ وكانَ منَ أهلِ صناعتِهِما، صناعةَ الخيمِ، فأقامَ يعملُ عندَهُما.
- ٤ وكانَ يخطُبُ كلَّ سَبْتٍ في المَجمَعِ مُحاولاً إقناعَ اليهودِ واليونانيين.
- ٥ فلَمَّا وصلَ سيلا وطيموتاوسَ من مقدونية، وقَفَ بولسُ نَفْسَهُ على نَشْرِ كَلِمَةِ اللَّهِ يَشْهَدُ لِلْيَهُودِ أَنَّ يَسوعَ هُوَ الْمَسِيحُ.
- ٦ ولكِنَّهُم كانوا يُقاومونه ويُجدِّفون، فنَفَضَ ثيابهَ وقالَ لَهُم: "دَمُّكُمْ على رؤوسِكُم، أنا براءٌ مِنْهُ. فسَأْمُضِي بعدَ اليومِ إلى الوثنيين".
- ٧ فانتَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إلى بَيْتِ رَجُلٍ يُعْبُدُ اللَّهَ، اسمهَ تيطوسُ سُطُس، وكانَ بيتهُ يُلزِقُ المَجمَعِ.
- ٨ فامَنَ بِالرَّبِّ رَيسُ المَجمَعِ قريسُّسُ وأهلُ بيتهِ جَمِيعاً. وكانَ كثيرٌ مِنَ القورنثيين يَسْمَعُونَ كَلَامَ بولسِ فَيُؤْمِنُونَ وَيَعْتَمِدُونَ.
- ٩ فقالَ الرَّبُّ لبولسَ ذاتَ لَيْلَةٍ في رُؤْيَا لَهُ: "لا تَخَفْ، بل تَكَلِّمْ ولا تَسْكُتْ،
- ١٠ فأنا مَعَكَ، ولَنْ يَعتدِيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ وَيَنالِكَ بِسُوءٍ، فإنَّ لي شَعْباً كثيرًا في هذهِ المَدِينَةِ".
- ١١ فأقامَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ يُعَلِّمُ عِنْدَهُمْ كَلِمَةَ اللَّهِ.
- ١٢ ولمَّا كانَ غالِيونَ حاكِمًا على آخائية، ثارَ اليَهُودُ كُلُّهُم مَعًا على بولسِ، فساقُوه إلى المَحْكَمَةِ
- ١٣ وقالوا: "هذا الرَّجُلُ يُحاوِلُ إقناعَ النَّاسِ بأنَّ يَعبُدوا اللَّهَ عِبَادَةً تُخالِفُ الشَّرِيعَةَ".
- ١٤ فَهَمَّ بولسُ أن يَتَكَلَّمَ، فقالَ غالِيونَ لِلْيَهُودِ: "أيُّها اليهودِ، لو كانتِ المَسْأَلَةُ مَسْأَلَةً جُرْمٍ أو جِنائِيَّةٍ قَبِيحَةٍ، لاسْتَمَعْتَ إِلَيْكُمْ كما يَقْضِي الحَقُّ.
- ١٥ ولكن، لَمَّا كانَ الجَدَلُ في الألفاظِ والأَسْماءِ وفي شَرِيعَتِكُم، فانظُرُوا أنْتُمْ في ذلكِ، لأنِّي لا أريدُ أن أكونَ قاضِيًا في هذهِ الأُمُورِ".
- ١٦ ثُمَّ طَرَدَهُم مِنَ المَحْكَمَةِ.
- ١٧ فقبَضُوا كُلُّهُم على سُسْتِينِسَ رَيسِ المَجمَعِ، وجعلوا يَضْرِبُونَهُ تُجاهَ المَحْكَمَةِ، وغالِيونَ لا يُبالي بِشَيءٍ مِنْ ذلكِ.

هذه المرحلة الجديدة من الرحلة الرسولية تقود بولس من مكانٍ راقٍ للثقافة اليونانية إلى مدينةٍ مهمةٍ تجاريًا وتنوعًا، حيث سيمكث أكثر مما فعل في أثينا. وبحسب شهادته في ١ قور ١: ٢٦، ليست النخبة المثقفة أو الاجتماعية في المدينة هي التي سيطاها الإنجيل، إنما الشعب المحتقر من صغار الناس.

لا ترجع أخبار هذه الإقامة إلى محتوى بشارة بولس، مما يدعم ملاحظتنا السابقة؛ فلو كان لوقا على علمٍ بانتفاء الشجاعة وبالتراجع اللذين نُسيًا إلى بولس على أثر "فشله" في أثينا، لَمَا تردّد في الكلام عن ذلك! غير أنه، بعد صفحةٍ جدّ لاهوتية، يوفر بالأحرى للقارئ شيئًا من الاسترخاء ببعض التفاصيل القصصية، بما تكتمل ملامح بولس.

يُعلمنا لوقا بدايةً أنه تعرّف إلى زوجين يهوديين، أقيلا وبرسقلّة، كانا قد طُرّدا من روما في أعقاب مرسومٍ إمبراطوريٍّ، مرسومٍ يذكره المؤرخ سويتون، يرقى إلى السنتين ٤٩-٥٠. تلك نقطة ارتكاز تاريخية مهمة، سيتمّ تثبيتها من خلال الإشارة إلى غالبيون، الحاكم في أخابية في العام ٥١-٥٢. سينضمّ لاحقًا هذا الثنائي إلى معاوي بولس (رج روم ١٦: ٣): نستنتج من ذلك أنّهما آمنا بفضل اتصالحهما به، وهذا أمرٌ مفروغٌ منه بالنسبة إلى الراوي، ولذا أهمل ذكره.

لقد بدا له أكثر أهميةً أن يستفيد من الظرف حتّى يُطلعنا على أنّ بولس كان يمارس مهنة يدوية، كما كانت العادة لدى الرابيين. وهذا ما قرّبه من أقيلا وبرسقلّة اللذين، على غرارهِ، كانا صانعي خيام، لذا مكث عندهما كاسبًا قوته من عمل يديه، كما سيذكر بولس بذلك بفخر في ٣٤: ٢٠ (رج ١ تس ٢: ٩؛ ٢ تس ٣: ٨؛ ١ قور ٤: ١٢). غير أنّه كان كلّ سبتٍ يواصل تبشير اليهود بالإنجيل في الجمع، متوجّهًا أيضًا إلى الوثنيين.

وإذ انضمّ سيلّا وتيموتاوس إليه (رج ٢ قور ١: ١٩)، قرّر بولس أن يتكرّس كليًا للكلمة. ولوقا، بعد رواية خطاب أثينا، ذكر القارئ، بكلمة، أنّ الرسالة التي يجب أن تُوجّه إلى اليهود تكمن بشكلٍ جوهريٍّ في التأكيد أنّ المسيح هو يسوع، كونها تتأسّس

على انتظارهم للمسيح. ومرةً أخرى، أثارت هذه الرسالة القطيعة، وقد شدّد بولس عليها هنا، جاعلاً منها أمراً مأساوياً من خلال حركة رمزية من النوع الذي استخدمه في ٥١:١٣، ومن خلال قول موحى للنبي حزقيال (رج ٣٣:٨٠ي)، حرفياً: "لِيقَعْ دُمُكُمْ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، أَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ" (رج ٢٠:٢٦)؛ في كلتا الحالتين، تنقل ترجمتنا الكلام ذاته، مخفّفةً القوّة الصوريّة لهذه الصيغة).

كما في ٤٦:١٣، يستخلص بولس النتيجة من ذلك: من الآن فصاعداً، سأذهب إلى الوثنيين (آ ٦). ومع شيء من الاستفزاز، سيذهب للإقامة عند دخيل، وتحديدًا بالقرب من المجمع؛ كما سينجح أيضاً في جعل رئيس هذا المجمع يؤمن، وهنا أيضاً، مع كلّ أفراد بيته؛ إنّه قرَسُبوس الذي صرّح بولس أنّه عمّده شخصياً، في ١ قور ١:١٤. إنّ الكثير من الكورنثيين الذين اهتمدوا أيضاً واعتمدوا (آ ٨)، هم على الأرجح جزء من سكّان هذه المدينة الوثنيين. هذا ما يشير إليه كلام الربّ الذي شجّع بولس في رؤيا، داعياً إيّاه إلى أن يتابع بجرأة هذه الكرازة بالإنجيل، مؤكّداً له أنّ له شعباً كثيراً في هذه المدينة (آ ٩-١٠).

١١٦-١١٧

طاعةً لهذا الأمر، بقي بولس سنة وستّة أشهر في كورنتس؛ وقد واصل الدعوة إلى الإيمان بواسطة خدمة تعليم المعمّدين الجدد (رج ١١:٢٦). غير أنّ نجاح رسالته أدّى من جديد إلى خصومة مفتوحة مع اليهود الذين اقتادوه إلى محكمة الوالي. لكنّهم لم يكونوا يتمتّعون بمهارة متّهميه في فيلبي أو تسالونيكى حتّى ينقلوا ظلامتهم إلى المستوى السياسي. لقد اتّهموه بأنّه يشيع عبادة غير شرعيّة (آ ١٣). كانوا يعثون على الأرجح أنّه يناهض القوانين الرومانيّة، لأنّ بولس أدخل ديانةً جديدة غير معترف بها، وهذا جرمٌ رئيسي. غير أنّ غالبيون فهم ذلك وكأنّهم يتكلّمون على شريعتهم (شريعة موسى)، لذا رفض شكواهم، حتّى قبل أن يتكلّم بولس ليدافع عن نفسه. فالأمر لا يتعلّق في نظره بجرم عامّ، بل بتزاع ديني بين يهود، ولا يريد التدخّل فيه (آ ١٤-١٦)، وكأنّنا نستمع إلى ممثل دولة "علمانيّة" عصريّة. لو سادت غالباً حكمة كهذه في مجرى التاريخ، لكنّا تجنّبنا الكثير من الصراعات الدمويّة!

لوقا والعالم الرومانيّ

يحتلّ العالم الرومانيّ ومؤسّساته مكاناً كبيراً في مؤلّف لوقا. فبدءاً من إنجيله، فان ولادة يسوع وموته بيدوان وكأنّهما مشروطان بقرار من الإدارة الرومانيّة (رج ١: ٢ و ٢٣: ٢٤ ي). ولوقا، بعد ذكر أغسطس قيصر، صاحب مرسوم الإحصاء السكّانيّ، يذكر طيباريوس قيصر بصفته الأمبراطور الجالس على العرش في بداية الأحداث الإنجيليّة (٣: ١). وإنّ الإشارات إلى ييلاطس هي أكثر عدداً لديه ممّا عند الآخرين (رج ١: ٣ و ١٣: ١، قبل دوره التقليديّ في رواية الآلام، ويذكر به في رسل ٣: ١٣؛ ٤: ٢٧؛ ١٣: ٢٨). وفي أعمال الرسل، يردُّ ذكرُ روما في ١٠: ٢، وفي روما أيضاً سينتهي مسار بولس، في الفصل ٢٨.

إنّ أوّل غير مختون اهتدى إلى الإيمان على يد بطرس، هو بشكل لافت قائد المئة كرنيليوس، من الكتيبة الإيطاليّة، أحد ممثلي القوّة الرومانيّة (١٠: ١ ي)؛ ويُقدّم هذا الضابط من جيش الاحتلال على أنّه متعاطف مع الشعب اليهوديّ، على صورة قائد المئة الذي لا نعرف اسمه، في لو ٧: ٢. ولدينا مجدداً، قائد مئة آخر هو يوليوس، من كتيبة أوغوستا، وهو الذي سينقذ حياة سجينه بولس (١: ٢٧، ٤٣). في بداية الرسالة البولسيّة، كان أوّل مهتدٍ يُسمّى باسمه، هو حاكم قبرص، سرجيوس بولس (٧: ١٣-١٢). ورأينا أنّه، من بعد هذا اللقاء، سيحمل شاوّل الطرسوسيُّ بشكل دائم اسمه الرومانيّ بولس. وهناك في الجانب الآخر من حركة بولس، يجري الكلام أيضاً على بوبليوس، القاضي الأوّل لجزيرة مالطا، بشكل إيجابي (٧: ٢٨).

بين هاتين الشخصيتين المتماثلتين، يرى القارئ ظهور عدد آخر من ممثلي السلطات الإداريّة والقضائيّة، أو العسكريّة، يُدعون بأسمائهم في غالب الأحيان، ودائماً بألقابهم الصحيحة: القضاة والقواسون في فيلبّي، قضاة المدينة في تسالونيكي، غالليون الوالي على اخائية، رؤساء آسيّة في أفسس، قائد الألف قلوديوس لسياس في أورشليم، الحاكمان فيليكس وفستُس في قيصرية. ويذكر لوقا الألقاب الامبراطورية لقيصر أو أغسطس (مترجمة في كلّ مرّة باللقب "إمبراطور").

بعد جمع كل هذه الإشارات، نرى أن مؤلف كتاب أعمال الرسل كانت لديه معرفة دقيقة بهذا العالم الروماني المعقد في القرن الأول الميلادي؛ انه يأخذ بعين الاعتبار تنوع الألقاب وفقاً للوظائف المشغولة أو وفقاً لنظام المقاطعات الأساسي الخاص. سنتساءل في اطار لاحق (بعنوان: هل سفر الأعمال مؤلف دفاعي؟)، بعد تخطي دعاية المؤرخ، في ما إذا كانت هذه الدقة في خدمة هدف أكثر عمقاً.

لكن هناك ضحية في هذه المسألة، هو المسكين سُستينس، الرئيس الجديد للمجمع، وقد اتهمه، على الأرجح، أبناء جنسه الغاضبون بسبب فشل مساعيهم، واهالوا عليه بالضرب أمام أعين الوالي غير المبالي. وهنا نشعر بسخرية لوقا المسترة وهو يروي الحادثة.

٦- عن طريق أفسس، النطق ببولس بجماعته الإنطاكية قبل رحلة جديدة (١٨ : ١٨ - ٢٣)

- ١٨ ومكث بولس بضعة أيام في قورنثس، ثم ودّع الإخوة وأبحر إلى سورية، ومعه برسقلا وأفيللا، بعدما حلق رأسه في قنخريّة لنذر كان عليه.
- ١٩ فلما وصلوا إلى أفسس فارقهما، ودخل المجمع فأخذ يُخاطب اليهود.
- ٢٠ فسألوه أن يطيل الإقامة بينهم فأبى.
- ٢١ ولكيّنهُ ودّعهم وقال: "سأعود إليكم مرة أخرى إن شاء الله". وأبحر من أفسس
- ٢٢ فنزل في قيصرية، وصعد فسلم على الكنيسة. ثم انحدر إلى أنطاكية.
- ٢٣ وبعد ما قضى فيها بعض الوقت، رحل فطاف بلاد غلاطية ففرجحية يشدد عزائم التلاميذ أجمعين.

لا تستدعي هذه الرواية القصيرة لسفرٍ طويلٍ التعليقات الكثيرة. نلاحظ ان بولس، بحسب لوقا، اضطرّ شخصياً أن يحتفظ ببعض الممارسات اليهودية: يذكر لوقا الشعائر التي تدل على انتهاء نذر، على الأرجح هو نذرٌ نذير (رج عد ١: ٦-٢١)، من دون تفسير دافع الرسول. ولكن، بعد مسألة ختان تيموتاوس، نُجدنا بازاء برهان جديد بأنّ التهم الموجهة ضده في ٢١: ٢١ ليست سوى افتراءات.

والمرور القصير بأفسس يضع علامةً تمهد للجزء التالي الذي ستركز على مكوث أطول بكثير لبولس في هذه العاصمة لمنطقة آسيا، وكانت قد تُركت جانباً في بداية هذه الرحلة الرسوليّة الثانية (رج ١٦:٦). وكما سنأكّد منه في الرواية اللاحقة، سيستقرّ برِسْقَلَة وأقِلا فيها، بينما سيذهب بولس لمعاودة الاتصال مع كنيستَي أُورشليم وأنطاكية.

تشير آ ٢٢ فقط، في الواقع، إلى أنّ بولس صعد من قيصرية حتّى يسلم على الكنيسة، ولكنّ التعبير يعني طبعاً كنيسة أُورشليم. ذلك ان بولس يصرّ على إبقاء الروابط مع الكنيسة الأمّ، كما مع كنيسة أنطاكية التي هي حقاً مركز ارتباط، وقد رفع إليها تقريراً عن رسالته، كما كان قد فعل عند عودته الأولى (رج ١٤:٢٧). ولكن بعد زمن قليل، ذهب من جديد في جولة راعويّة جديدة لتثبيت التلاميذ في بلاد غلاطية (من المؤكّد أنّها شمال غلاطية، أي منطقة أنقرة الحاليّة) وفي فريجيّة، وهي أصقاع مرّ بها وفق ١٦:٦، من دون أن يكون لدينا إشارة إلى تأسيس كنائس في هذه المنطقة. وذلك يشكّل جزءاً من الفجوات التي أوضناها أعلاه، في بداية القسم الثالث.

٧- أبّلس فيج أفسس (١٨: ٢٤-٢٨)

٢٤ وَقَدِمَ أَفْسُسُ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ أَبُّلُسُ، إِسْكَندَرِيٌّ الْأَصْلُ، رَجُلٌ فَصِيحُ اللِّسَانِ، مُتَّبَحَّرٌ فِي الكُتُبِ،

٢٥ وَكَانَ قَدْ لُقِّنَ طَرِيقَةَ اللَّهِ، وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ بِرُوحٍ مُتَّقِدٍ وَيُعَلِّمُ مَا يَخْتَصُّ بِيسوعَ تَعْلِيمًا دَقِيقًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ سِوَى مَعْمُودِيَّةٍ يَوْحَنَّا.

٢٦ فَشَرَعَ يَتَكَلَّمُ فِي المَجْمَعِ بِجُرْأَةٍ، فَسَمِعَتْهُ بَرِسْقَلَةُ وَأَقِلا، فَأَتَيَا بِهِ إِلَى بَيْتِهِمَا وَعَرَضَا لَهُ طَرِيقَةَ الرَّبِّ عَلَيَّ وَجِهٍ أَدَقِّ.

٢٧ وَعَزَمَ عَلَيَّ الذَّهَابَ إِلَى آخَائِيَّةٍ، فَأَيْدَهُ الإِخْوَةَ وَكَتَبُوا إِلَى التَّلَامِيذِ أَنْ يُرْحَبُوا بِهِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا سَاعَدَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ النِّعْمَةِ مُسَاعَدَةً كَبِيرَةً.

٢٨ فَقَدْ كَانَ يَرُدُّ عَلَيَّ الْيَهُودَ عِلَانِيَةً رَدًّا قَوِيًّا، مُبِينًا مِنَ الكُتُبِ أَنَّ يسوعَ هُوَ الْمَسِيحُ.

تبدأ هنا حلقة سردية جديدة متمحورة حول مدينة أفسس. يفتح لوقا استثنائياً هذا الجزء من كتاب أعمال الرسل بمشهد لا ذكر فيه لبولس. أما شخصية أبلس، فمعروفة لدينا من خلال تلميحات بولس في الرسالة إلى أهل كورنتس (١ قور: ١٢؛ ٣: ٤ي). ويتيح لنا لوقا ان نعرف بأنه كان يهودياً من الإسكندرية، وقد كانت مركزاً للثقافة اليهودية المتأثرة بالهلينية: كان هذا الرجل البليغ إذاً ملماً بالترجمة اليونانية للكتب المقدسة، المعروفة بالسبعينية، وهي التي أبصرت النور في الإسكندرية تحديداً. وإذا كان قد تعرّف، في هذه المدينة، على الإنجيل (طريق الرب)، فحن نقيس مدى جهلنا بشأن انتشار الرسالة المسيحية في الناحية الجنوبية من الشتات اليهودي، طالما أنه، بحسب هذا النص، يكون قد بلغ مصر بدءاً من الخمسينات! ويمكننا التصوّر أنّ ذلك قد تمّ من خلال مجموعات معمدانية كانت قد رأت المسيح في يسوع، ممّا يفسّر أنّ أبلس لم يكن يعرف سوى عماد يوحنا (آ ٢٥).

يجب الإقرار أنّ النصّ مملوء بالألغاز: كُنّا نتمنى أن نعرف بدقّة أكبر محتوى التعليم الدقيق عن يسوع الذي استطاع أبلس أن ينقله، وما تضمنته التنشئة الإضافية التي زوّده بها برسلة وأقلاماً. يلمح لوقا إلى أنّ ذلك يتعلّق بالعماد باسم يسوع وموهبة الروح القدس، ولكن لماذا لا يُقال ذلك صراحةً؟

بالمقابل، نستنتج من روايته أنّ هذا الثنائي الذي تربطه صداقة مع بولس، كان قد امتلك سريعاً كفاءة كبيرة: فمن دون تفويض رسمي، وبمبادرة شخصية منهما لم يتردداً من لعب دور المنشئين، على مستوى العقيدة المسيحية، تجاه شخصية كانت ولا شك، على المستويات الأخرى، أكثر ثقافة منهما! تلك هي أيضاً علامة تواضع من أبلس الذي قبل ذلك. هكذا يشهد هذا المقطع القصير على حرّية كبيرة في العلاقات بين المسيحيين الجدد (لم يعد من وجود للتراتبيات الفكرية أو الاجتماعية)، وعلى مرونة لافتة في تنظيم خدمة الكلمة، في الكنائس الفتية ذات النفحة البولسية.

ونتبين أيضاً لدى الواعظين حركة تنقل كبيرة، إذ أنّ أبلس الراغب في الذهاب إلى اليونان (سنعرف من ثم أنّ المقصود كورنتس؛ رج ١: ١٩)، لقي تشجيعاً من الإخوة في أفسس، وقد أعطوه رسالة توصية للاخوة في كورنتس. ومثل هذه الممارسة شهد لها

بولس (رج روم ١٦: ١؛ ٢ قور ٣: ١). وتعكس الإشارة الأخيرة نجاح أبُلُس في كورنتس: فلقد بدا هناك متكلمًا بارعًا في الجدل مع اليهود حول معنى الكتب المقدسة وتميم الوعود المسيحية في شخص يسوع، على مثال بولس نفسه في ٢٢: ٩، وذلك بالحماس الشغوف الذي يتصف به المهتمون الجدد.

٨- بولس يُضحي سنين في أفسس: خصوبة الكلمة على الرغم من الصراعات العنيفة (١٩: ١-٤٠)

يسجّل هذا الفصل توقّفًا في سرد أسفار بولس. لقد اختار لوقا هذه الإقامة، الطويلة نسبيًا، في أفسس، ليُري، من وراء بدايات الكرازة بالإنجيل، بعض الأوجه النموذجية من نشاط بولس والصراعات التي أثارها، ليس فقط مع اليهود، كما هو الحال حتى الآن، وإثما أيضًا مع بعض فئات من الوثنيين الذين يقلقهم الإنجيل. لقد كانت أفسس في هذه الحقبة أحد أكبر المراكز التجارية والدينية في العالم اليوناني-الروماني، ومشتهرة بمعبد أرطيمس. يبدو لنا مناسبًا معالجة هذا السرد الطويل، المملوء بالتفاصيل وبالطرافة، في جزئين.

أ- تبشير بولس وأعاجيبه (١٩: ١-٢٠)

١ ^{١٩} وبينما أبُلُس في كورنتس، وصل بولس إلى أفسس، بعدما جاز أعالي البلاد، لقي فيها بعض التلاميذ.

٢ فقال لهم: "هل نلتم الروح القدس حين آمنتم؟" فقالوا له: "لا، بل لم نسمع أنّ هناك روح قدس".

٣ فقال: "فأية معمودية اعتمدتم؟" قالوا: "معمودية يوحنا".

٤ فقال بولس: "إن يوحنا عمّد معمودية توبة، داعيًا الشعب إلى الإيمان بالآتي بعده، أي يسوع".

٥ فلما سمعوا ذلك اعتمدوا باسم الرب يسوع.

٦ ووضّع بولس يديه عليهم، فنزل الروح القدس عليهم وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون.

- ٧ وكان عددُ الرجالِ كُلِّهِمْ نحوَ اثني عشرَ رجلاً.
- ٨ ثم دَخَلَ المَجْمَعُ، وكانَ مُدَّةَ ثلاثةِ أَشْهُرٍ يَتَكَلَّمُ بِجُرْأَةٍ وَهُوَ يُجَادِلُ الحَاضِرِينَ وَيُرِيدُ إِقْنَاعَهُمْ فِي أَمْرِ مَلَكُوتِ اللَّهِ.
- ٩ وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ فَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخَذُوا يَطْعَنُونَ فِي طَرِيقَةِ الرَّبِّ أَمَامَ الجُمَاعَةِ، فَانصَرَفَ عَنْهُمْ وَانفَرَدَ بِالتَّلَامِيذِ يُخَاطِبُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَدْرَسَةِ طِيرِئُسَ.
- ١٠ وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ مِنْهُ مُدَّةَ سَتَيْنِ، حَتَّى سَمِعَ جَمِيعُ سُكَّانِ أَسِيَةِ مِنَ يَهُودِ وَيُونَانِيِّينَ كَلِمَةَ الرَّبِّ.
- ١١ فَكَانَ اللَّهُ يُجْرِي عَنِ يَدَيْ بُولُسَ مُعْجَزَاتٍ غَيْرَ مَأْلُوفَةٍ،
- ١٢ حَتَّى صَارَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مَا مَسَّ بَدَنَهُ مِنْ مَتَادِيلٍ أَوْ مَازِرٍ فَيَضَعُونَهَا عَلَى المَرَضِيِّ فَتَزُولُ الأَمْرَاضُ عَنْهُمْ، وَتَذْهَبُ الأَرْوَاحُ الخَبِيثَةُ.
- ١٣ فَحَاوَلَ بَعْضُ المَعْرَمِينَ الطَّوَّافِينَ مِنَ اليَهُودِ أَيْضًا أَنْ يَلْفُظُوا هُمْ أَيْضًا اسْمَ الرَّبِّ يَسُوعَ عَلَى مَنْ مَسَّتْهُمُ الأَرْوَاحُ الخَبِيثَةُ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: "عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ بِاسْمِ يَسُوعَ الَّذِي يُبَشِّرُ بِهِ بُولُسُ".
- ١٤ وَكَانَ لِسُقُوفَاسَ أَحَدِ عَظَمَاءِ كَهَنَةِ اليَهُودِ سَبْعَةُ أَبْنَاءٍ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ.
- ١٥ فَاجَابَهُمُ الرُّوحُ الخَبِيثُ: "أَنَا أَعْرِفُ يَسُوعَ، وَأَعْلَمُ مِنْ بُولُسَ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ مَنْ أَنْتُمْ؟".
- ١٦ ثُمَّ وَتَبَ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ فِيهِ الرُّوحُ الخَبِيثُ فَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ جَمِيعًا وَقَهَرَهُمْ، فَهَرَبُوا مِنْ ذَلِكَ البَيْتِ عُرَاةً مُجَرَّحِينَ.
- ١٧ فَبَلَغَ خَيْرٌ هَذِهِ الحَادِثَةِ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ أفسُسَ، يَهُودِ وَيُونَانِيِّينَ، فَاسْتَوْلَى الخَوْفُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَعُظِمَ اسْمُ الرَّبِّ يَسُوعَ.
- ١٨ فَأَخَذَ كَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ فَيَعْتَرِفُونَ وَيُقْرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ.
- ١٩ وَجَاءَ كَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ السِّحْرَ بِكُتُبِهِمْ وَكَدَّسُوهَا، فَأَحْرَقُوهَا بِمَحْضَرٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ. وَحُسِبَ ثَمَنُهَا إِذَا هُوَ خَمْسُونَ أَلْفًا مِنَ الفِصَّةِ.
- ٢٠ وَهَكَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ تَنمو وَتَشْتَدُّ بِقُدْرَةِ الرَّبِّ.

بولس والمعمدانيون (آ ١-٧)

كي تُفهم هذه الرواية المثيرة، يجب أن نفهم أن بولس، خارج دائرة "الإخوة"، المكوّنة من برِسِقَلَّة وأقبيلا (رج ١٨: ٢٦ي)، التقى عند وصوله إلى أفسس مجموعة

صغيرة من تلاميذ يوحنا المعمدان، إثني عشر رجلاً بحسب آ ٧. هل هم "مسيحيون" لأنهم يعتبرون يوحنا المعمدان بمثابة المسيح؟ ذلك محتمل، وهذا ما يفسر السؤال الذي يطرحه عليهم بولس: فأَنْ يصبح المرء مؤمناً يعادل دومًا الاعتراف بالإيمان المسيحي، بحسب لغة أعمال الرسل. أمّا هم، فلم يكونوا قد سمعوا بالروح القدس، ولم يكونوا يعرفون سوى معمودية يوحنا، كما هو الحال مع أبلس، لكن يبدو أنهم كانوا يجهلون أيضًا المسيح نفسه.

يسكت العهد الجديد، بشكل عام، عن استمرار الحركة الروحية المنبثقة من تبشير يوحنا المعمدان وانتشارها، وذلك لأسباب بديهية، لأن المسيحيين أرادوا أن يجددوا مكانة المعمدان في إطار دوره كسابق. وإنَّ المجادلة المبطنة في بعض المقاطع، خاصة في إنجيل يوحنا، تجعلنا نفترض أن هناك بعض المنافسة مع مجموعات معمدانية في زمن تحرير الأناجيل. نستنتج من روايتنا أن هذه الحركة كانت قد انتشرت كثيرًا في الشتات اليهودي، أقله حتى آسيا الصغرى (آ ١-٣).

يشرح بولس إذاً هؤلاء الناس أن العماد الذي قبلوه، كان في فكر يوحنا علامة رجوع إلى الله ورغبة في حياة جديدة، كان مزعمًا أن يتمها مَنْ كان سيأتي بعده، ذاك الذي ينبغي أن يؤمن الشعب به (آ ٤): هذه هي تحديدًا وجهة نظر التقليد الكنسي كله حول يوحنا المعمدان. وما ان تم تبشير هؤلاء "اليوحناويين" كما ينبغي، ضُموا إلى الجماعة المسيحية بعلامة كنيسة مزدوجة: يتقبلون العماد باسم يسوع (صيغة تذكّر بـ ١ قور ١: ١٣، ضمن إطار تنافسي بين أنصار بولس وأبلس)، ويتلقون وضع أيدٍ يستدعي عليهم مجيء الروح القدس. وعمية بعض الاختلافات التي أُبرزت في الاطار أعلاه بعنوان "عماد، وضع الأيدي، عطية الروح"، يذكّر هذا النصّ بحالة المهتمدين في السامرة، وقد أُكْمِلَ عمادهم بوضع الأيدي.

لكنّه يضيف أن موهبة الروح القدس تجعلهم ينطقون بلغات عدّة ويتنبأون. من المؤكّد أن لوقا قصد بهذا أن يذكر القارئ بـ "عنصرة الوثنيين" التي حصلت عند كرنيليوس. وهنا يجب وضع المقاربتين في سياق التوازي بين أعمال بولس وأعمال بطرس. وهذا ما يفسّر إلى حدّ ما أن لوقا لم يذكر شيئًا مماثلاً في ما يتعلق بأبلس في

المقطع السابق. ومع ذلك، فإن بين المقطعين شيئاً مشتركاً، ألا وهو إظهار كيف أنّ الكلمة المسيحية الأصيلة تأتي لإستكمال إيمان فعليّ، تنقصه المعرفة.

نظرة شاملة إلى خدمة بولس (آ ٨-١٢)

بغضّ النظر عن التفصيل المتعلّق بمدرسة طيرتس، تبدو هذه الآيات وكأنّها ملخصّ؛ فهي تذكّر بالرسم التخطيطيّ الكلاسيكيّ لتبشير أوّلٍ في المجمع، يلخصه لوقا هنا كتبشير عن ملكوت الله، وهي فكرة مألوفة لدى قراء الكتاب المقدّس. من ثمّ، يأتي الرفض المعادي من قِبَل قسم من اليهود، بعد ثلاثة أشهر، وتصديهم العلنيّ للرسالة المسيحية، مما يؤدّي إلى القطيعة.

يجد بولس مكاناً محايداً لكي يتابع تعليم التلاميذ. يقول توضيحٌ في النصّ الغربيّ أنّ هذه الأحاديث كانت تجري من الساعة الخامسة حتّى العاشرة (من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر حتّى الرابعة بعد الظهر): ألها الساعات الساخنة للغداء والقبولة، يتوقف فيها المعلّم طيرتس عن التعليم. وكان يجب أن يتحلّى المعلّم المسيحيّ بالشجاعة، وخاصّة مستمعهه! وهكذا استمرّ التبشير بالإنجيل والتعليم لمدة سنتين. ومع قليل من المبالغة، يعتبر لوقا، كما هي عادته، أنّ كلّ سكّان هذه المقاطعة المهمة استطاعوا سماع كلام الربّ (فهو لا يكتب انهم "أصبحوا مؤمنين"، الأمر الذي لا يستطيع القارئ الأكثر سداحة تصديقه!). ففي هذه المقاطعة من آسيا تقع "الكنائس السبع" (ومنها كنيسة أفسس) التي يخاطبها رائي بطمُس من قِبَل الربّ (رؤ ٢-٣): قد يكون بعضهم وُلدوا في هذه الفترة الزمنية.

تشكّل الآيات ١١-١٢ توازياً واضحاً مع ملخصّ ١٥:٥-١٦. ويؤدّي نشاط بولس الشفائيّ، كما بالنسبة إلى بطرس أيضاً، إلى حركات قد نصّفها بالسحرية، ولكن تظهر فيها ثقة ساذجة وقويّة لم يكن يسوع نفسه يزدري بها (رج لو ٤:٤٤).

حادثة فشل المقسمين اليهود، والقطيعة مع السحر (آ ١٣-٢٠)

يحكي لوقا هنا، وبشيء من الدهاء، حادثة أضفت نكهةً على مجموعة الأخبار الأفسسيّة، ولكنها لا تُنسب إلى بولس إلّا بشكل غير مباشر. وكما كان الحال مع

سيمون الساحر، اندهش مقسّمون يهود من القوّة الفائقة التي يتمتع بها الرسل المسيحيون، حتى أنهم ظنوا أنّ باستطاعتهم أن يدعّوا اسم يسوع، كما لو انه يمتلك قوّة سحرية. غير أنّ طرد الأرواح بالاتجاه الذي حاول القيام به أبناء الكاهن اليهودي لسقّواس السبعة، لم يفشل فقط بشكل مُزّر، لكنّه أثار ضدهم سحرية الروح الشرير، ورافقه العنف الصاعق من قبل المسوس!

كما في ١٦: ١٧، وكما في النصوص الإنجيلية، نجد من جديد النباهة الروحية الغريبة لدى روح كهذا (الموصوف في مكان آخر بأنّه شيطاني): يسوع، أعرفه؛ بولس، أعرفه (أي بصفتها خصمّين متصرّين)! ولكن أنتم من تكونون؟ (بمعنى: لا أخاف منكم، لأنكم لستم سوى دجالين!). تعرّض هؤلاء المقسّمين السبعة (!) لهجوم عنيف من قبل هذا المسوس الذي تضاعفت قوّته. قد تجعلنا نبرة هذا الوصف الساخرة (آ ١٦) نتصوّر أنّ الرأي العامّ الذي يتمتّع بحسّ تجاه السخف، قد حكّم بجزء على هذه الحادثة. غير أنّ لوقا يعود إلى الرصانة المناسبة كي يلاحظ أنّ نتيجة ذلك كانت بالأحرى خوفاً مليئاً بالاحترام، وتمجيداً لاسم الربّ يسوع، ولا يمكن استدعاؤه خارج إطار طاعة الإيمان (رج ٣: ١٦؛ ٤: ١٠).

عند التفكير بهذه القضية، اقتنع، على الأرجح، العديد من المعمّدين الجدد، وكانوا بدورهم قد مارسوا السحر، على غرار العديد من مواطنيهم، بالتضادّ المطلق لهذه الممارسات مع إيمانهم الجديد. وبشجاعة، شهدوا علناً لهذا الإيمان عبر "عملية حرق" لكتبهم المتعلقة بالسحر. وبقي لوقا معجباً حين قدر قيمة هذه الكتب التي أُلقيت في النيران، هو الذي كان دوماً مسحوراً بالمشاكل التي تنتج عن العلاقة بين الإنجيل والغنى المادّي: خمسون ألف قطعة فضّة! وسيبيّن قريباً نتيجة اقتصادية أخرى للتبشير الشجاع بالإنجيل. وتأتي لازمة نموّ، موضوعها الكلمة المشخّصة بشكلٍ ما، كما في ٦: ٧، و ١٢: ٢٤، لتختتم هذا المقطع، مما يبرّر تقطيعنا هذا.

ب- شغب الصاغّة (آ ٢١-٤٠)

^{٢١} وبعد هذه الأحداث عقد بولس النية على أن يجتاز مقدونية وآخائية فيذهب إلى أورشليم، وقال: "يجب عليّ، بعد إقامتي فيها، أن أرى رومة أيضاً".

٢٢ فأرسل إلى مقدونية اثنين من معاونيه هما طيموتاوس وإرسطس. وأما هو فتخلف مدة في آسية.

٢٣ وفي ذلك الوقت وقع شعب شديد على طريقة الرب.

٢٤ ذلك بأن صائغاً اسمه ديمتريوس كان يصوغ هياكل من فضة لأرطيمس، فيمكن الصنائع من كسب غير قليل.

٢٥ فجمع بينهم وبين مُحترفي الصناعات التي تُماثل صناعتهم وقال لهم: "أيها الرجال، تعلمون أن رغد عيشنا يأتينا من هذه الصناعة.

٢٦ وقد رأيتم وسمعتم أن بولس هذا أفتع واستمال خلقاً كثيراً، لا في أفسس وحدها، بل كاذ أن يفعل ذلك في آسية كلها، فقد قال لهم إن الآلهة التي صنعتها الأيدي ليست بألهة.

٢٧ فأصبح الخطر لا يقتصر على حرفتنا هذه فيخشى أن تُزدري، بل يتناول أيضاً هيكل الإلهة العظمى أرطيمس فيجعلهُ عرضةً لأن يُعدَّ باطلاً، فلا تلبث عظمتها أن تنهار تلك التي تعبدها آسية كلها والعالم أجمع."

٢٨ فلما سمعوا ذلك نار تائروهم وأخذوا يصيحون: "ما أعظم أرطيمس أفسس!"

٢٩ وعم الشعب المدينة بأسرها فاندفعوا إلى المسرح اندفاع رجل واحد وقبضوا على غايوس وأرسطرخس المقدونيين رفيقي بولس في رحلته.

٣٠ فهم بولس بالذهاب إلى محفل الشعب فلم يدعه التلاميذ.

٣١ فأرسل أيضاً إليه بعض رؤساء آسية، وهم من أصدقائه، يسألونه ألا يعرض نفسه للخطر بالذهاب إلى المسرح.

٣٢ وكان بعض الناس ينادون بشيء وبعضهم بشيء آخر لهياج الجماعة وأكثرهم لا يدرون لماذا اجتمعوا.

٣٣ وأخرجوا من بين الجمع رجلاً اسمه الإسكندر، وكان اليهود قد دفعوه إلى الأمام، فأشار بيده يريد عرض الأمور على الشعب.

٣٤ فلما عرفوا أنه يهودي أخذوا يصيحون جميعاً بصوت واحد نحو ساعتين: "ما أعظم أرطيمس أفسس!"

٣٥ غير أن رئيس الديوان هذاً الجمع إذ قال لهم: "يا أهل أفسس! من من الناس لا يعلم أن أفسس هي المدينة الحارسه لهيكل أرطيمس العظمى وصنمها الذي هبط من السماء.

٣٦ فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْ خِلَافٍ فِي ذَلِكَ، وَجَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَهْدَأُوا وَلَا تُقَدِّمُوا عَلَى شَيْءٍ بِغَيْرِ رُؤْيَةٍ.

٣٧ فَقَدْ جِئْتُمْ بِهِذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، مَعَ أَنْهُمَا لَمْ يَنْتَهِكَا حُرْمَةَ الْهَيْبَتَا، وَلَا جَدْفًا عَلَيْهَا.

٣٨ فَإِذَا كَانَ لِديميترْيوسَ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ شَكْوَى عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَهُنَاكَ مَجَالِسٌ تُعْقَدُ وَهُنَاكَ حُكَّامٌ، فَلْيَتَقَاضُوا إِلَيْهِمْ.

٣٩ وَإِذَا كَانَ لَكُمْ طَلَبٌ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، فَأَمْرُهُ يُبَيَّنُّ فِي الْمَجْلِسِ الْقَانُونِيِّ.

٤٠ فَتَحْنُ عَلَى خَطَرٍ مِنْ أَنْ تُتَهَمَ بِالْفِتْنَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَكَيْسَ هُنَاكَ أَيُّ سَبَبٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَدَرَّعَ بِهِ فِي أَمْرِ هَذَا التَّجْمُهْرِ". قَالَ ذَلِكَ ثُمَّ صَرَفَ الْجَمَاعَةَ.

مشاريع بولس (آ ٢١-٢٢)

تشكل هاتان الآيتان إعلانًا هامًا يجعل القارئ يستشعر مجمل البرنامج الذي تتضمنه نهاية كتاب أعمال الرسل. في اليونانية، يبدأ الاعلان بشكل احتفالي لا تؤديه الترجمة المبسطة جدًا "بعد هذه الأحداث" بل يجب قراءته: ولما تمت هذه الأمور، وهي صيغة قريبة من صيغة لو ٩: ٥١ التي تفتتح رواية صعود يسوع إلى أورشليم. كانت لازمة النمو في آ ٢٠ قد جعلتنا نفهم أن العمل الإنجيلي مجذّر بقوة في أفسس. لذا كان بإمكان بولس ان يعتبر رسالته مكتملة في هذه المنطقة. انه يفكر في استئناف السفر وفي زيارة مجددة لكنائس مقدونية واليونان الفتية قبل الذهاب إلى أورشليم.

يتناسب هذا المشروع بشكل كبير مع ما يتحدث عنه الرسول في ١ قور ١٦: ١٠-٥، ثم في ٢ قور ١: ٥-١٨. سيسرد الفصل التالي هذا الصعود إلى أورشليم، وكأنه صعود نحو "آلامه". غير أن بولس يعبر، علاوة على ذلك، عن مشروع يهّمه كثيرًا، ألا وهو الذهاب أيضًا لرؤية روما، ليس للتعرف على العاصمة العظيمة للإمبراطورية، بقدر ما لزيارة الإخوة في جماعة لم يكن قد أسسها هو، ولكن شهرتها كانت كبيرة (رج روم ١: ٨-١٥). ستخبرنا نهاية الكتاب عن هذه الرحلة الأخيرة إلى روما، وبالتالي عن تحقيق أمنيته، ولكن، ضمن ظروف مغايرة للتي كان يتصورها. تلك طريقة مالوفة لدى لوقا أن يضع نقاطًا تمهيدية لرواياته المقبلة.

حاليًا، يرسل بولس مسبقًا اثنين من معاونيه إلى مقدونية لإعداد مجيئه، فيما يبقى هو بعض الوقت في أفسس. هذه الإشارة تمكّن الراوي من أن يروي حلقة أخيرة هزت هذه المدينة. وسيقوم بذلك بشكلٍ مفصّل وبكثير من الفكاهة.

مطالبة "نقائية" (آ ٢٣-٢٨)

رأينا في فيلبّي، على مستوى صغير، أناسًا طاهم نشاط بولس في مصالحهم المائيّة (رج ١٦: ١٦-٢٠). وستتحقق هنا أنّ الطريقة (طريقة يسوع)، أي التبشير المسيحيّ الموضوع موضع التطبيق، يمكن ان يتسبّب بنتائج اقتصادية خطيرة تثير غضب أهل حرّفةٍ يشعرون كلهم بالغبن.

كان معبد أرطيمس، الإلهة الشرقيّة الكبيرة للخصوبة، مصنّفًا بأنّه أحد "عجائب الدنيا السابع". ويحتوي على صورة منحوتة نزلت من السماء للإلهة المذكورة (رج آ ٣٥). وكان الحجاج الذين لا عدّ لهم، وهم منجذبون بعبادتها التي تقوم على العريضة والطقوس السحرية (كانت "تذاكر أفسسيّة" تضمن كلّ أنواع النجاح، والأمان في السفر، وخصوبة الزوجات، الخ)، وكانوا من هواة التذكارات التقويّة، كما هو الحال في كل أماكن الحج الكبرى للديانة الشعبيّة. كان هذا مكسب صنّاع نماذج من الفضّة للمعبد الشهير، يجنون أرباحًا كبيرة من هذه الحرفة.

أول من قلق من انخفاض ملحوظ للمداخيل، ونسبّه إلى رسالة بولس المناهضة للسحر ولعبادة الأصنام، كان صائغًا احتفظ التقليد باسمه: إنّه ديمتريوس. فلقد نظّم إدا اجتماعًا لأهل حرّفته، وألقى خطابًا صغيرًا على الطريقة النقائية، نقله لوقا بأسلوب مباشر ومقلّد جدًّا، وكأنّه يستمتع بالقيام بذلك لجذب انتباه قارئه ووضعهم في الأجواء. ليس في الخطاب أيّة صعوبة في التفسير. سلاحظ حتمًا المراءاة، الكلاسيكيّة جدًّا، التي من خلالها يُلبس الصائغ مطالبته المهنيّة المنتفعة همًّا نبيلًا يتعلّق بالهيبه العالميّة للإلهة الكبيرة ولمعناها. وهكذا أطلق، بمثابة مصادقة لأقواله الديماغوجيّة، صراحةً هستيريًا تمجيدًا لـ أرطيميس أفسس (آ ٢٧-٢٨).

تجمع شعبي عاصف (آ ٢٩-٣٤)

أخذت الفتنة اتساعاً غير متوقَّع، إذ سرعان ما اصطفت جماهير أفسس إلى جانب الحرفيين الغاضبين، فأمسك باثنين من رفقاء بولس كأننا متواجدين هناك، وجروهما إلى اجتماع مرتجّل عند مسرح المدينة. وعندما علم بولس بذلك، أراد الذهاب لتوضيح الأمر، بخلاف رأي التلاميذ، ورأي أشخاص مؤثرين، أي حرفياً، بعض رؤساء آسية: والمقصود أناس مرموقون منتخبون، يرجع إليهم ترؤس عبادة الإمبراطور في المقاطعة. لهم أصدقاء بولس، من دون أن يصبحوا مع ذلك مسيحيين، على ما يبدو. وهذا التفصيل يعطي فكرة عن المكانة المشرفة التي كان بولس يتمتع بها في المدينة، وعن العلاقات التي كان قد أقامها (آ ٣٠).

نبح إذا هؤلاء الأناس المسؤولون في إقناع بولس بعدم تعريض نفسه للخطر، من دون جدوى، في وسط الحشد الهائج. لهم يدركون ما باستطاعة هذا الحشد القيام به. ويلحظ لوقا بفكاهة أنهم، إذ كانوا منساقين بنوع من الهيستيريا الجماعية، كان الكثير منهم يصرخون حتى من دون أن يدركوا حقيقة الامر! يبدو أن الراوي هو أيضاً طاله هذا الارتباك، عندما تحدّث، دون تفسير، عن تدخل اليهود وتدخل شخص اسمه إسكندر، فيما جرى هتاف جديد وطويل لمجد أرطيميس منعه من الكلام. ويوضح لوقا فقط بان اسكندر كان يهودياً. ولم يكن هذا غضباً عرقياً، بل لأن لليهود أيضاً الخطاب ذاته ضدّ عبادة الأصنام، كما هو حال المبشّر المسيحي (آ ٣٢-٣٤).

خطاب رئيس ديوان المدينة (آ ٣٥-٤٠)

ان رئيس ديوان المدينة (أو أمينه العام)، وهو رجل ذو نفوذ، معتاد على ترؤس المجالس الشعبية، نبح في الأخذ بزمام الأمور؛ فلقد تمكّن من إسماع صوته بعد أن هدأ الجمهور. وهوذا الراوي، مجدداً، وقد بدا عارفاً بنفسية هذا السياسي ومُحاجته، كما بمحاجة الناشط النقابي من قبل، يوجز لنا تدخله عبر خطاب صغير يشكّل نموذجاً من هذا النوع.

لقد بدأ بشيء من الإطراء حتى يستقطب الإصغاء إليه، مسائراً مستمعيه المتحمسين قائلًا: "لقد فهمتكم!"، وها هو يطمنئهم: بالطبع، لن يستطيع أحد أن ينفي

عظمة مدينتهم، المرتبطة بعبادة أرطيميس العظيمة (لقد دمج بمهارة شعارهم)! حينذاك، لم يتأخر رجل النظام من تحذيرهم من القيام بأمرٍ بغيرِ رُوِيَّةٍ. وإذ تخلّى عن آيةٍ ديماجوجيةٍ، كانت لديه الشجاعة بأن يقول لهم أنه، على حد علمه، ليس الرجال الذين يتهمونهم مذنبين بأيّ جرم، كالتطاول على الإلهة التي يعبدون. وعلى الذين يعتبرون أنفسهم متضررين (ديمترىوسَ والصنّاع الآخريين) أن يحدّثوا شكواهم ويرفعوها أمام المراجع القانونيّة. فليقيسوا جيّدًا المخاطر: إنّ التجمّع الفوضوي في ذلك اليوم كان غير شرعيّ، وكان يمكن أن يؤدّي إلى اتّهام مواطني أفسس بالثورة (أي من قِبَل السلطات الرومانيّة التي قد تفرض عقوبات!). وإنطلاقًا من ذلك، ومن دون أن يترك أحدًا يردّ، فضّ رئيسُ ديوانِ المدينة التجمّع بقوة سلطانه.

ان العناية التي بذلها لوقا ليحرّر هذا الخطاب تبين إلى أين يذهب تعاطفه. رأيناه أكثر من مرّة، وسنراه أيضًا، يقدّم، على نحوٍ إيجابيّ، السلطات التي، بتطبيقها القانون بشكل صارم، أدّت في الواقع عونًا للمبشّرين المسيحيّين المتّهمين زورًا من قِبَل خصومهم الدينيّين، أو كما هو الحال، من قِبَل أناس شعروا بأنهم تضرّروا من النتائج الخلقية للإنجيل وقد أخذَ على محمل الحدّ.

تبعلنا هذه الرواية، في الواقع، متنبّهين إلى أنّ الإيمان المسيحيّ لا يمكن حصره في مجال روحانيّات مجردة، من دون تأثير على قضايا هذا العالم. ففي العالم الوثنيّ في القرن الأوّل، كانت التجارة المرتبطة بالتدين الشعبيّ قد رأت نفسها مهدّدة. وإذا ما فحصنا التاريخ بشكلٍ دقيق، أو الأحداث الراهنة، نكتشف ان هناك مجالات بإمكان طريقة عيش الإنجيل بأصالة - وليس دائمًا في مجال الخلقية التقليدية لدى معظم "المسيحيّين" - أن تولّد صراعات مفتوحة، فتجعل الرجال والنساء ينضون إلى المقاومة، بـ"دافع الضمير"، ضد إيديولوجيّات مهيمنة، أكانت إيديولوجيةً عنصريّة أو ديكتاتوريةً سياسيّة، أم أحيانًا، من طرف خفي، ممارسات اقتصاديّة. يجب أن تبلغ بنا الرواية، وشهادة لوقا بشكل عامّ، إلى التأمّل في عدم توافق الإيمان الإنجيليّ، لا فقط مع الأرباح التي تنتج من استغلال التقوى الشعبيّة، ولكن أيضًا مع كلّ إيديولوجية تقدّس المال، فلقد قال يسوع: "لا يمكنكم خدمة الله وممّون" (لو ١٦: ١٣).

٩- بولس في اليونان ومقدونية: احنفال جماعى وأعجوبة في طرواس (٢٠: ١-١٢)

- ٢٠
- ١ ولما سَكَنَ الصَّحِيحَ، دَعَا بُولُسُ التَّلَامِيذَ فَشَدَّدَ عَزَائِمَهُمْ. ثُمَّ وَدَّعَهُمْ، فَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَقْدُونِيَّةَ.
 - ٢ فطافَ تِلْكَ التَّوَاخِي وَشَدَّدَ عَزَائِمَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ. ثُمَّ قَدِمَ بِإِلَادِ الْيُونَانِ،
 - ٣ فَخَضَى فِيهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. وَيَبْنَمَا هُوَ يَهْمُ بِالْإِبْحَارِ إِلَى سُورِيَّةَ، أَحْذَى الْيَهُودُ يَتَأَمَّرُونَ عَلَيْهِ، فَعَرَمَ عَلَى الْعُودَةَ بِطَرِيقِ مَقْدُونِيَّةَ.
 - ٤ فرافقه صَوْبَطْرُسُ بْنُ بَرُسِ الْبِيرِيِّ، وَأَرَسْطَرُخُسُ وَسِقُنْدُسُ التَّسَالُونِيَّانِ، وَغَايُوسُ الدَّرْبِيِّ وَطِيموثَاوُسُ، وَطِيخِيقُسُ وَطَرُوفِيمُسُ الْأَسِيَّانِ.
 - ٥ فَتَقَدَّمُوا وَانْتَظَرُوا فِي طَرُوسَ.
 - ٦ أَمَّا نَحْنُ فَأَجْرْنَا مِنْ فِيلِيبِّي بَعْدَ أَيَّامِ الْفَطِيرِ، وَبَلَعْنَا إِلَيْهِمْ فِي طَرُوسَ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، فَمَكَّنَّا فِيهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ.
 - ٧ واجتمعنا يَوْمَ الْأَحَدِ لِكَسْرِ الْخُبْزِ، فَأَخَذَ بُولُسُ يُخاطِبُهُمْ، وَكَانَ يُرِيدُ الذَّهَابَ فِي الْغَدِ، فَأَطَالَ الْكَلَامَ إِلَى مَنْتَصَفِ اللَّيْلِ.
 - ٨ وَكَانَ فِي الْعُلْيَةِ الَّتِي اجْتَمَعْنَا فِيهَا مَصَابِيحُ كَثِيرَةٌ.
 - ٩ وَهُنَاكَ قَتَى اسْمُهُ أَفْطِيخُسُ جَالِسًا عَلَى حَرْفِ النَّافِذَةِ. فَأَخَذَهُ نِعَاسٌ شَدِيدٌ وَبُولُسُ يُطِيلُ الْكَلَامَ، فَاسْتَعْرَقَ فِي النَّوْمِ فَسَقَطَ مِنَ الطَّبَقَةِ النَّائِثَةِ إِلَى أَسْفَلِ وَحْمِلَ مَيِّتًا.
 - ١٠ فَنَزَلَ بُولُسُ وَحَنَا عَلَيْهِ وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: "لَا تَجْزَعُوا، فَإِنَّ رُوحَهُ فِيهِ".
 - ١١ ثُمَّ صَعِدَ فَكَسَرَ الْخُبْزَ فَأَكَلَ. وَحَدَّثَهُمْ طَوِيلًا إِلَى الْفَجْرِ وَمَضَى.
 - ١٢ وَأَمَّا الصَّبِيُّ فَأَتَوْا بِهِ حَيًّا، فَكَانَ لَهُمْ عَزَاءٌ كَبِيرٌ.

من أفسس إلى طرواس (٦-١ آ)

يبدو أن فتنة الصاغة دفعت بولس إلى أن يترك أفسس لياشر تنفيذ المشروع المُعلن عنه في ١٩: ٢١. بعد أن شجع التلاميذ، انطلق نحو مقدونيا، حيث يُشار إلى مروره من هناك على كونه زيارة رعائية (٢ آ)، ومن ثم مكث ثلاثة أشهر في أثينا، على الأرجح في كورنتس، حيث أثار اليهود مؤامرة ضده في نهاية إقامته. تبدو أن ترجمة آ ٣

بحسب النص الغربي أرادت أن توضح هذا النص الغامض بعض الشيء، بكتابة ما يلي: **أَخَذَ الْيَهُودُ يَتَأَمَّرُونَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ الْإِبْحَارَ إِلَى سُورِيَا، لَكِنَّ الرُّوحَ قَالَ لَهُ بِأَنْ يَرْجِعَ عَنْ طَرِيقِ مَقْدُونِيَا.**

اما آ ٤، فهي هامة بالنسبة إلى المؤرخ من حيث المقارنات الدقيقة التي توفرها، إلى جانب معطيات الرسائل حول مختلف المعاونين في الرسالة البولسية، وحضورهم إلى جانب بولس في هذه المناسبة أو تلك. لقد وضع لوقا هنا لائحة تضم رفاق درب بولس السبعة. وهذه اللائحة، أكثر من الإشارات الجزئية جداً التي صادفناها حتى الآن، تعطينا لمحة عن تنوع أصل الفريق الرسولي المكوّن من قبل الرسول وأهميته.

بغض النظر عن سقندس، نرى أن أسماء الستة الآخرين تردّ في رسائل بولس، خاصةً تيموتاوس وطيموثيوس اللذين نرى بولس يكلّ إليهما مهامّ مختلفة. ويمثّل الفريق تقريباً معظم الكنائس التي أسسها: بيريه، تسالونيكّي، دربه، ليسترا، أفسس ومنطقتها. ما من شيء يشير بالتالي إلى أنّهم "موفدون من كنائسهم حتى يحملوا التبرعات إلى أورشليم" (ملاحظة من TOB)، تبرعات لا يذكرها لوقا كهدف لهذا السفر. فلو كان الحال كذلك، لكان غياب ممثل كورنتس مدهشاً جداً.

نجد من جديد في آ ٥ (حتى آ ١٦) ملاحظات لما يمكن أن يُسمى "يوميات رحلة"، محرّرة بصيغة المتكلم الجمع. في الحقيقة، تبدو هذه الآية أداة وصل بقلم الكاتب الأخير. انه يُظهر الـ نحن كمجموعة ثانية، بقيت مع بولس خلال انفصال قصير للفريق، وثبتي هكذا طي الكتمان اسم صاحب هذه الملاحظات، وهو ليس أحد السبعة المسمّين في آ ٤. وهذا يتناسب مع الفرضيات التي تريد أن ترى فيه سيلاس، أو الطبيب لوقا. يجب أن نذكر، من أجل السهولة، بأننا، مع التقليد الكنسي والتأويلي نسمّي "لوقا"، بصفته كاتب الإنجيل الثالث وكتاب أعمال الرسل، من دون تماثله بالضرورة مع لوقا.

توحي آ ٦ بأن بولس وهذا الفريق الثاني قد بقوا مدّة أطول بقليل في فيليبي، حتى يعيشوا زمن الفصح في هذه الكنيسة العالية على قلب بولس. ومن وراء محطة ميليطس، لن نعلم إذا تبع الفريق بكامله بولس حتى أورشليم، الأمر الذي يبدو مستبعداً. ومنذئذ لن يسمّي لوقا عرضاً سوى طروفيمس (٢٩:٢١) وأرسطرخس (٢:٢٧).

قيامه أفطبخس في طرواس (آ ٧-١٢)

إنّ للسرد الوجيز عن محطّة طرواس فائدة مزدوجة: الأولى هي الكلام على احتفال إفاخرستيّ، مع تفاصيل هي أكثر من التلميحات النادرة التي وجدناها حتّى الآن في الكتاب؛ ويوضح لوقا أنّها حصلت أوّل يوم من الأسبوع، ولم يكن يُدعى بعد "الأحد" (وستكون البداية في رؤ ١: ١٠)، حيث يتم الحديث عن "يوم الربّ" في هذا المعنى؛ انه ولا شك تذكّار لقيامه يسوع، في أوّل يوم من الأسبوع. لكنّ الجماعة المسيحيّة ما زالت تبدأ هذا النهار بعد مغيب الشمس، ويحصل الاحتفال بالتالي في المساء، كما في وليمة الفصح اليهوديّة، وهذا تفصيل ذو أهميّة لفهم الحادثة التي ستحصل فيه. إذا كان الكاتب يقول: **كنّا مجتمعين لكسر الخبز**، وهي إشارة قديمة للإفاخرستيّا (رج لو ٢٤: ٣٥؛ رسل ٢: ٤٢)، فهو لا ينسى أنّ هذا الطقس يدخل في تجمّع تحتلّ فيه الكلمة مكانة هامّة، على شكل حديث يمكنه أن يمهد لـ **خطاب** طويل (آ ٧).

ولما لم يكن قد بقي لبولس المرسل والمعلّم سوى ليلة واحدة يُمضيها مع المؤمنين في طرواس، فإنّه نوى أن يستفيد منها إلى أقصى حدّ؛ فبعد الحادث الدراماتيكيّ الذي لم يوقفه طويلاً عن التحدث، واصل **عظته** (إنّه فعل **homilein**، بمعنى "التحدّث"، وهو المستعمل في آ ١١) **حتّى الفجر**. كان هذا التجمّع الليتورجي قد جرى في **غرفة عليا**، الأمر الذي يذكّر بالعشاء الأخير (لو ٢٢: ١٢)، وباجتماعات الفريق الرسوليّ غداة الصعود (رسل ١: ١٣). ولكن له ما يُشبهه في نصّ قيامه طابيتا (رج ٩: ٣٧): تشكل هذه الرواية ملحناً بالأعجوبة التي صنعها بطرس، لاستكمال التوازي بين أعمال الرسولين.

في الحقيقة، إنّ رواية الأعجوبة هي هنا خافرة بشكل خاصّ. وظروف حادث أفطبخس المميت هي التي يعرضها الكاتب بتفاصيل واقعية؛ فبعد ان أخذ مسافة إلى الورا بشأن المأساة، أصبح بوسعه أن يضيف أيضاً شيئاً من الطرفة على هذا الوصف. لقد ساهم دخان المصاييح العديدة التي كانت تنير القاعة (آ ٨) في تخدير الشابّ، لكنّ السبب الأكبر هو على الأخصّ خطاب بولس الطويل (آ ٧، ٩)، وقد أغرقه في سبات عميق! فما يحصل، من دون ضرر، للعديد من مستمعي خطيب يطيل الكلام ويتسبّب في النعاس (!)، له هنا نتائج مأساويّة، لأنّ الشاب كان قد جلس دون فطنة منه على

حافة النافذة، ولأن القاعة كانت في الطابق الثالث: فوق وحملوه ميتاً. يبدو الحادث على تناقض عنيف مع معنى اسمه الذي يمكن ترجمته بـ"المحظوظ"! غير أن آية قصيرة كانت كافية للكلام على تدخّل بولس العجيب، وهو "الحظّ" الحقيقيّ لحياة أفضيخس.

تفسح الترجمة هنا المجال للالتباس، عندما تجعل بولس يقول بأنّه لا زال على قيد الحياة، ممّا يوهم بأنّ "موت" الشابّ لم يكن سوى غيبوبة مؤقتة، وسيستفيق طبيعياً منها. حرفياً، يقول بولس: لا تضطربوا، لأنّ روحه في داخله. ولكن، على الرغم من ايجاز آ ١٠ هذه، يبدو واضحاً أنّ لوقا حرّرها بعبارات تذكر بقيامة ابن الأرملة في صرفت صيدا على يد إيليا، حيث أخذ النبيّ الصبيّ على ذراعيه، ولدى صلاته، عادت روح الولد إلى جوفه وعاد إلى الحياة (١ مل ١٧: ١٩-٢٣). هنا أيضاً، يوحى الكاتب بأنّ بولس، إذ أخذ على ذراعيه الشابّ، أعاد إليه نسمة الحياة.

ان الموازة المقصودة مع وجه بطرس حول نقاط كثيرة أخرى تعني بالتأكيد أنّ لوقا ينسب إلى بولس قدرة مماثلة على أن يردّ ميتاً إلى الحياة. وهناك موازة أخرى على مستوى كتابي لوقا: ففي إنجيله، يروي "قيامتين" صنعهما يسوع: شابّ نائين (٧: ١١) وابنة يائيرس (٨: ٤٠). فبالنسبة إليه، لنقلها ثانية، إنّ أعمال القدرة التي تجري على أيدي الرسل هي امتداد لأعمال الربّ.

هناك مفارقة واضحة بين الآيتين الختاميتين: فالموقف المنسوب إلى بولس، وهو يواصل بعزم مسار الخدمة الإلهية، ليس فقط بكسر الخبز، بل بمواصلة الحديث حتّى الفجر، يعطي الانطباع بأنّ الحدث مبتذل، وكأنّه حادث غير ذي شأن (آ ١١). ومع ذلك، تصوّر أنّ تقاسم الخبز هذا، وهو رمز عطاء الحياة في المسيح، ومناسبة لرفع الشكران من أجل الخلاص الممنوح، قد عاشه مؤمنو طرواس بشكل مكثّف، بعد هذا الاختبار المحسوس للانتصار على الموت! وتعود ملحوظة آ ١٢، في الواقع، لتبرز الموازنة الكبيرة - أو التعزية اللامحدودة - التي وفرّها تلك الليلة التي لا تُنسى للذين عاشوها.

١٠- وداع بولس لشيوخ كنيسة أفسس: وصية رعوية (٢٠: ١٣-٣٨)

١٣ أمّا نحن فنقدّمناه وركبنا السفينة فأقلعنا إلى أسس، نريد أن نستصحّب منها بولس على الخطّة التي رسمها لأنّه عزّم على القدوم في البرّ.

- ١٤ فَلَمَّا لَحِقَ بِنَا إِلَى أُسُسَ، صَعَدْنَا بِهِ إِلَى السَّفِينَةِ، وَجِئْنَا مِطِلْنَةَ.
- ١٥ ثُمَّ أبحرنا منها في اليوم الثاني حتى شارفنا خيوس. وحاذينا صامس في اليوم الثالث، وأتينا ميليطس في اليوم الرابع،
- ١٦ لأن بولس رأى أن يجاوز أفسس مخافة أن يتأخر في آسية، وأراد العجلة لعله يصل إلى أورشليم يوم العنصرة.
- ١٧ فأرسل من ميليطس إلى أفسس يستدعي شيوخ الكنيسة.
- ١٨ فلما قدموا إليه قال لهم: "تعلمون كيف كانت معاملتي لكم طوال المدة التي قضيتها منذ أول يوم وطلت فيه أرض آسية.
- ١٩ فقد عملت للرب بكل تواضع، أذرف الدموع وأعاني المحن التي أصابني بها مكابذ اليهود.
- ٢٠ وما قصرت في شيء يفيدكم، بل كنت أعظكم وأعلمكم في الأماكن العامة والبيوت.
- ٢١ فكنت أناشد اليهود واليونانيين أن يتوبوا إلى الله ويؤمنوا بربنا يسوع.
- ٢٢ هاءنذا اليوم ماض إلى أورشليم أسير الروح، لا أدري ماذا يحدث لي فيها.
- ٢٣ على أن الروح القدس يؤكد لي في كل مدينة أن السلاسل والشدائد تنتظرنني.
- ٢٤ ولكيني لا أبالي بحياتي ولا أرى لها قيمة عندي، فحسي أن أتم شوطي وأتم الخدمة التي تلقيتها من الرب يسوع، أي أن أشهد ليشارة نعمة الله.
- ٢٥ وأنا أعلم الآن أنكم لن تروا وجهي بعد اليوم، أتم الذين سرت بينهم كلهم أبشر بالملكوت.
- ٢٦ لذلك أشهد اليوم أمامكم أنني بريء من دمكم جميعاً،
- ٢٧ لأنني لم أقصر في إبلاغكم تدبير الله كله.
- ٢٨ فتنبهوا لأنفسكم ولجميع القطيع الذي جعلكم الروح القدس حراساً له لتسهروا على كنيسة الله التي أكتسبها بدمه.
- ٢٩ وأنا أعلم أن سيدخل فيكم بعد رحيلي ذئاب خاطفة لا ثقي على القطيع
- ٣٠ ويقوم من بينكم أناس يتكلمون بالضلال ليحملوا التلاميذ على اتباعهم.
- ٣١ فتنبهوا واذكروا أنني لم أكف مدة ثلاث سنوات، ليل نهار، عن نصح كل منكم وأنا أذرف الدموع.
- ٣٢ والآن أستودعكم الله وكلمة نعمته وهو القادر على أن يشيد البنيان ويجعل لكم الميراث مع جميع المقدسين.

- ٣٣ ما رَغِبْتُ يَوْمًا فِي فَضِيَّةٍ وَلَا ذَهَبٍ وَلَا ثَوْبٍ عِنْدَ أَحَدٍ،
- ٣٤ وَأَنْتُمْ تَعَلَّمُونَ أَنَّ يَدَيَّ هَاتَيْنِ سَدَّتَا حَاجَتِي وَحَاجَاتِ رُفُقَائِي
- ٣٥ وَقَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ بِأَجْلِي بَيَانٌ أَنَّهُ بِمِثْلِ هَذَا الْجُهْدِ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُسَعِفَ الضُّعْفَاءَ، ذَاكِرِينَ كَلَامَ الرَّبِّ يَسُوعَ وَقَدْ قَالَ هُوَ نَفْسُهُ: "السَّعَادَةُ فِي الْعَطَاءِ أَعْظَمُ مِنْهَا فِي الْأَخْذِ".
- ٣٦ قَالَ هَذَا ثُمَّ جَثَا فَصَلَّى مَعَهُمْ جَمِيعًا
- ٣٧ وَفَاضَتْ دُمُوعُهُمْ أَجْمَعِينَ، فَأَلْقَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَلَى عُنُقِ بُولُسَ وَقَبَلُوهُ طَوِيلًا،
- ٣٨ مَحْزُونِينَ خُصُوصًا لِقَوْلِهِ إِنَّهُمْ لَنْ يَرَوْا وَجْهَهُ بَعْدَ الْيَوْمِ. ثُمَّ شَيَّعُوهُ إِلَى السَّفِينَةِ.

من طرُواس إلى ميليطش (آ ١٣-١٦)

نجد في هذه الآيات قصاصة من يوميات رحلة، ذات الأسلوب المقتضب والحيادي. انما ليست مجرد تعليق، بل هي دعوة إلى إلقاء نظرة على الخارطة لنحدد معلوماتنا الجغرافية المتعلقة بالشاطئ الشرقي لبحر إيجه. يتبع المسافرون خط سير الملاحة الساحلية بين جزر ساحل آسيا الصغرى ومرافئه. لا يُشرَح لنا لماذا قرَّر بولس أن يذهب سيرًا على الأقدام من طرُواس إلى أسُس. قد تكون حاجته إلى الاختلاء الانفرادي! إلا إنَّ العنصر الذي ينبغي أن يبقى عالقًا في الذهن لفهم التمتة، هو قراره بتحاشي توقف في أفسس، خوفًا من أن يُستَوْقَف هناك (آ ١٦)، إذ إنَّه كان على عَجَلٍ بأن يبلغَ هَدَفَ هذه الرحلة، أي أورشليم، حيث كان يأمل أن يشارك في الاحتفال بالعنصرة.

وصية بولس الرعوية (آ ١٧-٣٨)

إذا وضعنا جانبًا المداخلات الكلامية الطرفية لبطرس (١:١٦-٢٢؛ ٧:١٥-١١) أو ليعقوب (١٥:١٣-٢١)، نجد هنا "الخطبة" الوحيدة الحقيقية الموجهة إلى الكنيسة من أجل بنائها. لم تكن هذه الخطبة تبشيريًا عاديًا. ذلك ان نوعها الأدبي يرتبط بـ "خطبة وداع" الشائعة في العهد القديم (رج تك ٤٩؛ تث ٣٣؛ يش ٢٣؛ ١ صم ١٢)، وفي أدب "ما بين العهدين" (رج خاصة "وصايا الآباء الاثني عشر"): يقوم شخص مكرَّم، قبل موته، بحضِّ المقرَّبين إليه، مذكِّرًا إياهم بمَثَلِ حياته، صائغًا لعائلته أو لورثته الروحيين، آفاقًا مستقبلية أو بركات. ففي نصِّ، له الطول المساوي ذاته للنص الذي نقرأ

هنا، كان لوقا قد جمع تحذيرات ووعوداً من يسوع للاثني عشر، في إطار العشاء الأخير (لو ٢٢: ٢١-٣٧)، كانت بمثابة "خطبة الوداع" التي أعطاهها الإنجيل بحسب يوحنا مدى ملفتاً.

تتوزع مادة خطبة بولس الوداعية على طرحين: الأول، مركز على خدمته الخاصة الماضية، والمستقبل الكالح الذي يستشّفه لنفسه، والثاني، على الدعوة إلى اليقظة الموجهة إلى شيوخ كنيسة أفسس. وتشكّل آ ٣٣-٣٥ نوعاً من "الكتابة اللاحقة"، مكرّسة لملاحظة كان ينبغي ان يكون موقعها في الجزء الأول من الكتاب.

١٧ آ التي قدّمت للخطبة بشكل سردي، تشهد لسُلطان بولس على الجماعات التي أسّسها. سيحتاز شيوخ أفسس ١٢٠ كيلومتراً ذهاباً وإياباً (على الأقدام) للاستجابة لدعوة الرسول، مما يوفر له وقتاً وتعباً إضافياً.

بولس يورد ذكر جهده الرسولي ومحنه (آ ١٨-٢٧)

يسمح التعبير المضاعف "والآن" في آ ٢٢ و ٢٥ بتمييز أزمّة ثلاثة في الاستذكار الذي يقوم به بولس.

الزمن الأول: يتكلّم على تصرّفه الماضي أثناء المدّة التي عاشها معهم في أفسس، وبشكل أوسع في بلاد آسيا، متوجّهاً إلى ذاكرتهم الخاصة (أنتم تعلمون: آ ١٨ و ٢٠). لقد خدم الربّ، وهو فعل بالمعنى القويّ (خدم كما يخدم عبداً سيّده؛ رج روم ١: ١؛ ١٢: ١١؛ إلخ)؛ انه لا يتردّد من وضع تواضعه في الواجهة - الأمر الذي يبدو لنا مفارقة - على قدر ما لا يكون المقصود على لسانه فضيلة ما، بل إخلاء للذات ملموساً، وقبولاً للمحن وللإهانات التي واجهها (رج فل ٢: ٣؛ ٢ قور ١١: ٧). وإنّ دموع الرسول مرتبطة بمناسبات حزن سببتها علاقته مع الجماعات (رج ٢ قور ٤: ٢): هو لا يذكرها البتّة بمعية آلام الاضطهاد (رج على العكس من ذلك رسل ١٦: ٢٥). والحن التي أثارها مؤامرات اليهود تُذكر من دون تحديد، كما في التلميحين في ١ قور ١٥: ٣٢، أو ٢ قور ١: ٨ (الأول منهما هو بالتأكيد استعاري). تجب الملاحظة ان يهود آسيا هؤلاء هم الذين سيشكلون بولس في هيكّل أورشليم، مما كاد يؤدي إلى القضاء عليه (٢٧: ٢١): فلقد كانوا على وشك أن يقضوا عليه في أفسس.

تشكّل آ ٢٠-٢١ موجزاً ملفتاً عن خدمة الكلمة التي يقوم بها الرسول، تحت الشكّلين المتكاملين من التبشير والتعليم، سواء كانا عامين أم خاصين، وقد توجّها إلى اليهود كما إلى الوثنيين، ومضمونهما الجوهرى هو الاهتمام إلى الله والإيمان بالربّ يسوع. والانشراح الذي يمنحه بولس لذاته في هذا المضمار - لم أهمل شيئاً من كلّ ما كان يمكن أن يكون مفيداً لكم - سوف يكرره ويرسخه لاحقاً.

الزمن الثاني: بعد هذه النظرة الاستذكارية، يتحدث بولس إلى أصدقائه حول مستقبله الشخصيّ الوشيك. انه، وعلى خطى يسوع بالذات، نوعٌ من الإعلان عن آلامه المرتبطة بصعوده إلى أورشليم. لكنّه اعلان تبدو صيغته أكثر احتمالاً من الإنبيات عن الآلام في الأناجيل، وقد تمّت إعادة بنائها، بشكل واضح، من بعد الأحداث. يعلم بولس فقط أنّه منقاد بالروح (القدس) نحو مصيره (راجع استعمال يسوع للفعل "يجب" تكراراً)، وأنّ محناً تنتظره، لكنّه لا يعلم بالتحديد ما الذي سيحصل (آ ٢٢-٢٣). هو يقف متأهباً، ولا يهتم بجيائه الخاصة (الحياة الأرضية، التعبير ذاته كما في لو ٩: ٢٤). انه يريد فقط، مثل سيّده، أن يتمّ أو يكمل المهمة التي أوكلت إليه (آ ٢٤؛ رج يو ١٧: ٤). اما صورة السباق، فهي بولسيّة (رج ١ قور ٩: ٢٤؛ غل ٢: ٢؛ فل ٢: ١٦؛ ٢ طيم ٤: ٧، مع فكرة تميم السعي في هذا النصّ الأخير).

الزمن الثالث: انطلاقاً من الماضي المشترك المذكور، ومن المستقبل القائم الذي يُشعر به، يتخذ الحديث الآن شكلاً وداع. فبولس الذي يجهل ما سيحصل له بالتحديد، يعلم في كلّ حال، وبيقين، أنّ الإخوة الأفسسيين يرونه للمرة الأخيرة (آ ٢٥). لكنّ هذا الوداع كان مناسبة لتقديم خلاصة احتفالية. في آ ٢٦، ومن جديد (رج ١٨: ٦)، هوذا لوقا يجعل بولس يقول: أنا بريء من دم جميعكم (الترجمة المسكوّية). لقد تمّت تأدية المعنى، لكن عبر تلميح مكشوف. ذلك ان المبشّر بالإنجيل يعي بأنّه قد دلّهم على طريق الخلاص، معلناً لهم تصميم الله بكلّيته: بقي عليهم أن يعيشوه (آ ٢٧).

الدعوة إلى اليقظة (آ ٢٨-٣٢)

ينتقل بولس من ذكر رسالته الخاصة إلى حثّ لكي يمارس مستمعوه رسالتهم بأمانة: الموضوعان مترابطان، إذ ليس المقصود حصراً الخدمة ذاتها؛ يجب أن يلهمهم مثل بولس، وستبين أمانتهم أنّهم التزموا تعليمه وتحذيراته (رج آ ٣١).

إن مصطلحات آ ٢٨ هامة بشكل خاص، الأمر الذي يستدعي إبرازها، إذا ما تمسكنا بحرفيتها، أولاً، في ما يتعلق بتحديد خدمة أولئك الذين دعاهم الراوي تحديداً الشيوخ: ففي الكنائس التي أسسها بولس، هم يشكلون مجلس المسؤولين الذي يدير الجماعة المحليّة (رج ١٤: ٢٣). لقد أعطت تسميتهم اليونانية *presbytres* ومنها أُشتقت الكلمة الفرنسيّة "prêtre" (قسيس/شيخ). أما هنا فيحدد بولس هويتهم بأنهم مراقبو القطيع، وهو ما تنقله الترجمة بكلمة مسؤولين. حرفياً، المقصود هو *épiscopos*، التي أعطت كلمة "évêques" (أساقفة). وتقوم مسؤوليتهم على رعاية كنيسة الله (أي أن يكونوا الرعاة). هكذا، في هذا الخطاب، تُطرح المعادلة دون مشكلة بين شيوخ، وأساقفة، ورعاة. وبتعبير آخر، يمارس الشيوخ سويًا المهمة الأسقفية والراعوية الضرورية لحياة الكنائس.

نعلم أنه، في القرن الثاني، ستتبدّل الحالة؛ سيحمل رئيس مجلس الشيوخ وحده لقب أسقف، محاطاً بـ "شيوخه" أو "قسسه". وستكون تلك ولادة ما دُعِيَ بـ "الأسقفية الملكيّة". وهذا المفهوم الهرميّ يجله لوقا. ذلك أن تحريره معاصر لتحرير "الرسائل الراعوية" المنسوبة إلى بولس، حيث ان لاهوتها الكنسي قريب منه جداً (رج ١ طيم ٧-١: ٣، وخاصة طي ٥: ١، ٧ حيث نجد تماثل الشيوخ والأساقفة؛ رج ١ بط ٥: ١ بشأن التماثل بين الشيوخ ورعاة القطيع). وعلى التفكير المسكونيّ المعاصر، بشأن الخدم، أن يأخذ بعين الاعتبار هذا الواقع: فالكنيسة التي أغلقت قانون العهد الجديد قد "كرّست"، في الوقت ذاته، نصوصاً تُبرز تنوع تنظيم الجماعات المسيحيّة، لدى تفتّحها الرائع تحت قيادة الروح القدس.

إذا كان من الوهم عملياً، ومن الخطأ تأويلياً أن نتصور الكنيسة ملزّمة عبر القرون بأن تكرر "نموذجاً" قد تجده في الكتاب المقدّس (هذا خطأ كالفن)، هكذا لا يكون أكثر صحة اعتبار البنية التي سادت، بدءاً من القرن الثاني، في الكنيسة التاريخيّة الرسميّة، معياراً دائماً ولكل الكنائس.

لم تتوقّف آ ٢٨ عن إثارة دهشتنا بسبب اقتضاب النصّ الأصليّ. هوذا لوقا يضع على لسان بولس: "كنيسة الله، التي اقتناها بدمه" (TOB). إنّها صياغة إيجازية جريئة،

فريدة في العهد الجديد: لا يجري الكلام قط على دم الله في أيّ مكان آخر! لأجل ذلك اعتقد بعض النساخ أنه يتوجّب عليهم تصحيح هذا النصّ، من خلال كتابتهم "كنيسة الربّ يسوع"... لكن لماذا محو تعبير موفّق لسرّ التجسّد والصليب، وللمفارقة الإنجيليّة الكامنة في إله أعطى حياته لانتزاعنا من الموت؟

في آ ٢٩-٣٠، يجعل بولس من نفسه نبياً ليبرّر نداءه إلى السهر. إنّ صورة الذئاب الخاطفة التي ستهدّد القطيع مستمّدة من متى ١٥:٧، ويو ١٠:١٢، حيث ندّد يسوع ذاته بخطر الأنبياء الكذّبة، ويبيّن أنّ الراعي الصالح يجابه بشجاعة هذه الذئاب كي يتحاشى تشتت نعاجه. فالتهديد الأسوأ للكنيسة ليس التهديد المتأتّي من أعداء خارجيين، بل تسلّله على يد علماء كذّبة، أو أيضاً، الهرطقة الناشئة بين أعضائها، والمقصود بهذه المفردة ليس تنوعاً شرعياً في الآراء اللاهوتيّة (ويشهد عليها العهد الجديد بالذات)، بل التحزّب والأقوال المنحرفة (آ ٣٠، TOB)، التي تُؤلّد الروح العشائريّة والانشقاقات، وهي التي تهدم الشركة الأخويّة وتبلبل إيمان المؤمنين. وإذا كان بولس حاضراً في أفسس، ولمدّة ثلاث سنوات، لم يتوقّف عن تحذير المسؤولين في هذا الشأن، إلى حدّ البكاء (آ ٣١)، الأمر الذي يثبت التفسير المُعطى عن الدموع، في آ ١٩.

استودعكم الله! هكذا يتمّ التعبير عن الوداع بكل معنى الكلمة في آ ٣٢، عبر استغاثة يكلّ فيها الشيوخ إلى الله وإلى كلمة نعمته (رج ١٤:٢٦؛ ١٥:٤٠؛ ٢٠:٢٤)، ويُذكر بسلاطها عبر صورتين بولسيّتين جدّاً: "شَيْد" (رج ٩:٣١؛ روم ١٥:٢، ٢٠:١؛ ٣:٩؛ إلخ)، و"جعل لكم الميراث مع جميع القديسين" (رج ٢٦:١٨؛ روم ٨:١٧؛ ١ قور ٩:٦؛ أف ١:١٨؛ إلخ). وهكذا، بشكل طبيعيّ، يكون هذا التسليم لله، تواكبه هذه الودعود، قد ختمت خطبة الوداع في نوعٍ من البركة الكلاسيكيّة.

توصية ختامية (آ ٣٣-٣٥)

يشعر بولس أيضاً بالحاجة إلى أن يذكرّ الرعاة بالتجرّد الذي يجب أن يواكب ممارسة وظيفتهم. إنّه موقف لوقاويّ من جديد حول موضوع المال، وقد ندّد غالباً

بسلطانه المفسد. ومع ذلك لسنا بازاء عظة ثقيلة ذات منحى تأنيبي. يكتفي بولس بأن يدعو من جديد، وبشكل إيجابي، إلى اقتفاء مثاله المعروف لدى سامعيه؛ فلقد كرز بالإنجيل مجّاناً، عاملاً بيديه (رج ١٨: ٣). ويوضح هنا أنّه لم يكن يعتمد على أحد في معيشتة حسب، بل وفرّ أيضاً حاجات لرفاقه.

وإذا كان قد حثّ خدام الكنيسة على أن يعملوا مثله، فلأنه بالتأكيد يرى في ذلك ضماناً لحرّيتهم الروحية الشخصية؛ وأيضاً، وبكل وضوح، لكي تكون لهم إمكانيّة القيام بواجبهم الملزم بالاعتناء بالضعفاء (المقصود هنا هم الفقراء، وليس "الضعفاء في الإيمان"). ذلك، في نظره، مصدر "طوبى" لم ترد في الأناجيل، وقد نسبها إلى الربّ يسوع؛ والنصّ الغربيّ يعطيها شكل التطويبات البيبليّة الكلاسيكيّ: "طوبى للذي يعطي أكثر من الذي يأخذ".

ونعرف أيضاً، من جهة أخرى، أنّ بولس كان يعترف — حقّ المبشّرين الشرعيّ — في أن يحددوا الخيرات المادّية من الذين لأجلهم بذروا الخيرات الروحية، حتّى ولو تخلّى هو ذاته عنها (١ قور ٩: ١١). من المرجّح أنّه ينبغي فهم حثّه هنا بعلاقة مع التحذير من الرسل الكذّبة أو الأنبياء الكذّبة، الذين كانوا، وبدون حجل، يستغلّون المؤمنين لتأمين معيشتهم. لذا فإن الأمانة للإنجيل والتجرّد المطبقّ يصبحان الدفاع الأفضل لرعاة الكنيسة الأصليين ضدّ مناورات الفوضويين.

الوداع (آ ٣٦-٣٨)

نجد هنا الخاتمة السردية لحديث بولس مع الشيوخ، في تناظر مع آ ١٧-١٨. لقد كان الانفعال في ذروته، إذ إنّ أصدقاء الرسول دُهِشوا واكتأبوا (حرفياً: عُذِّبُوا) بالإعلان الحازم جدّاً بأنهم قد لا يروون وجهه أبداً من بعد. ففي أجواء الصلاة، والدموع، والعناق، تمّ هذا الفراق. وهوذا بولس يركب السفينة مع بعض الرفاق: سيكون الفصل التالي، حصرياً، رواية صعوده إلى أورشليم. ويعرف القارئ هذا المشروع منذ ٢١: ١٩.

بولس سفر الأعمال وبولس الرسائل

يوافق النقدُ بشكل عامّ على اعتبار الرسالتين إلى التسالونيكين والرسالتين إلى الكورنثيين، والرسالة إلى الغلاطيين والرسالة إلى الفيلبيين، والبطاقة إلى فيلمون (وقد عدّناها وفق ترتيبها التاريخيّ المرجّح)، رسائل أصيلة لبولس. انها ترقى إلى الخمسينات، وهي مصادر موثوقة لمعرفة فكر الرسول والعديد من وجوه عمله.

يستحيل التأكيد بيقين أنّ مؤلّف سفر أعمال الرسل كان يعرف هذه الرسائل، لكن هناك في مؤلّفه عدداً من نقاط التقاء تتعلق بالوقائع التاريخية، وصدى أكيداً لبعض الأفكار البولسية الكبرى. فمن دون الدخول في التفاصيل كلّها لمقارنة تتعلق بالنقد التاريخيّ، ومن دون إيراد النصوص العديدة هنا، بإمكاننا أن نشير إلى الجوهريّ منها.

يتفق لوقا مع الرسائل في تقديم بولس على أنّه فريسيّ مضطهد للمسيحيين، تحوّل فجأةً بوحى شخصي من الربّ يسوع، وتلقّى منه رسالة حاسمة لتبشير الوثنيين بالإنجيل. وتشدّد الأعمال والرسائل أيضاً، مع فروقات طفيفة، على أهميّة الاعتراف الرسميّ الذي منحه رسلُ أورشليم لهذه البعثة، مع الحرّية في عدم فرض الختان على الوثنيين المهتدين. هناك توافق بنوع خاصّ على تأسيس بولس لكنائس فيلبّي وتسالونيكّي أو كورنثس، وعلى مكوّنه الطويل في أفسس، وعلى اسم العديد من معاونيه، وعلى رحلته الأخيرة إلى أورشليم، مع الشعور المسبق بأنّه سيُعْتقل هناك، وعلى رغبته الكبيرة في الذهاب إلى روما. أما على مستوى الفكرة أو الاستراتيجية، فهناك موضوعات بولسية بامتياز حاضرة جداً في سفر الأعمال، كموضوع تميم الكتب، وألوية إسرائيل، والتبرير بالإيمان، والرغبة في أن يصبح كلاً للكلّ.

لكن هناك أيضاً اختلافات جدّية، أو إغفالات مدهشة؛ فسفر أعمال الرسل يجهل إقامة بولس في بلاد العرب بعد انقلابه، فيما ينسب إليه اتّصلاً

مباشراً مع أورشليم، الأمر الذي تناقضه الرسالة إلى الغلاطيين. كما لا نجد شيئاً في الرسائل يشير إلى رحلة بولس وبرنابا الرسوليّة الأولى، أو إلى خطابه في الأريوباغس. بالمقابل، يغفل سفر الأعمال ذكر الصراع مع بطرس في أنطاكيا، وأكثر دهنشاً أنه لا يقول كلمة حول أزمتي "غلاطية" و"كورنثس" الجسميتين اللتين تحتلان مكاناً كبيراً في مراسلة بولس. كما لا يذكر لوقا أبداً شيئاً مما يتعلّق بمراسلات بولس.

هناك فرقٌ لاهوتيٌّ كبير يتعلّق بمعنى دعوة بولس على طريق دمشق. لقد أعلن بولس أنه "رأى الرب"، ويماثل بين هذا الحدث وبين ظهورات القائم من الموت، ولذا يطالب بلقب رسول، في حين اهتم لوقا كثيراً بالتمييز بين هذا الوحي وبين الظهورات الفصحية، كما بين دعوة بولس الخاصة وبين شهادة الاثني عشر المميّزة. واختلافات كهذه تجعل من الصعب نسبة سفر أعمال الرسل إلى معاون مباشر لبولس، من مثل مؤلف "يوميّات رحلة". ويمكن شرح هذه الاختلافات جزئياً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تاريخ هذه الكتابات ومراميها المختلفة.

فرسائل بولس كتابات مرتبطة بالظرف: تجري معالجة الصراعات عند حصول الحدث. لذا فإنّ بعض التلميحات البيوغرافية (السيرة الذاتية) التي نصادفها فيها كانت في خدمة طروحات هي في الغالب جدالية، وقد تكون ذكرياته هامشية، أو حتّى موظّفة، عن حسن نية، من أجل القضية المطروحة. اما لوقا، فيكتب بعد ثلاثين عاماً، تمّ خلالها تخطّي بعض الصراعات الحادّة التي كان بولس قد عاشها؛ ولم يكن غرضه كتابة سيرة ذاتية دقيقة عن الرسول، بل أن يبيّن أنّ تبشير العالم الوثنيّ بالإنجيل، -وكان هو أدواته المفضّلة- أرادته الروح القدس وسيّره. لقد احتفظ لوقا من حياة بولس بالجوانب النموذجية التي بوسعها ان تبني قراءه. لذا يجب على التحليل التاريخيّ إذاً، أمام كلّ حالة يحوم حولها الشك، أن يفحص بفطنة قيمة كلّ وثيقة، والإقرار أحياناً بعدم إمكانية البتّ بشكل مؤكّد. علاوةً على ذلك، يجب التذكير بأنّ كتاب أعمال الرسل يعرض مقاربات هامّة مع الرسائل "الرعوية"، وقد كان، إلى حد ما، معاصراً لها.

١١- بالرغم من نواتج الإخوة الفطنة، صعد بولس إلى أورشليم نحو إلامه (١٦: ٢١-١٦)

- ٢١
- ١ وَبَعْدَمَا انفصلنا عنهم، أبحرنا متجهين تَوًّا إلى قوش حَتَّى بَلَّغْنَاهَا وَذَهَبْنَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي
إلى رودس، ومنها إلى باطرة.
- ٢ فَلَقِينَا سَفِينَةً تُوشِكُ أَنْ تُقْلَعَ إِلَى فِينِيقِيَّةِ، فَرَكِبْنَاهَا وَأَبْحَرْنَا.
- ٣ فَلَمَّا بَدَتْ لَنَا قُبْرُسُ، تَرَكْنَاهَا عَنْ يَسَارِنَا، وَاتَّجَهْنَا إِلَى سُورِيَّةِ، فَوَصَلْنَا إِلَى صُورَ، لِأَنَّ
السَّفِينَةَ تُفْرَغُ فِيهَا حُمُولَتَهَا
- ٤ وَوَجَدْنَا التَّلَامِيذَ هُنَاكَ، فَأَقَمْنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَكَانُوا يَسْأَلُونَ بُولُسَ بَوْحِي مِنَ الرُّوحِ الْأَلَّ
يَصْعَدُ إِلَى أُورَشَلِيمِ.
- ٥ وَمَعَ ذَلِكَ، فَلَمَّا قَضَيْنَا تِلْكَ الْأَيَّامَ، خَرَجْنَا نُرِيدُ الرَّحِيلَ. فَشِيعَنَا جَمِيعُ التَّلَامِيذِ مَعَ
النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ، فَجَتُّونَا عَلَى الشَّاطِئِ وَصَلَيْنَا.
- ٦ ثُمَّ وَدَّعَ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَرَكِبْنَا السَّفِينَةَ، وَعَادُوا هُمْ إِلَى بِيوتِهِمْ.
- ٧ أَمَّا نَحْنُ فَلَمَّا أَنْهَيْنَا رِحْلَتَنَا مِنْ صُورَ وَصَلْنَا إِلَى بَطْلَمَائِسَ، فَسَلَّمْنَا عَلَى الْإِخْوَةِ،
وَأَقَمْنَا عِنْدَهُمْ يَوْمًا وَاحِدًا.
- ٨ وَخَرَجْنَا فِي الْغَدِ فَذَهَبْنَا إِلَى قَيْصَرِيَّةِ، فَدَخَلْنَا بَيْتَ فِيلِيُوسَ الْمُبَشِّرِ، وَهُوَ أَحَدُ السَّبْعَةِ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ.
- ٩ وَكَانَ لَهُ أَرْبَعُ بَنَاتٍ عَذَارَى يَتَبَّانَ.
- ١٠ وَبَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَهُ، وَقَدْ أَقَمْنَا عِدَّةَ أَيَّامٍ، إِحْدَرُ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ نَبِيٌّ اسْمُهُ أَغَابُسُ
- ١١ فَقَصَدَ إِلَيْنَا، فَأَخَذَ زُّنَّارَ بُولُسِ، فَشَدَّ بِهِ رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ
يَقُولُ: صَاحِبُ هَذَا الزُّنَّارِ يَشُدُّهُ الْيَهُودُ هَكَذَا فِي أُورَشَلِيمِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى أَيْدِي الْوَتِيِّينَ".
- ١٢ فَلَمَّا سَمِعْنَا ذَلِكَ، أَخَذْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ الْبَلَدَةِ نَسْأَلُ بُولُسَ الْأَلَّ يَصْعَدُ إِلَى أُورَشَلِيمِ.
- ١٣ فَأَجَابَ: "مَا لَكُمْ تَبْكُونَ فَمَزَقُونَ قَلْبِي؟ أَنَا مُسْتَعِدٌّ، لَا لِأَنَّ أَشَدَّ فَقَطْ، بَلْ لِأَنَّ أَمُوتَ فِي
أُورَشَلِيمِ مِنْ أَجْلِ اسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ".
- ١٤ فَلَمَّا أَبِي أَنْ يَفْتَتِحَ، كَفَفْنَا عَنِ الْإِلْحَاحِ وَقُلْنَا: "فَلْيَكُنْ مَا يَشَاءُ الرَّبُّ".
- ١٥ وَبَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ، تَأَهَّبْنَا لِلسَّفَرِ وَصَعَدْنَا إِلَى أُورَشَلِيمِ.
- ١٦ فَرَأَقْنَا أَيْضًا تَلَامِيذًا مِنْ قَيْصَرِيَّةِ، فَذَهَبُوا بِنَا لِيُرِوْنَا ضِيُوفًا عَلَى مَنَاسُونَ الْقُبْرُسِيِّ،
وَهُوَ تَلْمِيذٌ قَدِيمٌ.

بعد أن توقفت الرواية بسبب الخطاب الموجه إلى شيوخ أفسس، ها هي تتواصل متبعةً من جديد جزءاً من "يوميات رحلة". انما تتسم بإيضاحات حول المسار البحري ومحطات التوقف المختلفة التي تخللته (يمكن أتباعها من جديد على الخارطة)، وبتفاصيل تعكس الشهادة المعاشة، لا بل تعكس شيئاً من البساطة. هناك ثلاثة مؤشرات قد تثبت بأن كان لهذا المقطع أولاً وجوداً مستقلاً. ففي ٢٠:٢٢ أعلن بولس أنه يذهب إلى أورشليم، "مُرغماً بالروح"، ولا يتردد واضع اليوميات من القول في آ ٤ بأن تلاميذ من صور، "مدفوعين بالروح"، قالوا له بالأل يصعد إلى أورشليم. وفي آ ٩، يذكر "نبياً اسمه اغابوس"، وكأن القارئ لم يكن بعد قد التقى هذا الشخص (رج ١١:٢٨). وفي آ ١١، ينقل نبوءة اغابوس دون أن يهتم بأن يجعلها تنسجم مع الأحداث التي يجري سردها لاحقاً، حيث ان اليهود "لم يسلموا بولس إلى أيدي الوثنيين": بل بالعكس، فان تدخّل قائد الألف الروماني سينقذ بولس من الحشد اليهودي الذي كان يسعى إلى قتله! وإذا كان واضع الكتاب، من خلال دمج هذا المقطع، لم يصحح هذا التناقض الظاهرة (آ ٤ و ١١)؛ والمؤشر الثاني يخلو من مضمون ذي مدلول) فليس ذلك عن إهمال. وسنرى أن النص، كما هو، يمكنه أن يحمل معنى.

لا بُدّ وأن بولس، بحسب لوقا، قد استمع إلى النصيحة التي أعطاها التلاميذ في صور، بالأل يصعد إلى أورشليم، كتنبيت للشهادات التي تلقاها "من مدينة إلى مدينة" حول الحزن التي تنتظره في أورشليم (٢٠:٢٣). هو الروح، تحديداً، من يعطي الشعور المسبق لهؤلاء التلاميذ حول الأمر، لكن هؤلاء، يترجمونه، عبر تعلقهم البشري جداً بالرسول، بتحذير رادع (آ ٤). وهكذا، يجعلنا المشهد الجديد للوداع في آ ٥-٦ نفترض أنه، في الصلاة المشتركة، وبالرغم من الحزن الذي يسببه هذا الانسلاخ، فهم مسيحيو صور أن بولس كانت تعشه طاعة عميقة لإرادة الرب، وأنهم انحنوا أمام قراره.

في حلقة قيصرية، نجد من جديد فيليبس الذي ذكر بحيته إلى هذه المدينة في ٨: ٤٠. يُشار إليه هنا على أنه "إنجيلي"، وهو تعبير نادر في العهد الجديد (في مكانين أخرين فقط في أف ٤: ١١ و ٢ طيم ٤: ٥)، مع التذكير بأنه كان واحداً من "السبعة" (تلميح إلى ٦: ٣-٥)، وأن له "أربع بنات عذارى كنّ يتبنّان".

هل يُذكر هذا الأمر لآته كان استثنائياً؟ لا شيء يدعم هذه الفرضية، إذ إن لوقا لا يبدي أي مفاجأة، هو الذي، في خطبة بطرس يوم العنصرة، استشهد بقول يوثيل النبوي: "يتنبأ بنوكم وبناتكم" (١٧:٢)؛ قد يمكن الافتراض، على نحو صحيح، أن ذكر عذريتهن يشير، في نظر الراوي، إلى ان نساء متزوجات لا يستطعن أن يكن نبيات؛ ولكن هذا التأويل لا يفرض ذاته، نظراً إلى اقتضاب النص وإلى "الرؤية النسوية" الخاصة بلوقا: ففي الإنجيل، قدّم العذراء مريم، ولكن أيضاً أليصابات، وهي متزوجة، بصفتها تتكلمان بإلهام الروح القدس (لو ١:٤١ ي، ٤٦ ي). كما أعطى حنة، وكانت أرملة، لقب نبيّة (٢:٣٦). فعندما نحاول أن نؤول موقف بولس المتناقض ظاهرياً في ١ قور ١٤:٣٤ ي، ينبغي ألا ننسى أنه، في الرسالة ذاتها، تكلم على "نساء يتنبأن" (١١:٥)؛ وليس مكان هنا لحلّ الصعوبة التأويلية المتعلقة بفكر بولس في هذه الرسالة. لثقل مرة أخرى وببساطة أن إشارات العهد الجديد النادرة لا تسمح بتأسيس تعليم دقيق حول مسألة هي موضوع جدل إلى هذا الحد. لكن يجب أن نأخذها بعين الاعتبار في النقاش الجاري حول مكانة النساء في الحدم الكنسية.

ولكن نعود إلى قيصريّة، لنلاحظ، في هذا الحدث الوجيز، ان نبوءة أغابوس هي التي تُوضّح. فلقد عبّر، على مثال أنبياء إسرائيل القدماء، واضعاً في البداية عملاً رمزياً لافتاً (رج ١ مل ١١:٢٩ ي؛ إر ١٣:١ ي؛ إلخ)، فيأتي كلامه لينير المعنى الذي، في هذه الحالة، لا شيء فيه مُهم.

"هذا ما يقوله الروح القدس": يُفترض أن هذه الصيغة كانت مألوفة عند الأنبياء المسيحيين في مفتتح أقوالهم. واغابوس أعلن بدوره عن المحنة التي سيعانيها بولس من قبل اليهود في أورشليم (آ ١١). وستثبت الأحداث هذه النبوءة من حيث الجوهر: فسوقف بولس على إثر عداية اليهود، وسيتوجّب عليه أن يخضع لمحاكمة من قبل السلطات الرومانية. هذا التوقيف لن يتم بشكل حرّفي، إذ لن يُوثقه اليهود، "ولن يُسلموه إلى الوثنيين"، كما لاحظنا أعلاه. لكن لوقا احتفظ بهذه الصياغة، إذ إنها تُسهّم في الإشارة إلى الموازة بين آلام بولس وآلام يسوع (رج لو ٩:٤٤؛ ١٨:٣٢، وخاصة مر ١٥:١).

دُهِش الحضور بهذا الكلام النبوي، وشكّل رفاق بولس، هذه المرة، جوقة مع مسيحيي قيصريّة لحضته، كما فعل مسيحيو صور، "على عدم الصعود إلى أورشليم"

(آ ١٢). لقد تأثر بولس ازاء علامة المودّة هذه، لكنّه لا يريد أن يبيّن تحت تأثير اكتئاب بشريّ جدًّا (اكتئاب عرفه يسوع في الجسمانيّة): هو يقرّع إذاً أصدقاءه بطريقة خشنة بعض الشيء بهدف إبعاد تجربة الشفقة عليه بالذات. وها هو يكرّر تصميمه على أن يتألّم، لا بل أن يموت "من أجل اسم الربّ يسوع"، وذلك بمثابة صدى لما كان قد أكّده الرسل في ٤١:٥. إذّاك، لم يبق لأصدقائه الذين استنتجوا أنّه مصمّم على قراره، سوى الانحناء قائلين: "لتكن مشيئة الربّ" (آ ١٣-١٤). عند لوقا، الذي لم يدخل هذه الصيغة في الصلاة الربية (رج لو ١١:٢)، تصبح هذه العبارة صدىً لكلمة يسوع في جبل الزيتون (٢٢:٤٢). فهي لا تعبّر عن الاستسلام لأية قدريّة، بل عن قبول طائع لتصميم الربّ السريّ.

وحين تسرد آ ١٥-١٦، مع بعض التفاصيل، نهاية هذه الرحلة، فهي تعكس تعاطف تلامذة قيصرية الأحيويّ، وقد رافق بعضهم بولس وفريقه حتى أورشليم واهتمّوا بإقامتهم. وإنّ مناسون، "تلميذ الأيام الأولى"، غير معروف في أماكن أخرى. ولكونه من قبرص، كان على الأرجح هليّنيًّا كفيلبس، وعنده يشعر بولس بالراحة. إنّ القطع في نهاية آ ١٦ قابل للنقاش، طالما أن آ ١٧ هي الخاتمة السردية الطبيعيّة لرواية الصعود إلى أورشليم، في حين أن الإشارة الزمنية، "في اليوم التالي" (آ ١٨)، تتطابق غالبًا مع المقدّمة لرواية جديدة. لكنّ هذه الملاحظة الشكلية هي دون أهميّة تُذكر بالنسبة إلى معنى النصوص.

١٢. استقبال الإخوة لبولس في أورشليم وابعثاله في الهيكل (٢١: ١٧-٣٦)

- ١٧ فلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى أورشَلِيم رَحَّبَ بِنَا الإِخْوَةُ فَرِحِينَ.
- ١٨ وَفِي الْعَدِ دَخَلَ بُولُسُ مَعَنَا عَلَى يَعْقُوبَ، وَكَانَ الشُّيُوحُ كُلُّهُمْ حَاضِرِينَ.
- ١٩ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ يَرُوي لَهُمْ رِوَايَةً مُفَصَّلَةً جَمِيعَ مَا أَجْرَى اللهُ بِخِدْمَتِهِ بَيْنَ الْوَتَنِيِّينَ.
- ٢٠ فَلَمَّا سَمِعُوا مَجَّدُوا اللهَ وَقَالُوا لَهُ: "تَرَى، أَيُّهَا الأَخُ، كَمْ أَلْفٍ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ آمَنُوا وَكُلُّهُمْ ذُوو غَيْرَةٍ عَلَى الشَّرِيعَةِ.
- ٢١ وَقَدْ بَلَّغَهُمْ مَا يُشَاعُ عِنْدَكَ مِنْ أَنَّكَ تُعَلِّمُ جَمِيعَ الْيَهُودِ الْمُنْتَشِرِينَ بَيْنَ الْوَتَنِيِّينَ أَنْ يَتَخَلَّوْا عَنِ مُوسَى، وَتُوصِيَهُمْ بِأَلَّا يَخْتُونُوا أَوْلَادَهُمْ وَلَا يَتَّبِعُوا السُّنَّةَ.

- ٢٢ فما الْعَمَلُ؟ لا شَكَّ أَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ بِقُدُومِكَ.
- ٢٣ فاعْمَلْ بِمَا نَقُولُهُ لَكَ: فِينَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ عَلَيْهِمْ نَذْرٌ،
- ٢٤ فَاسْرُبْ بِهِمْ وَأَطْهَرْ مَعَهُمْ، وَأَنْفِقْ عَلَيْهِمْ لِيَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ، فَيَعْرِفَ جَمِيعُ النَّاسِ أَنَّ مَا يُشَاعُ عَنْكَ بَاطِلٌ، فِي حِينِ أَنَّكَ سَالِكٌ مِثْلَهُمْ طَرِيقَ الْحِفَاطِ عَلَى الشَّرِيعَةِ.
- ٢٥ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْوَثْنِيِّينَ فَقَدْ كَتَبْنَا إِلَيْهِمْ مَا قَرَّرْنَاهُ: بِأَنْ يَجْتَنِبُوا ذَّبَاحَ الْأَصْنَامِ وَالِدَمِّ وَالْمَيْتَةِ وَالْفَحْشَاءِ."
- ٢٦ فَسَارَ بُولُسُ بِأَوْلِيَتِكَ الرَّجَالِ فِي غَدِهِ، فَاطْهَرَ مَعَهُمْ وَدَخَلَ الْهَيْكَلَ وَأَعْلَنَ الْمَوْعِدَ الَّذِي تَنْقُضِي فِيهِ أَيَّامَ الْأَطْهَارِ لَكَ يُقَرَّبُ فِيهِ الْقُرْبَانُ عَنْ كُلِّ مِثْمِمْ.
- ٢٧ فَلَمَّا أَوْشَكَتِ الْأَيَّامُ السَّبْعَةُ أَنَّ تَنْقُضِي، رَأَاهُ بَعْضُ الْيَهُودِ الْأَسْيُورِيِّينَ فِي الْهَيْكَلِ، فَأَثَارُوا الْجَمْعَ بِأَسْرِهِ، وَبَسَطُوا إِلَيْهِ الْأَيْدِي
- ٢٨ وصاحوا: "التَّحْدَةُ، يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ! هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ جَمِيعًا فِي كُلِّ مَكَانٍ تَعْلِيمًا يَبَالُ بِهِ مِنْ شَعْبِنَا وَشَرِيعَتِنَا وَهَذَا الْمَكَانِ، لَا بَلْ أَدْخَلَ بَعْضُ الْيُونَانِيِّينَ إِلَى الْهَيْكَلِ، وَدَنَسَ هَذَا الْمَكَانَ الْمُقَدَّسَ."
- ٢٩ وَكَانُوا قَدْ رَأَوْا طَرُوفِمْسَ الْأَفْسُسِيِّ مَعَهُ فِي الْمَدِينَةِ، فَظَنُّوا أَنَّ بُولُسَ أَدْخَلَهُ إِلَى الْهَيْكَلِ.
- ٣٠ فَهَاجَتِ الْمَدِينَةُ بِأَجْمَعِهَا، وَتَبَادَرَ الشَّعْبُ وَقَبِضُوا عَلَى بُولُسَ وَحَرَّوهُ إِلَى خَارِجِ الْهَيْكَلِ، وَأَغْلَقَتِ الْأَبْوَابُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ.
- ٣١ وَبَيْنَمَا هُمْ يُحَاوِلُونَ قَتْلَهُ، بَلَغَ قَائِدُ كَنْيَبَةٍ أَنَّ أَوْرَشَلِيمَ كُلَّهَا قَائِمَةٌ قَاعِدَةٌ،
- ٣٢ فَسَارَ مِنْ وَقْتِهِ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنُودِ وَقَوَادِ الْمِائَةِ، وَأَسْرَعَ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا رَأَوْا قَائِدَ الْأَلْفِ وَجُنُودَهُ كَفُّوا عَنْ صَرْبِ بُولُسَ.
- ٣٣ فَدَنَا إِلَيْهِ قَائِدُ الْأَلْفِ فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِأَنْ يُشَدَّ بِسِلْسِلَتَيْنِ. ثُمَّ اسْتَخْبَرَ مَنْ عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ وَمَاذَا فَعَلَ.
- ٣٤ فَكَانَ بَعْضُهُمْ فِي الْجَمْعِ يُنَادِي بِشَيْءٍ، وَبَعْضُهُمْ يُنَادِي بِشَيْءٍ آخَرَ. فَلَمَّا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الصَّحِيحِ أَنْ يَعْلَمَ شَيْئًا أَكِيدًا، أَمَرَ بِأَنْ يُسَاقَ إِلَى الْقَلْعَةِ.
- ٣٥ فَلَمَّا بَلَغَ السُّلْمَ، اضْطُرَّ الْجُنُودُ إِلَى حَمَلِهِ بِسَبَبِ عَنَفِ الْجَمْعِ،
- ٣٦ لِأَنَّ جُمْهُورَ الشَّعْبِ كَانَ يَتَّبِعُهُ وَيَصِيحُ: "أَعْدِمْهُ!".

بولس "يهود" مع اليهود-المسيحيين في أورشليم (آ ١٧-٢٦)

ان رواية علاقات بولس مع كنيسة أورشليم تذكّر القارئ برواية الجمع الذي جرى الكلام عليه في الفصل ١٥. في بادئ الأمر، إنّه الترحاب الجيد، وعلاقة خدمته بين الوثنيين (آ ١٧-١٩؛ رج ٤:١٥) التي تؤدي بالإخوة إلى تمجيد الله (آ ٢٠؛ رج ١١: ١٨؛ ٣:١٥).

وسرعان ما نجد مخاوف الجماعة اليهودية-المسيحية: يخشى مسؤولوها، أي يعقوب والشيوخ، كل ما كان يقلق أعضاء هذه الكنيسة الذين بقوا محافظين على الشريعة اليهودية. يتم تقديمهم، بشكل لافت، على أنهم يهود قد آمنوا (معنى أنهم آمنوا بيسوع المسيح)؛ ومع بعض المغالاة ولا شك، يُزعم بأنهم ربوات (النسخة الليتورجية هي أقرب هنا إلى النص، مقارنة مع ترجمة الكتاب المقدس المسكونية التي تكتفي بالتكلم عن "آلاف"). لا ينسى يعقوب والشيوخ أن وساوس البعض منهم، حول ضرورة ختان الوثنيين المهتمدين، قد استبعدها القرار الذي كان قد أخذ سابقاً بتوافقٍ مشترك. وسيدكرون به في آ ٢٥.

إنّ همهم الحالي مرتبط بالضجة المثارة حول عمل بولس في ميادين تبشيره: هناك السنة سيئة تدعي الآن أنّه يخرّض اليهود الذين يعيشون في بلدٍ وثنيّ ألاّ يختنوا أولادهم، وبوجهٍ أعمّ أن يتخلّوا عن عاداتهم اليهودية. وبولس الذي كان يرفض أن "يهود" المسيحيون ذوو الأصول الوثنية، ها هو، على العكس، يُتهم —بأنّه "يوناني" اليهود/المسيحيين، ويدفعهم إلى الانشقاق -حرفياً، إلى الجحود- (آ ٢١)! لقد سحّلنا مثليين حول تصرف بولس يكذبان اتّهاماً كهذا: أخضع تيموتاوس للختان (١٦: ٣)، وهو نفسه التزم بشعائر النذير (١٨: ١٨).

لقد أكّد له محاوروه أنّهم شخصياً لا يريدون تصديق هذه الشائعة المغرّضة، غير أنّهم طلبوا منه أن يُقدّم علامة واضحة تمكّن من إقناع الذين اهتزت قناعتهم بشأن ولاءه للشريعة. ففي نظرهم، وضمن منطوق ما رسمه مجمع أورشليم -وقد تمّ التذكير به لهذه الغاية في آ ٢٥- لا تنطبق الحرية تجاه الطقوس اليهودية، والممنوحة للوثنيين المسيحيين، على المتحدّرين من الديانة اليهودية، كما لا تنطبق على بولس. عليه أن يُثبت بأنّه لا

يتنكر لانتماه لشعب الله الأوّل. وتزامنت المناسبة، تحديداً، إذ كان على أربعة رجال، هم بالتأكيد أعضاء في الجماعة اليهودية-المسيحية، أن يؤدوا طقوس تطهير، بعد الانتهاء من نذر (على الأرجح هو نذر نذير): فليشترك بولس بذلك علناً، وليأخذ على عاتقه الأعباء المادية المترتبة على ذلك، وسيدرك الجميع أنه ما من شيء صحيح حول التهم التي تدور حوله (آ ٢٣-٢٤).

رأى بعض المفسرين مشكلةً في صياغة آ ٢٥، متعجبين من أن يعقوب يبدو وكأنه يُطلع بولس على قرارات بخصوص المسيحيين من أصل وثني، في حين أنه كان مشاركاً في المجمع الذي اتخذ هذه القرارات!

إنها مشكلة مفتعلة، إذ ان لهذا التذكير ما يبرره، إن على مستوى الخطاب ذي التزعة الأبوية بعض الشيء تجاه بولس، وإن لإنعاش ذاكرة القارئ، وتلك طريقة مالوفة لدى لوقا. غير أن محرر النسخة الغربية أدرك هذه الصعوبة، فأدخل هذه الإضافة التي تزيل كل لغطٍ حولها: أما بالنسبة إلى الوثنيين الذين أصبحوا مؤمنين، فليس لدينا أي شيء نقوله ضدك. في الواقع [...] : يعتبر شيوخُ أورشليم أن بولس طبق بأمانة هذه القرارات في الجماعات التي أسسها، وأنه ما من أحدٍ يفكر في الاحتجاج عليه. وهذه الملاحظة، إذا ما أضيفت إليها ملاحظات أخرى من مثيلاتها، تدعم وجهة نظر الذين يرون في النصّ الغربيّ مراجعةً رمت إلى إدخال تصحيحات أو توضيحات على نصّ أعمال الرسل. بالنسبة إلى البعض، قد ترقى هذه المراجعة إلى "لوقا" بالذات، إذ أعاد النظر في كتابه.

وإذ يطبق بولس المبدأ الذي حدّده في ١ قور ٩ : ٢٠، يتبع، ومن دون نقاش، النصيحة التي أعطاها إياه الشيوخ. إنها إيماءة مُهدئة وبرهان على حسن النية. ومهما كان رأيه الشخصي في توجه اليهود-المسيحيين المحافظ، فهو لا يريد أن يتعرّض لخطر التخاصم مع الكنيسة الأمّ في أورشليم، ولا يُفسد حرية التحرك التي اعترفت له بها من أجل تبشير الوثنيين. وكان القيام بما هو مقترح يتطلب أن يذهب بولس إلى الهيكل مع الرجال الأربعة المشار إليهم، فيحدّد موعداً لتقدم القرايين، يتم بعد وقتٍ تطهير يدوم سبعة أيام (آ ٢٦). إلا ان هذا الحضور في المكان المقدّس لدى اليهود سيكون مناسبة الاضطهاد العلن. ولكن قبل الذهاب إلى أبعد من ذلك، هناك ملاحظة مزدوجة تفرض ذاتها.

نستنتج هنا أنه، بحسب لوقا، وبالرغم من الصراعات الأولى مع السنهدريم التي يُفاد عنها في الفصول ٣-٥، ومقتل إسطفانوس ويعقوب، وسَحْن بطرس (الفصلان ٧ و١٢)، استمرت جماعة أورشليم المسيحية بالتردد إلى الهيكل، في أواخر الخمسينات من القرن الأول (رج ملخص ٥: ٤٢). يجب أن نلاحظ أيضًا أننا بازاء آخر مقطع من أعمال الرسل يجري فيه الكلام على هذه الكنيسة: يبقى السرد متموضعًا في أورشليم طويلاً، غير أنه سيتمحور حول مصير بولس، ولن يقول لوقا كلمة واحدة عن ردات فعل الكنيسة تجاه ما يحصل للمرسل الذي مدحت سابقاً روح التضحية لديه (رج ١٥: ٢٦).

يجب ألا يُفسَّر، إلى ما فوق الحد، صمتُ نصِّ ما، وإن كان صمت هذا النص الأخير مُحيرًا. لا يسعنا ألا نفترض بأن اليهود-المسيحيين في أورشليم، لم تكن لديهم الجراءة للتورط في الوقوف إلى جانب بولس، وقد أضحي هدف حملة اليهود الغاضبة والمطالبة بقتله. هذا الحذر الكنسي الكبير ترك الرسول يعيش آلامه في عزلة تجعله يشبه في هذه النقطة بعزلة المسيح. سيقدّم تاريخ الكنيسة، وللأسف، أمثلة أخرى لموقف كهذا تنقصه الجرأة!

توقيف بولس في الهيكل (٢٧-٣٦)

إبتداءً من هنا وحتى نهاية الكتاب، ستشكّل "آلام" بولس، بالإضافة إلى محاكمته اليهودية، ومحاكمته الرومانية، مع كلّ المردودات التي ستنج عنها، سردًا حيويًا ومفصلاً جدًا. إن بعض المشاهد المبنيّة جيدًا، لن تتطلّب أبدًا أيّ تفسير، غير أننا لن ننسى أن لوقا لا يكتب مسلسلًا روائيًا، حتى وإن كان مثيرًا للاعجاب: يبقى سرده مشدودًا إلى مشروعه التبشيري، ومغذّي بملاحظات سيكولوجية أو لاهوتية من المهم إبرازها. هل لديه أيضًا، وهو يكتب هذا النصّ الأخير من مؤلفه، بعض من المهم الدفاعي؟ سنطرح على أنفسنا هذا السؤال ضمن إطارٍ أثير ادناه: هل سفر الأعمال هو مؤلف دفاعي؟

لم تكن سلطات الهيكل الدينية، كما كان الحال سابقًا مع بطرس ويوحنا، هي التي هاجمت بولس؛ فبولس لا يسعى قط إلى لفت النظر بواسطة إعلان إنجيلي قد يبدو لهم هدامًا: إنه فقط أحد المؤمنين أتى للقيام بعمل يفرضه الطقس اليهودي. غير أن بعض خصومه الشرسين عرفوه، وكانوا يهودًا من مقاطعة آسيا قد أتوا بلا شك للاحتفال بعيد

العنصرة. لم يترددوا من افتعال شغب في الهيكل بالذات، والقاء القبض على بولس، والقول عاليًا بأن هناك فضيحة، وكأنَّ وجوده في هذا المكان هو بمثابة تهديد رهيب لديانتهم. إنَّ النيرة التفخيمية والمبالغ فيها التي رافقت طلبهم النجدة، تذكر باتهامات ديميتريوس، وسيكون لباقي الرواية نقاط التقاء مع الانفعال الشعبي الذي أثاره الصّاعَة في أفسس (رج ١٩: ٢٥ ي).

إنَّ الإدعاءات المقدّمة ضده مُشابهة للاتهامات الموجّهة ضدَّ اسطفانوس (رج ٦: ١١ ي). ويُضيف اليهود إلى ذلك اتّهامًا يُشكّل وحده، بحسب شريعتهم، سببًا للحكم بالإعدام: **يكون بولس قد دَسَّ المكان المقدّس بإدخاله اليونانيين إلى الهيكل (آ ٢٨)!** إنَّها فرضية لا أساس لها ومجرد افتراء، حسب ما يشرح لوقا ذلك في آ ٢٩، مُظهرًا، في الوقت نفسه، أنَّ يهود آسيا كانوا مسبقًا قد لاحظوا في المدينة وجود عدوهم الكبير بمعية رفيقه طروفيمس، وهو يوناني مهتد من أفسس. وكما في الماضي، وفي أفسس تحديدًا، وقع اضطراب له طابع الشغب استحوذ على المدينة كلّها (رج ١٩: ٢٩)، كاد ينتهي بقتل الرسول بطريقة غوغائية خارج الهيكل، من دون التدخل الضروري لقائد الكتيبة الرومانية (حرفيًا: **قائد الألف**). إنَّه قائد الألف ليسياس (سنتعرّف إلى اسمه لاحقًا)، الشخصية الأساسية التي ستظهر ١٧ مرّة في الرواية حتّى ٢٤: ٢٢!

عندما تمّ تنبيه ليسياس، المسؤول عن النظام العامّ، إلى ما كان يجري، استدعى الفرقة وحلّص حياة بولس من خلال وضعه قيد التوقيف، وتلك كانت الوسيلة الوحيدة لإنقاذه من عنف الشعب الإجرامي. غير أنّه، عندما حاول الاستعلام عن هويّة هذا الرجل وعمّا كان يُلام عليه، لم يستطع الحصول على شيء مُحدّد، لأنَّ كلَّ واحدٍ في الحشد كان يصرخ بشيء مختلف: إنَّ انعدام الوفاق لدى جموعٍ غاضبة، هو مشابه دومًا، سواء كان المقصود يهودًا أم وثنيين (رج ١٩: ٣٢)! عندها قرّر قائد الألف سوقَ هذا الرجل إلى القلعة (برج أنطونيا الذي كان يشرف على جهة الهيكل الشماليّة الغربيّة، وكان يُستعمل كثكنة للكتيبة الرومانية). كان يتوجّب على الجنود حماية بولس، لأنَّ الشعب كان يصرخ: **"فَلْيُقْتَلْ!"** (آ ٣٦؛ رج لو ٢٣: ١٨).

١٣. أماج الحشد اليهودي يشهد بولس للرب الذي دعاه (٣٧:٢١ - ٢٢:٢٤)

٣٧ فلما أوشك بولس أن يدخل القلعة قال لقائد الألف: "أيجوز لي أن أقول لك شيئاً؟" فقال له: "أتعرف اليونانية؟"

٣٨ أفلست المصري الذي أثار منذ أيام أربعة آلاف فتاك، وخرج بهم إلى البرية؟"

٣٩ قال بولس: "أنا رجل يهودي من طرسوس قيليقية، مواطن مدينة غير مجهولة. فأسألك أن تأذن لي بأن أحاطب الشعب".

٤٠ فأذن له، فوقف بولس على السلم، وأشار بيده إلى الشعب، فساد السكوت. فأخذ يخطب فيهم بالعبرية قال:

١ "أيها الإخوة وأيتها الآباء، اسمعوا ما أقول لكم الآن في الدفاع عن نفسي".

٢ فلما سمعوه يخطب فيهم بالعبرية ازدادوا هدوءاً،

٣ فقال: "أنا رجل يهودي وُلدت في طرسوس من قيليقية، على أتي نشأت في هذه المدينة، وتلقيت عند قدمي جملائيل تربية موافقة كل الموافقة لشريعة الآباء، وكنت ذا حمية لله، شأنكم جميعاً في هذا اليوم.

٤ واضطهدت تلك الطريقة حتى الموت، فأوقفت الرجال والنساء وألقيتهم في السجن،

٥ وبذلك يشهد لي عظيم الكهنة وجماعة الشيوخ كلها. فمنهم أخذت رسائل إلى الإخوة، فسرت إلى دمشق لأوثق من كان فيها منهم، فأسوقه إلى أورشليم، ليعاقب.

٦ وبينما أنا سائر وقد اقتربت من دمشق، إذا نورٌّ باهرٌ من السماء قد سطع حولي نحو الظُّهر،

٧ فسقطت إلى الأرض، وسمعت صوتاً يقول لي: شاؤل، شاؤل، لماذا تضطهدني؟

٨ فأجبت: من أنت، يا رب؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده.

٩ ورأى رفقائي النور، ولكنهم لم يسمعوا صوت من خاطبي.

١٠ فقلت: ماذا أعمل، يا رب، فقال لي الرب: قم فاذهب إلى دمشق، تحبر فيها بجميع ما فرض عليك أن تعمل.

١١ على أنني عدت لا أبصر لشدة ذلك النور الباهر. فاقنادي رفقائي باليد حتى وصلت إلى دمشق.

١٢ وكان فيها رجل يدعى حننياً تقياً محافظاً على الشريعة، يشهد له جميع اليهود المقيمين هناك،

- ١٣ فأتاني ووقف بجانبِي وقال لي: يا أخي شاول، أبصِرْ. وفي تلك الساعة رفعتُ طرفي إليه.
- ١٤ فقال: إنَّ إلهَ آبائنا قد أعدَّكَ لنفسه لتعرفَ مشيئته وترى البارَّ وتسمع صوته بنفسه.
- ١٥ فإنَّك ستكونُ شاهداً له أمامَ جميعِ الناسِ بما رأيتَ وسمعتَ.
- ١٦ فما لك تتردَّدُ بعد ذلك؟ فمَ فاعتمدْ وتطهَّرْ من خطاياك داعياً باسمِهِ.
- ١٧ ثمَّ رجعتُ إلى أورشليم، فبينما أنا أصلي في الهيكل أصابني جذبٌ.
- ١٨ فرأيتُهُ يقولُ لي: أسرعْ فاخْرُجْ على عجلٍ من أورشليم، لأنَّهم لن يقبلوا شهادتك لي.
- ١٩ فقلتُ: يا ربِّ، هم يعلمون أنَّي كنتُ في كلِّ مجمع أسجن المؤمنين بك، وأضربهم بالعصي،
- ٢٠ وأنِّي كنتُ حاضراً حين سَفَكَ دَمَ شهيدك إسطفانس، وكنت موافقاً على قتله،
- محافظاً على ثياب قاتليه.
- ٢١ فقال لي: اذْهَبْ، إنِّي مرسلُكَ إلى بلادٍ بعيدة، إلى الوثنيين".
- ٢٢ وكانوا يُصغون إليه حتَّى فاه بهذه الكلمات، فرفعوا أصواتهم قالوا: "أزلْ مثلَ هذا الرجلِ عن وجهِ الأرض، فلا يجوزُ أن يبقى حياً".
- ٢٣ وأخذوا يصرخونَ ويطرحون ثيابهم ويدرُّون التراب في الهواء،
- ٢٤ فأمر قائدُ الألف بأن يُدخل القلعة ويُستجوبَ وهو يجلد، ليعلمَ لأيِّ سببٍ كانوا يصيحون عليه ذاك الصياح.

أمامَ الجموع (آ ٣٧-٤٠)

تشهد هذه المقدِّمة السردية القصيرة للخطاب الذي سيلي، على وضع استثنائي بالفعل. نلاحظ أولاً برودة أعصاب بولس المدهشة؛ وإذ جرى التعرُّضُ له وإطلاقُ صيحات الاستهجان في وجهه من قبل الحشود التي كادت تصل إلى غايتها، كان لا بدَّ له أن يسارع إلى وضع حاجز ضخم بينها وبينه بسُمك حائط قلعة أنطونيا! غير أنَّه لم يشأ أن يسجن قبل أن يحاول تبرير نفسه أمام هذا الشعب الثائر الذي هو شعبه.

لم يكن الوقت مؤاتياً إطلاقاً لكي يُسمع صوته، إلا ان ذلك لا يهمه: يتحدث هذا المتكلم الذي لا يكلُّ، باليونانية، إلى قائد الألف، مما أثار دهشته، وقد كان يظنُّ أنَّ بولس مشاغب مصري! ورغم غرابة الوضع، إذ انه سُجِرَ بطريقة تصرَّف هذا السجين،

سمح له بأن يكلم شعبه، حسب طلبه. وكان لا بد أن يشعر الكثيرون من هذا الجمع بالذهول، هم أيضاً، لرؤيتهم بولس واقفاً على درج القلعة، وهو يومئ إليهم بأنه يريد أن يكلمهم! ومن شدة صدمتهم، توقّفوا عن الصراخ، وصاروا أكثر انتباهاً عندما تبين لهم أن بولس يتحدث إليهم بالآرامية (حرفياً: في اللغة العبرية؛ تفضّل الترجمة الليتورجية التفسير الأكثر قبولاً، إذ كانت الآرامية اللغة التي يتمّ التخاطب بها بشكلٍ واسع بين يهود فلسطين). ويُشير تعليق آ ٢ الذي يقطع خطاب بولس، بعد جملة الأولى، إلى المفعول الذي حصل؛ فلقد ساد صمت كبير، وازدادوا هدوءاً!

خطاب بولس الدفاعي (آ ١-٢٤)

كما فعل بطرس مبرراً نفسه أمام كنيسة أورشليم (١١: ١-١٨)، لن يدخل بولس في جدل لاهوتيّ قد يصبح، بشكلٍ خاصّ، خارج الظرف؛ ولكنّه، للدفاع عن نفسه، سيخبر عن التحوّل الحارق الذي حصل له وهو في طريقه إلى دمشق. يعرف القارئ مسبقاً الحدث الذي رواه لوقا، في سياقه التاريخي، وقد قدّم فيه الأمور بشكلٍ موضوعي. لكن الإشارة إليه هنا، ترد بشكلٍ شخصي أكبر، من وجهة نظر بولس ذاته، ويهدف أداء الشهادة، وضمن ظروفٍ خاصّة جدّاً. لن يذكر الراوي إذاً بعض الجوانب التي لا تشكّل أهميّة كبرى لمستعميه؛ بالمقابل، سيتخذ خطابه، هنا وهناك، شكل مرافعة بواسطة إضافات ذكيّة، هادفة إلى إقناع الذين يستمعون إليه. تُرجع القارئ إلى تفسير الفصل ٩، في ما يتعلّق بكلّ النقاط التي ورد ذكرها في الرواية الأولى، أكان حرفياً أم مع بعض الفروقات الصغيرة. نلاحظ هنا الفروقات المميزة ونشدد على الجوانب الخاصّة في هذا الخطاب. ولما كانت هناك رواية ثالثة لهذا الاهتداء/الدعوة في الفصل ٢٦، سنستخلص، في إطار خاص، المقارنة بين هذه الروايات الثلاث، وهي مهمّة لاكتشاف الحرّيّة الكبيرة في الكتابة عند لوقا، في خدمة المعنى العميق للحدث (انظر الاطار: الروايات الثلاث لدعوة بولس).

آ ٣-٥

يبدأ بولس بالتأكيد على هويّته بصفته يهودياً مضطهداً للمسيحيين قبل تحوّله، مخاطباً إياهم كأخوة وآباء، ومصراً على إفهام الذين يسمعون أنّه واحدٌ منهم، ليس فقط

لأنه ولد يهودياً، في الشتات، بل لأنه أتى ليتعلم في مدينتهم، المكان الأمثل للعلم اليهودي. يجب الملاحظة في هذا السياق أن لوقا، بلمسات صغيرة، أكمل لقارته، شيئاً فشيئاً، ملامح من حياة هذه الشخصية (رج ٧: ٥٨؛ ٨: ١؛ ٩: ١١). نعرف الآن أنه كان في أورشليم تلميذاً جملائياً، الذي كان عضواً في السنهدريم، وعالمًا في الشريعة ذا مهابة لدى الشعب كله، كما شدد لوقا على ذلك في ٣٤: ٤.

وفي ظرف الخطاب، لدينا مرجع هام: يطلع الشعب على أن بولس تلقى تعليمه بطريقة مستقيمة جداً في شريعة آبائنا (يُعنى دائماً بأن يتكلم كيهودي). هذه التشنئة أدت به إلى الدفاع عن قضية الله بغيره كبيرة (أو أن يكون "مناصرًا متشدداً لله"، بحسب الترجمة المسكونية للكتاب المقدس)؛ يضيف بولس بمهارة: كما هي حالكم اليوم أنتم جميعاً! بهذه الطريقة يُطمئن مستمعيه، مع بعض الإطراء، على هذه الغيرة الحقيقية لقضية الله. وبالأكثر، حين أشار إلى "اليوم"، فهو إنما لَمَّح ولا شك إلى عدائهم تجاهه، بصفته خير شاهد على هذه الغيرة المتوحشة، ويعترف بطيبة نواياهم، وكأنه يقول: "أنا أستطيع أن أفهمكم، لأنني أنا ذاتي قد اضطهدتُ المسيحيين حتى الموت، ظناً مني أنني كنت بذلك أخدم مجد الله!" وهذا هو المعنى المستتر لهذا الجزء من الخطاب، وكان بوسع الشعب ان يدركه. ولكي يشهد على حقيقة رسالته الشرعية ضد أتباع هذه الطريقة، في دمشق، هوذا يلجأ إلى شهادة عظيم الكهنة والشيوخ: ان تاريخ هذه الأحداث يرقى إلى أكثر من عشرين عاماً، ولا بد أن يتذكر ذلك كثيرون.

١٠-٦١

عند ذلك يتم استذكار اللقاء الخارق على طريق دمشق. إن قراءة، ولو سريعة، تلمس الطابع النمطي لرواية هذا الحدث (رج ٩: ٣-٧؛ ٢٦: ١٣-١٥). نلاحظ ثلاث إضافات صغيرة نسبةً إلى الرواية الأولى. يحدث ذلك عند الظهر، وإذا بنور ساطع يلف بولس (يجب فعلاً أن يكون ساطعاً لكي يبهر في منتصف الظهر). ويقدم يسوع ذاته بصفته الناصري، ويضيف لوقا إلى الحوار هذا السؤال: ما الذي يجب أن أفعله، يا رب؟ هذه التفاصيل تضيف الطابع "المعاش" على شهادة بولس، من دون تشويه المعنى الرواية.

في المقابل، يبدو أن بداية آ ٩ تناقض ٧:٩. كان لوقا قد كتب بان رفاق بولس كانوا يسمعون الصوت، غير أنهم لم يكونوا يرون أحداً. ففي ذاكرة بولس، كانوا يرون النور، ولكنهم لم يكونوا يسمعون الصوت! لو كان المقصود تحقيماً بوليسياً، لكان من المهم الحسم بين هاتين الروايتين. أما في ما يتعلق بما ينبغي للقارئ أو المستمع أن يتلقاه، فيكون التناقض ظاهرياً فقط. ففي الحالتين، يريد النص أن يوحي بذهول هؤلاء الرفاق أمام حدثٍ مثير جداً، لا يستطيعون أن يدركوا معناه، لأنه يخص بولس، وبولس وحده.

١١٦-١١٧

يشكّل اللقاء مع حننياً موضوعاً لروايةٍ منتقصة (٦ آيات بدلاً من ١٠). كان لوقا قد سطر للقارئ الطابع الرائع لهذا اللقاء الذي أعده الربّ (باسلوب الرؤية المزدوجة)، ونقل حواراً طويلاً استودع فيه يسوع مقاصده لحننيا كمي يتغلب على اعتراضاته (٩: ١٠-١٦). ولما كان بولس على عجل للوصول إلى ما هو جوهرى، فقد تجاهل هذا العرض التقديمي المعقد، فروى، من وجهة نظر تجربته المعاشة، زيارة حننيا المنجدة، ونظره المستعاد، ومعموديته.

بيد أنه من أجل مستمعيه، يُعنى بإعطاء شهادة أمانة للشريعة عن حننيا: إذا كان قد أصبح مسيحياً، وهذا ما يظهر من تصرفه تجاه بولس، فهو يهودي-مسيحي صالح؛ وها هو، على مثال بولس، يقول: إنَّ إله أجدادنا قد أعدك (آ ١٤). بذلك يستمرّ غرز المسمار بالنسبة إلى المستمعين اليهود: ذلك ان دعوة بولس غير العادية تدرج في استمرارية إرادة هذا الإله الذي هو إلههم. لكننا نتذكر أنه، في السرد الأول، لم يكن حننيا قد قال شيئاً لبولس عن الإيحاءات التي تلقاها بشأنه، بما يتعلق بدوره في تصميم الله. ويعتقد بولس، من جهته، أنه يتذكر، منذ ذلك الحين، بلسان الذي شفاه وعمّده، انه علم أن الربّ قد أعدّه ليكون شاهداً له أمام كلّ البشر (آ ١٥).

١٧٧-٢١

يضيف بولس عنصراً جديداً، لم يردّ في أي مكانٍ آخر (ما من تلميح إليه، لا في الأعمال ولا في الرسائل). لكننا نرى أهميّة ذكره هنا. لقد أوقف بولس بتهمته تدمير

الديانة اليهودية في هيكل اورشليم. غير أن بولس أتى إلى هذا الهيكل للصلاة من بعد انقلابه، وهذا برهان على أنه لم ينكر انتماءه إلى شعب الله. وهنا وقع في انخفاف (رج بطرس في ١٠: ١٠)، وأكد له الرب مباشرة دعوته كرسول إلى الأمم الوثنية (آ ٢١).

يستفيد بولس من هذه الذكرى لكي يشدّ انتباه المستمعين إليه، بنقله حواراه مع الرب الذي طلب منه أن يترك اورشليم سريعاً، لأنهم لن يقبلوا شهادتك. غير أن بولس اعترض قائلاً أن لأهل اورشليم بالعكس، ما يمكنهم من التأثير بانقلابه غير المتوقع، وهم الذين يعرفونه أنه مضطهد حاقد على المسيحيين، وقد كان مسروراً لدى مقتل إسطفائس! لم يكن الرب قد ارتضى ان يجيب على هذا الموضوع، ولكن إذا ذكر بولس به، فلن يبقى حجة ترزعزع، كما يعتقد، الذين يستمعون إليه اليوم. "كنت فعلاً مضطهداً حاقدًا ضد الرسالة المسيحية، مثلكم (رج آ ٣): ويجب أن تفهموا أن استدارتي المفاجئة لا يمكن أن تأتي إلا من تدخل من هنا".

غير أن الحجة لم تلق أيّ صدَى. لم يحفظ المستمعون سوى الجملة الأخيرة حول الإرسال إلى الأمم الوثنية. ولكونهم تناسوا كل الآفاق الشمولية التي فتحها الأنبياء، ارجعهم هذا الكلام إلى اتهام يهود آسيا، مصدر كل هذا الشغب: يجوب هذا الرجل العالم كله لكي يشوه ديانتنا! لقد دسّ مكاننا المقدس! وبمظاهرات حاشدة، نراهم يطلبون مجدداً، وبصرخات مرتفعة، موت هذا الشخص الذي لا يستحق الحياة. حينذاك وضع قائد الألف حداً لهذا الشغب بإدخال بولس إلى القلعة، ولكنه أمر بإخضاعه للتعذيب حتى يُقَرَّ بالمساوى التي أثارت معثرة كهذه بين الشعب (آ ٢٢-٢٤).

١٤- بولس مواطن روماني (٢٢: ٢٥-٢٩)

^{٢٥} وهَمُّوا أَنْ يَسْطُوهُ لِيَضْرِبُوهُ بِالسَّيَاطِ، فَقَالَ لِقَائِدِ الْمَائَةِ، وَكَانَ قَائِمًا إِلَى جَنْبِهِ: "أَيَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَجْلِدُوا رَجُلًا رُومَانِيًّا وَتُحَاكِمُوهُ؟"

^{٢٦} فَلَمَّا سَمِعَ قَائِدُ الْمَائَةِ هَذَا الْكَلَامَ، ذَهَبَ إِلَى قَائِدِ الْأَلْفِ وَأَطْلَعَهُ عَلَى الْأَمْرِ وَقَالَ: "مَاذَا تَفْعَلُ؟ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ رُومَانِيٌّ."

^{٢٧} فَجَاءَ قَائِدُ الْأَلْفِ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: "قُلْ لِي: أَنْتَ رُومَانِيٌّ؟". قَالَ: "نَعَمْ".

٢٨ فَأَجَابَ قَائِدُ الْأَلْفِ: "أَنَا أَدَيْتُ بِمِقْدَارٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ حَتَّى حَصَلْتُ عَلَى هَذِهِ الْجَنَسِيَّةِ". فَقَالَ بُولُسُ: "أَمَّا أَنَا فَفِيهَا وَلِدْتُ".

٢٩ فَتَنَحَّى عَنْهُ وَقَتْنِذٍ مَنْ كَانُوا يُرِيدُونَ اسْتِجْوَابَهُ وَخَافَ قَائِدُ الْأَلْفِ نَفْسَهُ لَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ رُومَانِيٌّ وَقَدْ اعْتَقَلَهُ.

أشارت آ ٢٤ إلى أن التعذيب بواسطة السوط كان هدفه جعل السجين يقرّ بجرمته. وبحسب القانون الروماني، كان مشروعاً تطبيق هذه الطريقة على العبيد والأغراب. لقد كان بولس يعرف هذا القانون، لذا طالب بالشرعية التي تُخترق، بسؤاله إذا كان من حقهم ان يجلدوا مواطناً رومانياً. كان اعتراضه نبيلاً في الشكل، ولكنه كان حازماً بحيث شكّل سلسلة من الحوارات الصغيرة بين قائد المئة وقائد الألف، وبين قائد الألف والسجين، وقد أخذوا على حين غرة.

تمكّنا حاشية في الترجمة المسكونية للكتاب المقدّس، محمّلة بالمعلومات من فهم تلميحات قائد الألف وبولس، المتعلقة بالمواطنة الرومانية:

"أغلب الظنّ، ان قائد الألف كلاوديوس ليسياس قد حصل عليها مؤخّراً، في عهد كلوديوس (٤١-٤٥): كانت قد جرت العادة أن يأخذ المواطنون الرومان الجدد اسم الإمبراطور الحاكم. وكان بولس قد حصل على هذا الحق عبر أحد الأجداد حصل عليه حين كان القيصر قد منح المواطنة ليهود قيليقية، أثناء حملته ضدّ فرناس. ومن شدّة تأثره، استغنى قائد الألف إذاً عن الطريقة البوليسية التي كان يبغى تطبيقها على بولس، وراح يبحث عن طريقة أخرى لكي يحلّ هذه المسألة المخرجة.

الروايات الثلاث لدعوة بولس

من الممكن وضع نصوص رسل ٩: ١-٢٣ (نص أول)، ٢٢: ١-٢٢ (نص ثانٍ) و ٢٦: ١-٢١ (نص ثالث)، بشكلٍ إزائيّ، ضمن أعمدة ثلاثة، لتسهيل المقارنة في ما بينها. في حالة الموازنة بين الأناجيل الإزائية، يُعتمد التمييز بين الكتاب لتفسير الفروقات أو عدم التوافق في روايات المشهد ذاته. هنا يجب إيجاد تفسير آخر، لأنّ النصوص الثلاثة هي بقلم كاتبٍ واحد.

لنذكر أولاً بالنقاط الأساسية المشتركة، وهي على الأرجح ترجع إلى تقليد شفهي للحدث، قد يكون محفوظاً في كنيسة دمشق. نحن نجهل إذا كان بولس ذاته قد أخبر رفاقه عن انقلابه (تحدثت الرسائل عن ذلك من دون أيّ تفصيل سرديّ، إذ لم يكن هناك مجال لإعطائها). في سفر الأعمال، هناك تطابق قويّ في الحوار بين شاول ويسوع. (الإزائيون ينقلون أيضاً غالباً، بشكل مماثل ثبتته التقليد، أقوالاً حاسمة ليسوع، في حين أنّ الإطار السرديّ ممتلئ بالاختلافات). تسلط الروايات الثلاث الضوء على دعوة بولس المحددة، وهو مختار ليكون شاهداً ليسوع أمام الأمم الوثنية. والروايات الثلاث ترينا أيضاً المضطهد الذي أصبح بدوره مضطهداً، بسبب التغيير الذي لا يُصدّق في التوجّه.

من بين الاختلافات المعبرة، نلاحظ أولاً تلك التي ترجع، ببساطة، إلى فنّ الراوي وهمّه في تنشيط اهتمام القارئ: من الرواية الأولى إلى الثالثة، هناك تكثيف ملحوظ في المعلومة المسبقة من ان شاول مضطهد. نلاحظ أيضاً وتيرة متصاعدة في وصف ظاهرة النور التي تلقي شاول أرضاً. كما إنّ للملاحظات المتباينة حول ردّات فعل الرفاق المعنى ذاته في العمق، وقد استطاع لوقا تدوينها في نصّه مع شيء من الدهاء، وكأنّها علامة عن قلة دقة الذكريات لدى شهود عيان على حدثٍ ما، مما يدافع بالأحرى عن أصالتها.

وهناك اختلافات أخرى، سواء كانت إغفالات أو إضافات لبعض العناصر المهمة، تُفسّر من خلال غاية الكاتب الخاصة، بصدد المكان حيث الرواية الأولى، ومن ثمّ الخطابان، تندرج كلها في روايته الشاملة. هكذا هو الحال في الرواية الأولى حيث الحوار بين حننيا والربّ يصبح بمثابة إنباء مُسبق للقارئ، في حين أنّ المعنىّ بالإمر لا يزال مجهله، بشأن الخدمة المستقبلية، وحتىّ بشأن "آلام" بولس. سيكون من النافل التكرار (في الرواية الثالثة، يخفي حننيا كلياً). وفي الرواية الثانية، تتناسب رواية الرؤيا في الهيكل بشكلٍ خاصّ مع خطاب أريد منه إقناع الشعب بالتجنّد اليهودي لبولس وبدعوته. أما في الرواية الثالثة، من أجل شهادته أمام الملك

أغريبًا، فيضيف بولس بشكل مألوف جدًا طريقة منمّقة للدخول في الموضوع، ويؤكد على المفارقة في أنه أصبح موضوع اتهام لأنه يبشّر بتحقيق الوعود المعطاة لإسرائيل؛ بعد هذه المقدّمة التي تشكّل جزءاً من منظومة دفاع بولس، يختار أن يركّز كلّ شيء على لقاء المسيح على طريق دمشق، وقد تحوّلت إلى رواية دعوة حيث يبشّره الربّ منذ البداية بما ستكون عليه رسالته. انه المعنى العميق لهذه الرسالة التي أراد بولس إفهامها للملك، كما انها، بالوقت عينه، بالنسبة إلى لوقا، مناسبة ليقدّم للقارئ خلاصة شاملة لكلّ الروايات السابقة، مؤكّداً أنّ هذه الرسالة تتطابق مع مخطّطات الله. وإنّ الهدف الخاصّ من هذه الشهادة (الرواية الثالثة) استطاع، دون أن يسيء، أن يسكت عن عمى بولس، وعن شفائه ومعموديّته، مما يقلب قليلاً التسلسل الزمنيّ.

سيتمّ تجنّب الكثير من المشاكل إذا كتنا واعين أنّ أيّاً من النصوص الثلاثة لم يكن تقريراً عن الحدث، إنّما بناءً تعليمياً يريد إظهار المعاني العميقة من وراء الحدث.

١٥- بولس أمام مجلس إسرائيل الأكبر (٢٢: ٣٠ - ٢٣: ١١)

٣٠ وأراد في الغد أن يعرف معرفة أكيدة ما يتهمه به اليهود، فحلّ وثاقه، وأمر عظماء الكهنة والمجلس كلّهم أن يجتمعوا، ثمّ أنزل بولس فأقامه أمامهم.

١ فحدّث بولس إلى المجلس وقال: "أيتها الإخوة، إنّني بكلّ نيّة حسنة سلكت سبيل الله إلى هذا اليوم".

٢ فأمر حننيا عظيم الكهنة الذين بجانيه بأن يضربوه على فمه. فقال له بولس:

٣ "سيضربك الله، أيّها الحائط المكلّس، أتجلس لمحاكمتي بسنة الشريعة، وتخالِف الشريعة فتأمر بضربي؟"

٤ فقال الذين بجانيه: "أنتشتم عظيم كهنة الله؟"

- ٥ قال بولس: "لم أدر، أيها الإخوة، أنه عظيم الكهنة، فقد كتب: "رئيس شعبي لا تقل فيه سوءاً".
- ٦ وكان بولس يعلم أن فريقاً منهم صدوقي وفريقاً فريسي، فصاح في المجلس: "أيها الإخوة، أنا فريسي ابن فريسي، فمن أجل الرجاء في قيامة الأموات أحاكم".
- ٧ فما قال ذلك حتى وقع الخلاف بين الفريسيين والصدوقيين، وانقسم المجلس.
- ٨ ذلك بأن الصدوقيين يقولون بأنه لا قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرون بها جميعاً.
- ٩ فعلا صياح شديد، وقام بعض الكتبة من فريق الفريسيين، فاحتجوا بشدة قالوا: "لا نجد ذنباً على هذا الرجل، فلربما كلمه روح أو ملاك".
- ١٠ واشتد الخلاف، فخاف قائد الألف أن يمزقوا بولس تمزيقاً، فأمر الجنود، بأن يترلوا إليه ويتزروه من بينهم، ويرجعوا به إلى القلعة.
- ١١ وفي ليلة الغد حضره الرب وقال له: "تشدد، فكما أدت الشهادة لأمرى في أورشليم فكذلك يجب أن تشهد في رومة أيضاً".

اختار قائد الألف طريقة تبدو حكيمة ليعرف أي موقف يأخذ من سجينه: أن يضعه في مواجهة مع الذين يتهمونه؛ لا يستطيع طبعاً أن يستجوب شعب أورشليم كله، لذلك استدعى عظماء الكهنة والسنهدريم كله (الذي تنقله الترجمة الليتورجية على عادتھا، بـ"المجلس الكبير"؛ رج ٤: ١٥؛ ٥: ٢١). هوذا يترل بولس من القلعة ويسوقه أمامهم، وعلى الأرجح إلى قاعة اجتماعهم في الهيكل. سيمثل بولس إذاً بصفته متهم أمام سلطات شعبه القضائية العليا، كما مثل يسوع من قبله، والرسل أو إسطفانوس. غير أنه لا توجد أية صورة نمطية لروايات الاعتقال تلك، إذ لكل نصّ فرادته.

هنا، وبشكل غريب، يبدو بولس هو الذي يبدأ بالكلام أولاً، قبل أن يستجوب، وذلك لكي يقدم نفسه أمام السنهدريم بصفة يهودي أمين، وليس على ضميره أي ملامة بالنسبة إلى سلوكه أمام الله (آ ١: يتضمن الفعل المستعمل سمة بسيطة لتصرف مسؤول، تصرف "مواطن الله"). لم يلق هذا الكلام استحساناً لدى عظيم الكهنة، وقد بدا انه انزعج من الطريقة التي بها صوّب بولس عينيه على الذين كانوا متأهين لمحاكمته، وتلك علامة رجل واثق من نفسه، ولكن قد تبدو أيضاً علامة رجل متعجرف. وحنانياً

(وهو عظيم كهنة من عام ٤٧ إلى عام ٥٩) أمر بضربه على فمه ليعاقبه على وقاحته، فجلب على نفسه رداً ساخرًا: وصفه بولس حرفياً بأنه **حائط مُبَيَضٌ**، وهي من دون شك صورة مستوحاة من النبي حزقيال حين كان يندد بالأنبياء الكذبة ويُبنى بسقوطهم (حز ١٣: ١٠ ي). وقد أدته الترجمة الليتورجية، بشكل سطحي، بكلمة **مراثي**.

كما في الحلقة السابقة، عزم بولس على ألا يدعهم يقمعونه، مستخفين بالشرعية. ليس أنه يرفض التآلم من أجل سيده، بل لأن التواضع المسيحي، بالنسبة إليه، لا يقوم على قبول كل شيء بخنوع. فان شهادة المؤمن الحقيقي تفترض الجرأة على حمل الذين تلقوا سلطاناً على الآخرين ويستغلونه، على ان يلزموا حدودهم. فباسم القانون الروماني طالب بالألّا يتمّ جلده بشكل غير قانوني. وباسم الشريعة اليهودية التي على السنهدريم أن يفرض احترامها، يحتجّ الآن على الأمر الذي لا مبرر له بضرب متهمّ أعزل. وهكذا يذكر موقفه بموقف المسيح في الحالة ذاتها (رج يو ١٨: ٢٣)، ولكن مع حتمية شتيمة إضافية!

لقد اعتذر بولس عن هذه الاهانة عندما أُعلِمَ أنه شتم عظيم الكهنة، ممثلاً الله لدى الشعب، مقتبساً من خر ٢٢: ٢٧، ومُظهرًا بذلك معرفته للتوراة واحترامه للسلطة التي أسّسها الربّ (رج روم ١٣: ١ ي). ولكن، في عمق الأمور، فان رسالتهم العليا في أن يخدموا عدالة الله، هي التي تقضي من المؤمن أن يقف في وجه هذه السلطات عندما تخرج عن دورها وتُسيء استعمال سلطتها. لذا لم يسحب بولس اعتراضه المبرر، لكنّه ندم فقط لأنّه **تكلم بالسوء على عظيم الكهنة**، وذلك يُعتبر بمثابة اهانة.

بالرغم من ذلك، لم يتراجع بولس ولم يُفرض عليه الصمت، بل على العكس بقي متحكماً بالجدال بجرأة! وأهمنته معرفته بالدين اليهودي في عصره وبتركية السنهدريم، مرافعة ذكية جداً. فللتأكيد على ضميره المستقيم كيهودي تقيّ، أعلن بصوت قويّ ما يلي: **أيها الإخوة، أنا فرّيسيّ ابن فرّيسيّ**. بالنسبة إلينا نحن القراء، اصبح لدينا إيضاح يكمل بطاقة هوية الرسول (وهي مثبتة من قبل بولس عن طريق تعداد ألقابه اليهودية القديمة المحيطة، في فل ٣: ٥). ويُضيف بولس: **من أجل الرجاء في قيامة الأموات أحاكم** (آ ٦). ليس هذا دقيقاً بالكليّة، بخصوص الأسباب المباشرة لمحاكمته، وقد أثارها تُهم

يهود آسيا (رج ٢١: ٢٨). ولكنه صحيح في العمق: إذا أعلن بولس، على غرار بطرس والرسل، أن يسوع هو المسيح، ذاك الذي صُلب، فلائِه أُقيم من بين الأموات. وبالتالي، يشكّل هذا الحدث باكورة القيامة العامّة التي تعترف بها الحركة الفريسيّة بأنّها بند إيمانيّ (رج "التعليم" الذي تلتته مرتنا، في يو ١١: ٢٤).

وهكذا يواصل بولس خطّ دفاعه في خطابه للجموع: هناك استمراريّة بين إيمانه اليهوديّ وبين اهتدائه إلى يسوع المسيح. غير أنّ هذه الصياغة هي هنا جزء من عمليّة حسابيّة ذكية. يعرف بولس أن الإيمان بالقيامة يعتبره حزب الصدوقيين المحافظ ابتكاراً خطيراً. إذ لا يوجد أيّ أثر له في شريعة موسى! تلك كانت إحدى نقاط الخلاف الرئيسيّة بينهم وبين الفريسيين، ويعلم بولس أن الطرفين مُثّلان في هذا التجمّع!

وكما كان يتوقّع، أثار إعلائه هذا انقسام المجلس الأعلى. وهوذا لوقا، ببضعة أسطر، يقوم بتشخيص النزاع بواسطة موهبته المعهودة. انه يُظهر لنا أنّ المصالح المتضرّرة لتجمّع ما أو الغضب اللامعقول لجمهور مُغرّر به، ليست وحدها وراء الفوضى والعنف: فحين يتحكّم "الغضب اللاهوتي" بالأذهان المتدنيّة، يمكنه أن يقود إلى أسوأ التجاوزات!

أمام تشكك وجهاء الصدوقيين، راح بعض الكتبة، وهم لاهوتيون مكرّسون لتعليم الشريعة، يدافعون عن بولس، لأنّه كان واحداً منهم بصفته فريسيّاً، ولأنّهم في المعسكر نفسه، من حيث إيمانهم بالقيامة! ها هم يعلنون أنّهم لم يجدوا أيّ سوء في هذا الرجل، كما كان ييلاطس قد قال ثلاث مرّات بشأن يسوع، في لو ٢٣. في السابق، لم يستطع جملاطيل، وهو عالم فريسيّ، ان يذهب إلى أبعد عندما أوصى السنهدريم بأن يأخذوا موقفاً مترتباً وحكيماً من مسألة الرسل (رج ٣٤: ٥).

وعندما أصبح الجدال عنيفاً جدّاً، هوذا قائد الألف، وقد أصبح همّه حماية حياة هذا السجين المُدهش، والمواطن الرومانيّ، يتدخّل في الوقت المناسب لانتزاع بولس من هذه المعمعة التي كادت تقطّعه إرباً، وإرجاعه إلى القلعة. قد يكون لهذا الضابط الوثنيّ ذي المرتبة الرفيعة نظرة متدنيّة لهذا المجلس الأعلى الذي انتظر منه إيضاحاً محدّداً عن شكاوى اليهود ضدّ بولس! لم يتقدّم إذاً في تحقيقه، وعلى الأرجح لم يشكّ في التقلّبات التي ستعرفها هذه المسألة المخرجة جدّاً! وسيسردها لوقا مع الكثير من التفاصيل، الأمر الذي يجعل من هذا الجزء من الكتاب رواية بالفعل.

ولكن، قبل ذلك، أنهى رواية هذا النهار الساخن بملاحظة لاهوتية تعطي القارئ مسبقاً معنى لكل هذه المغامرة. يرى بولس في الليل رؤيا يطمئنه فيها الرب، مؤكداً له بأنه سيؤدي يوماً الشهادة في روما (آ ١١). نحن بصدد ذلك المشروع الذي كان بولس يصمم له عندما كانت له حرية الحركة. ويؤكد له سيده أن هذا المشروع كان متطابقاً مع تصميمه، وأنه سوف يتحقق، لأن العوائق الناتجة عن إرادة أعدائه السيئة، لن يمكنها أن تقف في وجه إرادة الله السميما. كيف يمكن لذلك أن يتحقق؟ يسائل بولس نفسه عن ذلك، غير أن عنصر المفاجأة باق، بالنسبة إليه، كما أيضاً بالنسبة إلينا نحن القراء.

١٦- مؤامرة اليهود ونقل بولس إلى قيصرية (٢٣: ١٢-٣٥)

- ١٢ ولما طلع الصبح، دبر اليهود مؤامرة
- ١٣ فحرموا على أنفسهم الطعام والشراب أو يقتلوا بولس.
- ١٣ وكان الذين دبروا هذه المؤامرة أكثر من أربعين.
- ١٤ فجاؤوا إلى عظماء الكهنة والشيوخ وقالوا: "حرمنا على أنفسنا أشد التحريم أن نذوق شيئاً أو نقتل بولس.
- ١٥ فاعرضوا أنتم والمجلس على قائد الألف أن يحضره أمامكم بحجة أنكم تريدون الإمعان في الفحص عن أمره، أما نحن فإنا مستعدون لاغياله قبل أن يصل إليكم".
- ١٦ وبلغ خبر الكمين إلى ابن أخت بولس، فمضى ودخل القلعة وأطلع بولس على الأمر.
- ١٧ فدعا بولس أحد قادة المائة وقال له: "إذهب بهذا الفتى إلى قائد الألف، فإن عنده ما يريد إطلاعه عليه".
- ١٨ فسار به إلى قائد الألف وقال له: "دعاني بولس السجين وسألني أن آتيك بهذا الفتى، لأن عنده ما يقوله لك".
- ١٩ فأمسكه قائد الألف بيده وانفرد به وسأله: "ما عندك فطلعني عليه؟"
- ٢٠ قال: "اتفق اليهود على أن يسألوك أن تحضر بولس غداً أمام المجلس بحجة الإمعان في الفحص عن أمره.
- ٢١ فلا تثق بهم، لأن أكثر من أربعين رجلاً منهم يكمنون له، وحرّموا على أنفسهم الطعام والشراب أو يعنالوه. وهم الآن مستعدون ينتظرون موافقتك".

- ٢٢ فَصَرَفَ قَائِدَ الْأَلْفِ الشَّابِّ، وَأَوْصَاهُ قَالَ: "لَا تُخْبِرْ أَحَدًا بِأَنَّكَ كَشَفْتَ لِي الْأَمْرَ".
- ٢٣ ثُمَّ دَعَا قَائِدَيْنِ مِنْ قُوَادِ الْمِئَةِ وَقَالَ لَهُمَا: "أَعِدَّا لِلذَّهَابِ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ فِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ اللَّيْلِ مِائَتَيْ جُنْدِيٍّ وَسَبْعِينَ فَارِسًا، وَمِائَتَيْنِ مِنَ الْأَعْوَانِ،
- ٢٤ وَثِيؤَتَ أَيْضًا بِدَوَابِّ تَحْمِلُ بُؤُسَ لِإِيصَالِهِ سَالِمًا إِلَى الْحَاكِمِ فِيلِكْسَ".
- ٢٥ وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِرِسَالَةٍ هَذَا مَضْمُونُهَا:
- ٢٦ "مِنْ فُلُودِيُوسَ لِيَسِيَّاسِ إِلَى الْحَاكِمِ الْمَكْرَمِ فِيلِكْسَ، سَلَامٌ.
- ٢٧ إِنَّ الْيَهُودَ قَبَضُوا عَلَيَّ هَذَا الرَّجُلِ وَهَمُّوا أَنْ يَقْتُلُوهُ، فَأَدْرَكْتُهُمْ بِالْجُنُودِ وَأَنْقَذْتُهُ، لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ رُومَانِيٌّ.
- ٢٨ وَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ بِمَاذَا يَنْتَهَمُونَهُ، فَأَحْضَرْتُهُ أَمَامَ مَجْلِسِهِمْ،
- ٢٩ فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ يَتَّبِعُهُمْ بِمَسَائِلَ جَدَلِيَّةٍ تَعُودُ إِلَى شَرِيعَتِهِمْ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ تَهْمِهِ تَسْتَوْجِبُ الْمَوْتَ أَوْ الْقَيْدَ.
- ٣٠ وَبَلَّغْتِي أَنَّ بَعْضَهُمْ يَتَأَمَّرُونَ عَلَيَّ هَذَا الرَّجُلِ، فَبَعَثْتُ بِهِ مِنْ سَاعَتِي إِلَيْكَ، وَأَبْلَغْتُ مَتَهْمِيهِ أَنْ يَرْفَعُوا إِلَيْكَ دَعْوَاهُمْ عَلَيْهِ".
- ٣١ فَأَخَذَ الْجُنُودُ بُؤُسَ وَسَارُوا بِهِ لَيْلًا إِلَى أَنْطِيِطَرِيَسَ، وَفَقًّا لِلْأَوَامِرِ الَّتِي تَلَقَّوْهَا.
- ٣٢ وَفِي الْعَدَدِ تَرَكَوا الْقُرْسَانَ يُوَاصِلُونَ السَّبْرَ مَعَهُ وَرَجَعُوا إِلَى الْقَلْعَةِ.
- ٣٣ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى قَيْصَرِيَّةَ، سَلَّمُوا الرِّسَالَةَ إِلَى الْحَاكِمِ وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ بُؤُسَ أَيْضًا.
- ٣٤ فَقَرَأَ الْحَاكِمُ الرِّسَالَةَ وَسَأَلَ مِنْ أَيِّ وِلَايَةٍ هُوَ. فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ قَيْلِيْقِيَّةِ
- ٣٥ قَالَ: "سَأَسْمَعُ مِنْكَ مَتَى حَضَرَ مَتَّهَمُوكَ أَيْضًا". ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُحْرَسَ فِي قَصْرِ هِيْرُودُسَ.

المؤامرة المبطلة (آ ١٢-٢٢)

هذا السرد الحيوي جدًا، المملوء بالحوارات بأسلوب مباشر، دون ان يخشى التكرارات التي تميز التقاليد الشفهيَّة، لا يتضمَّن آية صعوبة في التفسير. يمكننا أن نقتصر على بعض الملاحظات الوجيزة.

تعهد معدو المؤامرة بحرم، ومعنى آخر، أنهم يعرضون أنفسهم لللعنة الإلهية إذا لم يفوا بوعدهم: هذا يعني إلى آية درجة من الكراهية والضلال يمكن أن يؤدي التعصّب

الدينيّ. بعد فشل المشروع، لا يقول لنا لوقا ما الذي حلّ بالمتمارين! في المقابل، وبشيء من الرقة والاعجاب تجاه بطله الشاب، يتوسّع في سرد التدخل الحازم لابن شقيقة بولس، الذي يخلّص حياة خاله. وهكذا نعلم، بطريقة غير مباشرة، أن بولس كان له أقرباء في أورشليم، لكننا نجهد كيف عليم هذا الفتى بالمؤامرة. وحتى لو لم يكن لوسائل حماية العناية الإلهية المؤمنة للرسول ما يفوق الطبيعة، فإنّها تشهد على اعتناء الربّ السريّ بخادمه. نرى أيضاً أنّ قائد الألف ترك لسجينه التمتع بوضع حرّ بعض الشيء، إذ أنّه استطاع أن يستقبل ابن أخته داخل القلعة حيث كان معتقلاً.

نقل بولس إلى قيصرية (آ ٢٣-٣٥)

أخذ كلوديوس لسياس، قائد الألف المسؤول، التحذير الذي أعطاه الفتى على محمل الجدّ، وقرّر فوراً أن يقتاد بولس لدى الحاكم فيلكس الذي كان يسكن في قيصرية، بمواكبة حراسة مشدّدة كبيرة ليضمن أمنه بالتمام، وتمّ نقله في الليلة التالية.

لا يقاوم لوقا متعة اللجوء إلى أسلوب كنائيّ جديد، ناقلاً رسالة قائد الألف إلى الحاكم لكي يشرح له قضية بولس. وفيها يوجز قائد الألف الوضع باقتضاب عسكريّ، ساعياً إلى إعطاء نفسه الدور الأفضل في هذه المسألة (وقد تجاهل الخطأ الذي جرى سرده في ٢١، ٢٤ي!). كما نراه لا يخشى من إعطاء رأي شخصي لينور فيلكس. وهكذا كان أوّل ممثل للسلطة الرومانيّة، في هذه المحاكمة، شهد لبراءة هذا السجين، من وجهة نظر النظام العامّ الذي كان يتوجّب عليه حمايته. لقد وصل إلى الخاتمة ذاتها التي وصل إليها غالليون حاكم آخائية في ١٨، ٢٥: أنّه خلاف بين اليهود حول شريعتهم، ولا دخل للعدالة الرومانيّة فيه.

أما الحاكم فيلكس، فمنذ دخوله في الرواية، يبدو على العكس أنّه موظّف لا مبالٍ بالأحرى، إذ لا يُسرّع قط في تكوين رأي شخصي لنفسه حول هذه الحالة المرحجة (آ ٣٤-٣٥).

١٧- بولس وفيلكس الحاكم: محاكمة رسمية ولقاءات شخصية (٢٤: ١-٢٧).

٢٤
 ١ وبعد خمسة أيام نزل حننياً عظيماً الكهنّة ومعهُ بعضُ الشيوخ ومُحامٍ اسمه طرطلس،
 فرَفَعُوا لِلْحَاكِمِ دَعْوَاهُمْ عَلَى بُولُس.

- ٢ فَلَمَّا دُعِيَ اسْتَهْلَ طَرَطُلُسُ اتِّهَامَهُ بِقَوْلِهِ : "إِنَّ مَا نَعْمُ بِهِ مِنَ السَّلَامِ الشَّامِلِ بِفَضْلِكَ، وَمِنَ الْإِصْلَاحِ الَّذِي حَصَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِعِنَايَتِكَ،
- ٣ نَتَلَفَّاهُ، يَا فِيلِكْسُ الْمَكْرَمُ، بِخَالِصِ الشُّكْرِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ.
- ٤ وَلَكِنْ لَا أُرِيدُ أَنْ أزعجَكَ بِكَثِيرِ الْكَلَامِ، فَأَرْجُو أَنْ تُصغِيَ إِلَيْنَا قَلِيلًا بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّطْفِ.
- ٥ وَجَدْنَا هَذَا الرَّجُلَ آفَةً مِنَ الْآفَاتِ، يُثِيرُ الْفِتْنَ بَيْنَ الْيَهُودِ كَافَّةً فِي الْعَالَمِ أَجْمَعِ، وَأَحَدَ أَنْمَةِ شِبَعَةِ النَّصَارَى.
- ٦ وَقَدْ حَاوَلَ أَنْ يُدَنِّسَ الْهَيْكَلَ فَقَبَضْنَا عَلَيْهِ.
- ٧
- ٨ فَتَسْتَطِيعُ، إِذَا اسْتَجَوَيْتَهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا، أَنْ تَتَبَّيَّنَ مَا نَتَّهَمُهُ بِهِ".
- ٩ فَسَائِدَةُ الْيَهُودِ زَاعِمِينَ أَنَّ الْأُمُورَ عَلَى ذَلِكَ.
- ١٠ فَأَشَارَ الْحَاكِمُ إِلَى بُولْسَ يَأْذَنُ لَهُ بِالْكَلامِ، فَأَجَابَ: "أَعْلَمُ أَنَّكَ تَقْضِي فِي أُمُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ. فَأَرَانِي مُطْمَئِنًّا فِي الدِّفَاعِ عَنْ قَضِيَّتِي.
- ١١ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَبَّيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَمْضِ عَلَيَّ صُعودِي إِلَى أورشليمَ لِعِبَادَةِ أَكْثَرُ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا.
- ١٢ فَمَا وَجَدُونِي مَرَّةً أُجَادِلُ أَحَدًا أَوْ أَثِيرُ جَمْعًا، لَا فِي الْهَيْكَلِ وَلَا فِي الْمَجَامِعِ وَلَا فِي الْمَدِينَةِ
- ١٣ وَلَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يُشْتَبَوا لَكَ مَا يَتَّهَمُونِي بِهِ الْآنَ.
- ١٤ عَلَيَّ أَنِّي أَقْرُبُ بِأَنِّي أَعْبُدُ إِلَهَ آبَائِي عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرْعَمُونَ أَنَّهَا شِبَعَةٌ، وَأُومِنُ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الشَّرِيعَةِ وَكُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ،
- ١٥ رَاجِيًّا مِنَ اللَّهِ مَا يَرْجُوهُ هُمْ أَيْضًا وَهُوَ أَنَّ الْأَبْرَارَ وَالْفُجَّارَ سَيَقُومُونَ
- ١٦ فَأَنَا أَيْضًا أَجَاهِدُ النَّفْسَ لِيَكُونَ ضَمِيرِي لَا لَوْمَ عَلَيْهِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ.
- ١٧ وَجِئْتُ بَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ، أَجْمِلُ الصَّدَقَاتِ إِلَى أُمَّتِي، وَأَقْرُبُ الْقَرَابِينَ.
- ١٨ فَعَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَجَدُونِي فِي الْهَيْكَلِ وَكُنْتُ قَدْ أَطَهَرْتُ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ جَمْعٌ أَوْ ضَجِيجٌ.

- ١٩ غَيْرَ أَنْ بَعْضَ الْيَهُودِ الْأَسْيُورِيِّينَ... لَوْ كَانَ لِأَوْلَيْكَ مَا يَشْكُونَنِي بِهِ، لَوَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُمَثِّلُوا أَمَامَكَ وَيَتَّهَمُونِي،
- ٢٠ بَلْ لَيَقُلُّ هَؤُلَاءِ الْحَاضِرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَيَّ ذَنْبٍ وَجَدُوا لِي، حِينَ مَثَلْتُ أَمَامَ الْمَجْلِسِ،
- ٢١ إِلَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الَّتِي نَادَيْتُ بِهَا وَأَنَا قَائِمٌ بَيْنَهُمْ: مِنْ أَجْلِ قِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ أُحَاكِمُ الْيَوْمَ عِنْدَكُمْ".
- ٢٢ وَكَانَ فِيلِكْسُ مُطْلِعًا عَلَى أَمْرِ الطَّرِيقَةِ اطِّلاعًا دَقِيقًا، فَأَخْرَجَهُمْ إِلَى أَجَلٍ قَالَ: "مَتَى تَزُلُ لِسِيَّاسِ قَائِدِ الْأَلْفِ، أَحْكُمُ فِي قَضِيَّتِكُمْ".
- ٢٣ وَأَمَرَ قَائِدَ الْمِائَةِ بِأَنْ يُحْفَظَ بُولُسُ فِي السَّجْنِ، عَلَى أَنْ يَتْرَكَ لَهُ بَعْضَ الْحُرِّيَّةِ، وَلَا يَمْنَعُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ الْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ.
- ٢٤ وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ، جَاءَ فِيلِكْسُ مَعَ امْرَأَتِهِ دُرْسُلَةَ وَهِيَ يَهُودِيَّةٌ، فَاسْتَدْعَى بُولُسَ وَاسْتَمَعَ إِلَى كَلَامِهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ.
- ٢٥ وَلَمَّا تَكَلَّمَ بُولُسُ عَلَى الْبِرِّ وَالْعِفَافِ وَالذِّينَوَةِ الْآتِيَةِ، خَافَ فِيلِكْسُ فَقَالَ لَهُ: "إِذْهَبِ الْآنَ، فَسَأُنْتَهِزُ الْفُرْصَةَ السَّانِحَةَ لِأَدْعُوكَ".
- ٢٦ وَكَانَ يَرْجُو فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَنْ يُعْطِيَهُ بُولُسُ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، فَأَخَذَ يُكْتَبِرُ مِنْ اسْتِدْعَائِهِ وَمُحَادَثَتِهِ.
- ٢٧ وَلَمَّا انْقَضَتِ سِتْنَانِ، خَلَفَ بَرْقِيُوسُ فَسَطُسُ فِيلِكْسَ، فَأَرَادَ فِيلِكْسُ أَنْ يُرْضِيَ الْيَهُودَ، فَتَرَكَ بُولُسَ فِي السَّجْنِ.

الِاتِّهَامُ (آ ١-٩)

كان لحنانيا، عظيم الكهنة، حساب مع بولس يريد تصفيته (رج ٢٣: ٣): من الأرجح أنه لهذا السبب أتى شخصياً إلى قيصرية لتقديم شكوى أمام الحاكم، وفقاً لتوجيهات قائد الألف (٢٣: ٣٠). تأتي بعثة السنهدريم، المكوّنة حصرياً من شيوخ، لأنّ الفريسيين كانوا قد اتخذوا موقفاً إيجابياً من بولس (٢٣: ٩)، برفقة محام ذي اسم رومانيّ، طرطلوس، المفترض أن يكون مختصاً بمسائل من هذا النوع، والذي، بحسب الطريقة المتبعة، سوف يحمل الاتهام باسم موكله.

نلاحظ تزلف الحامي في المسألة، وهو يجامل بشكلٍ سافر الحاكم لاستمالاته إلى جانبه (آ ٢-٤): على النقيض من ذلك، يسلط لوقا الضوء على المحاملة الرزينة التي سيستعملها بولس في بداية دفاعه (آ ١٠). ويشدد طرطلوس على خلافات يهود آسيا المضخمة (رج ٢١:٢٨)، متهمًا بولس انه الطاعون، طالما يزرع الفتنة عند كل اليهود في العالم أجمع! إنه يقدمه، وذلك جديد، على أنه رئيس شيعة النصارى: تلك هي الحالة الوحيدة في العهد الجديد كله، يُشار فيها إلى المسيحيين بهذه الكنية، وقد اطلقت ١٢ مرة على يسوع بالذات (متى ٢٣:٢؛ ٧١:٢٦؛ لو ١٨:٣٧؛ يو ١٨:٥، ٧؛ ١٩:١٩)، و٦ مرات في سفر أعمال الرسل.

الكلمة المنقولة بـ شيعة -حرفياً هرطقة- قد استعملت من دون مدلول ازدرائي للكلام على الصدوقيين أو الفريسيين (رج ٥:١٧؛ ١٥:٥، وقد أدتها الترجمة الليتورجية بكلمة حزب)، ولكنها تأخذ هنا، على فم طرطلوس، المعنى الذي نعطيه عادةً لهذه التعابير. سيستخدمها بولس مجددًا بكل فخر في آ ١٤. ومن ثم، يقدم الحامي اعتراضًا ثانيًا دقيقًا ولكن بغاية الخطورة، يكون يهود آسيا بموجبه قد حرّضوا الجموع في الهيكل على الغوغاء، مدعين أن بولس أدخل وثنيًا إلى الهيكل: إنها جريمة تدنيس!

دفاع بولس (آ ١٠-٢١)

لم يقيم بولس، وبراعة، بأيّ جهدٍ لدحض الاتهام الأوّل الذي بدا للحاكم مبالغًا فيه، ويصعب إثباته، ولكنه يعلم ان بوسع تحقيق في أماكن عدّة من الإمبراطورية قد مرّ بها أن تدعم ذلك جزئيًا: يعلم القارئ، بالفعل، ومن دون أن يبحث عن ذلك عمدًا، أن بولس قد سبّب في الغالب خصّاتٍ في الجماعات اليهودية في الشتات! وأمام فيلكس، كان من الأهمّ له بكثير ان يدحض الاتهام المحدّد المتعلّق بالأحداث الأخيرة في أورشليم. وكان بوسع الحاكم أن يتحقّق بسهولة بأنّ الأمر يتعلّق بافتراءات لا أساس لها على الإطلاق (آ ١١-١٢).

ولما كان بولس يعرف أن فيلكس عالم بأمور اليهود، أصبح بوسعه أن يشرح إيجابيًا أن قناعاته العميقة وسلوكياته ليست ضدّ الشريعة والأنبياء، ويشدد باصرار على

انتظار القيامة في شركة مع الفريسيين الأتقياء (رج ٢٣:٦). ونرى لاحقاً أن الحاكم يهتمّ فعلاً بهذه المسائل اللاهوتية (آ ١٤-١٦).

يأتي تأكيد آ ١٧ بمعلومة جديدة لقارئ سفر الأعمال: لم يذكر بولس قط حتى الآن، ان سبب صعوده إلى أورشليم، كان بدافع حمل المال الذي كان قد جمعه. وكان هذا الموضوع قد احتلّ مكاناً كبيراً في الرسائل البولسية الكبرى: لقد نظّم بولس بعناية لمةً واسعة في كنائس اليونان ومقدونيا، كعلامة شراكة أخوية لصالح "فقراء" كنيسة أورشليم، حسب الاتفاق المذكور في غل ٧:٢-١٠ (رج روم ١٥:٢٥-٢٨؛ ١ قور ١٦:١-٤؛ ٢ قور ٨-٩). ففي إطار هذا الخطاب، حيث يؤكد وفاءه — إله آبائنا، وحيث كانت الكنيسة لا تزال تُعتَبَر بدعة يهودية، أقلّه في أورشليم، يذكّر بولس بهذه اللمّة بشيءٍ من الدهاء، وكأنّها مالٌ جُمِعَ لشعبي، هذا الشعب الذي يصرّ بولس على أن يبيّن أنّه باقٍ على تضامنه معه.

في آ ١٨-٢١، يختصر بولس الأحداث التي يعرفها القارئ، سواء كان توقيفه أم ظهوره أمام السنهدريم، بطريقة جعلت الحاكم يفهم تفاهة الاتهام الموجه ضده. وكلماته الأخيرة تضع في الواجحة النقاش اللاهوتيّ حول قيامة الأموات، ولا يمكن أن يكون موضوع ادانة من قِبَل محكمة رومانية.

مماطلات فيليكس (آ ٢٢-٢٧)

ان دفاع بولس المحنك أكد، في نظر الحاكم، التقييم الذي كان قد أدلى به ليسيلاس: إنّها مسألة دينية يهودية داخلية. ويلاحظ لوقا أن فيليكس كان على علم جيد بما يتعلّق بالحركة المسيحية، أقلّه في بلاد اليهودية: لذا، إنطلاقاً من ذلك، على ما يبدو، لم تكن لديه رغبة في حسم المسألة المطروحة أمامه، لا لصالح المتهمين ولا لصالح المتهم.

كان بإمكانه صرف المشتكين، كما فعل سابقاً حاكم أخائية في كورنتس (رج ١٨:١٥). لكنّه وجد حجّة جديدة لتأجيل حكمه، معطياً لبولس وضعاً حُرّاً نسبياً: فكان بإمكانه أن يكون له مساعدون، سواء من الأعضاء المحيطين به، الذين استطاعوا أن يلحقوا به، ام من فيلبس ومسيحيّ قيصرية (آ ٢٢-٢٣). وخلال السنتين التاليتين، من

المؤكّد أن ليسيّاس قائد الألف اضطر أن يتزل أكثر من مرّة من أورشليم إلى قيصريّة، غير أن الحاكم كان يترك القضية تطول!

يشير لوقا جيّدًا ببعض أسطر (آ ٢٤-٢٧) إلى العلاقات المعقّدة التي أقامها فيلكس مع هذا السجين غير الاعتياديّ. إنّها تذكر بانجذاب هيرودس انتيباس تجاه يوحنا المعمدان، وبتخاذله الموصوف في مر ١٧:٦. وكما كانت حال أمير الرّبّع هيرودس، كان فيلكس أيضًا في وضع زوجي غير شرعيّ: كان قد خطف دُرسلّة، إحدى بنات هيرودوس أغريبا الأوّل، من زوجها، ملك حمص! وبما أنّه كان مهتمًا بالنقاشات اللاهوتيّة التي كانت ديانة زوجته تتخبّط بها، هوذا فيلكس يدعو بولس لكي يسمعه يتكلّم على الإيمان المسيحيّ. ولكن عندما تطرّق الحديث إلى المسائل الأخلاقيّة، وخوفًا من أن يفضح الرسول سلوكه، أوقف الحديث! ولاحقًا، استدعاه مجددًا آملًا أن يقدم له بولس مالاّ مقابل حكم لصالحه! هذا الشخص البغيض معروف لدى المؤرخ تاسيطوس، وقد لامه على ارتشائه وغرائزه الدنيا.

بعد مرور عامين، وعندما كان يتوجّب استبدال فيلكس ببورسيوس فسّطس، من المحتمل أنه تمّنى أن يصفّي أخيرًا هذه المسألة، لكي لا يترك هدية مسمّمة لخلفه. لكنه فضّل ان يترك بولس في السجن، كي يقدم معروفًا أخيرًا لليهود الخاضعين لسلطته (آ ١٢)! عند هذه النقطة من رواية لوقا، يسمح التاريخ الكبير بتقاطع زمنيّ دقيق. فلقد كان على بولس أن يبقى سجينًا في قيصريّة من سنة ٥٨ إلى ٦٠.

١٨- بولس والحاكم فسّطس: محاكمة جديدة ورفع الدعوى إلى الإمبراطور (٢٥: ١-١٢)

- ١ وصعد فسّطس من قيصريّة إلى أورشليم بعد ثلاثة أيّام من وصوله إلى ولايته،
- ٢ فرفع إليه عظماء الكهنة وأعيان اليهود دعوهم على بولس وسألوه
- ٣ بمكر ملحين أن يمتنّ عليهم باستدعائه إلى أورشليم، ومراذهم أن يقيموا له كمينًا ليغتالوه في الطريق.
- ٤ فأجاب فسّطس أن بولس محفوظ في سجن قيصريّة، وأمّا هو فلا يلبث أن ينصرف.

٥ ثم قال: "لِيَنْزِلْ مَعِيَ أَصْحَابُ السُّلْطَةِ فِيكُمْ ، فَإِذَا كَانَ فِي هَذَا الرَّجُلِ مَا يُؤْخَذُ عَلَيْهِ فَلْيَتَّهَمُوهُ بِهِ".

٦ وَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَيَّامًا لَا تَرِيدُ عَلَى الثَّمَانِيَةِ أَوْ الْعَشْرَةِ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ فَجَلَسَ فِي الْعِدِّ عَلَى كُرْسِيِّ الْقَضَاءِ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ بُولُسَ .

٧ فَلَمَّا حَضَرَ أَحَاطَ بِهِ الْيَهُودُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَاتَّهَمُوهُ بِكَثِيرٍ مِنَ السُّهُمِ الْجَسِيمَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا إِثْبَاتَهَا .

٨ فِدَافِعَ بُولُسُ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ : " مَا أَذْنَبْتُ بِشَيْءٍ لَا إِلَى شَرِيعَةِ الْيَهُودِ وَلَا إِلَى الْهِكَلِ وَلَا إِلَى قَيْصَرَ " .

٩ وَأَرَادَ فَسْطُسُ أَنْ يُرْضِيَ الْيَهُودَ فَقَالَ لِبُولُسَ : " أَتُرِيدُ أَنْ تَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ ، فَتُحَاكَمَ فِيهَا عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ بِمَحْضَرٍ مِنِّي ؟ " .

١٠ فَقَالَ بُولُسُ : " أَنَا أَمَامَ مَحْكَمَةِ قَيْصَرَ ، وَأَمَامَهَا يَجِبُ أَنْ أَحَاكَمَ . مَا أَسَأْتُ إِلَى الْيَهُودِ بِشَيْءٍ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ .

١١ فَإِذَا أَسَأْتُ فَفَعَلْتُ مَا أَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَوْتَ ، فَأَنَا لَا أُحَاوِلُ التَّنَخُّصَ مِنَ الْمَوْتِ . أَمَّا إِذَا كَانَ مَا يَتَّهَمُونِي بِهِ بَاطِلًا ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُسَلِّمَنِي إِلَيْهِمْ لِإِرْصَانِهِمْ . وَإِلَى قَيْصَرَ أَرْفَعُ دَعْوَايَ ! " .

١٢ فَشَارَرَ فَسْطُسُ أَعْضَاءَ مَجْلِسِهِ وَأَجَابَ : " رَفَعْتُ دَعْوَاكَ إِلَى قَيْصَرَ ، فَإِلَى قَيْصَرَ تَذْهَبُ " .

بشكل مغاير عما سبق، هوذا لوقا يقدم الحاكم الجديد على أنه رجل قرار وموظف نزيه. ذلك انه، فور بدء مهامه، اتصل فسطس بالسلطات الدينية اليهودية في اورشليم. يلاحظ القارئ أن السنتين اللتين مرتتا لم تهدئا من كراهية خصوم بولس القاتلة، والمستعدين مجدداً للتحرك، خلواً من آية شرعية، لكي يتخلصوا منه أثناء نقله الذي يطالبون به بكل خبث (آ ٢-٣). وبدون أن تنفض هذه المرة مؤامرتهم، اصطدموا برفض الحاكم القاطع، ولديه محكمة في قيصريّة: ففيها ستستأنف محاكمة بولس من جديد (آ ٤-٥).

ولما كان فسطس مستعجلاً، افتتح الدعوى في اليوم التالي لعودته إلى قيصريّة، وهوذا السيناريو ذاته يتكرر: إتهامات خطيرة ومن دون براهين من قبل اليهود، واحتجاج بولس على ذلك وتمسكه ببراءته (آ ٦-٨). اعتقد فسطس الذي كان يريد الانتهاء من هذه القضية، أنه وجد الحلّ بالاقتراح على بولس أن يحاكم في اورشليم

(بمعنى آخر: من قِبَل السنهدريم)، كون المسألة صراعاً دينياً داخلياً، على ان تجري بوجوده وبالتالي تحت رقابته. واعتقد الحاكم، بثقة مفرطة، أن بإمكانه أن يتجنب حكماً لا مبرر له.

لكنّه بدوره اصطدم برفض قاطع ومعلّل من قِبَل سجينه؛ فهذا الأخير يرغب في ألاّ يُسَلَّم إلى اليهود، مدرّكاً تماماً أن بانتظاره ما هو الأسوأ. فيما أنّه أنّهم أمام السلطات الرومانيّة، فعلى يدها يريد أن يُحاكَم. وإذا كان بولس في كامل وعيه لحقوقه كمواطن رومانيّ، هوذا يدرج عنصراً جديداً سيقلب رأساً على عقب مسار الأمور: أرفع دعواي إلى الإمبراطور (آ ١١)؛ حرفياً: إلى قيصر. يرجع هذا العنوان ٨ مرّات في هذا الجزء الأخير من الكتاب). وهنا يمنح لوقا ثقته بذكاء للقارئ كي يفهم أنّ بولس وجد هكذا، بضربة معلّم، الطريقة القانونيّة التي من خلالها ستتحقق أمنيته بالذهاب إلى روما، كما كان الربّ قد وعده بذلك (رج ٢٣: ١١). ولا يستطيع الحاكم، في الواقع، أن يعترض على طلب كهذا صادرٍ عن مواطن رومانيّ (آ ١٢).

قد نتوقع أن نجد مباشرةً، في ما يلي من النصّ، رواية نقل بولس إلى عاصمة الإمبراطوريّة. لقد كانت للوقا، من مصادره، حلقة بدت له أنّها ذات أهميّة: وقد يكون أيضاً كي يبيّن ان نبوءة يسوع التي نقلها في الإنجيل، "سوف تقادون أمام ملوك وحقّام" (لو ٢١: ١٢)، قد اكتملت في حياة بولس. وسيتريث لوقا مجدداً في الإخبار عن مثل بولس شبه الرسميّ أمام أغريبا الملك.

١٩- شهادة بولس أمام أغريبا الملك، ورواية جديدة للإهداء (٢٥: ١٣ - ٢٦: ٣٢)

يمكن تقسيم هذه الرواية الطويلة إلى جزئين، من أجل تعزيز وحدة الرواية اللوقاويّة الثالثة حول اهتداء شاول الطرسوسيّ وأهمّيّتها. ويُسْتَعْمَل قسم أول سردي، موسّع إلى حدّ ما، كمقدّمة.

أ- يعرض فسطس أمام أغريبا قضيت بولس (٢٥: ١٣-٢٧)

١٣ وَبَعْدَ بضعَةِ أَيّامَ، قَدِمَ قَيْصَرِيَّةَ الْمَلِكِ أَغْرِيْبًا وَبَرْنِيْقَةَ فَسَلَّمَا عَلَيَّ فَسَطُّسَ،

- ١٤ ومكثا فيها مُدَّة، فَعَرَضَ فَسْطُسُ عَلَى الْمَلِكِ قَضِيَّةَ بُولُسِ قَالَ: "هُنَا رَجُلٌ تَرَكَه فِيلِكْسُ سَاجِنًا.
- ١٥ فَلَمَّا كُنْتُ فِي أُورُشَلِيمَ، شَكَاهُ إِلَيَّ عِظَمَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ وَشُيُوخُهُمْ وَطَلَبُوا الْحُكْمَ عَلَيَّ.
- ١٦ فَأَجَبْتُهُمْ: لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الرُّومَانِيِّينَ أَنْ يَحْكُمُوا عَلَى أَحَدٍ لِإِرْضَاءِ النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَتَقَابَلَ الْمُتَّهَمُ وَمُتَّهَمُوهُ، وَيَتَسَيَّ لَهُ الرُّدُّ عَلَى الْإِتِّهَامِ.
- ١٧ فَجَاؤُوا مَعًا إِلَيَّ هُنَا، فَلَمْ أَتَوَانَ الْبَيْتَةَ، بَلْ جَلَسْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَلَى كُرْسِيِّ الْقَضَاءِ، وَأَمَرْتُ بِإِحْضَارِ الرَّجُلِ. ١٨ فَلَمَّا قَابَلَهُ مُتَّهَمُوهُ، لَمْ يَذْكُرُوا لَهُ أَيَّ تُّهْمَةٍ مِنْ السُّتْهِمِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي كُنْتُ أَتَوَّهُمُهَا،
- ١٩ وَإِنَّمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مُجَادَلَاتٌ فِي أُمُورٍ تَرْجِعُ إِلَى دِيَابَتِهِمْ وَإِلَى امْرِئِ اسْمِهِ يَسُوعَ قَدَمَاتٍ، وَبُولُسُ يَزْعُمُ أَنَّهُ حَيٌّ.
- ٢٠ فَحَرْتُ عِنْدَ جَدَالِهِمْ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، فَسَأَلْتُهُ أَيْرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُحَاكَمَ فِيهَا عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ،
- ٢١ وَلَكِنَّ بُولُسَ رَفَعَ دَعْوَاهُ طَالِبًا أَنْ يُحْفَظَ أَمْرُهُ لِحُكْمِ جَلَالَتِهِ. فَأَمَرْتُ أَنْ يُحْفَظَ فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ أَبْعَثَ بِهِ إِلَى قَيْصَرٍ."
- ٢٢ فَقَالَ أَعْرَبِيًّا لِفَسْطُسَ: "وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي سَمِعْتُ أَنَا أَيْضًا هَذَا الرَّجُلِ". قَالَ: "غَدًا تَسْمَعُهُ".
- ٢٣ وَفِي الْعَدَا، جَاءَ أَعْرَبِيًّا وَبَرْنِيقَةَ فِي أَبْهَةِ ظَاهِرَةٍ، فَدَخَلَا الْمَحْكَمَةَ يُحِيطُ بِهِمَا الْقَوَادُ وَوُجْهَاءُ الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ فَسْطُسُ بِإِحْضَارِ بُولُسِ فَأَحْضَرَ.
- ٢٤ فَقَالَ فَسْطُسُ: "أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْرَبِيًّا وَيَا جَمِيعَ الْحَاضِرِينَ مَعَنَا، تَرَوْنَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي سَعَتْ بِهِ عِنْدِي جَمَاعَةُ الْيَهُودِ كُلُّهَا فِي أُورُشَلِيمَ وَهَهُنَا وَهُمْ يَصِيحُونَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَبْقَى هَذَا الرَّجُلُ حَيًّا.
- ٢٥ عَلَى أَنِّي تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَوْتَ، وَلَكِنَّهُ رَفَعَ دَعْوَاهُ إِلَى جَلَالَتِهِ، فَعَزَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ بِهِ إِلَيْهِ،
- ٢٦ وَلَيْسَ لَدَيَّ شَيْءٌ أَكِيدُ فِي شَأْنِهِ فَأَكْتُبَ بِهِ إِلَى السَّيِّدِ، فَأَحْضَرْتُهُ أَمَامَكُمْ وَأَمَامَكَ خُصُوصًا، أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْرَبِيًّا، لِأَحْصُلَ بَعْدَ اسْتِجْوَابِهِ عَلَى شَيْءٍ أَكْتُبُهُ،
- ٢٧ لِأَنِّي أَرَى غَيْرَ مَعْقُولٍ أَنْ أَبْعَثَ بِسَاجِنٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُبَيِّنَ مَا عَلَيْهِ مِنْ تُّهْمٍ."

ليست الأحداث التي يسردها لوقا بعيدة جداً عن الزمن الذي يكتب فيه هذا "الكتاب الثاني إلى تيوفيلوس" (٢٠ إلى ٢٥ سنة؟). فلقد اعتقد بأنه لا يتوجب عليه أن يقدم لقارئه الشخصيات الشهيرة التي يقدمها الآن. بل كان عليه التعويض عن ذلك بالتذكير أن أغريبا الملك هذا هو ابن هيرودوس أغريبا الأول (مضطهد الكنيسة في الفصل ١٢). فهو إذاً رئيس الربع كما كان عمه الكبير هيرودوس أنتيباس (الذي يرد اسمه في الإنجيل)، وكان يسمي نفسه "ملكاً": هؤلاء الملوك الصغار من السلالة الهيرودية لم يكونوا يستطيعون أن يحكموا إلا في إطار التبعية الضيقة لحكم روما. وهذا التذكير يجعلنا نفهم أن يكون قد تحرك هو شخصياً للسلام على حاكم اليهودية الروماني الجديد (آ ١٣). أما برنيقة التي عرفت خاصة بعلاقتها اللاحقة بتيطس، فقد كانت شقيقة أغريبا: وبشيء من الحفر، يتغاضى لوقا عن القول أنها أرملة من زوج أول، وإنما كانت تعيش في علاقة محرمة مع شقيقها.

يستغل فسطس هذه الزيارة التي قام بها ملك ذو اطلاع جيد على الشؤون اليهودية (هو نفسه نصف يهودي)، كي يعرض أمامه قضية بولس التي تشكل له معضلة. قد يبدو هذا العرض المتضمن في آ ١٤-٢١ طويلاً بعض الشيء، كونه، ظاهرياً، لا يُعلم القارئ بأي جديد. يبدو أن لوقا يرغب في أن يقدم موظفاً كبيراً صادقاً ودقيقاً، على عكس فليكس المتواني. ها هو يضع على فمه، في آ ١٦، تحديداً جميلاً لحاكمة عادلة، بحسب القانون الروماني، لا يستطيع مدافعٌ معاصرٌ عن حقوق الإنسان أن يحتج عليها!

تحمل آ ١٩ أيضاً عنصراً غير مسبوق: في النقاش بين بولس ومتهميه، نعلم أن مسألة قيامة الأموات الشائكة قد تركت مجال التضاد بين الفريسيين والصدوقيين (حول القيامة العتيدة)، لكي تدرج في مستوى البشارة المسيحية حول قيامة يسوع. لقد فهم فسطس من خلال هذا الكلام الادعاء الأساسي للإيمان الجديد: يسوع هو حيٌّ أبداً! أخيراً، مع شيء من التواضع، يعترف الحاكم إلى أي درجة كان مُحرجاً، ويتحدث عن اقتراحه بمحاكمة في أورشليم، الشيء الذي رفضه بولس مقررًا الاستئناف، كي تكون قضيته محصورة بولاية جلالته القضائية (آ ٢١: الإشارة نفسها إلى الإمبراطور باللقب ذاته في آ ٢٥).

ان قضية بولس تمّ بالفعل أغريياً الملك، وينظّم فسْطُس لصاحه مقابلةً لا قيمة قانونية لها، ولكن فيها الكثير من الأبهة لكي يستطيع أغرييا وبرتيقة وبعض الوجهاء أن يستمعوا إلى هذا السجين المدهش. يفتح فسْطُس الجلسة مقدّمًا من جديد الرجل الذي يطالب جمهور اليهود بقتله بصرخاتٍ مدوية. أمّا هو، وكما كان لسياس قائد الألف، لا يستطيع بدوره سوى اعلان براءة بولس. ولكنه لا يستطيع إطلاق سراحه طالما انه رفع دعواه إلى قيصر. فلقد كان يأمل، بعد هذا التول، أن يستطيع أغريياً مساعدته في إيجاد ما يقوله في رسالة إحالة السجين إلى الولاية القضائية الإمبراطورية. إذ بدا له، في الواقع، أنه من غير المعقول أن يبعث بسجين من غير أن يبين ما عليه من تُهم (آ ٢٢-٢٧)؛ ومثل هذه الحجّة المنطقية تمكّنه من تبرير الطابع الاستثنائي بعض الشيء لهذا الاستجواب الجديد لبولس.

ب- مرافعة بولس (٢٦: ١-٣٢)

- ٢٦
- ١ فقال أغريياً لبولس: "يُؤذَنُ لَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي شَأْنِكَ". فسَطَ بولسُ يَدَهُ وَشَرَعَ فِي دِفَاعِهِ قَالَ:
 - ٢ "أَرَانِي سَعِيدًا، أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِييَا، لِأَنِّي سَادَفَعُ الْيَوْمَ عَنْ نَفْسِي، فِي حَضْرَتِكَ، مِنْ كُلِّ مَا يَتَّهَمُنِي بِهِ الْيَهُودُ،
 - ٣ خُصُوصًا إِنَّكَ تَعْرِفُ كُلَّ مَا لِلْيَهُودِ مِنْ سُنَنِ وَمُجَادَلَاتٍ. فَاسْأَلْكَ أَنْ تُصَغِيَ إِلَيَّ بِطَوْلِ أَنَاةٍ.
 - ٤ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ سِرِّي مُنْذُ صِبَايَ الَّذِي قَضَيْتَهُ مِنْ أَوْلَاهُ فِي أُمَّتِي وَفِي أُورَشَلِيمَ، ذَلِكَ أَمْرٌ يَعْلَمُهُ جَمِيعُ الْيَهُودِ،
 - ٥ فَهُمْ يَعْرِفُونِي مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ، لَوْ شَاءُوا أَنْ يَشْهَدُوا، يَعْرِفُونَ أَنِّي اتَّبَعْتُ أَكْثَرَ مَذَاهِبِ دِيَانَتِنَا تَشَدُّدًا، فَعِشْتُ فِرْيَسِيًّا.
 - ٦ وَقَدْ مَثَلْتُ الْيَوْمَ لِأَحَاكِمٍ مِنْ أَجْلِ رَجَاءٍ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ آبَاءَنَا،
 - ٧ وَالَّذِي يَرْجُو أَسْبَاطُنَا الْإِثْنَا عَشَرَ أَنْ يَلْبُغُوا إِلَيْهِ بِالْمُؤَاطَبَةِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ لَيْلَ نَهَارٍ. فِيهِذَا الرَّجَاءِ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، يَتَّهَمُنِي الْيَهُودُ.

- ٨ فلماذا تحسبون أمراً لا يصدق أن يُقيم الله الأموات؟
- ٩ أما أنا فكنت أرى واجباً عليّ أن أقاوم اسم يسوع الناصريّ مُقاومةً شديدة.
- ١٠ وهذا ما فعلتُ في أورشليم، إذ تَلَقَيْتُ التَّفْوِيضَ مِنْ عُظَمَاءِ الكَهَنَةِ، فَحَبَسْتُ بِيَدِي فِي السُّجُونِ عَدَدًا كَثِيرًا مِنَ القِدِّيسِينَ، وَكُنْتُ مُوَافِقًا لَمَّا اقْتَرَعَ عَلَيَّ قَتْلَهُمْ.
- ١١ وكثيراً ما عَذَّبْتُهُمْ مُتَنَقِّلاً مِنْ مَجْمَعٍ إِلَى مَجْمَعٍ لِأَجْلِهِمْ عَلَى التَّجْدِيفِ. وَبَلَغَ مِنِّي السُّخْطُ كُلَّ مَبْلَغٍ حَتَّى أَخَذْتُ أَطَارِدُهُمْ فِي المَدِينِ القَرِيَةِ.
- ١٢ فَمَضَيْتُ عَلَى هَذِهِ الحَالِ إِلَى دِمَشقَ، وَبِى التَّفْوِيضُ وَالتَّوَكِيلُ مِنْ عُظَمَاءِ الكَهَنَةِ.
- ١٣ فَرَأَيْتُ أَيُّهَا المَلِكُ عَلَى الطَّرِيقِ عِنْدَ الظُّهْرِ نَوْراً مِنَ السَّمَاءِ يَفُوقُ الشَّمْسَ يَاشِعَاعِهِ قَدْ سَطَعَ حَوْلِي وَحَوْلَ رُفُقَائِي.
- ١٤ فَسَقَطْنَا جَمِيعاً إِلَى الأَرْضِ، وَسَمِعْتُ صَوْتاً يَقُولُ لِي بِالعِبْرِيَّةِ: شَاوُلُ، شَاوُلُ، لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ يَصْعَبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفِسَ المِهْمَازَ.
- ١٥ فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا رَبِّ؟ قَالَ الرَّبُّ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ.
- ١٦ فَانْهَضَ وَقَمَّ عَلَى قَدَمَيْكَ. فَإِنَّمَا ظَهَرْتَ لَكَ لِأَجْعَلَ مِنْكَ خَادِماً وَشَاهِداً لِهَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَيْتَنِي فِيهَا، وَلِغَيْرِهَا مِنَ الرُّؤْيَا الَّتِي سَأظْهَرُ لَكَ فِيهَا.
- ١٧ سَأُنْفِذُكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الوَثَنِيِّينَ الَّذِينَ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ،
- ١٨ لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ فَيَرْجِعُوا مِنَ الظُّلَامِ إِلَى النُّورِ، وَمِنَ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ، وَيَبْأَلُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الخَطَايَا وَنَصِيحَهُمْ مِنَ المِيرَاثِ فِي عِدَادِ المُقَدَّسِينَ.
- ١٩ وَمِنَ ذَاكَ الحِينِ لَمْ أَعْصِ الرُّؤْيَا السَّمَاوِيَّةَ، أَيُّهَا المَلِكُ أَغْرِيئَا،
- ٢٠ بَلِ أَعْلَنْتُ لِلذِّينِ فِي دِمَشقَ أَوَّلًا، ثُمَّ لِأَهْلِ أُورَشَلِيمَ وَبِلَادِ اليَهُودِيَّةِ كُلِّهَا، ثُمَّ لِلوَثَنِيِّينَ، أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ، بِالقِيَامِ بِأَعْمَالٍ تَدُلُّ عَلَى التَّوْبَةِ.
- ٢١ فَلِذَلِكَ قَبِضَ عَلَيَّ اليَهُودُ فِي الهَيْكَلِ، وَحَاوَلُوا قَتْلِي،
- ٢٢ وَأَنَا بَعُونَ اللَّهِ قَدْ مَتَلْتُ إِلَى اليَوْمِ شَاهِداً لِلصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ، وَلَا أَقُولُ إِلاَّ مَا أَنبَأَ الأنبياءُ وَموسَى بِخُذوثِهِ

٢٣ من أن المسيح سيتألم وألّه، وهو أوّل القائمين من بين الأموات، سيُسبّر الشعب والوثنيين بالنور".

٢٤ وبينما هو يُدافع عن نفسه بهذا الكلام، قال فسطس بأعلى صوته: "جُنست يا بولس، فإن تبحرك في العلم ينتهي بك إلى الجنون".

٢٥ فقال بولس: "لست بمجنون يا فسطس المكرم، ولكني أتكلّم كلام الحق والعقل".

٢٦ فالملك الذي أوجّه إليه هذا الخطاب مطمئننا يعرف تلك الأمور ويقيني أنّه لا تخفى عليه خافية منها، ذلك بأنّها لم تحدث في بقعة مرويّة.

٢٧ أتؤمن بالأنبياء أيّها الملك أغريبًا؟ أنا أعلم أنّك تؤمن بهم".

٢٨ فقال أغريبًا لبولس: "شريد أن تُقنعني بأنك بوقت قليل جعلتني مسيحيًا".

٢٩ قال بولس: "إني أرجو من الله، ليس لك وحدك، بل لجميع الذين يسمعون اليوم، أن يصيروا، بالقليل أو بالكثير، إلى ما أنا عليه، ما عدا هذه القيود".

٣٠ فقام الملك والحاكم وبرنيقة والجالسون معهم،

٣١ فقال بعضهم لبعض وهم منصرفون: "إن هذا الرجل لا يفعل شيئًا يستوجب به الموت أو الاعتقال".

٣٢ وقال أغريبًا لفسطس: "لو لم يرفع هذا الرجل دعواه إلى قيصر لأمكن إخلاء سبيله".

دفاع بولس أمام أغريبًا (آ ١-٢٣)

إنّ في مدخل دفاع بولس بجمالة ماهرة، ولكن من دون تمثّل. كان أغريبًا فعلاً على معرفة جيّدة باليهودية، وكان عليه أن يهتمّ بالمسار الديني الذي سيرسمه بولس عن ذاته، صعودًا إلى فتوته. لا يعلم القارئ هنا أيّ شيء جديد حول شاول الشاب الطرسوسي، لكن كان عليه أن يلاحظ كيف يصرّ بولس على صفته يهوديًا ملتزمًا جدًّا، الأمر الذي لا يستطيع متهموه إنكاره. فهو لم ينكر شيئًا من معتقداته كفريسي، وكما كان سيفعل جملائيل، أكّد بأن الإيمان بقيامة الموتى هي في السياق المستقيم ذاته لوعود الله كلّها لشعبه. فإذا كان بسبب هذا الرجاء هو متهم، فستوجب أن ينضمّ إليه الحزب الفريسي كلّ في السجن. لها فكرة تتكرّر في دفاع بولس على مدار تقلبات محاكمته،

وهو يعلم جيداً، في المحيط الذي يتوجّه إليه بالكلام، ان مسألة القيامة هذه، موضوع النقاش، لا تدعو إلى التهكّم كما في أثينا (رج ١٧: ٣٢). وبالفعل، سيدع أغريياً والآخرون هذا الخطيب الوثائق من نفسه يتكلّم بعد مطوّلاً (آ ١-٨).

آ ٩-١١٦

نجد هنا العناصر الكلاسيكية لنصّ ابتدء شاول، وقد حوّله آ ١٦ ب-١٨ إلى رواية دعوة (رج الاطار اعلاه: الروايات الثلاث لدعوة بولس).

في آ ٩-١٢، يورد بولس، ومع مزيد من التفاصيل، ذكّر نشاطه كمضطهد للمسيحيين دون هوادة. في آ ١٣-١٦ أ، نلاحظ بعض الاختلافات الصغيرة: النور الذي يظهر هو أكثر إشراقاً من الشمس -سقطوا جميعاً على الأرض- يتوجّه الصوت إلى شاول بالأرامية (الملاحظة نفسها كما في ٢١: ٤٠)، ومن بعد أن عرف يسوع عن ذاته، أضاف، وعلى شكل مثل، من أصل يوناني على الأرجح، أنّه لا ينبغي لشاول ان يحاول مقاومته: سيكون من الصعب عليك أن ترفض المهماز. والصورة هي لثور قد يسعى دون جدوى إلى رفض الذهاب إلى المكان الذي يريد البقار سوقه إليه: في آ ١٩، سيقول بولس أنّه، في الواقع، لم يحاول ذلك.

آ ١٦ ب-١٨

تبدأ فريدة هذه الرواية الثالثة فوراً بعد ان أشار بولس إلى الأمر الذي تلقّاه من الربّ بأن يقف. انه يتغاضى عن العناصر السردية التي كانت تخبر عمّا جرى مباشرة بعد الرؤيا: عمى بولس، لقاء حنانيا في دمشق، شفاؤه وعماده. ويسمح الرسول لنفسه ان يجعل تداخلاً في المراحل التاريخية لإدراكه دعوته الخاصة التي تلقّاه من المسيح. إستناداً إلى روايته، هو ذاته، في ٢٢: ١٧-٢١، كان الربّ قد كشف له عن هذه الرسالة في ما بعد، في رؤيا في هيكل أورشليم: سوف أرسلك بعيداً، إلى الأمم الوثنية. ولما كان بولس مقتنعاً بأن هذه الرسالة كانت منذ البدء الدافع إلى ظهور يسوع له على طريق دمشق، سمح لنفسه بأن يجعل كلّ شيء يتمحور حول هذا الحدث الأوّلي.

هوذا يضع إداً، منذ هذه اللحظة، على فم القائم من الموت، الإعلان النبويّ عن رسالة يكشف فيها لخادمه عن تطوّراتها المستقبلية، إضافة إلى معناها اللاهوتي. ويكتب

لوقا كلمات الإرسال هذه مستلهماً، في الوقت نفسه، رسالة إرميا، الذي "سيخلصه" الرب لكي يصبح "نبي الأمم" (إر ١: ٥-٨) ورسالة خادم الرب المُعدّ ليكون "نوراً للأمم" (أش ٤٢: ٦-٧؛ ٤٩: ٦).

ومن جديد، يمزج لوقا ما بين العمق اللاهوتي ومهارة الراوي. وبالفعل، فإن كلمات يسوع التي كانت تعلن مسبقاً عن خدمة بولس، لها هنا بالنسبة إلى القارئ دور خلاصة عن المغامرة الرسوليّة كلّها التي يجري الإخبار عنها، بدءاً من الفصل ١٣. إنَّها مغامرة يقودها فعلاً الربّ عبر رؤى متنوّعة (رج ١٦: ٩ي؛ ١٨: ٩ي؛ ٢٣: ١١)، وكانت ثمرتها إعادة العديد من الوثنيين من الظلمات إلى النور، ومن سلطة الشيطان نحو الله (لغة بولسيّة ولوقاويّة في الوقت نفسه)، لكي ينالوا مغفرة الخطايا (لغة لوقاويّة حصريّاً)، وجزءاً من الميراث مع المقدّسين، بالإيمان بي (لغة بولسيّة جدّاً).

وهكذا تبدو آ ١٧-١٨ موجزاً مميّزاً لمحتوى البشارة بالإنجيل. كما تبدو العبارة "فتح أعينهم" غمزة للقارئ (إن تجرّأنا أن نقول ذلك)، لتذكيره بعبور بولس نفسه من الظلمة إلى النور، بالمعنى الحرفي كما بالمعنى الرمزي، بوساطة حنانيا (٩: ١٨؛ ٢١: ١٣).

آ ١٩-٢٣

تواصل هذه الخلاصة في ختام الخطاب الذي تحدّث فيه بولس مجدداً إلى أغريّا بنوع خاص، لخص ما كانت عليه طاعته لدعوة الربّ: شهادة لليهود والوثنيين، صغاراً وكباراً، داعياً إليّهم إلى التوبة (رج ١٤: ١٥؛ ١٧: ٣٠؛ ٢٠: ٢١)، وإلى القيام بأعمال تليق بالتوبة (تعبير مستعار من لو ٣: ٨). وإذ يورد بولس ذكر الاضطهاد الأقصى الذي لقيه من اليهود الذين حاولوا قتله (آ ٢١)، يعلن أنّه استطاع الصمود بفضل معونة الله، ويكرّر الفكرة الأساس التي بموجبها تبدو رسالته في النهج ذاته الذي كان نهج الأنبياء وموسى (آ ٢٢؛ رج ٢٤: ١٤). أما آ ٢٣، فهي صدى مباشر لتعليم القائم من الموت في لو ٢٤: ٢٦ ي و٤٦ ي.

إضافة إلى ذلك، عندما ينسب بولس إلى يسوع ذاته، كما فعل سمعان في لو ٢: ٣١ ي، إعلان النور لشعبنا وللأمم الوثنيّة، تلميحاً إلى أش ٤٩: ٦ الذي ينطبق على رسالته الخاصّة في آ ١٨ (رج ١٣: ٤٧)، فهو انما يعبر بقوة، في الكلمات الأخيرة من

هذا الدفاع الطويل، عن القناعة اللاهوتية الكامنة وراء مؤلف سفر الأعمال: بالنسبة إلى لوقا، من الواضح أن عمل شهود المسيح الذين ألهمهم روحه القدوس، ليس سوى عمل القائم من الموت بالذات.

حوارات ختامية (آ ٢٤-٣٢)

قاطع فسطس بولس، باعجاب لا يخلو من انزعاج. فلما كان أقلّ الفةً من أغرييا مع النقاشات اللاهوتية، تابع الحاكم بصعوبة الخطيب في طرحه الذي يهدف إلى البرهان أن ليس لليهود ما يلومونه عليه. أليس شاهداً على عكس ذلك؟ ولم يكن فسطس الوحيد في التاريخ الذي يرّد بطريقة فيها شيء من البساطة، حين راح يعلن أن البراهين الدقيقة، أو إفراط اللاهوتيين العلمي، تجعلهم يضيعون الحسّ السليم! غير أن بولس، وقد لُسع على الفور، ناشد الملك أغرييا الذي كان بوسعه التحقق من أن أقواله هذه تتطابق مع جوهر النقاش حول الحقيقة، وحول تتميم النبوءات البيبليّة، وقد وضعت اليهود والمسيحيين وجهاً لوجه، منذ عقود ثلاثة (آ ٢٤-٢٦).

وكانت لبولس، في انطلافته، المرأة في استمالة أغرييا إلى معسكره: أتؤمن بالأنبياء، أيها الملك أغرييا؟ نعم، أنا أعلم أنك تؤمن بهم! لا يبدو ان الملك شعر بأنه أهين عندما توجه إليه بولس بالكلام مباشرةً وعلناً! غير أن جوابه كان تهرّباً، ولكن من الصعب القول إذا كان يعبر عن حرج فكر أصابته رجّة أم كان سخرية مرتاب: بقليل ستقنعني أن أصبح مسيحياً (أختار هذه الترجمة الممكنة والكلاسيكية). وقابله ردّ بولس، بدعابة، بأنه يتمنى، إذا شاء الله، أن يشاطره محاوره وكلّ المستمعين الحاضرين حالته كمؤمن بالمسيح، ولكن من دون سجن (آ ٢٧-٢٩)! إنها كلمات فخورة لشاهد بقي، وهو في الأغلال، رجلاً حرّاً وإنجيلياً مقداماً. ويترك له لوقا الكلمة الأخيرة، وكأنّ أيّاً من الشخصيات الهامة التي قدّمته إلى المرافعة لم تكن تعرف بماذا تجيبه. علماً بأنّ طبيعة الاستجواب لم تكن ولا شك تنطوي على إصدار حكم.

إذاً، وبعد رفع الجلسة، توصّلوا في ما بينهم إلى استنتاج يبدو أنّهم أجمعوا عليه: لم يفعل بولس شيئاً يستوجب الموت، ولا حتّى السجن. وهذا هو التأكيد الثالث، بتعابير متساوية، على براءة بولس، اعترفت بها الإدارة الرومانيّة، وأقرّها هنا الملك أغرييا. يوجد

هنا تواز واضح مع إعلانات البراءة الثلاثة لبيلاطس بشأن يسوع، وقد تمنى اليهود ان يروه محكوماً عليه بالموت (رج لو ٢٣: ٤، ١٤، ١٥، ٢٢). وهنا يحاكي رأي أغريبا رأي هيروُدس، أفله كما كان بيلاطس قد فسره (لو ٢٣: ١٥). لا بل، يؤكد أغريباً لفسطس أنه كان بالإمكان إطلاق سراح هذا الرجل، لو لم يرفع دعواه إلى قيصر (آ ٣٠-٣٢).

هل سفر الأعمال مؤلفٌ دفاعيٌّ؟

وُضعت أحياناً فرضية تقول بأنّ كتاب الأعمال قد يكون موجّهاً إلى السلطات الرومانيّة: ويكون لوقا قد قدم من خلاله دفاعاً عن المسيحيّة، كي يبرّتها من الشكّ بأنّها حركة انقلابيّة. مثل هذا الطرح مبالغ فيه، إذ أنّ النية الأساسيّة لهذا الكتاب تظهر في الأكثر بمثابة رغبة في تثبيت المسيحيين من أصل وثنيّ في إيمانهم. ويريد لوقا أن يبيّن لهم أنّ انتشار الإنجيل حتّى أقاصي الأرض ينسجم مع تصميم الله المعلن في العهد القديم، وقد كشفه يسوع المسيح بوضوح، وتحقق تحت قيادة الروح القدس.

بيد أنّ تحرير عددٍ معيّن من الأحداث، وفي الجزء الرابع من الكتاب بشكل خاص، يُظهر بالفعل همّاً دفاعيّاً، يمكنه أن يفسّر الأهميّة المعطاة لبعض التوسعات. نرى ذلك عند جمع الملاحظات التي وُضعت في هذا السياق أثناء القراءة.

ينقل لوقا إلى القارئ نظرةً إيجابيّةً إلى النظام الرومانيّ، وخاصّةً مبادئ الحقّ التي بُني على أساسها. انه يشدّد عليها في كلام فسطس (٢٥: ١٦)، أو يُظهر ضمناً أهميّتها عندما يرينا بولس يحتجّ على التجاوزات البوليسيّة غير المقبولة (١٦: ٣٥-٣٩؛ ٢٢: ٢٤-٢٩). لم تكن الإمبراطوريّة بعد، في حقبة الرسالة البولسيّة، الوحش المضطهد للمسيحيين الذي سيندّد به سفر الرؤيا. وكان بوسعها أن تصبح كذلك إذا تركت السلطات الأمبراطوريّة خصوم المسيحيين يقعونها بذلك، هم الذين يتهمونهم بالتمرد. إنّ الوضع لدقيق، إذ منذ الوقت الذي فكّت "البدعة" الجديدة الرباط مع اليهوديّة، لم تعد محمّيةً بالوضع الخاصّ الذي منحته روما للديانة اليهوديّة.

يحرص إذًا الكاتب على تبرئة حاملي الإنجيل من أيّ شكّ بأنّهم يعكّرون النظام العامّ. لم يعطِ يسوع أيّ مُستَمسك على الاتّهام بانتمائه إلى حركة الغيورين المتمرّدة، فيما كان الرسل بدورهم "مسالمين". وبالفعل، اعترفت السلطات الرومانيّة بذلك: فلقد أعلن كلّ من غالليون الحاكم على آخائيّة، وليسياس قائد الألف، والحاكم فسطّس أنّ الصراع بين اليهود وبولس كان دينيًّا، وخارجًا بالتالي عن اختصاصهم وسلطتهم، وأنّ الاتهامات بالفوضى المقصودة هي من دون أساس البتة (رج ١٨: ١٥؛ ٢٣: ٢٩؛ ٢٥: ١٩، ٢٥؛ ٢٦: ٣١). ففى أفسس، سكن أمين سرّ المدينة المشاغبين، بنفى الاتهام ضدّ بولس وتلاميذه بالتجديف على أرطاميس، ودعاهم إلى احترام القانون. ويحملنا لوقا على ان نرى إعجابه بالنظام الذي أرسته القوّه الرومانيّة، بمجرد تهديدها بإمكانية التدخّل (١٩: ٣٥-٤٠)!

إضافة إلى ظاهرة هذا الحياد الرحيم، نرى لوقا يؤكّد كثيرًا على أنّ السلطات الرومانيّة حمت، عدّة مرّات، حياة بولس ورفاقه، في أوّرشليم (٢١: ٣٢؛ ٢٣: ١٠، ٢٤)، وفي قيصريّة (٤: ٢٥)، وخلال نقله إلى روما (٢٧: ٤٣). انه يمنح، بصورة عامّة، الشعور بأنّ السلام الرومانيّ، في نظره، صونًا لحرية التقلّ والكلام، ساعد كثيرًا على نشر الإنجيل.

لكن حين كان لوقا يحرق كتابه، كان قد جرى اضطهاد نيرون، وأصبحت مخاطر المواجهة ملموسة أكثر فأكثر. لذا تمّنى لوقا على الجماعات المسيحيّة في زمانه ان يسلكوا بموجب الفطنة، طالبًا منهم أن يكونوا أمناء تجاه السلطات القائمة؛ إنّها أمانة أعطى بولس مثالًا عنها، وصاغها كنظريّة في روم ١٣: ١-٧. ذلك ان الصراع الحاسم بسبب رفض العبادة للامبراطور لم يكن قد ظهر بعدُ في المؤلّف اللوقاويّ، وهو أمرٌ محوريٌّ في كتاب الرؤيا.

٢٠- السفر إلى روما: عاطفة وغرق (٢٧: ١-٤٤)

هنا أيضًا تقسم إلى جزئين هذه الرواية الطويلة والمفصّلة، وفيها يتم نقل بولس السجين إلى روما.

أ - من قيصرية إلى كريت (١٢-١٢)

٢٧

- ١ وَلَمَّا قَرَّرَ أَنْ يُبْحَرَ إِلَى إِيطَالِيَّةِ، سَلَّمَ بُولُسُ وَبَعْضُ السُّجَنَاءِ الْآخَرِينَ إِلَى قَائِدِ مَائَةِ اسْمِهِ يُولْيُوسَ مِنْ كَتَيْبَةِ أَوْغُسْتُسَ.
- ٢ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً مِنْ أَدْرَمَتِينَ تُوشِكُ أَنْ تَسِيرَ إِلَى شَوَاطِئِ آسِيَّةِ وَأَبْحَرْنَا وَمَعَنَا أَرَسْطَرْحُسُ، وَهُوَ مَقْدُونِيٌّ مِنْ تَسَالُونِيْقِي.
- ٣ فَلَبَغْنَا صَيْدَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي. وَأَظْهَرَ يُولْيُوسُ عَطْفًا إِنْسَانِيًّا عَلَى بُولُسَ، فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَصْدِقَائِهِ فَيَحْطِي بِعِنَابَتِهِمْ.
- ٤ وَلَمَّا أَبْحَرْنَا مِنْ هُنَاكَ سَرْنَا مُحْتَمِينَ بِجَزِيرَةِ قُبْرُسَ لِأَنَّ الرِّيَّاحَ كَانَتْ مُخَالَفَةً لَنَا.
- ٥ ثُمَّ اجْتَرْنَا الْبَحْرَ ثُجَاهَ قِيلِيقِيَّةِ وَبِمَفِيلِيَّةِ حَتَّى نَزَلْنَا مِيرَةَ مِنْ لِيْقِيَّةِ.
- ٦ فَوَجَدَ فِيهَا قَائِدَ الْمَائَةِ سَفِينَةٍ مِنَ الْإِسْكَنْدرِيَّةِ ذَاهِبَةً إِلَى إِيطَالِيَّةِ، فَأَصْعَدَنَا إِلَيْهَا.
- ٧ فَسَرْنَا سَيْرًا بَطِيئًا بَضْعَةَ أَيَّامٍ وَلَمْ نَصِلْ ثُجَاهَ قَيْدُسَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ. وَلَمْ تَكُنِ الرِّيْحُ مُؤَاتِيَةً لَنَا فَسَرْنَا مُحْتَمِينَ بِجَزِيرَةِ كَرِيْتِ ثُجَاهَ سَلْمُونَةَ.
- ٨ فَوَصَلْنَا، بَعْدَمَا حَادَيْنَا بِجَهْدٍ مِيَاةَ سَاحِلِهَا، إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْمَرَاْفِيُّ الْحَسَنَةَ، وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ مَدِينَةٌ لِآسِيَّةِ.
- ٩ وَمَضَى زَمَنٌ طَوِيلٌ حَتَّى أَصْبَحَ رُكُوبُ الْبَحْرِ خَطِرًا، لِأَنَّ الصَّوْمَ قَدْ انْقَضَى، فَأَخَذَ بُولُسُ يَنْصَحُهُمْ
- ١٠ قَالَ: "أَيُّهَا الرُّجَالُ، أَرَى أَنَّ فِي الْإِبْحَارِ ضَرَرًا وَخَسَارَةً جَسِيمَةً، لَا لِلْخُمُولَةِ وَالسَّفِينَةِ فَقَطْ، بَلْ لِأَرْوَاحِنَا أَيْضًا".
- ١١ عَلَى أَنَّ قَائِدَ الْمَائَةِ كَانَ يَتَّقِي بِالرُّبَّانِ وَصَاحِبِ السَّفِينَةِ أَكْثَرَ مِنْهُ بِأَقْوَالِ بُولُسَ.
- ١٢ وَلَمْ يَكُنِ الْمَرَفَأُ صَالِحًا لِلشُّتُو فِيهِ، فَرَأَى أَكْثَرَهُمْ أَنْ يُبْحَرُوا مِنْهُ عَسَاهُمْ أَنْ يَصِلُوا إِلَى فِينِكْسَ، فَبَشَّرُوا فِيهِ، وَهُوَ مَرَفَأٌ فِي كَرِيْتِ يَنْظُرُ إِلَى الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ وَالشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ.

للمرة الأخيرة، ومن دون إنذار مسبق، وكما في الحالات السابقة، نجد أسلوب
الـ نحن في "يوميات السفر". وفيما كنا على وشك أن ننسى بعض رفاق بولس -
باستثناء التلميح المقتضب في ٢٤: ٢٣- بسبب التقارير الطويلة حول دعاوى الفصول

الأخيرة، وإذا بهم قد سُمح لهم بالإبحار معه في هذا النقل الرسميّ إلى روما. نحن نجهد كم كان عددهم؛ هناك أقلّه مدوّن ملاحظات السفر، وأرسطرخُس الذي من تسالونيقي (رج ٢٩: ١٩؛ ٢٠: ٤).

يشبه هذا الجزء الأوّل من الرواية المقاطع التي سبق وصادفناها، إذ تبدو أنّها نبذة عن المسار الذي يمكن أن تتبعه على الخارطة (انظر الخارطة). غير أنّ بعض الملامح تعطي النبرة، أكان بالنسبة إلى العلاقة الوديّة التي ستنشأ بين بولس وقائد المئة المسؤول عن حراسته، أم بالنسبة إلى صعوبات الإبحار، وهي التي ستحوّل هذه الرحلة عاجلاً إلى كارثة بحريّة حقيقيّة.

يُظهر توقّف أوّل في صيدا إنسانيّة (حرفياً: محبة الإنسان) يوليوس تجاه سجينه: كان بإمكان بولس أن يقوم بزيارة أصدقائه في صيدا، كما كان قد فعل تجاه الذين في صور، عندما كان يسافر حرّاً (رج ٢١: ٣). وفي ميرة ترك الجنود وسجناؤهم السفينة الأولى التي لم تكن تعمل إلاّ في موانئ مقاطعة آسيا، وتعاقد قائد المئة مع سفينة مصريّة، كانت محمّلة بشحنة من القمح ومّتجهة إلى روما. إلا ان الرياح المعاكسة أرغمتهم على التوقّف في كريت، في "المرافئ الحسنّة"، وهو اسم معطى من دون شكّ ككناية (رج رأس "الرجاء الصالح"!). ويلاحظ الراوي أنّ الموسم كان متقدماً: نحن في منتصف أيلول، لأنّ تاريخ عيد "التكفير الكبير" (عيد يوم كيبور اليهودي) كان قد مضى. مع المدّ الكبير في اعتدال الخريف، ويتوافق غالباً مع أعاصير، أضحت معه الملاحاة خطيرة جداً على سفن تلك الحقبة من الزمن، لذا كانت تتوقّف كلياً من تشرين الثاني حتّى آذار، وبالتالي كان يتوجّب أخذ قسطٍ من الإشتاء.

منذ تلك اللحظة، هوذا لوقا يُظهر لنا بولس، على الرغم من كونه سجيناً، يستمرّ في التمتع بحريّة كبيرة في الكلام، حتّى ولو لم يتعلّق ذلك باللاهوت! لقد سبق ان اخترت أسفاراً عديدة، ويهمّه جداً أن يصل سليماً ومعافى إلى روما؛ لذلك سمح لنفسه بأن يعطي المسؤولين نصيحة بالفطنة، على شكل تحذير سيظهر لاحقاً أنّه كان نبويّاً: ستكون في الإبحار من جديد مجازفة كبيرة (آ ١٠). غير أنّ يوليوس الذي كان يقدر بولس ويحترمه، لم يرّه ملماً بشؤون الملاحاة، لذا فضّل الانحياز إلى رأي القبطان ورأي صاحب السفينة اللذين يعرفان سفينتهما جيّداً.

"المرافئ الحسنة"، وعلى الرغم من اسمها، لم تَبْدُ لهما مناسبة للإشتاء فيها. وهنا يتكلم لوقا، وبشكل مثير للفضول، على قرار اتَّخَذَ بالأكثرية. من غير المؤكَّد أن يكون المقصود تصويتاً ديمقراطياً بعد استشارة مئتين وستة وسبعين شخصاً موجودين على متن السفينة، جنوداً، وسجناء، وبِحارة (رج آ ٣٧)! يمكننا الاعتقاد بأن المقصود هم الأشخاص الثلاثة الوارد ذكرهم في آ ١١، وقد قرَّروا، ضدَّ رأي بولس، الخروج من المرفأ للوصول إلى مرفأ آخر في كريت، هو مرفأ فينكس، ذو الوجهة المؤتاتية أكثر.

ب- أربعة عشر يوماً في العاصفة (آ ١٣-٤٤)

١٣ فهبَّت رِيحٌ جنوبيَّةٌ لَيْتَةٌ، فَطَنُوا أَنَّهُمْ يَنَالُونَ بُعْيَتَهُمْ فَرَفَعُوا المِرْسَاةَ وَسَارُوا عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْ شَاطِئِ كَرِيْتِ.

١٤ وَبَعْدَ وَقْتٍ غَيْرِ كَثِيرٍ، ثَارَتْ مِنْ أَعْلَاهَا رِيحٌ عَاصِفَةٌ يُقَالُ لَهَا أَوْرَاكِيلُونَ،

١٥ فَانْدَفَعَتِ السَّفِينَةُ وَلَمْ تَقْوِ عَلَى مُغَالِبَةِ الرِّيحِ، فَاسْتَسَلَمْنَا إِلَيْهَا نَسَاقُ عَلَى غَيْرِ هُدَى.

١٦ فَمَرَرْنَا مُسْرِعِينَ بِالقُرْبِ مِنْ جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ تُدْعَى قُودَةَ، وَلَمْ نَسْتَطِعْ حَبْسَ الزُّورِقِ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ.

١٧ فَبَعْدَ أَنْ رَفَعُوهُ بَادَرُوا إِلَى اتِّخَاذِ وَسَائِلِ الحِيطَةِ فَشَدُّوا وَسَطَ السَّفِينَةِ بِالْحَبَالِ، وَأَنْزَلُوا الأَشْرَعَةَ مَخَافَةَ أَنْ تَجْنَحَ السَّفِينَةُ إِلَى شَاطِئِ سِرْطُقٍ، وَمَضُوا تَسْوِقُهُمُ الرِّيحُ عَلَى هَذِهِ الحَالِ.

١٨ وَكَانَتْ العَاصِفَةُ فِي اليَوْمِ الثَّانِي تَهْتِزُّنَا هَزًّا شَدِيدًا، فَجَعَلُوا يُلْقُونَ الحُمُولَةَ.

١٩ وَفِي اليَوْمِ الثَّالِثِ أَخَذُوا بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِي السَّفِينَةِ فَأَلْقَوْهَا فِي البَحْرِ.

٢٠ وَمَا ظَهَرَتِ الشَّمْسُ وَلَا النُّجُومُ مِنْ عِدَّةِ أَيَّامٍ، وَالعَاصِفَةُ لَمْ تَزَلْ عَلَى شِدَّتِهَا. فَكَانَ يَذْهَبُ كُلُّ أَمَلٍ فِي نَجَاتِنَا.

٢١ وَكَانُوا قَدْ أَمْسَكُوا عَنِ الطَّعَامِ مُدَّةً طَوِيلَةً، فَوَقَفَ بُولُسُ بَيْنَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: "أَيُّهَا الرِّجَالُ، كَانَ يَجِبُ أَنْ تَسْمَعُوا لِي فَلَا تُعَادِرُوا كَرِيْتِ، فَتَأْمَنُوا مِنْ هَذَا الضَّرَرِ وَهَذِهِ الخَسَارَةِ.

٢٢ عَلَى أَيِّ أَدْعَاؤِكُمْ الآنَ إِلَى الآطِمِنَانِ، فَلَنْ يَفْقِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَيَاتَهُ، إِلَّا أَنْ السَّفِينَةَ وَحَدَهَا تُفْقَدَ.

- ٢٣ فَقَدَ حَضَرَني فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَلَائِكَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنَا لَهُ وَإِيَّاهُ أَعْبُدُ،
- ٢٤ وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ يَا بُولُسُ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَمَثَلَ أَمَامَ قَيْصَرَ، وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ لَكَ جَمِيعَ الْمَسَافِرِينَ مَعَكَ.
- ٢٥ فَاطْمَئِنُّوا، أَيُّهَا الرَّجَالُ، إِنِّي وَاثِقٌ بِاللَّهِ، فَسَتَجْرِي الْأُمُورُ كَمَا قِيلَ لِي.
- ٢٦ وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَجَنِّحَ بِنَا السَّفِينَةَ إِلَى إِحْدَى الْجُزُرِ.
- ٢٧ وَكُنَّا فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ نُسَاقُ فِي الْبَحْرِ الْأَذْرِيَاتِي، فَأَحْسَّ الْبَحَّارَةُ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَنَّ أَرْضًا تَقْتَرِبُ مِنْهُمْ.
- ٢٨ فَسَيَّرُوا الْقَوْرَ بِالْمِسْبَارِ فَإِذَا هُوَ عِشْرُونَ بَاعًا، ثُمَّ سَارُوا قَلِيلًا وَسَبْرُوهُ ثَانِيَةً فَإِذَا هُوَ خَمْسَةَ عَشَرَ بَاعًا.
- ٢٩ فَخَافُوا أَنْ تَجَنِّحَ بِنَا السَّفِينَةَ إِلَى أَمَاكِنَ صَخْرِيَّةٍ، فَأَلْقَوْا أَرْبَعَ مَرَّاسٍ فِي مُؤَخَّرِهَا وَبَاتُوا يَرَجُونَ طُلُوعَ الصَّبَاحِ.
- ٣٠ عَلَى أَنَّ الْبَحَّارَةَ حَاطُوا مِنَ الْهَرَبِ مِنَ السَّفِينَةِ، فَأَخَذُوا يُدْلُونَ الزُّورَقَ فِي الْمَاءِ زَاعِمِينَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِلقاءَ الْمَرَّاسِي فِي مُقَدِّمِ السَّفِينَةِ.
- ٣١ فَقَالَ بُولُسُ لِقَائِدِ الْمَائَةِ وَجُنُودِهِ: "إِذَا لَمْ يَبْقَ هَؤُلَاءِ فِي السَّفِينَةِ، فَانْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ النِّجَاةَ".
- ٣٢ فَقَطَعَ الْجُنُودُ حِبَالَ الزُّورَقِ وَتَرَكَوهُ يَسْقُطُ فِي الْمَاءِ.
- ٣٣ فَجَعَلَ بُولُسُ، إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الصَّبَاحُ، يَحْتُمُّهُمْ جَمِيعًا عَلَى تَنَاوُلِ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ قَالَ: "هَؤُذَا الْيَوْمَ الرَّابِعَ عَشَرَ الَّذِي تَقْضُونَهُ وَأَنْتُمْ صَائِمُونَ لَمْ تَذُوقُوا شَيْئًا.
- ٣٤ فَأَحْتَكُمُ عَلَى تَنَاوُلِ الطَّعَامِ، لِأَنَّ فِيهِ خَلَاصَكُمْ، فَلَا يَفْقِدُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَعْرَةً مِنْ رَأْسِهِ".
- ٣٥ قَالَ هَذَا ثُمَّ أَخَذَ رَغِيْفًا وَشَكَرَ اللَّهُ بِمَرَأَى مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ كَسَرَهُ وَجَعَلَ يَأْكُلُ، فَاطْمَأَنُّوا كُلُّهُمْ وَتَنَاوَلُوا الطَّعَامَ هُمْ أَيْضًا.
- ٣٧ وَكَانَ عَدَدُنَا فِي السَّفِينَةِ مِائَتَيْنِ وَسِتًّا وَسَبْعِينَ نَفْسًا.
- ٣٨ فَلَمَّا شَبِعُوا أَخَذُوا يُخَفِّفُونَ مِنْ أَثْقَالِ السَّفِينَةِ، فَطَرَحُوا الْقَمَحَ فِي الْبَحْرِ.
- ٣٩ وَلَمَّا طَلَعَ الصَّبَاحُ، لَمْ يَعْرِفِ الْبَحَّارَةُ الْأَرْضَ، وَلَكِنَّهُمْ تَبَيَّنُوا خَلِيْجًا صَغِيرًا لَهُ شَاطِئِي فَارْتَمَعُوا أَنْ يَدْفَعُوا السَّفِينَةَ إِلَيْهِ إِذَا اسْتَطَاعُوا.
- ٤٠ فَحَلُّوا الْمَرَّاسِي وَخَلَّوْهَا فِي الْبَحْرِ، وَأَرَخُوا فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ رِبَاطَ السُّكَّانِ، ثُمَّ رَفَعُوا الشَّرَاغَ الصَّغِيرَ لِلرَّبِيْحِ وَقَصَدُوا الشَّاطِئِي.

- ٤١ فَوَقَعُوا عَلَى شَطِّ رَمْلِيٍّ، فَجَنَحُوا بِالسَّفِينَةِ إِلَيْهِ فَتَنَسَبَ فِيهِ مُقَدَّمُهَا، وَبَقِيَ لَا يَتَحَرَّكُ، فِي حِينٍ أَنْ مُؤَخَّرَهَا تَفَكَّكَ مِنْ شِدَّةِ الْمَوْجِ.
- ٤٢ فَعَزَمَ الْجُنُودُ عَلَى قَتْلِ السُّجَنَاءِ مَخَافَةَ أَنْ يَهْرَبَ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَبْحًا.
- ٤٣ وَلَكِنَّ قَائِدَ الْمَائَةِ كَانَ يَرْغَبُ فِي إِنْقَاذِ بُولُسَ، فَحَالَ دُونَ بُعْيَتِهِمْ، وَأَمَرَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ السَّبَاحَةَ أَنْ يَلْقُوا بِأَنْفُسِهِمْ قَبْلَ غَيْرِهِمْ فِي الْمَاءِ وَيَخْرُجُوا إِلَى الْبَرِّ.
- ٤٤ وَأَمَرَ الْآخَرِينَ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى الْبَرِّ، إِمَّا عَلَى الْأُلُوحِ، وَإِمَّا عَلَى أَنْقَاضِ السَّفِينَةِ، وَهَكَذَا وَصَلُوا جَمِيعًا إِلَى الْبَرِّ سَالِمِينَ.

لقد قرأنا للتو "مقطعاً من الشجاعة" يُظهر فيه الراوي موهبةً أدبيةً موازية لكبار الكتاب الكلاسيكيين القدماء. إنه يستند بدون شكّ على ذكريات شخصية لأحد المشاركين في هذه المغامرة المليئة بالتقلبات المأساوية. كما يُظهر أيضاً معرفة دقيقة بالمعجم البحريّ في زمانه، إذ ان هناك عدداً من العبارات النادرة (حول هذا الموضوع) لا نجدُها في العهد الجديد إلا هنا؛ وتقدّم النسخة الكاملة للترجمة المسكونية للكتاب المقدّس بعض التفسيرات التقنيّة الضروريّة لكلّ الذين ليسوا مُلمّين في الملاحظة القديمة. لن نطيل الكلام حول التحركات الدقيقة الموصوفة كلّها، إذ إنّ الرواية مليئة بملاحظات بيسيكلوجيّة ومعانٍ لاهوتيّة من المهمّ استخراجها. وهنا تكمن فريدة الرواية اللوقاويّة مقارنة بالنصوص الكلاسيكيّة للأعاصير ولتخطّم السفن.

٢٠-١٣١

نجد هنا وصفاً تفصيلياً للإعصار الذي هبّ فجأةً وأدّى بالسفينة إلى الانجراف، بعيداً عن المسار المخطّط له، إلى أقرب شواطئ كريت. أوراكيلون، الموصوف على أنّه نوع من الإعصار، يهبّ من الشمال-الشرقيّ، ويدفع بالسفينة صوب إفريقيا، نحو سواحل سيرطة (خليج برقة) غير المضيافة. لو تُرك قارب النجاة في مكانه، لتسبّب بعرقلة ضبط الحبال في عمليّة تطويق السفينة، التي تحول دون تخلّصها تحت ضربات الأمواج. إنّ المرساة العائمة هي قطعة خشب ثقيلة ترتبط في مؤخّرة السفينة لتبقيها في مجرى الرياح؛ تُبيّن الإجراءات الأولى المتخذة أنّنا أمام فريق عرف كيف يتصرّف بوجه عاصفةٍ عاديّة.

غير أن هذه العاصفة كانت على عنف غير مسبوق: لقد توجَّح، في اليوم الثاني، رمي جزء من الحمولة في البحر للتخفيف عن السفينة، وفي اليوم التالي، قرَّر البحَّارة إرشاء الصواري (الترجمة المسكونية للكتاب المقدس) على سطح السفينة (وليس رميها في البحر، لأنهم في آ ٤٠ سيتمكنون من رفع الشراع مجدداً). وتختتم آ ٢٠، مشيرة إلى ظلمة كثيفة حلَّت في النهار كما في الليل، فأتضح بأنَّ كلَّ أملٍ بالنجاة كان قد فُقد.

سيتمكَّن هذا المعجم حول الخلاص تحت أشكال عدَّة في آ ٣١، ٣٤، ٤٣، ٤٤ (وأيضاً في ٢٨: ١، ٤). وإذا كانت هذه المفردات تستعمل عادةً، في الكتب البيبليَّة (في العهدين القديم والجديد)، للدلالة على الخلاص الملموس من خطرٍ مُميت، فإنَّها تحمل القارئ على ان يرى في هذه المغامرة رمزَ "الهلاك" و"الخلاص" بالمعنى الكامل الذي يبشِّر به الإنجيل، تماماً كما كان الأمر بالنسبة إلى رواية العاصفة التي هُدِّت (لو ٢٢: ٨-٢٥): في الواقع، غالباً ما ترمز الظلمات والبحر في الكتاب المقدس إلى قوى الشرِّ والموت.

٢٦-٢١ آ

في هذه الحالة الميؤوس منها، يتدخَّل بولس مجدداً، منتصباً وسط الركاب، لكي يوجِّه إليهم خطاباً فريداً. لقد بدا وكأنَّ لديه بعضاً من الغرور عندما قدَّم ذاته على أنَّه هو الذي كان قد أنبأ بالكارثة، غير أنَّ ذلك يعطي في هذه الظروف سلطة أكبر لكلامه. ولكنَّه لا يتحدَّث إلى هؤلاء الرجال كلَّهم لكي يزيدهم همماً على همِّ، بل لكي يخصِّصهم على أن يحتفظوا بشجاعتهم. لقد كان بإمكان بولس أن يؤكِّد لهم بأنَّهم سينجون بحياتهم، لأنَّ ملاكاً كان قد أكَّد له أنَّه، في تصميم الربِّ، (يجب) أن يمثل أمام الإمبراطور. واستناداً إلى ذلك، كان الذين أبحروا مطمئنين إلى كونهم تحت حماية العناية الإلهية: فالله يمنح لبولس حياة كلِّ رفاقه في السفر؛ وبما أنَّه واثقٌ كلياً بهذا الوعد، فإنَّه يعلن بهدوء أنَّ السفينة الضائعة سترسو في جزيرة ما.

في خلفيَّة هذا المقطع، سبرى كلُّ عارف بالكتاب المقدس تلميحاً محتملاً جدًّا إلى رواية يونان الشهيرة، وقد دخل هو أيضاً في العاصفة، مع طاقمٍ مذعورٍ رمى الحمولة في البحر. هناك تشابه في الحالة، ولكن مع انقلاب غريب في الأدوار: يونان الذي عصا

أوامر الله، لاحقه الغضبُ الإلهي، لكنّه لم يشأ أن يتسبّب في مقتل الملاحين، لذا وعدهم بأنهم سينجون بحياتهم إذا فكّوا تضامنهم معه؛ وهكذا رُمي يونان في البحر، فهدأت العاصفة!

بولس هو هنا في يد الله الذي يريد أن يوصله إلى وجهته؛ وبنعمة الله سينجو الركّاب الآخرون المتضامنون معه؛ وإذا أعدنا صياغة روم ١٩:٥، سيمكننا القول أنّه "بطاعة واحدٍ، سيخلص الكثيرون". ومثل هذا المعنى الجديد، لن يكون بالتأكيد بعيداً عن فكر لوقا، طالما انه يقرأ بين السطور رمزاً لسرّ الخلاص الذي أمّته يسوع المسيح: فلكوننا متضامين معه بنعمة الله، فإننا نشاركه حياته المنتصرة على الموت، على مثال الخلاص الذي وعد به هنا بولسُ رفاقه في المحنة.

آ ٢٧-٣٢

لا يقول لنا لوقا، مباشرةً، كيف استطاع مستمعو هذا التنبؤ المدهش أن يتلقّوه. وها هو يسارع إلى أن يبيّن أنّ الحدث سرعان ما أتى ليثبت ذلك، طالما انه، خلال الليلة الرابعة عشرة من بدء العاصفة، أحسّ البحّارة أنّهم يقتربون من الأرض، وتحقّقوا من حدسهم، عبر قيامهم باستطلاعين (١٥) باعاً تساوي حوالي ٢٨ متراً). ومن أجل أن يتجنّبوا التعرّض للخطر في قلب الليل، أوقفوا المركب بانتظار طلوع النهار.

يا للأسف! عندما تبدو العناصر الطبيعية أقلّ تهديداً، من الممكن أن يأتي الخطر من ناحية الناس ومن غريزتهم الأنانية؛ فلقد ظنّ البحّارة أنّ لديهم خطأ أكبر بأن ينحوا إذا ما انسحبوا من الحلبة، فاستعدوا للفرار بقارب النجاة، تاركين ركّاباً سيكونون عاجزين عن القيام بالمانورات اللازمة لخلاص الجميع. هنا أيضاً يبرز بولسُ وكأنّه هو الذي يسيطر على الوضع: لقد فضح كذب البحّارة، ووشى به لدى قائد المئة الذي بدا، هذه المرّة، حكيماً بإصغائه إليه: على الجميع أن يبقوا متضامين.

آ ٣٣-٣٧

إذا كان بولس رآئياً، فهو مع ذلك ليس أقلّ واقعيّة، إذ إنّه استمرّ بالتصرّف كمسؤول عن حياة أولئك الرفاق الذين أعطاه الله إيّاهم. وبالسلطة المعنويّة التي يتمتّع بها وتفرض دائماً الآن على الجميع، طلب منهم، بحزم، وضع حدّ للصوم الذي زجّتهم

الكآبة فيه منذ أربعة عشر يوماً، لذلك دعا الجميع إلى تناول الطعام، بمن فيهم البحارة الذين فضح غدَرهم، وبقي هكذا منسجماً مع قناعته المعلنة والتي عبّر عنها بقوله: سنخلص كلنا معاً. ولقد كرّر التأكيد على يقينه، عبّر صورة صادمة، هي صدى لوعده يسوع (رج لو ٢١: ١٨): لن يفقد أحدٌ منكم شعرةً من رأسه! لكن يتحتّم استجماع العزم من أجل القيام بالخطوة الأخيرة من عملية الإنقاذ.

سيتبيّن كلُّ قارئٍ نبيه، في الأفعال المستعملة في آ ٣٥، تقارباً واضحاً مع الوصف التقليديّ لحركات يسوع في العشاء الأخير: أخذ بولس خبزاً، وشكر الله، ثمّ كسره. وشدّد النصّ الغربيّ على الموازة، مضيفاً: وأعطانا منه أيضاً. يجب ألاّ نستنتج من ذلك أنّ بولس، وبحسب لوقا، قد احتفل بإفخارستيا حقيقيّة على هذا المركب الهائم، وأشرك هؤلاء الناس كلّهم، ومعظمهم وثنيون، بفعل دينيّ لم يكونوا قد تنشأوا عليه! إنّما كان بإمكانهم أن يفهموا فعل الشكر الذي تلاه أمام الجميع: إنّهُ في منطق ما أعلنه لهم في آ ٢٣-٢٥، حين شهد لإيمانه. أمّا على مستوى ما عاشه هنا، فالمقصود هو إطعام بطون حاوية، وتشجيع الناجين (آ ٣٦).

على المستوى الثاني، يريد لوقا، مرّة أخرى، أن يلمح لقراءه المسيحيّين إلى الإفخارستيا، كوعدٍ بالخلاص وخبزٍ معزٍّ لمواجهة مِحْن الحياة. تلك كانت الطريقة والنّيّة ذاتهما تماماً في رواية تكثير الخبزات، استباقاً للعشاء الأخير (لو ٩: ١٦)، كما كان في عماوس، تذكيراً تلميحياً بالعشاء (لو ٢٤: ٣٠). إنّ لهذه المقاربة دلالةً روحيةً كبيرة، على قدر ما كانت الجماعة المسيحية -إن هي وعت ذلك- عاجزة عن الإحتفال بالإفخارستيا ضمن دائرة مغلقة من المحظوظين، إذ يتوجب عليها أن تحمل في صلاحها كلّ الجياع، وكلّ الناس المحزونين الذين يتوجّب على المسيحيّين أن يبقوا متضامنين معهم، وهم الذين يريد الربّ أن يخلّصهم أيضاً.

آ ٣٨-٤٤

يطيل لوقا الكلام قليلاً بعدد، لكي يُبيّن أنّ الإنقاذ الجماعيّ الذي أعلن بولس عنه لم يكن سهلاً! إذ يبقى جنوح السفينة مناورةً خطيرة؛ تصطدم مقدمة السفينة بالرمال،

وتبدأ الأمواج التي ما زالت عاتية بتخليع مؤخرتها. وهنا يبدأ المنعطف الأخير من هذه المغامرة التي وضعت حياة بولس في خطر: هذه المرة، هم الجنود الغياري جداً يفكرون بجل جذري لكي يحولوا دون هروب من يتولون حراستهم! ولحسن الطالع، كان يوليوس رئيسهم يتمتع بروح إنسانية أكثر رفعة؛ فلأنه كان منبهراً بشخصية بولس، ومدركاً أن عليه ان يوصله إلى روما، تمكن من منع جنوده من قتل السجناء (آ ٤٢-٤٣). وهكذا كانت سلطته هي التي نظمت المرحلة الأخيرة من الإنقاذ. في المحصلة النهائية، انتصر التضامن الذي كان قد تعرض مرتين للخطر، وبحسب وعد الله لبولس، التقوا جميعاً سالمين معافين على اليابسة.

في نهاية هذا السرد الطويل والحافل بالأحداث، نفهم أنه، من وراء الحرص على المستوى الأدبي، وما وراء المهارة في جعل القارئ يجبس أنفاسه، أراد لوقا على الأخص أن يبرز إيمان بولس الذي لا يتزعزع في المحنة، والنفوذ الذي مارسه خادم الله هذا على رفاقه. يجب على القارئ أيضاً أن يعترف بأن مخطط الله قد تحقق، على الرغم من كل العوائق: فهو الله الذي يحرص بشكلٍ حازم أن يشهد له بولس حتى روما.

٢١- بولس في مالطة: علامات عديدة من الرب (٢٨: ١-١٠)

- ٢٨
- ١ وبعدهما نَجونا عَرَفْنَا أَنَّ الْجَزِيرَةَ تُدْعَى مَالِطَةَ.
 - ٢ وَقَابَلْنَا الْأَهْلُونَ بِعَطْفٍ إِنْسَانِيٍّ فَلَّ نَظِيرُهُ فَأَوْقَدُوا نَارًا وَقَرَّبُونَا جَمِيعًا إِلَيْهِمْ حَوْلَهَا لِتَنْزُولِ الْمَطَرِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ.
 - ٣ وَبَيْنَمَا بُولُسُ يَجْمَعُ شَيْئًا مِنَ الْحَطَبِ وَيُلْقِيهِ فِي النَّارِ، خَرَجَتْ أَفْعَى دَفَعَتْهَا الْحَرَارَةُ، فَتَعَلَّقَتْ بِيَدِهِ،
 - ٤ فَلَمَّا رَأَى الْأَهْلُونَ الْحَيَوَانَ عَالِقًا بِيَدِهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَاتِلٌ. لَقَدْ نَجَا مِنَ الْبَحْرِ، وَلَكِنَّ الْعَدَلَ الْإِلَهِيَّ لَمْ يَدَعْهُ يَعِيشَ".
 - ٥ أَمَّا بُولُسُ فَتَنَفَّضَ الْحَيَوَانَ فِي النَّارِ، وَلَمْ يُعَانَ أَدَى.
 - ٦ وَكَانُوا يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَتَوَرَّمْ أَوْ يَقَعَ فَجَاءَ مَيْتًا، فَلَمَّا طَالَ انْتِظَارُهُمْ وَرَأَوْا أَنَّهُ لَمْ يُصَبْ بِسُوءٍ، بَدَّلُوا رَأْيَهُمْ فِيهِ، وَأَخَذُوا يَقُولُونَ: "هَذَا إِلَهٌ".

- ٧ وكان بجوار ذاك المكان مزرعة لحاكم الجزيرة بلبوس، فرحب بنا وأضافنا ضيافة الصديق مدة ثلاثة أيام.
- ٨ وكان أبو بلبوس يلزم الفراش مُصاباً بالحمى والزحار، فدخل إليه بولس وصلى واضعاً يديه عليه فعاواه.
- ٩ وما إن حدث ذلك حتى أخذ سائر المرضى في الجزيرة يأتونه فينالون الشفاء.
- ١٠ فأكرمونا إكراماً كثيراً، وزودونا عند إبحارنا بما نحتاج إليه.

يكفي النظر إلى خارطة البحر المتوسط لرؤية المسافة التي اجتازتها السفينة المنجرفة، أثناء العاصفة! ندرك أيضاً أن مالطة، مع كونها جزيرة صغيرة معزولة، على بُعد مئة كيلومتر جنوب صقليا، فإن المسافرين الهائمين على وجوههم كانوا محظوظين جداً عندما رسوا فيها: بالنسبة إلى لوقا، ليس هناك أي شك أنها كانت نجاة عجايبية؛ فالملاحظات التي جمعها من أحد المشاركين في هذه المغامرة (يتواصل السرد بصيغة المتكلم الجمع "نحن" حتى آ ١٦)، تُظهر أن تنمة الرحلة ونهايتها لم تكونا أقل امتلاءً بعناصر مدهشة، بقيت محفورة بالتفصيل في ذاكرة الذين عاشوا هذا المشهد.

آ ٦-٢١

لقد اندهش الناجون بالاستقبال اللطيف جداً من قبل سكان الجزيرة تجاههم، ثم بخشيتهم الخرافية عندما لسعت حية يد بولس: بنظرهم، لا بد أن يكون هذا الرجل الذي لحقته قوة الموت، وبالكاد نجا من العاصفة، مجرمًا تلاحقه العدالة الإلهية! ولما لم يحصل لبولس أي أذى، كانت لهم ردة فعل عكسية، تُذكر بأهل لستره (رج ١٤: ١١ ي): هذا الرجل الذي نجا من الموت مرة أخرى، بشكلٍ عجائبي، لا بد أنه إله!

أمّا الراوي، فلا بد أنه فكر بكلام يسوع إلى تلاميذه -دون أن يسرده- بعد رجوعهم من الرسالة: "أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب؛ وفي هذا الإطار، ترمز الحيات والعقارب إلى قوى الشر، قوة العدو، الشيطان (رج لو ١٠: ١٨ ي). من المحتمل أن خاتمة مرقس المتأخرة تستلهم نص أعمال الرسل، عندما تعدد العلامات المتنوعة التي ترافق إعلان البشرى السارة للخليقة كلها: نقرأ في ذلك تلميحاً ممكنًا إلى

حدثنا التي، بهذا الشكل، لم تكن رمزية فقط: "سيمسكون حيات بأيديهم...، ولن يحصل لهم أي شر" (مر ١٦: ١٨).

١٠-٧ آ

لم يحاول سكان مالطا الأصليون أن يقدموا على الفور ذبائح لهذا الإله الآتي من البحر، كما فعل قبلاً سكان لسترة. وهكذا استطاع بولس أن يأخذ وقته، بشكل هادئ، كي يجرّهم من الوهم، وبالتأكيد كي يكلمهم عن الإله الحقيقي الذي يخدمه، والسيد الأوحى للحياة والموت. لقد كان ذلك واضحاً جداً للوقا لدرجة أنه لم يشعر بالحاجة إلى تفسيره في كل مناسبة؛ وفي غمرة هذه الرواية المليئة بما هو مدهش، يرجع لوقا بالأكثر إلى الممارسة الكلاسيكية للشفاءات التي، في كل الكتاب، رافقت رسالة الإنجيل وأيدتها لدى الوثنيين كما لدى اليهود.

هوذا بولس، بواسطة الصلاة ووضع الأيدي (رج لو ٤: ٤٠؛ ١٣: ١٣؛ مر ١٦: ١٨؛ رسل ٩: ١٧)، يشفي والد القاضي الأول في الجزيرة، وكان قد استقبله في منزله. وكما في حالة قبرص مع الحاكم سرجيوس بولس، احتفظ النصّ باسم الشخصية الرئيسية في الجزيرة وباستقباله الجيد. هناك موازاة ملحوظة ما بين أول وآخر مرحلة من أسفار بولس الرسولية (أنظر ١٣: ٤-١٢)، الشاهد لسيدّه "في الجزر" (رج أش ٤٢: ٤، ١٠، ١٢).

٢٢- بولس يصل إليك روما، ويناقش مع يهود العاصمة (٢٨: ١١-٢٨)

١١ وَأَجْرْنَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَلَى سَفِينَةٍ كَانَتْ شَاتِيَةً فِي الْجَزِيرَةِ، وَهِيَ سَفِينَةٌ مِنَ الإسْكَندَرِيَّةِ، عَلَيْهَا صُورَةُ التَّوَّامِينَ.

١٢ فَلَمَّا نَزَلْنَا فِي سَرَقُوصَةِ أَقَمْنَا فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

١٣ وَمِنْ هُنَاكَ سِرْنَا عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنَ الشَّاطِئِ حَتَّى بَلَعْنَا راجِيُونَ. فَهَبَّتْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي رِيحٌ جَنُوبِيَّةٌ، وَوَصَلْنَا بَعْدَ يَوْمَيْنِ إِلَى بُوَطِيُولِ،

١٤ فَلَقِينَا فِيهَا بَعْضَ الإِخْوَةِ. فَسَأَلُونَا أَنْ نُقِيمَ عِنْدَهُمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَهَكَذَا ذَهَبْنَا إِلَى رُومَةِ.

- ١٥ وَعَلِمَ الْإِخْوَةَ فِيهَا بِأَمْرِنَا. فَجَاؤُوا إِلَى لِقَائِنَا فِي سَاحَةِ أَبِيوسَ وَالْحَوَانِيتِ الثَّلَاثَةِ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ بُولُسُ شَكَرَ اللَّهَ وَتَشَدَّدَتْ عَزِيمَتُهُ.
- ١٦ وَلَمَّا دَخَلْنَا رُومًا، أَذِنَ لِبُولُسَ أَنْ يُقِيمَ فِي مَنَزِلٍ خَاصٍّ بِهِ مَعَ الْجُنْدِيِّ الَّذِي يَحْرُسُهُ.
- ١٧ وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، دَعَا إِلَيْهِ أَعْيَانُ الْيَهُودِ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ لَهُمْ: "أَيُّهَا الْإِخْوَةَ، إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ مَا يُسَيِّئُ إِلَى الشَّعْبِ وَلَا إِلَى سُنَنِ آبَائِنَا. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنِّي سَجِينٌ مُنْذُ كُنْتُ فِي أُورُشَلِيمَ وَقَدْ أَسْلَمْتُ إِلَى أَيْدِي الرُّومَانِيِّينَ.
- ١٨ فَحَقَّقُوا مَعِي، وَأَرَادُوا إِخْلَاءَ سَبِيلِي لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِنْ سَبَبٍ اسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَوْتَ.
- ١٩ غَيْرَ أَنَّ الْيَهُودَ اعْتَرَضُوا فَاضْطُرِرْتُ أَنْ أَرْفَعَ دَعْوَايَ إِلَى قَيْصَرٍ، لَا كَأَنَّ لِي شَكْوَى عَلَى أُمَّتِي.
- ٢٠ لِذَلِكَ السَّبَبِ، طَلَبْتُ أَنْ أُرَاكُمْ وَأُكَلِّمَكُمْ، فَأَنَا مِنْ أَجْلِ رَجَاءِ إِسْرَائِيلَ مُتَوَقِّئٌ بِهَذِهِ السُّلْسِلَةِ".
- ٢١ فَقَالُوا لَهُ: "نَحْنُ مَا تَلَقَّيْنَا كِتَابًا فِي شَأْنِكَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا قَدِمَ عَلَيْنَا أَحَدٌ مِنَ الْإِخْوَةِ فَأَبْلَغَنَا أَوْ قَالَ لَنَا عَلَيْكَ سُوءًا.
- ٢٢ عَلَى أَنَّا نَوَدُّ لَوْ نَسْمَعُ مِنْكَ رَأْيَكَ، فَعَنْ هَذِهِ الشَّيْخَةِ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهَا تُقَاوِمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ".
- ٢٣ ثُمَّ جَعَلُوا لَهُ يَوْمًا جَاؤُوا فِيهِ إِلَى مَنَزِلِهِ وَهُمْ أَكْثَرُ عِدَدًا. فَأَخَذَ يُعْرَضُ لَهُمُ الْأُمُورَ فَيَشْهَدُ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَيُحَاوِلُ أَنْ يَقْنَعَهُمْ بِشَأْنِ يَسُوعَ مُعْتَمِدًا عَلَى شَرِيعَةِ مُوسَى وَكُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ. فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ.
- ٢٤ فَمِنْهُمْ مَنْ اقْتَنَعَ بِكَلَامِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنَ.
- ٢٥ وَبَيْنَمَا هُمْ مُنْصَرِفُونَ كَانُوا عَلَى اخْتِلَافٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَ بُولُسُ كَلِمَةً وَاحِدَةً: "أَحْسِنَ الرُّوحَ الْقُدُسُ فِي قَوْلِهِ لِآبَائِكُمْ بِلِسَانِ النَّبِيِّ اشْعِيَا:
- ٢٦ "إِذْهَبْ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ فَقُلْ لَهُ:
تَسْمَعُونَ سَمَاعًا وَلَا تَفْهَمُونَ
وَتَنْظُرُونَ نَظْرًا وَلَا تُبْصِرُونَ.
- ٢٧ فَقَدْ غَلَّظَ قَلْبُ هَذَا الشَّعْبِ وَأَصَمُّوا آذَانَهُمْ وَأَغْمَضُوا عْيُونَهُمْ لِيَتَلَّابُصِرُوا وَيُحْيُوا وَيَسْمَعُوا بِأَذَانِهِمْ وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا. أَفَأَشْفِيهِمْ؟"
- ٢٨ فَاعْلَمُوا إِذَا أَنَّ خَلَاصَ اللَّهِ هَذَا أُرْسِلَ إِلَى الْوَثْنِيِّينَ وَهُمْ سَيَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ".

نهاية الرحلة (آ ١١-١٦)

بدلاً من الإشتاء في فينكس كما كان متوقَّعاً (رج ٢٧: ١٢)، فقد تمَّ ذلك في جزيرة مالطة المضيفة، ودام ثلاثة أشهر، حتَّى الربيع. لقد كانت لدى الناجين إذاً أسباب جدِّية ليُبدؤا عرفاناً بالجميل تجاه سكان الجزيرة حيث كانوا قد وصلوا بعد أن خسروا كلَّ شيء. صحيح أن بولس قد حرَّك هناك ثقةَ المرضى الذين شفاهم وامتنانهم (رج آ ٩-١٠).

ومن جديد، هي سفينة آتية من الإسكندرية، كانت أيضاً قد أمضت الشتاء في مالطة، ستنقل المسافرين إلى بوطيول، المرفأ الذي يوصل إلى روما، رافعةً في مقدِّمتها صورة التوأمين كاستور وبولوكس، شفيعي البحارة. وفي بوطيول وجد بولس ورفاقه إخوة، كانوا مجموعة من المسيحيين لم يأبه لوقا بتبيان أصلهم (كانت كنيسة روما قد توسَّعت في جزء من إيطاليا). وتضمَّن النصُّ مرَّةً أخرى التسامح المدهش ليوليوس قائد المئة الذي كان على عجلٍ من أمره للوصول إلى العاصمة، ومع ذلك سمح لسجنائه بتمضية أسبوع في هذه الجماعة.

ستنتهي الرحلة برًّا - عبر طريق أنبيا الشهيرة، إبتداءً من ساحة أيوس - وكانت لبولس مفاجأة سارة برؤية مستقبلية في هذه الساحة (على بعد ٦٥ كيلومتراً من روما)، ومن تمَّ في الحوانيت الثلاثة (٤٧ كلم) من قِبَل إخوة آخرين أتوا من المدينة لملاقاته، إذ كانوا قد أبلغوا بوصول بولس برسالةٍ من الإخوة الذين في بوطيول. عند رؤيتهم، شكر بولس الربَّ، واستعاد شجاعته (آ ١٥).

يمكن لهذه الملاحظة أن تفاجئ، لأنَّ الرواية لم تُرنا بولس أبداً فاقدًا للشجاعة، رغم كلِّ المخاطر التي اجتازها منذ توقيفه، وحتَّى قبل ذلك! لكنَّ لوقا يوحى هنا بأنَّ قد تكون للرسول بعض المخاوف بالنسبة إلى نوعيَّة استقبال كنيسة روما له، وها هو يتعزَّى بهذه الخطوة الأخويَّة والودِّيَّة. ونعلم أيضاً أنَّه، عندما كان يعلن لهذه الكنيسة التي لم يكن قد أسَّسها، عن تصميمه على زيارتها، كان قد اتخذ الكثير من الاحتياطات الخطائية (رج روم ١١: ١-١٥). لكن من المستغرب أن تكون هذه الإشارة المقتضبة أوَّل وآخر كلمة للوقا حول علاقة بولس، السجين في روما، مع كنيسة هذه العاصمة.

يرى مؤرِّخٌ للمسيحية الأولى نفسه محبَطًا هنا، كما سيحصل له مجددًا من عدم معرفته ما حصل في محاكمة بولس الرومانيَّة! لنقل ذلك مرَّةً أخرى: إذا كان لوقا قد اجتهد في أن يكتب بدقَّة المؤرِّخ، إلَّا أنَّه، حين وضع كتابه الثاني، لم يكن يهدف ان يكتب تاريخًا كاملاً حول انتشار الإنجيل في العالم، ولا حول نشأة الجماعات المسيحية كلَّها الموجودة في زمانه.

ليس همَّه أيضًا إعطاءنا سيرة شاملة لشخصيَّاته الأساسيَّة، خاصَّةً بطرس وبولس. يكفيه، على ما يبدو، على المستوى السردِيّ، أنَّه أظهر اكتمال أمنيَّة بولس، وهي أمنيَّة الله، أن يأتي للشهادة أمام قيصر (رج ٢١:١٩ و ٢٣:١١). وما سيضيفه في نهاية هذا الفصل الأخير يشكِّل نوعًا من الخاتمة التي يجب قراءتها على مستوى الموضوعات، في تناسق المؤلِّف كلَّه، أكثر منه على المستوى السردِيّ.

أعلمتنا آ ١٦ من قبل، عن ظروف إقامة بولس في روما، بانتظار مثوله أمام الإمبراطور؛ فلقد بقي سجينًا، مع نظام حرٍّ نسبيًّا، إذ أُجيز له أن يسكن في المدينة، في مسكن استأجره على نفقته، يستقبل فيه بحريَّة من يشاء (رج آ ٣٠)، لكنَّه كان تحت حراسة أحد الجنود ليلاً ونهارًا. هذا هو نظام الحراسة العسكريّ، الصارم والمهين معًا، لأنَّ ذراع السجين اليمنى يجب أن تكون مقيّدة إلى ذراع الحارس اليسرى. لذا لم يتكلَّم بولس بطريقة رمزيَّة فقط عن أغلاله في آ ٢٠.

بولس ويهود روما: لقاء أول (آ ١٧-٢٢)

هناك منطق عميق في موقف بولس، كما في مشروع لوقا اللاهوتيّ، يركِّز الاهتمام كلَّه، في نهاية كتاب الأعمال، على استدعاء بولس وجهاء اليهود في روما. هذا ما يُظهره الخطاب الذي وجهه إليهم: ان سبب وجوده هو المحاكمة التي سيخضع لها لدى السلطة الرومانيَّة بسبب شكوى يهود أورشليم عليه. وهنا يكرر صيغة نبوءة أغاؤس بقوله مُسلِّمٌ إلى الرومان (أنظر تفسير ١١:٢١). ذلك ان بولس يريد أن يبرئ نفسه أمام بني قومه الساكنين في روما، والذين يواظب على تسميتهم إخوته.

يكرِّر إذاً احتجاجه المزدوج لإثبات براءته: سلبيًّا، هو لم يفعل شيئًا ضدَّ الشعب اليهوديِّ ولا ضدَّ القواعد الموروثة عن الآباء (آ ١٧)؛ إيجابًا، هو يحمل هذه القيود

بسبب رجاء إسرائيل (آ ٢٠). نجد هنا موضوعاً دائماً في دفاعه، بحسب لوقا (رج ٢٣: ٦؛ ٢٤: ١٥؛ ٢٦: ٦)، إذ ان هذا الرجاء هو بالتأكيد رجاء قيامة الأموات. ولما كانت روما بعيدة عن أورشليم، ولا تحتوي جماعتها اليهودية على "محافظين" من حزب الصدوقيين. فان بوسع بولس إذاً أن يأمل أن يتابعه محاوروه في هذه المساحة اللاهوتية، بحيث تناسب مع شهادة مميزة للإنجيل والتي تأتي بعد هذا التقديم المقتضب. وينجح لوقا بآيتين (١٨-١٩) في جعل بولس يختصر معنى الروايات الطويلة من الفصل ٢٢ إلى الفصل ٢٦، طالما ان الجوهرية يكمن في المفارقة ما بين اعلان البراءة الذي قام به الرومان، وبين معارضة اليهود الخانقة التي أرغمتها على رفع دعواه إلى الأمبراطور.

في هذا اللقاء الأول، كان جواب يهود روما مؤدّباً جداً، مع بقائه متحفّظاً. يمكننا أن نعجب، نظراً إلى العلاقات التي كانت تربط الجماعات اليهودية المنتشرة في الإمبراطورية، كيف أنهم لم يتلقوا، لا برسالة ولا عبر زيارة، أيّ تحذير من قبل يهود أورشليم أو آسيا من عدوهم اللدود؛ لذلك بقوا منفتحين على تبادل أكثر عمقاً حول فكر بولس. ولما لم يكونوا مخدوعين بطرحه المبهّر، فهموا جيداً أنه لم يعدّ يهودياً مستقيم الايمان، وأنه ينتمي إلى بدعة (هرطقة) المسيحيين، وقد عرفوا أنها تلاقي في كل مكان (بدون شكّ في روما من قبل) معارضةً أو احتجاجاً، كما كان سمعان الشيخ قد أعلن بشأن يسوع، انه سيكون علامة معارضة في إسرائيل" (لو ٢: ٣٤).

خاتمة (آ ٢٣-٢٩)

بعد الاتفاق بين الشركاء على موعد جديد، استقبل بولس عدداً أكبر من يهود روما. وطبقاً لقاعدته الثابتة، سواء في روما، كما في كل مكان من قبل، أراد إذاً إعطاء الأولوية للتبشير بالإنجيل لشعب الوعد، ولكن لوقا، وبشكل لافت، ترك أسلوب الحوارات الأولى المباشر، ومن ثم اتخذت آ ٢٣-٢٤ مجرى مميّزاً لخلاصة.

تلخص آ ٢٣ بشكل كامل الرسالة التي يوجّهها إلى اليهود كلّ حاملي الكلمة، أكان اسمهم بطرس أم بولس أم فيليبس أو الآخرين، بحسب تعليمات القائم من الموت. يجد القارئ مجدداً التعابير اللوقاوية جداً التي تدلّ عليه: يشهد (٧ مرّات في أعمال الرسل)، ملكوت الله (رج ١: ٣؛ ٨: ١٢؛ ١٤: ٢٢؛ ١٩: ٨؛ ٢٠: ٢٥)، يسعى إلى

الإقناع (١٢) استعمالاً لفعل أفتع)، بشأن يسوع (رج لو ٢٤: ١٩، ٢٧، ٤٤؛ رسل ١: ٣؛ ١٨: ٢٥؛ ٢٣: ١١)، انطلاقاً من موسى والأنبياء (رج لو ٢٤: ٢٧، ٤٤؛ رسل ٣: ١٨، ٢٤؛ ١٠: ٤٣؛ ١٧: ٢؛ ٢٦: ٢٢).

وتوافق آ ٢٤ مع ثابتة أُشير إليها مرّات عدّة، ألا وهي أنّ هذه الرسالة تسبّب انقساماً بين الذين يقبلونها وبين الذين يرفضونها. ولكن تجب الملاحظة جيّداً أنّه، في روما كما في أيّ مكان آخر، اقتنع عددٌ لا بأس به من اليهود! وبالتالي، على المستوى القصصي، لا يبدو لوقا متماسكاً، أو أنّه ينسب إلى بولس حكماً غير مررّ في الكلام القاسي الذي يلي، لأنّ يهود روما الذين لا يتفقون في ما بينهم، لم يُيدوا عدائيّة معلنة تجاه بولس ورسالته.

ومن أجل إنصاف الكاتب في قصده، يجب قراءة آ ٢٥-٢٨ مفصولةً عن الإطار السرديّ، والتعامل معها على ما هي عليه: خلاصة موضوعيّة تكرر الكلام الختاميّ الوارد في ١٣: ٤٦-٤٧ لبولس وبرنابا وتعمّمه. يرى بولس أنّ الشعب اليهوديّ في غالبيّته قد بقي أعمى أمام نور الإنجيل، وأصمّ تجاه كلام الله النهائيّ لشعبه. هو يرى في ذلك إتماماً لنبوؤة أشعيا القاسية، مستشهداً حرفياً، بنصّ أش ٦: ٩-١٠ حسب الترجمة اليونانيّة السبعينيّة. وهذا ما كان متى قد فعله، بخصوص الخطبة بالأمثال (متى ١٣: ١٣ي): في المقطع الموازي، كان لوقا قد لمّح إلى ذلك بشكل أكثر اقتضاباً (لو ٨: ١٠). فلقد شاء أن يحتفظ بهذا النصّ كي يرسم خاتمة لمؤلّفه كلّ.

لقد ظهر مسبقاً كُفر هذا الشعب تجاه يسوع، وهذا لغزٌ مؤلم لجميع الإنجيليين (رج يو ١٢: ٣٧-٤٠)، وهو يسرد المرجع ذاته)، واستمرّ بوجه البشارة الرسوليّة. وإذا لم يقلل الاستشهاد بأشعيا من المعثرة، فإنّه يسمح بأن نفهم أنّ هذا الكفر يندرج ضمن خطّ التاريخ البيبليّ كلّ؛ فلقد أصمّ إسرائيل في أغلب الأحيان أذنه عن كلام الأنبياء الذين كان الربّ يرسلهم إليهم؛ لتذكّر في هذا المجال خطبة إسطفانوس الشديدة اللهجة (١٧: ٥١-٥٣).

إنّ الكلمة الأخيرة بأسلوب مباشر، على لسان بولس، في هذا الكتاب، هو تأكيدٌ مقتضب واستفزازي تجاه اليهود: إعرفوا ذلك جيّداً: لقد أرسل خلاص الله إلى

الوثنيين: هم سيسمعون (آ ٢٨). يمكننا أن نجعل من هذا الكلام قراءة "مقفلة". وبموجبها يكون بولس قد شهد، وبشكل احتفالي، أن الخلاص لن يُعلن من الآن فصاعدًا إلا للوثنيين وحدهم، بصفتهم المتلقين الحقيقيين لهذه الرسالة، والمستعدين لتقبلها، وكأنَّ إجراءات أُتخذت تجاه تصلّب اليهود الزمن. إلا إنَّ الانتقال هكذا من استنتاج مؤلم لشرح حصل، إلى حكم نهائيّ بالرد لا يبدو على الإطلاق متفقًا مع لاهوت لوقا، ولا مع لاهوت بولس في الرسالة إلى الرومانيين؛ هناك إذا إمكانيّة لقراءة "منفتحة" بالأكثر.

يجب التذكّر أن الأحكام النبويّة الأكثر قسوةً في الكتاب المقدّس ينبغي أن تُفهم بشكل عامّ بمثابة دعوة أخيرة إلى اهتداء شعب الله. وعبر قراءة جيّدة لأشعيا، باستطاعتنا أن نرى أن التصلّب الرهيب واللغزيّ المُعلن في ٦: ٩-١٠ يمكن أن يُفهم كتصلّب مؤقت. إنّه بمثابة "ميرر" يسلط الضوء على تدخل الربّ الخلاصيّ، وهو ممكن دومًا؛ ففي ٨: ١٧، سيبيّن النبيُّ أنّه ما زال يرجو في هذا الإله الذي كان قد أمر بأن يغلظ قلب هذا الشعب (بحسب النصّ العبري؛ إلا ان لوقا اختار هنا، كما متّى، نصّ السبعينيّة الوصفيّ، وهو أقلّ معثرة).

هكذا، في آ ٢٨، يمكننا أن نسمع التقييم في صالح الوثنيين (هم، سيصفون). بمثابة تحدّ، الأمر الذي كان بوسعه ان يثير غيرة إسرائيل، حسب تعبير بولس (روم ١١: ١٤)، وهو يرجو بثقة خلاصَ شعبه النهائيّ: "ان العمى الذي أصاب قسمًا من إسرائيل سيبقى إلى ان يدخل الوثنيون جملة، وهكذا ينال الخلاص إسرائيل بأجمعه" (روم ١١: ٢٥). هل يمكننا أن نتصوّر لوقا أقلّ انفتاحًا من بولس على هذا الرجاء الإسكاتولوجيّ، وهو إنجيليُّ رحمة الله، وقد أظهر، على مدار هذا الكتاب، أن الكفر تجاه الرسالة المسيحيّة لم يكن يومًا عمل كلّ اليهود الذين سمعوه؟

مثل هذه القراءة المنفتحة مؤكّدة بما يلي. هناك آ ٢٩ تُدرجها الترجمة في حاشية، لأنّها غائبة عن أفضل المخطوطات اليونانيّة، ولكنها موجودة في الفولغاتا اللاتينية: "عندما قال ذلك، خرج اليهود من عنده وهم في نقاش شديد". وهذا ما يدعم إشارة آ ٢٤، التي بموجبها لم يكن زوّار بولس مجتمعين حول رفض رسالته. وليس ما يمنع من التفكير أن بعضًا منهم أصبحوا لاحقًا في عداد كلّ الذين كان بولس يستقبلهم عنده للاستماع إليه وهو يبشّر بملكوت الله (آ ٣٠). هذا ما كان يعتقد بعض النساخ الذين علّقوا على كمة الكلّ، مُضيفين هذا الإيضاح: من يهود ويونانيين.

٢٣- الموجز الأخير (٢٨: ٣٠-٣١)

٣٠ ومكث سنتين كاملتين في منزلٍ خاصٍ استأجره، يستقبل جميع الذين كانوا يأتونه،
 ٣١ ويُعلن ملكوت الله ويُعلم بكلِّ جرأةٍ ما يختصُّ بالرَّبِّ يسوع المسيح، لا يمنعه أحد.

تشكل هذه الآيات، مع أفعالها في صيغة الماضي، الموجز الذي به ينهي لوقا مؤلفه. لقد تكلمنا في شأنها على "النهاية المفاجئة" لكتاب أعمال الرسل. فإذا أخذنا وجهة النظر السردية البحتة، يكون التعبير صحيحاً: يمكن أن يشعر القارئ بشيء من الإحباط لعدم معرفته شيئاً عن مثول بولس أمام قيصر، وعمّا حصل في نهاية السنتين اللتين تذكرهما آ ٣٠. هل تم إطلاق سراحه، هل استطاع مذاك إتمام مشروعه بالسفر إلى إسبانيا، وقد تكلم عنه في روم ١٥: ٢٨؟ يعتقد البعض ذلك، غير أنّ المؤشرات في هذا الصدد قليلة للغاية. لقد بينا سابقاً أنّ لوقا لم يُرد أن يكتب سيرة لبولس (والفكرة التي بموجبها يُحتمل أنه لم يقل أكثر من ذلك، كونه كتب في العام ٦٢، أي قبل أن يعرف نتيجة المحاكمة، لا تصمد أمام النقد). يجب إذاً التوضع على مستوى المشروع الشامل لكتابة لوقا حتّى نقيّم معنى هذه الخاتمة. نرى عند ذاك أنّها تستجمع تماماً الموضوعات الكبرى لمؤلفه.

إنّ الوضع الحر الذي تمتع بولس به، بوصفه سجيناً رفع دعواه إلى القيصر، مكّنه من متابعة خدمته كإنجيلي وملفان. يورد لوقا مع الفعلين بشر وعلم صيغتي خدمة الكلمة، وقد ظهرت منذ البداية في خدمة الرسل (رج خاصةً ٢: ٣٦، ٤٢؛ ٥: ٤٢؛ ١٥: ٣٥؛ وهما موجزان متطابقان تقريباً). يتكلم بولس بثقة تامة: لها لغة كانت دائماً كلام خدام الربّ (١٢ استعمالاً في أعمال الرسل). وفي ٤: ٢٩، في إطار الاضطهاد الأوّل في أورشليم، كانت الكنيسة قد طلبت من الربّ أن تكون كلمتها معلنة بثقة تامة (الصفة ذاتها في اليونانية).

أمّا بالنسبة إلى التعبير الأخير -حرفياً: من دون معوقات، فلا نجده إلا هنا في العهد الجديد، لكنّه على تناغم مع كلام بولس في ٢ طيم ٩: ٢: "إني لأجله (يسوع المسيح) أعاني المشقات حتى اني حملت القيود، ولكن كلمة الله ليست مقيدة". تلك هي إحدى الثوابت التي أراد لوقا إظهارها عندما تكلم على توجّه مرسلي المسيح: فبالرغم

من كلِّ المعارضات، ومن كلِّ المحاولات لإسكات الناطقين بكلمة الإنجيل، بالتخويف أو الاضطهاد، شقَّت رسالة الخلاص طريقها بنصرٍ في العالم. فما من حاجز بشريّ يستطيع اعتراضها.

يجب الانتباه أخيراً إلى الطريقة التي بها يختصر لوقا، في هذا الموجز الأخير، محتوى هذه الرسالة، مع ذكر ملكوت الله وسيادة يسوع المسيح مرتين. نحن في روما حيث الإمبراطور يحصل على لقب سيّد (ومخلص أيضاً!)، ويملك على إمبراطوريةٍ أخضعت أمماً كثيرة، وتغطّي العالم المتحصّر المعروف كلّ تقريباً. وتبلغ المفارقة الإنجيليّة ذروتها إذًا في خاتمة هذا الكتاب: ففي موقف ضُعب وتبعية تجاه هذه السلطة الرومانيّة التي لا تُقهر، يتجرأ سجين يهوديٍّ على أن يعلن أن السيّد الحقيقيّ للعالم ليس القيصر، وإنما هذا النبيّ اليهوديّ المعثور الذي اسمه يسوع، وقد صُلب على عهد بلاطس البنطيّ.

هذه الرسالة التي انطلقت من أورشليم، ومن ثمّ من أنطاكيا، وكتلتاهما قطبا انتشارها بين اليهود ومن ثم بين الوثنيين، قد بلغت إلى روما. وكان بوسع لوقا أن يعتبر أنّه سار بمشروعه إلى نهايته: فلقد أظهر لقراءته أنّ البرنامج الذي أعلنه القائم من الموت، ستكونون شهودًا لي... حتّى أقاصي الأرض (١: ٨)، قد تمّ بمعظمه. لقد وُضع أساس أنجلم العالم بطريقةٍ لا رجوع عنها، وتبرّر روايته مبدأ خلاص يوهب لكلّ الأمم. ذلك ان لوقا أظهر كيف أنّ هذا الانفتاح العالميّ، الذي أعلنه الأنبياء وأمر به الربّ القائم من الموت، قاده الروح القدس في كلّ مرحلةٍ، كاسراً كلّ العوائق.

فمع اليهود/المسيحيين الأورشليميين، كما مع الوثنيين/المسيحيين الأنطاكيين، ومع كلّ المدعوين تئوفيلوس (أصدقاء الله)، المتلقين لهذا الكتاب، نحن مدعوون إلى تمجيد الله وإلى الفرح بأنّه فتح للوثنيين أنفسهم باب الإيمان، ووهب الاهتداء الذي يقود إلى الحياة (رج ١١: ١٨؛ ١٤: ٢٧؛ ١٥: ٣). وهكذا كانت روما حيث أُنجز كتاب أعمال الرسل، أفضل رمز للشموليّة، وهي مدينة متعدّدة الثقافات، إذ كانت كلّ الأمم -تقريباً- ممثّلة فيها.

لكن لوقا يعرف جيّدًا أنّ التاريخ لم ينته، وأنّ عمل شهود المسيح يجب أن يستمرّ: يجب على الشهادة التي تؤدّي للذي هو ربّ الجميع (١٠: ٣٦) أن تصل حقًا،

في زمان العالم ومكانه، إلى أقاصي الأرض. وبالتالي، فإنّ عدم اكتمال روايته على الصعيد السرديّ يضحّي ذا معنى: انه يدعو قراءه من كلّ الأزمنة إلى الدخول بدورهم في تحقيق هذا البرنامج، وإلى أن يكتبوا بأنفسهم تنمة أعمال الرسل، حتّى تُعلن البشرية السارة تحت كلّ السماوات، وفي جميع الحضارات. لذا يجب ألاّ تكون النهاية التي قرأناها للتوّ خاتمة مغامرة جميلة من الماضي، إذ أنّ تاريخ الشهادة المسيحية يبقى مفتوحاً حتّى عودة الربّ (رج ١: ١١).

المحتوى

٧	كلمة الناشر
١١	المقدمة
١٤	تسلسل تاريخي
١٥	خارطة فلسطين في زمن المسيح
١٦	رحلات بولس التبشيرية

القيصر الأول

١٧	نشأة الكنيسة (رسل ١ : ١ - ٢ : ٤١)
----	--------------------------------------

١٩	١- يسوع القائم يعلن للرسل رسالتهم ويتوارى عن أعينهم (١:١-١١)
٢٦	٢- بانتظار الروح القدس: صلاة الرسل وانتخاب متيّا (١:١٢-٢٦)
٣١	٣- العنصرة: مجيء الروح القدس، البشرى السارة على يد بطرس، والعمادات الأولى (٢:١-٤١)

القيصر الثاني

٤٧	جماعة أورشليم (رسل ٢ : ٢ - ٤٢ - ٨ : ١)
----	---

٤٩	١- الكنيسة الأولى: الحياة الجماعية (٢:٤٢-٤٧)
٥٢	٢- الأعجوبة الأولى والمحاكمة الأولى (٣:٣ - ٤:٣١)

- ٥٢ أ . شفاء سقيم وخطبة بطرس إلى الشعب (٣:١ - ٤:٤)
- ٦٠ ب . بطرس ويوحنا أمام السنهدريم؛ صلاة الكنيسة (٥-٣١)
- ٦٥ ٣- الكنيسة الأولى: مقاسمة الخيرات (٤: ٣٢-٣٧)
- ٦٧ ٤- الصعوبات الأولى. حنانيا وسقيرة يرفضان التقاسم (٥: ١-١١)
- ٦٩ ٥- الكنيسة الأولى: عجائب الرسل (٥: ١٢-١٦)
- ٧٠ ٦- محاكمة جديدة: توقيف الرسل وإطلاقهم (٥: ١٧-٤٢)
- ٧٦ ٧- صعوبات أخرى بشأن التقاسم: إقامة السبعة (٦: ١-٧)
- ٧٩ ٨- خدمة إسطفانوس أول شهيد، ومحاكمته، وموته (٦: ٨ - ٨: ٨ : أ)

القسيس الثالث

- ٩٣ الكلمة تنطلق من اورشليم لتطال الوثنيين
(رسل ٨ : ١ - ١٥ : ٣٩)
- ٩٥ ١- الاضطهاد يؤدي إلى انتشار الإنجيل في اليهودية والسامرة
(٨ : ١ - ٤٠ : ٤٠)
- ٩٥ أ - الإنجيل في السامرة (٨ : ١ - ٢٥ : ٢٥)
- ١٠٠ ب- فيلبس والخصي الحبشي (٨ : ٢٦ - ٤٠ : ٤٠)
- ١٠٧ ٢- يظهر الرب يسوع نشاول الذي يبدأ لتتو بالتبشير بالإنجيل
(٩ : ١ - ٣٠ : ٣٠)

- ١١٤ ٣- خدمة بطرس في اليهودية: معجزتان لدى المؤمنين (٩: ٣١-٤٣)
- ١١٧ ٤- كرنيليوس وذووه هم أول الوثنيين الذين قبلوا الروح القدس والعماد (١: ١٠-١١ : ١٨)
- ١١٨ أ- الرؤيا المزدوجة (١٠: ١-٢٣)
- ١٢٣ ب- بطرس عند كرنيليوس (١٠: ٢٣-ب-٤٨)
- ١٢٩ ج- بطرس يبزر ذاته أمام كنيسة أورشليم (١١: ١-١٨)
- ١٣٥ ٥- تأسيس كنيسة أنطاكية (١١: ١٩-٣٠)
- ١٤٠ ٦- اضطهاد جديد في أورشليم. استشهاد يعقوب، نجاة بطرس العجائبيّة (١٢: ١-١٩)
- ١٤٥ ٧- موت هيرودس أغريبّا، عقاباً له من الربّ (١٢: ٢٠-٢٣)
- ١٤٦ ٨- من أنطاكية أرسل برنابا وبولس في بعثة رسولية (١٢: ٢٤-١٣ : ٣)
- ١٤٧ ٩- بولس وبرنابا في قبرص: قبول الكلمة ورفضها (١٣: ٤-١٢)
- ١٥٠ ١٠- في أنطاكية بيسيدية (١٣: ١٣-١٠٢)
- ١٥٠ أ- خطبة بولس في المجمع (١٣-٤٣)
- ١٥٥ ب- بولس وبرنابا، وقد رفضهما اليهود، يتوجهان إلى الأمم (٤٤-٥٢)
- ١٥٨ ١١- نجاح الرسالة وفشلها في آسيا الصغرى؛ عودة إلى أنطاكية (١٤: ١-٢٨)

١٦٤ -١٢ مجمع أورشليم يكرّس دخول الوثنيين في الكنيسة (١٥ : ١-٣٥)

١٧٢ -١٣ بولس وبرنابا يتخاضمان ويفترقان (١٥ : ٣٦-٣٩)

القسيس الرابع

١٧٥ رسالته بولس إلى أقاصيص الأرض
(رسل ١٥ : ٤٠ - ٢٨ : ٣١)

١٧٧ -١ يعبر بولس إلى أوروبا بعدما ثبتت كنائس آسيا الصغرى
(١٥ : ٤٠-١٦ : ١٠)

١٨٠ -٢ البدايات المضطربة لكنيسة فيلبّي (١٦ : ١١-٤٠)

١٨٩ -٣ يؤسس بولس كنيسة تسالونيكي وبيرية بالرغم من معارضة اليهود
(١٧ : ١-١٤)

١٩٢ -٤ بولس في أثينا: خطاب في الأريوباغس (١٧ : ١٥-٣٤)

٢٠٠ -٥ تأسيس كنيسة كورنتس (١٨ : ١-١٧)

٢٠٤ -٦ عن طريق أفسس، التحق بولس بجماعته الإنطاكية قبل رحلة جديدة
(١٨ : ١٨-٢٣)

٢٠٥ -٧ أبلس في أفسس (١٨ : ٢٤-٢٨)

٢٠٧ -٨ بولس يمضي سنتين في أفسس: خصوبة الكلمة على الرغم من الصراعات
العنيفة (١٩ : ١-٤٠)

٢٠٧ -٩ تبشير بولس وأعاجيبه (١٩ : ١-٢٠)

ب - شغب الصاعقة (٢١-٤٠)

٢١١

٢١٧ ٩- بولس في اليونان ومقدونية: احتفال جماعيّ وأعجوبة في طرواس
(١٢:٢٠-١)

٢٢٠ ١٠- وداع بولس لشيوخ كنيسة أفسس: وصيّة رعوية (٢٠:١٣-٣٨)

٢٣٠ ١١- بالرغم من نصائح الإخوة الفطنة، صعد بولس إلى اورشليم نحو آلامه
(١٦:٢١-١)

٢٣٣ ١٢- استقبال الإخوة لبولس في اورشليم واعتقاله في الهيكل
(٣٦:٢١-١٧)

٢٣٩ ١٣- أمام الحشد اليهوديّ يشهد بولس للربّ الذي دعاه (٢٤:٢٢-٣٧:٢١)

٢٤٤ ١٤- بولس مواطن رومانيّ (٢٢:٢٥-٢٩)

٢٤٧ ١٥- بولس أمام مجلس إسرائيل الأكبر (١١:٢٣-٣٠:٢٢)

٢٥١ ١٦- مؤامرة اليهود ونقل بولس إلى قيصرية (٣٥:٢٣-١٢)

٢٥٣ ١٧- بولس وفيلكس الحاكم: محاكمة رسمية ولقاءات شخصية (٢٤:٢٧-١)

٢٥٨ ١٨- بولس والحاكم فسطس: محاكمة جديدة ورفع الدعوى إلى الإمبراطور
(١٢:٢٥-١)

٢٦٠ ١٩- شهادة بولس أمام أغريبا الملك، ورواية جديدة للاهتداء
(٣٢:٢٦-١٣:٢٥)

٢٦٠ أ- يعرض فسطس أمام أغريبا قضية بولس (٢٧:١٣-٢٥)

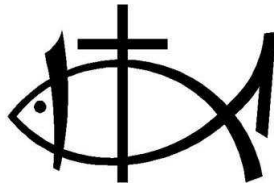
٢٦٣ ب- مراجعة بولس (٣٦:١-٣٢)

- ٢٧٠ -٢٠- السفر إلى روما: عاصفة وغرق (٢٧: ١-٤٤)
- ٢٧١ أ- من قيصرية إلى كريت (١-١٢)
- ٢٧٣ ب- أربعة عشر يوماً في العاصفة (١٣-٤٤)
- ٢٧٩ -٢١- بولس في مالطة: علامات عديدة من الرب (٢٨: ١-١٠)
- ٢٨١ -٢٢- بولس يصل إلى روما، ويتناقش مع يهود العاصمة
(٢٨: ١١-٢٨)
- ٢٨٨ -٢٣- الموجز الأخير (٢٨: ٣٠-٣١)

الاطارات

- ٣٤ • الشهادة بحسب لوقا
- ٤٥ • الخطب في سفر أعمال الرسل
- ١٠٥ • عماد، وضع الأيدي، عطية الروح
- ١٣٩ • التاريخ وتسلسل زمني في سفر أعمال الرسل
- ١٧٣ • بطرس وبولس، وجهان متوازيان
- ٢٠٣ • لوقا والعالم الروماني
- ٢٢٨ • بولس سفر الأعمال وبولس الرسائل
- ٢٤٥ • الروايات الثلاث لدعوة بولس
- ٢٦٩ • هل سفر الأعمال مؤلف دفاعي؟

اصدارات
مركز الدراسات الكتابية
في الموصل



دار بيليا للنشر

ملفات الكتاب المقدس

مجلة ببليوية متخصصة مصورة، معربة عن الفرنسية *Les Dossiers de la Bible* تصدر منذ عام ٢٠٠٠

عن دار ببلييا للنشر بوتيرة اربعة ملفات في السنة.

السنة الاولى: ٢٠٠٠

- ١- الحديث عن القيامة/ايلول
- ٢- الافخارستيا/ كانون الاول

السنة الثانية ٢٠٠١

- ٣- ايليا واليشاع/ كانون الثاني
- ٤- امثال يسوع/نيسان
- ٥- ما وراء الموت/تموز
- ٦- عجائب يسوع /تشرين الاول

السنة الثالثة ٢٠٠٢

- ٧- قراءة في الجليل متى /كانون الثاني
- ٨- اعمال الرسل/نيسان
- ٩- قراءة في مؤلف لوقا /تموز
- ١٠- حزقيال النبي /تشرين الاول

السنة الرابعة ٢٠٠٢

- ١١- اناجيل الطفولة /كانون الثاني
- ١٢- القديس بولس/نيسان
- ١٣- سفر يونا/تموز
- ١٤- كنيسة البدايات /تشرين الاول

السنة الخامسة ٢٠٠٤

- ١٥- القديس مرقس /كانون الثاني
- ١٦- سفر الزمير/نيسان
- ١٧- النبي عاموس /تموز
- ١٨- صلاة الابانا /تشرين الاول

السنة السادسة ٢٠٠٥

- ١٩- الجليل يوحنا/كانون الثاني
- ٢٠- الروح القدس/نيسان
- ٢١- الاناجيل المنحولة /تموز
- ٢٢- اشعيا النبي /تشرين الاول

السنة السابعة ٢٠٠٦

- ٢٣- سفر ايوب /كانون الثاني
- ٢٤- ارميا النبي /نيسان
- ٢٥- سفر الرؤيا /تموز
- ٢٦- الغفران في ل.م. /تشرين الاول

السنة الثامنة ٢٠٠٧

- ٢٧- اشعيا الثاني وتلاميذه/كانون الثاني
- ٢٨- أوجه يسوع /نيسان
- ٢٩- الايام بحسب يوحنا/تموز
- ٣٠- سفر الخروج /تشرين الاول

السنة التاسعة ٢٠٠٨

- ٣١- لا فقراء بعد اليوم!/كانون الثاني
- ٣٢- الايام بحسب الجليل لوقا/نيسان
- ٣٣- روح العنصرة /تموز
- ٣٤- العهد: من سيناء الى يسوع /تشرين الاول

السنة العاشرة ٢٠٠٩

- ٣٥- العماد في ل.م. /ك.م. +عدد خاص (٢٠٠٠-٢٠٠٨)
- ٣٦- بولس وقورنثس/نيسان
- ٣٧- حين يتكلم الله/تموز
- ٣٨- مريم، ام يسوع /تشرين الاول

السنة الحادية عشرة ٢٠١٠

- ٣٩- اورشليم مدينة السلام/ كانون الثاني
- ٤٠- كما في الكتب/ نيسان
- ٤١- واعطاها اسما (الحيوانات في ل.م.) /نيسان
- ٤٢- روايات الكتاب المقدس/ تشرين الاول

السنة الثانية عشرة ٢٠١١

- ٤٣- الجليل في الكتاب المقدس/كانون الثاني
- ٤٤- الحرب والسلام/نيسان
- ٤٥- ابراهيم خليل الله/تموز
- ٤٦- طرق لتفسير الكتاب المقدس/تشرين الاول

السنة الثالثة عشرة ٢٠١٢

- ٤٧- ملائكة الميلاد/ كانون الثاني
- ٤٨- يسوع من الناصرة/نيسان
- ٤٩- هل املئ الله الكتاب المقدس/ تموز
- ٥٠- الله الخالق /تشرين الاول

السنة الرابعة عشرة ٢٠١٢

- ٥١- ينايع وأبار/ك.م. + عدد خاص (٢٠٠٩-٢٠١٢)
- ٥٢- بولس، رسول الامم/ نيسان
- ٥٣- الغريب في الكتاب المقدس/ تموز
- ٥٤- قراءة مألوفة في الكتاب المقدس/ تشرين الاول

السنة الخامسة عشرة ٢٠١٤

- ٥٥- يوحنا المعمدان / كانون الثاني
- ٥٦- الاعياد في الكتاب المقدس/ نيسان
- ٥٧- محطات في التاريخ المقدس/تموز



سلسلة ابحاث كتابية

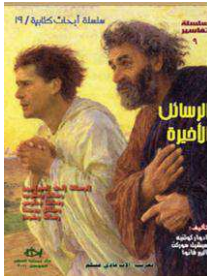
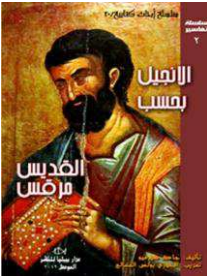
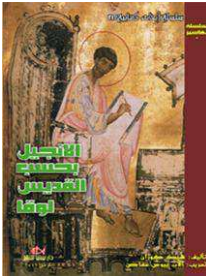
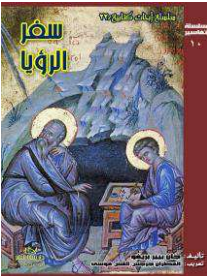
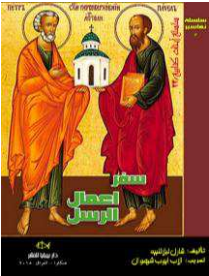
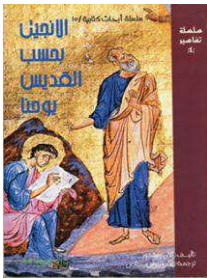
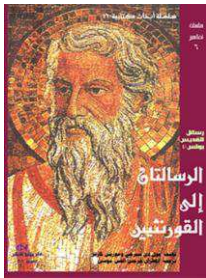
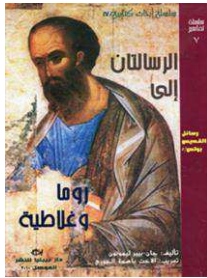
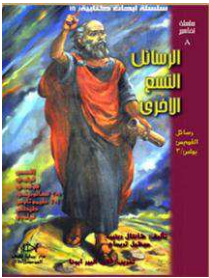
(تجد عناوينها في غلاف ٣، بضمنها سلسلة تفاسير)

(Commentaires)

سلسلة تفاسير

عشرة أجزاء تغطي بالتفسير العهد الجديد برمته، بقلم اختصاصيين فرنسيين في العلوم البيبية. عمدت دار بيبيلا، منذ عام ٢٠٠٨، إلى ترجمتها ونشرها. تثبت عناوينها بحسب ظهورها:

١. الانجيل بحسب القديس متى / ١
٢. الانجيل بحسب القديس يوحنا / ٤
٣. الرسالتان الى القورنثيين / ٦
٤. الرسالتان الى روما وغلاطية / ٧
٥. الرسائل التسع الاخرى / ٨
٦. الرسائل الاخيرة / ٩ (عب، الرسائل العامة)
٧. الانجيل بحسب القديس مرقس / ٢
٨. الانجيل بحسب القديس لوقا / ٣
٩. سفر الرؤيا / ١٠
١٠. سفر أعمال الرسل / ٥
- تعريب الاب بيوس عقاص / ٢٨٨ص-٣٠٠٠د. (٢٠٠٨)
- تعريب الخوري بولس الفغالي / ٢٨٠ص-٣٠٠٠د. (٢٠٠٩)
- تعريب م. جرحس القس موسى / ٢٣٢ص-٣٠٠٠د. (٢٠١٠)
- تعريب الاخت باسمة الخوري / ٢١٦ص-٣٠٠٠د. (٢٠١٠)
- تعريب الاب البير ابونا / ٣٤٠ص-٣٠٠٠د. (٢٠١١)
- تعريب الاب فادي مسلم / ٢٤٨ص-٣٠٠٠د. (٢٠١١)
- تعريب الخوري بولس الفغالي / ٣٤٠ص-٣٠٠٠د. (٢٠١٢)
- تعريب الاب بيوس عقاص / ٣٢٠ص-٣٥٠٠د. (٢٠١٢)
- تعريب م. جرحس القس موسى / ١٦٨ص-٢٠٠٠د. (٢٠١٣)
- تعريب الاب ايوب شهوان / ٣٠٤ص - ٣٠٠٠د. (٢٠١٥)



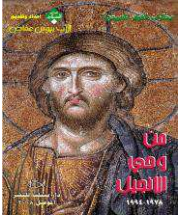
مخارئة الفكر المسيحي

سلسلة توثق ما نشرته مجلة الفكر المسيحي بين الاعوام ١٩٧١-١٩٩٤، لا سيما في ابوابها الثابتة

صدر منها سابقا:

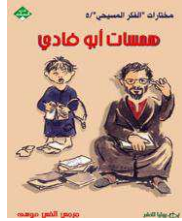
(-) تاريخ الكنيسة الشرقية (الموصل ١٩٧٣)، همسات ابو فادي /ج (بغداد ١٩٨٥)، ابت هذه مشكلتي (بغداد ٢٠٠٤) ومنذ عام ٢٠٠٦ عمدت دار بيبليا للنشر إلى مواصلة إصدار كتب هي بحق "مخارئة الفكر المسيحي"

ظهر منها



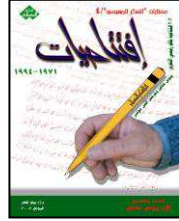
٦

٢٨٤ص/٢٠٠٨ (٢٠٠٠.د.٢٥٠)



٥

١٨٠ص/٢٠٠٧ (٢٠٠٠.د.٢٥٠)



٤

٥٠٠ص/٢٠٠٧ (٢٠٠٠.د.٢٥٠)



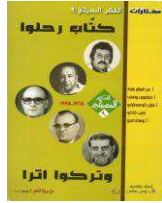
٣

٢٩٠ص/٢٠٠٦ (٢٠٠٠.د.٢٥٠)



١٠

٤٨٠ص/٢٠١١ (٢٠٠٠.د.٢٥٠)



٩

٢٩٢ص/٢٠١١ (٢٠٠٠.د.٢٥٠)



٨

٥٠٨ص/٢٠١٠ (٢٠٠٠.د.٢٥٠)



٧

٢١٠ص/٢٠٠٩ (٢٠٠٠.د.٢٥٠)



١٢

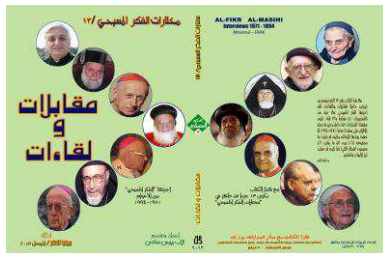
بيبليا للنشر ٢٠١٢
٤٥٢ص/ (٢٠٠٠.د.٥٠)



١١

الكتابان معا: ٩٠٠٠.د.

بيبليا للنشر ٢٠١٢
٤٤٠ص/ (٢٠٠٠.د.٥٠)



١٣

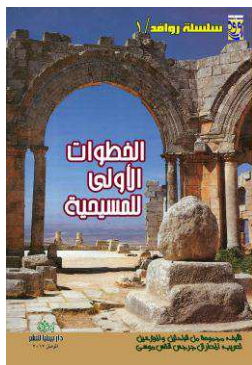
ترقبوا ظهور الرقم ١٤ بعنوان
"مستأخري"
(مهدتون، قديسون، شهود ايمان)

بيبليا للنشر ٢٠١٢
٢٧٢ص/ (٢٠٠٠.د.٢٥٠)

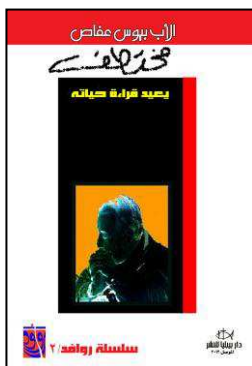
سلسلة كتب تستقبل نتاجات المؤلفين والمترجمين في موضوعات حيوية راهنة وفي مختلف مجالات المعرفة، والدينية منها بنوع خاص.

ظكر فيكنا:

١. الخطوات الأولى للمسيحية في الشرق.

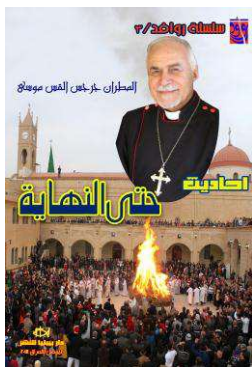


بقلم : نخبة من الباحثين والمؤرخين
تعريب: المطران جرجس القس موسى
دار بيبليا للنشر / ١٢٠ ص - الموصل ٢٠١٢ (٤٠٠٠ د.)



٢. مختطف يعيد قراءة حياته

بقلم: الاب بيوس عفاص
دار بيبليا للنشر / ٢٣٢ ص - الموصل ٢٠١٣ (٣٠٠٠ د.)



٣. كتي النكالية: أحاديث

بقلم: المطران جرجس القس موسى
دار بيبليا للنشر / ١٥٢ ص - الموصل ٢٠١٤ (٢٠٠٠ د.)

انجزت مطبعة الديوان طبع هذا الكتاب في ٢٦ تشرين الثاني ٢٠١٥

سلسلة إبيكات كتابية

١. هراءة مجددة للعهد الجديد
 ٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي
 ٣. هراءة في العهد القديم/ج: قبل الجلاء
 ٤. هراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع
 ٥. هراءة في العهد الجديد/ج١: الاناجيل الاربعة
 ٦. هراءة في العهد الجديد/ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا
(وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة، من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمنها علبة خاصة] مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨.٠٠٠ دينار)
 ٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل
 ٨. لوقا - الاعمال/ وعد التاريخ
 - ٩-١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة
 ١١. يسوع الذي هو المسيح
 ١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا
 ١٣. الانجيل بحسب القديس متى/ سلسلة تفاسير ١
 ١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة
 ١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤
 ١٦. رسائل القديس بولس/ج١: سلسلة تفاسير ٦
الرسالتان الى القورنثيين
 ١٧. رسائل القديس بولس /ج٢: سلسلة تفاسير ٧
الرسالتان الى روما وغلاطية
 ١٨. رسائل القديس بولس / ج٣: سلسلة تفاسير ٨
الرسائل التسع الاخرى
 ١٩. الرسائل الاخيرة / سلسلة تفاسير ٩
 ٢٠. الانجيل بحسب القديس مرقس/سلسلة تفاسير ٢
 ٢١. الانجيل بحسب القديس لوقا/ سلسلة تفاسير ٢
 ٢٢. سفر الرؤيا/ سلسلة تفاسير ١٠
 ٢٣. سفر أعمال الرسل / سلسلة تفاسير ٥
 ٢٤. دليل الى العهد الجديد
 ٢٥. بشرى القيامة
 ٢٦. عشرة مفاتيح لقراءة الكتاب المقدس
- تأليف: أ. بيوس عفاص/ص٥٤٠/١٩٩٩ (د ٤٠٠٠)
- تعريب: أ. بيوس عفاص/ص٢٢٤/٢٠٠٢ (د ١٠٠٠)
- ٢٤٠/ص٢٠٢/٢٠٠٢ (د ١٥٠٠)
- ٢٧٢/ص٢٠٤/٢٠٠٤ (د ٢٠٠٠)
- ٢٥٦/ص٢٠٤/٢٠٠٤ (د ٢٠٠٠)
- ٢٠٨/ص٢٠٥/٢٠٠٥ (د ٢٠٠٠)
- ٢٠٠/ص٢٠٠/٢٠٠٦ (د ٢٠٠٠)
- ٢٣٦/ص٢٠٠/٢٠٠٦ (د ٢٥٠٠)
- ١٣٦/ص٢٠٠/٢٠٠٧ (د ٢٠٠٠)
- ١٧٦/ص٢٠٠/٢٠٠٨ (د ٢٠٠٠)
- ٢٨٨/ص٢٠٠/٢٠٠٨ (د ٣٠٠٠)
- ٢٨٨/ص٢٠٠/٢٠٠٩ (د ٣٠٠٠)
- ٢٨٠/ص٢٠٠/٢٠٠٩ (د ٣٠٠٠)
- ٢٣٢/ص٢٠١/٢٠١٠ (د ٣٠٠٠)
- ٢١٦/ص٢١٠/٢٠١٠ (د ٣٠٠٠)
- ٣٤٠/ص٢١١/٢٠١١ (د ٣٠٠٠)
- ٢٤٨/ص٢١١/٢٠١١ (د ٣٠٠٠)
- ٢٤٠/ص٢١٢/٢٠١٢ (د ٣٠٠٠)
- ٣٢٠/ص٢١٢/٢٠١٢ (د ٣٥٠٠)
- ١٦٨/ص٢١٣/٢٠١٣ (د ٢٠٠٠)
- ٢٠٤/ص٢١٥/٢٠١٥ (د ٣٠٠٠)
- ٢٥٦/ص٢١٢/٢٠١٢ (د ٣٠٠٠)
- ١٩٢/ص٢١٤/٢٠١٤ (د ٢٠٠٠)
- ٥٧٦/ص٢١٥/٢٠١٥ (د ٣٥٠٠)

...وسفر "أعمال الرسل" - ولم يُطلق عليه هذه التسمية إلا في القرن الثالث، وبشكلٍ مع الإنجيل الثالث مؤلفاً واحداً بجزئين كان ينبغي لهما إلا انفصلا! - لا يحدثنا عن أعمال الرسل بقدر ما يحدثنا عن أعمال الروح القدس الذي مدّ أولئك الرسل والمبشرين بالإنجيل، وفي مقدمتهم بطرس وبوحنا، اسطفانس وفيلبس.. ربّما بلحق بهم بولس، بالجرأة على التبشير بقبالة الرب، ومنحهم القدرة على اجراء المعجزات والآيات باسم يسوع الناصري القائم من بين الاموات، وشدّدهم في الشهادة لإنجيل الخلاص - شهادة تُعكسها الخطابات التي يعجّ بها سفر الأعمال!



ولوقا البشير، في هذا السفر، بصفته مؤرخاً مؤمناً، يقص علينا المسيرة التي قطعها الكنيسة، بقوة الروح، لتبلغ الخلاص إلى الوثنيين، وقد بلغ بالفعل إلى روما قلب الامبراطورية الرومانية على يد شاول بولس الذي يكاد يحتل القسم الثاني برمته من السفر. لذا لم يكن هدف لوقا ان نطلعنا على تفاصيل من حياة ورسالة هؤلاء العاملين من اجل الإنجيل، بقدر ما شاء ان يرسم لنا لوحة مشعة عن كنيسة البدايات، بمواصفات تمنحها تكون صفات كنيسته وكنائس عصره وكنائس كل العصور...

مؤلف هذا التفسير الراعوي الرصين لسفر الأعمال، هو الراعي السويسري شارل لبرانتيه، المنشط البيبلي في الكنيسة المصلحة، وبغدّ اختصاصها لا مزارع له في مؤلف لوقا ...

وشاء هذا البيبلي الشهير ان يتناول ادقّ التفاصيل في سفر الأعمال ويفك ما فيه من الغاز وأسرار، وهو لا يبخل، بين الحين والآخر، بهمسات في اتجاه كنائس عصرنا!

من كلمة الناشر